

سِيَّلِسْلَةُ جَوَاهِرُ التَّدْبِيجِ

قِرَاءَةُ جَلِيلَةِ الْفَتوحِ حَاتَّ الْأَسْلَامِيَّةِ

عَلَى الْكِتَابِ الْعَالِمِ

الجلد الثاني

الطبعة الأولى ١٤٣٢



قراءة جلدية لفتوحات الأسلامية

بعلم

جامعة الكردانية

الجلد الثاني

الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

العنوان والمؤلف	المؤلف
Kurani, Ali	علي، علي
قراءة جديدة لفتورحات الإسلامية - ج ٢ / علي الكوراني العالمي / نشر باقيات	- م ١٩٤٤ -
قم، باقيات، ١٤٣٢	٢٠١١ م
ISBN 978 - 600 - 213 - 010 - 5	
الفتوحات الإسلامية الإسلام - التاريخ	الابداع الدولي
DS ٣٨ / ١ / ١٣٩٠	ال موضوع
١٣٩٠ ق / ١٧٨٧	ال موضوع
٩٠٩ / ٠٩٧٦٧١	
٢٣٧٤٤٦٤	

قراءة جديدة لفتورحات الإسلامية - ج ٢

علي الكوراني

■ الناشر: باقيات

■ المطبعة: وفا

■ الطبيعة: الأولى - ١٤٣٢ هـ - ق

■ العدد: ٢٠٠٠ نسخة

■ رقم الابداع الدولي: ٥ - ٠١٠ - ٢١٣ - ٦٠٠ - ٩٧٨

■ رقم الابداع الدورة: ٢ - ١١ - ٠١١ - ٦٠٠ - ٩٧٨

«كافة حقوق الطبع محفوظة ومسجلة»

أصحاب الأدوار المداعاة في الفتوحات

كثرة القادة الحقيقين والمدعى لهم

قد يبلغ عدد القادة والأبطال الذين شاركوا في معارك الفتوحات بشكل مؤثر وأولئك الذين ادعت لهم السلطة المشاركة المؤثرة .. ثلاثة مئة شخصية .

وقد كتبنا ترجمات لنهازج منهم ، لنقدم بها صورة صحيحة للفتوحات ، لكن بعض الشيعة الذين لم نترجم لهم لا يقلون أهمية عنهم . ومن أمثلتهم: المقداد بن الأسود الكندي ، وعمرو بن سعيد بن العاص ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وسعيد بن خالد بن سعيد بن العاص ، وشريحيل بن حسنة ، وأبو ذر الغفاري ، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وطليب بن عمير بن وهب ، وأبو الدرداء عويمر بن زيد الخزرجي ، وعبادة بن الصامت بن أخ أبي ذر ، وأبو أمامة الباهلي ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو أيوب الأنباري ، ومذعور بن عدي ، وبمجموعة الفرسان النخعيين في فتح الشام ، ومثلهم في فتح العراق وفارس .

ومن أمثلة غير الشيعة :

أبو عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان ، وضرار بن الأزور ، وضرار بن الخطاب ، وأبو موسى الأشعري ، والزبير بن العوام ، وأبو سفيان بن حرب ،

والقعقاع بن عمرو ، وعاصم بن عمرو ، وعياض بن غنم ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعبد الرحمن بن خالد ، وحبيب بن مسلمة ، وصفوان بن أمية ، وعمرو بن عنبرة ، والسمط بن الأسود ، ذو الكلاع الحيري ، ومعاوية بن حديج ، ولقيط بن عبد القيس ، وحوشب ذو ظليم ، وعصمة بن عبد الله .

هل اخترع رواة السلطة أبطالاً من خيالهم؟

وقد أثبتنا في ترجمة مالك الأشتر أن رواة السلطة أعطوا بعض بطولاته إلى ضرار بن الأزور ، مع أنه قتل قبل اليرموك بسنوات في حرب اليمامة ! وكذلك فعلوا الضرار بن الخطاب ، فجعلوه من أبطال اليرموك مع أنه قتل في أجنادين . والسؤال: هل صحيح أن رواة السلطة لم يكتفوا بالبالغة والتضخيم ، وتحريف النصوص والأحداث ، ومدح من لا يستحق والتنتيق من أصحاب البطولة .. حتى اخترعوا صاحبة وأبطالاً لا وجود لهم ، ونسبوا لهم البطولات والأفعال والأقوال ، بل الأحاديث النبوية ؟

أجاب العالم الباحث السيد مرتضى العسكري رحمه الله تعالى بالإيجاب فألف كتاباً باسم: خسون ومئة صحابي مختلف! حاول فيه إثبات أن رواة السلطة اخترعوا عدداً من الصحابة من خيالهم ، ولم يكن لهم وجود في الواقع ، ومنهم قادة في الفتوح ، وسياسيون ، ومنهم رواة ، وأولئك أصحاب كرامات .. الخ.

ومن هؤلاء المخترعين: القعقاع بن عمرو ، وأخوه عاصم بن عمرو ، والأسود بن قطبة ، وابنه نافع بن الأسود ، وعمرو بن العاص التميمي ، وعمرو بن مالك

وعفيف بن المنذر ، وزياد بن حنظلة ، وحرملة بن سلمى ، والربيع بن مطر بن ثلج ، وربعي بن الأفكل ، وأط بن أبي أط التميمي . كما ألف السيد العسكري كتاباً ي باسم: عبد الله بن سبا وأساطير أخرى ، حاول فيه إثبات أن ابن سبا أسطورة اخترعها الراوي سيف بن عمرو ، ولا وجود له . ولا يتسع المجال لبسط القول في ذلك ، وقد تبعت النصوص المتعلقة بعبد الله بن سبا فوجدت أنه لا يمكن موافقة الكاتب المصري طه حسين ، والسيد العسكري على أنه مختلف من أصله ، بل المختلف أدواره المداعنة في إيقاع الفتنة بين المسلمين وعثمان ، وبين علي عليه السلام وطلحة والزبير وعائشة .

وأميل إلى ذلك في عدد من قادة الفتوحات ومنهم ضرار بن الأزور والقعقاع ، فقد ضخمهم رواة السلطة وكذبوا لهم ، ليغطوا بذلك على بطولة الأبطال الحقيقيين رضوان الله عليهم .

قال ابن حجر في ترجمة القعقاع في الإصابة: ٥/٣٤٢: « قال سيف: قالوا: كتب عمر إلى سعد: أي فارس كان أفرس في القادسية؟ قال: فكتب إليه إني لم أر مثل القعقاع بن عمرو ، حل في يوم ثلاثة حملة ، يقتل في كل حملة بطلاً».

وقال السيد العسكري في خسون ومائة صاحبي مختلف: ١/١٣٤: «خلاصة البحث: القعقاع هو الذي أنشب القتال في اليرموك ، وفاز فيها كما فاز بأيام العراق ، واشترك في فتح اليرموك ، ودمشق ، وفحل ، ونظم فيها الأراجيز ، وأضيف إلى عدد القتلى في الفتوح عشرة آلاف ومائة ألف قتيل » !

خالد بن الوليد. والغدر ونبيل الفروسيّة !

١. أبوه الوليد بن المغيرة رئيس بني مخزوم ، وأشد المشركين على النبي ﷺ وفيه

نزل قوله تعالى: ذُرْبِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيداً. وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ دُوَداً. وَبَيْنَ مُسْهُوداً .
وَمَهَذَتُ لَهُ تَهْيِداً. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لَآيَاتِنَا عَنِيداً. سَأْرُهُقَهُ صَمُوداً .
إِنَّهُ فَكَرْ وَقَدَرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَذْبَرَ
وَاسْتَكْبَرَ. فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سُخْرَيْوْتَرَ. إِنْ هَذَا إِلَّا قُولُ الْبَشَرِ . سَأْضِلِّيْهِ سَقَرَ . وَمَا
أَذْرَكَ مَاسَقَرَ . لَا تُبْقِي وَلَا تَنْتَرُ . لَوَاحِهَ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ . (المدثر: ١١-٣٠).

والوليد هو (العُتُلُ الزَّيْنِيم) الذي لم يتسع له حلم الله العظيم ، فأنزل فيه قوله:
وَلَا تُطِعْنِي كُلَّ حَلَافِ مَهِينِ . هَمَّازَ تَمَّاءِ بَنَيْمِ . مَنَاعَ لِلْحَمْرَ مُعَنِّيْمِ . عُثْلَ بَعْدَ دَلِّكِ
زَيْنِيمِ . أَنْ كَانَ ذَا مَالِ وَبَيْنِ . وقد اتفق المؤرخون والمفسرون على نزول هذه الآيات في
الوليد، ففي تفسير الجلالين/٧٥٨: «دعى» في قريش، وهو الوليد بن المغيرة. ادعاه
أبوه بعد ثانية عشرة سنة». وابن إسحاق: ٢/١٤٠، والقرطبي: ١٩/٧١. وعشرات المصادر .

وهو أول المستهزئين الذين قتلهم الله تعالى في السنة الثالثة منبعثة النبي ﷺ .
فقد اتفق المفسرون والمحدثون على أن آيات: فَاصْدَعْ بِهَا تُؤْمِرُ وَأَغْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ .
إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ، نَزَلتْ عَنْهُمْ لَهُ وَرْفَقَاهُ ، بَعْدَ ثَلَاثَ سِتِّينَ مِنَ الْبَعْثَةِ .
فقد روينا في السيرة ، ورواه الذّهبي في تاريخه (٢٢٤/١) وصححه قال: «المستهزئون:
الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يعoth الزهري ، وأبو زمعة الأسود بن
المطلب من بني أسد بن عبد العزى ، والحارث بن عيطل السهمي ، والعاص
بن وائل . فأتاه جبريل فشكاهم النبي ﷺ إليه فأراه الوليد وأوْمًا جبريل إلى
أجله(شريانه) فقال: ما صنعت؟ قال: كُفِيتَه . ثم أراه الأسود ، فأوْمًا جبريل إلى

عينيه فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته . ثم أراه أبا زمعة فأواماً إلى رأسه فقال: ما صنعت؟ قال كفيته . ثم أراه الحارث فأواماً إلى رأسه أو بطنه وقال: كفيته . فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبالاً فأصاب أبجله فقطعاها . وأما الأسود فعمي . وأما ابن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها . وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها . وأما العاص فدخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت فمات . حديث صحيح . انتهى .

وفي رواية أن الوليد لما حضرته الوفاة: «دعا ولده هشاماً وخالداً والوليد والفاكه وأبا قيس وقيساً وعبد شمس وعمارة ، فقال لهم: يا بَنِي إِنِّي أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ فَلَا تُضِيعُوهُنَّ: دَمِي فِي خَزَاعَةِ فَلَا تُطْلَعُنَّهُ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُمْ مِنْهُ بِراءٌ وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُسَبِّبُوا بِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ ! وَرِبَابِي فِي ثَقِيفٍ فَلَا تَدْعُوهُ حَتَّى تَأْخُذُوهُ ، وَعَقْرِي عَنْدَ أَبِي أَزِيرِ الدُّوْسِيِّ فَلَا يَفْوِتُكُمْ بِهِ ، وَكَانَ أَبُو أَزِيرٍ قَدْ زَوْجَهُ ابْنَةَ لَهُ ثُمَّ أَمْسَكَهَا عَنْهُ ، فَلَمْ يَدْخُلُهَا عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ ». .

وسبب طلبه ديته من خزاعة أنه « مرّ بنيل لرجل منبني خزاعة قد راشه في الطريق فأصابته شظية منه فانقطع أكحله حتى أدمه ، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد! (الحصلاء/٢٧٩) ، فاعترف بأن رب محمد عليه السلام قتله ، ومع ذلك أوصى بأخذ дdية من صاحب السهام ! قال أبو طالب عليه السلام :

«رجال تماليوا حاسدين وبغضنة لأهل العلى فيبنهم أبداً وسر
وليد أبوه كان عبداً لجتنا إلى علجة زرقاء جاش بها البحر
وكانوا لنا مولى إذا ابتنى النصر وتبسم وخرزون وزهرة منهن
فقد سفهت أحلامهم وعقوفهم وكانوا كجفتر بشس ما صنعت جفر»

٢. ونشأ خالد على يد أبيه الوليد في العداء للنبي ﷺ، وكان بارزاً بين إخوته ،

فنفذوا وصية أبيهم وأغتالوا أباً أزير الدوسى ! (النفق/١٩١، وابن هشام: ٢٧٨/٢). وكان خالد أحد الذين انتدبهم قريش لقتل النبي ﷺ ليلة الهجرة فبات على عتبة في فراشه: «لما بصر بهم عليٌّ قد انتصروا السيف وأقبلوا عليه بها يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة، وثبت به عليٌّ فختله وهمز يده ، فجعل خالد يقْبِص قهاص البكر». (أمالى الطرسى/٤٦٧ . والمعنى: يصرخ كالجمل البكر ، الصغير السن).

وشارك خالد وإخوته مع المشركين في بدر ، فنجا خالد ، وُقتل أخوه أبو قيس ، وأُسر أخوه الوليد بن الوليد . (شرح النهج: ٢٠٣/١٤).

وكان خالد من قادة المشركين في أحد ، وسيباً في هزيمة المسلمين بعد انتصارهم وانشغلهم بالغنائم ، فقد اغتنم هو وعكرمة الفرصة وهاجوهم من خلفهم . وبعد انهزام الأحزاب في حربهم على النبي ﷺ رأى خالد أن ميزان القوة قد تحول إلى جانب النبي ﷺ ، فجاء إلى المدينة هو وعمرو بن العاص ، وأسلمَا .

وبعد فتح مكة شارك مع قريش إلى جانب النبي ﷺ في حرب حنين ، لكنه كان في أول المهزمين بخيله من بني سليم .

وبعد فتح الطائف أخذ خالد يستوفي ربا أبيه الوليد من ثقيف فمنعه النبي ﷺ (النفق/٢٠٣) ثم عاد وطالبهم به فشكوه إلى النبي ﷺ ، فنزلت الآية: يا أئمَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا تَبَقَّى مِنَ الرِّبَآءِ إِنْ كُتُّمْ مُؤْمِنِينَ. (عدمة القاري: ٢٠١/١١).

ثم ادعى خالد أنه أسلم قبل خير ، وأنه شارك فيها ، فصدقه رواة السلطة ، لكن علماءها استحوذوا من الكذب الصريح فردوا قوله !

فقد روى أحمد (٤/٨٩) عن خالد قال: «غزوت مع رسول الله غزوة خيبر، فأسرع الناس في حظائر يهود فقال: يا خالد ناد في الناس أن الصلاة جامعة ! ! وقال في نصب الرابية (٦/٥٨): «آخر جه أبو داود والننسائي وابن ماجة عن بقية». وقال ابن حزم إنه موضوع (عدمة القاري: ١٧/٢٤٨). وراجع (الاستيعاب: ٢/٤٢٧).

وقال في جمجم الزوائد (٩/٣٥١): «كان إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة عند النجاشي، فقدموا المدينة في صفر سنة ثمان من الهجرة ». وبه قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية /٢٥٩، وابن حجر في تهذيب التهذيب: .٣٩٧/٣، وابن تيمية في فتاوى /٤: ١٠٧

٣. كان عمر بن الخطاب يبغض خالداً ولا يطيقه ، لأنه كسر ساقه في شبابه !

فكان عمر يخوئ ويفحج في مشيه كل عمره. (النهاية: ٧/١٣١، وتفصيل الطبرى: ٢/٧٩). والسبب الآخر أن خالداً يرى أنه ابن أكبر شخصية في قريش، ويرى عمر شخصاً معموراً من قبيلة معنورة ، يعمل مُبْرِطِشاً ، أي دلال كراية حمير وإبل. (نهاية ابن الأثير: ١/١١٩، ونهاية العروس: ٩/٥٨).

كما كان عمر خادماً لأخيه عمارة بن الوليد في سفره ، فاتهمه عمارة أنه أراد أن يغدر به ويقتلته . (المنقى: ١٣٠). وكان خالد يسخر من أم عمر ولا يقبل أنها من مخزوم ، ويسمى عمر: «الأعيسى ابن أم شملة» !

قال الطبرى في خبر قتل خالد مالك بن نويرة: ٢/٣٥٠: «فلما بلغ قتلامهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر ، وقال: عدو الله عدا على أمرئ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته ! وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد ، معتجراً بعامة له ، قد غرز في عمامته أسهماً ، فلما أن

دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمتها ثم قال: أرثاء ! قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على إمرأته ، والله لأرجنك بأحجارك ! ولا يكلمه خالد بن الوليد ، ولا يظن إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه ، حتى دخل على أبي بكر ، فلما أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه فعذر أبو بكر ، وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك ! قال فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر وعمر جالس في المسجد فقال: هلم إلى يا ابن أم شملة ! قال: فعرف عمر أن أبي بكر قد رضي عنه ، فلم يكلمه ودخل بيته !

ومعنى أم شملة: أم وزرة ، يعني بأن أمه كانت معبدة فرباها رجل منبني مخزوم ! وقد عارض عمر تأمير خالد فلم يطعه أبو بكر ، ثم طالبه عمر أن يقتله بهالك بن نويرة ، فلم يسمع كلامه ، وقال إن خالداً اجتهد فأخطأ .

ولما مات أبو بكر وتولى عمر ، كان أول عمل قام به عزل خالد ، وكتب لأبي عبيدة أن يهينه ويذعن له ، ويطلب منه أن يكذب نفسه ويسحب طعنه في أم عمر ، وإن لم يفعل فليقاسمه ما يملك ، ويصادر نصف أمواله !

قال الطبرى: «عن صالح بن كيسان قال: كان أول كتاب كتبه عمر حين ولى إلى أبي عبيدة بوليه على جند خالد... وعزل خالد بن الوليد ! حدثنا سلمة عنه قال: إنما انزع عمر خالداً في كلام كان خالد تكلم به فيما يزعمون.. فكتب عمر إلى أبي عبيدة إن خالداً أكذب نفسه فهو أمير على ما هو عليه ، وإن هو لم يكذب نفسه فأنت الأمير على ما هو عليه ، ثم انزع عهاده عن رأسه ، وقاسميه ماله نصفين ! فلما ذكر أبو عبيدة ذلك خالد قال: أنظري أستشر أختي في أمري ، ففعل أبو عبيدة ، فدخل خالد على أخيه فاطمة بنت الوليد ،

وكانت عند الحارث بن هشام ، فذكر لها ذلك فقالت: والله لا يحبك عمر أبداً ، وما يريد إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك ! فقبل رأسها وقال: صدقتك والله . فتم على أمره وأبي أن يكذب نفسه.. قال (أبو عبيدة) أُمِرْتَ أَنْ أَنْزِعَ عَمَّا مَهِنَ
وَأَقَاسِمَهُ مَا لَهُ ، فَقَاسِمَهُ مَا لَهُ حَتَّى بَقِيتُ نَعْلَاهُ .. فَأَخْذَ نَعْلَاهُ وَأَعْطَاهُ نَعْلَاهُ ..
فحسب ذلك فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم ، فناصبه عمر ذلك ، فأعطاه
أربعين ألف درهم وأخذ المال.. فكان عمر يرى أنه قد اشتفي من خالد حين
صنع به ذلك ».

٤. وكتب عمر إلى خالد: «بلغني أنك تَدَلَّكَ بِخَمْرٍ .. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَا قَتَلْنَاهَا
فعادت غسولاً غير حمر. فكتب إليه عمر: إن لأظن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء
فلا أماتكم الله عليه ». (تاريخ دمشق: ١٦٤ / ٢٦٤، والطبرى: ٣ / ١٦٦، والنهاية: ٧ / ٩٢).

٥. وعاش خالد معزولاً ومات في حمص ، فمنع عمر أقاربه من البكاء عليه!
«لما مات خالد بن الوليد اجتمع في بيت ميمونة نساء يبكين ، فجاء عمر ومعه
ابن عباس ومعه الدرة ، فقال: يا عبدالله أدخل على أم المؤمنين فأمرها فتحتاجب
وأخرجهن على ، فجعل يخرجهن عليه وهو يضر بهن بالدرة ! فسقط خمار امرأة
منهن فقالوا: يا أمير المؤمنين خمارها ! فقال: دعوها فلا حرمة لها ! وكان يتعجب
من قوله: لا حرمة لها ». (عبد الرزاق: ٣ / ٥٥٧).

٦. تقرأ الكثير عن فروسيّة خالد وبطولاته ، في مصادر الخلافة ، لكنك تفتشر في
المعارك فلا تجد له أي مبارزة ، أو مشاركة حقيقة في معركة منها !
ثم تقرأ حديثه عن نفسه لتعرف نوع شخصيته وتفكيره وتصرفه ، فتجد أنه
يمدح نفسه مدحًا مفرطاً ، وأن بطولاته المداعاة من أقواله .

كما تجده يفتخر بأبيه الوليد بن المغيرة وبأجداده ، غير مكتثر بذم القرآن له ! وتجده يعمل بمعادلات الربح والخسارة ، ويميل مع ميزان القوى ، ولا يدخل في حسابه القيم الإسلامية ، ولا القيم القرشية والعربية .

وقد وصف المعادلة التي دفعته الى الدخول في الإسلام فقال: «وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ، فليس موطن أشهده إلا وأنصرف وإن أرى في نفسي أني موضع في غير شيء ، وأن محمداً سيظهر» !

وقال: «فلمجا جاء (النبي ﷺ) لعمرة القضاء تغييت ولم أشهد دخوله ، فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه ، فطلببني فلم يجدني ، فكتب إلى كتاباً فإذا فيه: فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وقلة عقلك ، قد سألكي عنك رسول الله ، فقال: أين خالد...». (النهاية: ٤ / ٢٧٢، وتاريخ دمشق: ١٦ / ٢٢٦ ، وكثير من المصادر).

ومعنى: موضع في غير شيء: رأيت نفسي أني أقاومه بدون نتيجة ! وكان زميله عمرو بن العاص مثله ، فقال كما رواه جماعة الزوائد ووثقه (٣٥٠ / ٩): «لما انصرنا من الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون مكانى ويسمعون مني ، فقلت لهم: تعملون والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإن قد رأيت أمراً فما ترون فيه؟ قالوا: وما رأيت؟ قلت: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإنما أن تكون تحت يديه أحب إلينا من أن تكون تحت يدي محمد ! وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتيانا منهم إلا خير . قالوا: إن هذا الرأي ..

ثم وصف عمرو كيف وافقه خالد على رأيه . فقررا بعد عمرة القضاء في السنة السابعة ، أن يسلما ، وجاءا إلى المدينة وأسلما . وتاريخ الطبرى: ٢ / ٣١٣.

٧. ويلفتك في شجاعة خالد ، ما كتبه له أبو بكر لما بعثه لحرب مسيلمة ، قال:
 «إذا عزمت على الحرب فباشرها بنفسك ، ولا تتكل على غيرك ، وصف
 صفووك وأحكם تعبيتك». (فتح ابن الأعتم: ٢٣/١).

ومعناه أن أبي بكر يعرف أن طريقة خالد أن يقاتل بغیره ، ولا يقاتل بنفسه !
 لكن رغم تأكيد أبي بكر عليه ، جلس خالد في معركة اليهامة على سريره في
 خيمته ولم يقاتل ، لا في اليوم الأول ولا الثاني ! وعندما وصلت هزيمة المسلمين
 إلى فسطاطه هرب تاركاً زوجته ، ودخل أعداؤه خيمته ورَأبْلُوهَا بسيوفهم !

ثم رأينا شجاعته عندما ذهب إلى الحديقة فجاءه فارس فاشتبك معه فوقاع عن
 فرسيهما وخالد فوقه ، فبذل جهده ليتخلص منه ويهرب فوجد فرسه قد هرب ،
 ثم نجا خالد وهو مرهق ووصل إلى خيمته ، لكن لاسالماً ولا غالماً !

وظل جالساً في الخيمة حتى انتصر المسلمين ، وجاءه خبر قتل مسيلمة ، فجاءته
 الشجاعة وذهب إلى الحديقة ، ومعه حراس ! وقد وثقنا ذلك كله في حرب اليهامة !

٨. إذا تبعت تاريخ خالد العسكري ، من مشاركته مع المؤامرين الستة عشر
 لقتل النبي ﷺ ليلة الهجرة ، إلى أن توفي في حصن بعد ثلاثين سنة ، لا تجد فيها
 حالة مبارزة واحدة ، ولا حملة حقيقة في حرب ، إلا ما كذبوا له ولم يثبت ، أو
 كذبه هو لنفسه وثبت عكسه !

ففي حروب المشركين كان على الخيل . قال ابن حجر في الإصابة (٢١٥/٢) :
 «كان أحد أشراف قريش في الجاهلية ، وكان إليه أعناء الخيل في الجاهلية ، وشهد
 مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية ، كما ثبت في الصحيح» .

ولم يبرز خالد إلى أحد من المسلمين ، ولا المشركين بعد إسلامه أبداً . وأشهر ما عرف به أنه في أحد بعد هزيمة قريش ، اغتنم فرصة انشغال المسلمين بجمع الغنائم ، فالتلَّفَ عليهم من ورائهم هو وعكرمة بخيлем ، وقتلوا الرماة حُراس المضيق ، وهاجروا المسلمين من خلفهم ، ورجع المشركون المنهزمون من أمامهم فأطبقوا على المسلمين فقتلوا حمزة وسبعين من المسلمين ، وكانت هزيمة أحد ، التي قصها الله تعالى في القرآن . ولم يبارز فيها خالد أحداً ولا قتل أحداً .

وفي معركة الخندق ، لم يكن خالد مع فرسان المشركين الذين عبروا الخندق ، بل كمن خلف الخندق ، واختار فرصة عبور شيخ هرم كبير السن في جانب المسلمين ، هو أنس بن أوس بن عتیك ، فرماه بهم فقتله . (الإصابة: ٢٧٠ / ١) .

وفي غزوة الحديبية كان خالد على خيل المشركين ، ووقعت بينهم وبين المسلمين مناوشات ، ووقع فيها قتل وأسرى أكثر من حسين ، لكن لم يرد فيها ذكر خالد . وفي عمرة القضاء في السنة الثانية تقدم أن خالداً قال إنه غيب نفسه عن مكة .

٩ . واشتهر غدر خالد ببني جذيمة رغم إعلانهم الإسلام ! ففي فتح مكة أرسله النبي ﷺ في خيل إلى بني جذيمة وهم على مسافة يوم من مكة ، ليدعوهم إلى الإسلام ، فاحتال عليهم خالد حتى وضعوا أسلحتهم ، فكتفهم وغدر بهم وقتلهم ليثار لعنه الذي قتلته رجل جذيمي في الجاهلية !

وقال مقاتل كما في تفسيره (١٥٨/٣) إن عدد الذين قتلتهم خالد سبعون رجلاً ! وتسمى منطقتهم الغميصاء والرميصاء ، ويسمى مكان قتلهم: الخندمة .

وفي معجم البلدان (٤/٢١٤): «الغميصاء: موضع في بادية العرب قرب مكة ، كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، الذين أوقع بهم خالد بن الوليد عام الفتح ، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني أبدأ إليك مما صنع خالد ، ووداهم رسول الله ﷺ على يدي علي بن أبي طالب ، وقالت امرأة منهم:

للاقت سليم يوم ذلك ناطحا
ولولا مقابل القوم للقوم أسلموا
ومرة حتى يتركوا الأمر صابحا
لما صعهم بشر وأصحاب جحيم
فكان ترى يوم الغميصاء من فتن
أصيب ولم يُجرح وقد كان جارحا
غداةئذ منها من كان ناكحا .

وفي إعلام الورى: «بعث خالد بن الوليد إلىبني جذيمة بن عامر ، وقد كانوا أصابوا في الجاهلية منبني المغيرة نسوة ، وقتلوا عم خالد ، فاستقبلوه وعليهم السلاح وقالوا: يا خالد إننا لم نأخذ السلاح على الله وعلى رسوله ، ونحن مسلمون ، فانظر فإن كان بعثك رسول الله ﷺ ساعياً فهذه إلينا وغنمنا فاغد عليها ، فقال: ضعوا السلاح ، قالوا: إننا نخاف منك أن تأخذنا بإحنة الجاهلية وقد أماتها الله ورسوله ﷺ .. الخ.

وجاء رسولهم إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما فعل خالد بهم ، فرفع يده إلى السماء وقال: اللهم إني أبدأ إليك مما فعل خالد وبكي! ثم دعا عليه ﷺ فقال: أخرج إليهم وانظر في أمرهم ، وأعطيه سقطاً من ذهب ، ففعل ما أمره وأرضيهم».

وفي أمالى الطوسي/٤٩٨: «فأدأ إليهم ديات رجاهم ، وما ذهب لهم من أموالهم وبقي معه من المال زعة فقال لهم: هل تفقدون شيئاً من أموالكم وأمتعتكم؟

قالوا: ما نفقد شيئاً إلا ميلغة كلابنا فدفع إليهم مابقي من المال فقال: هذا ميلغة كلابكم وما أنسيتم من متاعكم .
وأقبل إلى النبي ﷺ فقال: ما صنعت؟ فأخبره حتى أتى على حديثهم، فقال النبي ﷺ: أرضيتي رضي الله عنك . يا علي أنت هادي أمتي ، ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك وأخذ بطريقك ، ألا إن الشقي كل الشقي من خالفك ورغم عن طريقك إلى يوم القيمة ».

وفي المنقى/٢١٦: «وقد كان القوم تأهلاً للحرب خالد بن الوليد ، فصاح بهم خالد أن ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا . فقال رجل منهم يقال له جحمد: يا بني جذيمة ! إنه خالد بن الوليد ، فوالله ما بعد وضع السلاح إلا الإسرار ، ولا بعد الإسرار إلا حُزُّ الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً !
فأخذه رجال من قومه وقالوا: يا جحمد ! أتريد أن تسفك دماءنا ، إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح أو زارها وأمن الناس ، فلم يزالوا به حتى وضع سلاحه ووضع قومه السلاح ، ثم وضع خالد فيهم السيف فأكثر القتل !

فكان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك كلام فقال له عبد الرحمن:
عملت بأمر الماجاهية في الإسلام !
قال خالد: إنما ثارت بأبيك ! فقال عبد الرحمن: كذبت ، قد قتلت قاتل أبي ،
ولكنك ثارت بعمك الفاكه بن المغيرة» !

وفي فتح الباري (٤٥/٨): «عن أبي جعفر يعني الباقر قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة إلى بني جذيمة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً».

أقول: روت مصادرهم فَعْلَة خالد في بنى جذيمة ، لكن أكثرهم حذف تبرؤ النبي ﷺ من فعل خالد ، كما حذفوا مدحه لعلي عليه السلام ! وحاولوا تبرير فعل خالد بأنه لم يفهم كلام بنى جذيمة ، فأخذوا وقتلهم ! واعترف بعض النواصي كالذهبى بأن النبي ﷺ تبرأ من فعل خالد ، لكنه خففه !

قال في ميزان الإعدال (٣٧٩/٢): «كما تبرأ النبي ما صنع خالد لما أسرع في قتل بنى جذيمة ، ومع ذلك فقال فيه: خالد سيف سله الله على المشركين . فالتبري من ذنب سيغفر لا يلزم منه البراءة من الشخص» .

فقد هوَن قتل خالد لسبعين مسلماً بالحيلة بأن ذنبه مغفور، وصحح الحديث المكذوب على النبي ﷺ بأنه مدح خالداً بأنه سيف سله الله تعالى ، فكانه يقول حتى لو قتلهم ، فإن الله تعالى هو الذي سل سيف خالد عليهم !

١٠. وارتكب خالد جريمة تصلح أن تُعمل فيلمًا ! فقد روتها عامة مصادر

السيرة والحديث والتاريخ، مع شاب غريب عاشق ، من غدر بهم وقتلهم .

ففي سيرة ابن هشام: ٨٨٦/٤: « قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأنس ، عن الزهري ، عن ابن أبي حدرد الإسلامي ، قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد ، فقال لي فتى من بنى جذيمة وهو في سنى ، وقد جمعت يدها إلى عنقه برمَة (بضم الراء: الجبل) ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى ، فقلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرمة فقائدي إلى هؤلاء النساء حتى أقضى إليهن حاجة ، ثم تردني بعد ، فصنعوا بي ما بدا لكم؟

قال: قلت: والله ليسير ما طلبت ، فأخذت برمهة فقدته بها ، حتى وقف عليهن فقال: إسلامي حبيش ، على نفدي من العيش!

أربتكم إذ طالبكم فوجدتكم
بحلية أو أثيبيكم بالخواص
ألم يك أهلاً أن يُنَوَّل عاشقٌ
تكلفَ إدلاجَ السُّرِّي والودائقِ
فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلاً معاً
أثيبي بود قبل إحدى الصفاقتين
أثيبي بود قبل أن تشحط النوى وينأي الأمير بالحبيب المفارقِ
قالت: وأنت فحييت سبعاً وعشراً وترا ، وثانيةً ترى . قال: ثم انصرفت به
فضربت عنقه !

وفي المنق لابن حبيب/٢١٦ ، عن الأسلمي قال: «كنت مع خالد يوم الغميساء ، فأسرت غلاماً منهم وجمعت يديه إلى عنقه .. وذكر القصة وفيها:
فأجابته وقالت: وأنت فحييت عشرًا وتسعًا وترا ، وثانيةً ترى . ثم انصرف
فضربت عنقه . فلما رأته حبيش أقبلت فأكبت عليه ولم تزل تشهق حتى مات» !
وفي فتح الباري (٤٦/٨): «روى النسائي والبيهقي في الدلائل بأسناد صحيح ، من
حديث ابن عباس نحو هذه القصة وقال فيها: فقال: إني لست منهم ، إني
عشقت امرأة منهم ، فدعوني أنظر إليها نظرة ! وقال فيه: فضربوا عنقه ،
فجاءت المرأة فوقعت عليه ، فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت ! فذروا ذلك
للنبي ﷺ فقال: أما كان فيكم رجل رحيم !» والطبرى: ٣٤٢/٢ ، عشرات المئات .

١١. جعلوا جبن خالد بن الوليد في معركة مؤتة بطولة ! لأنَّه موالي للسلطة ،
وقصة مؤتة أن النبي ﷺ أرسل في السنة السادسة رسائل إلى ملوك العالم ، ومنها
إلى هرقل الروم ، فأجابه هرقل جواباً ليناً ، لكنه أخذ يستعد لغزو المدينة ،

ويجمع قواته في دومة الجندل في الجزيرة وفي الشام . فكانت غزوة مؤتة عملية استشهادية لإثبات القوة النوعية لل المسلمين ، ليتراجع هرقل عن خطته . واختار لها النبي ﷺ ثلاثة قادة أبطال: جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قتل عبد الله بن رواحة . واختار لها مكاناً قريباً من القدس ، حيث كان هرقل نذر أن يحج ما شياً شكرأً للمسيح عليه السلام لأنه بزعمه نصره على كسرى ! وكان جيش المسلمين ثلاثة آلاف ، فاشتبكوا مع الروم في مؤتة ، وتقدم القادة الثلاثة وأظهروا بطولة نادرة ، وقاتلوا حتى استشهدوا رضوان الله عليهم ، وكان النبي ﷺ على منبره في المدينة يصف معركتهم .

وبعد شهادتهم وقعت المزيمة في المسلمين . قال ابن سعد (١٢٩/٢): «ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ، فطاعن حتى قتل . ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة» .

وقال أبو هريرة: «شهدت مؤتة فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قبل لنا به من العدد والسلاح والكراع والديجاج والحرير والذهب ، فبرق بصري ! فقال لي ثابت بن أرقم: مالك يا أبو هريرة كأنك ترى جهوعاً كثيرة ! قلت: نعم» (تاريخ دمشق ١٣/٢) .

وفي فتح الباري (٧/٣٩٣): «عن عروة قال: ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فالتوى بها بعض الإلتواء ، ثم تقدم على فرسه ثم نزل فقاتل حتى قتل . ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم الأنباري فقال: إصطلحوا على رجل ، فقالوا: أنت لها . قال: لا . فاصطلحوا على خالد بن الوليد .

وروى الطبراني من حديث أبي اليسر الأنباري قال: أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لما أصيب عبد الله بن رواحة ، فدفعها إلى خالد بن الوليد !

وفي تاريخ دمشق: ٦٨ / ٨٧ ، عن رجل من بنى مرة ، قال: « لما قتل ابن رواحة نظرت إلى اللواء قد سقط ، واحتل المُسلمون والمركون ، فنظرت إلى اللواء في يد خالد منهزماً ، واتبعناه فكانت الهزيمة » !

وفي سيرة ابن هشام (٣/٨٣٦): « جعل الناس يئثرون على الجيش التراب ويقولون: يا فَرِّار، فررت في سبيل الله ! قال: فيقول رسول الله ﷺ: ليسوا بالفرار ولكنهم الْكُرَار إِن شاء الله تعالى... قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص: مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج ، وكلما خرج صاح به الناس يا فرار فررت في سبيل الله ! حتى قعد في بيته فما يخرج ». .

« قال الواقدي: وقد روی أن خالداً ثبت بالناس فلم ينهزوا ، وال الصحيح أن خالداً انهزم بالناس ». (شرح النهاية: ٦٨ / ١٥).

وفي إمتناع الأسماع للمقربي (١/٣٤١): « إن خالداً انهزم بالناس ، فعُيروا بالفرار وتشاءم الناس به ». .

فقد روت مصادرهم المعتبرة حقيقة فرار خالد وتشاؤم المسلمين به ، لكن أتباعبني أمية وبني مخزوم ، أنكروا انهزامه بال المسلمين بعين يابسة ، بل حولوها إلى منقبة وبطولة ! ثم كذبوا على رسول الله ﷺ بأن الله فتح على يده في مؤتة ، وسياه سيف الله المسloop !

ثم كذبوا فزعموا أن معركة مؤتة استمرت سبعة أيام ، وكان بطلها خالد !

ثم كذب هو وقال إنه كسر سيفاً على رؤوس الروم ، ورووا كذبته في أصح كتاب كما زعموا ! قال خالد : «لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعه أسياف ، فيما بقي في يدي إلا صفيحة بيانية ». (صحيح البخاري: ٨٧/٥).

وقال علماء بنى أمية: «قتل المسلمين مع المشركين سبعة أيام . وروى الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، وهذا الذي ذكره أبو عامر والزهري ، وعروة ، وابن عقبة ، وعطاف بن خالد ، وابن عائذ وغيرهم ، هو ظاهر قوله عليه السلام في حديث أنس: ثم أخذ الراية سيف من سيف الله ففتح الله على يديه ! ». وفي حديث أبي قتادة مرفوعاً كما سيأتي: ثم أخذ خالد بن الوليد اللواء ولم يكن من النساء ، هو أمرَ نفسه ، ثم رفع رسول الله عليه السلام إصبعه ثم قال: اللهم إله سيف من سيفك فانصره . فمن يومن ذلك سمي خالد بن الوليد سيف الله ! رواه الإمام أحمد برجال ثقات . ويزيده قوة ويشهد له بالصحة ما رواه الإمام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والبرقاني ». (سبل الهدى: ١٥٠/٦).

وتتعجب من جرأة الكلذابين على رسول الله عليه السلام، قالوا كما في تاريخ دمشق: ١٢٨ / وبغية الطلب: ٧ وكتنز العمال: ١٠/٣٨٦، أنه عليه السلام وصف شهادة القادة الثلاثة فقال: «ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم قتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ، ثم قال: الآن حي الوطيس.. نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيف الله سله الله على الكفار والمنافقين».

ومعنى حي الوطيس أنه جاء خالد البطل ف humiliated الوطيس ، لأنَّه أشجع من القادة الذين كانوا قبله ! ثم مدحه بأنه نعم العبد لله ، وأخ العشيرة ، وأنَّه سيف الله .. الخ.

وقد كتب السيد جعفر مرتضى في الصحيح من السيرة (٥٣/٢٠) بحثاً وافياً في أكثر من خمسين صفحة في رد كذبهم على النبي ﷺ بأنه سمي خالداً سيف الله المسلط، وقال: «الحقيقة هي أن هذا اللقب من مختصات علي بن أبي طالب، ولكنه سرق في جملة كثيرة من فضائله ومناقبه عليه السلام، في غارات شعواء من الشائين والحاقدين والمطلين والمزورين للحقائق». انتهى.

وأعجب ما في هرب خالد من مؤنة جرأته على الكذب بأنه دق تسعه سيف في قتاله مع الروم ! لكن الذي يعرف مشابهته لأبيه الوليد لا يتعجب من فجوره هنا ، ولا من فجوره عندما انتقده عبد الرحمن بن عوف الزهرى لغدره بسبعين مسلماً من بنى جذيمة وقتلهم ، فقال له خالد: قتلتهم ثاراً بآيتك الذي قتله بنو جذيمة ! فقال له ابن عوف: «كذبت، قد قلت قاتل أبي ، ولكنك ثارت بعمك الفاكه بن المغيرة ». (المتن/٢١٦).

ولو دامت معركة مؤنة سبعة أيام لما حثا أهل المدينة التراب على وجه خالد وجشه ، وسموه الفرارين ! ولو جدنا وصفاً للمعركة وقتلها ! لكننا لا نجد إلا رواية واحدة عن قتل مسلم يعني من بنى مدد جندي رومي غيلة ، عندما كان المسلمون هاربين، فأخذ منه خالد نصف سله، فشكى اليمني المددي إلى النبي ﷺ فسأل خالداً: لماذا أخذه ؟ قال إنه استكرثه عليه !

ففي السيرة الخلية: ٢/٧٩٣: «وقتل رجل من المسلمين رجلاً من الروم فأراد أخذ سله فمنعه خالد ، فلما أخبر النبي ﷺ بذلك قال خالد: ما منعك أن تعطيه سله؟ قال: استكرثه عليه . فقال رسول الله ﷺ: إدفعه له ».

١٢ . واعترفوا بجبن خالد في اليمن ستة أشهر ! لكنهم أصرروا على مدحه

رغم قتله عشرات المسلمين الأبرياء ، وافتخاره بعد إسلامه بأبيه الفرعون الذي وصفه الله تعالى بأنه: عُثُلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ. كذبوا له أن النبي ﷺ سماه سيف الله المسنون ، لكنهم اعترفوا بأنه بعثه النبي ﷺ إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام أو يقاتلهم ، فلم يستجيبوا له ، فخاف أن يقاتلهم وكان سيفه مشلولاً ، وبقي ستة أشهر يراوح مكانه في اليمن ! فبعث النبي ﷺ سيف الله المسنون عليهما السلام ، وأمر خالداً أن يرجع ، لكنه بقي يراقب علياً عليهما السلام لعله يجد خطأ يأخذه عليه ! وقد شهد الذهبي في تاريخه (٦٩٠ / ٢) بصحة حديث جبن خالد وشجاعة علي عليهما السلام عن البراء ، أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى اليمن ، يدعوهم إلى الإسلام . قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيئوه . ثم إن النبي ﷺ بعث علياً فأمره أن يُقفل خالداً لإرجلٍ كان يمْمَ مع خالد ، أحَبَ أن يعقب مع علي عليهما السلام فليعقب معه ، فكنت فيمن عقب مع علي ... هذا حديث صحيح أخرج البخاري بعضه بهذا الإسناد». انتهى.

ويعناه أن النبي ﷺ حلَّ جيش خالد ، لكن خالداً عصى وبقي مع بعض أصحابه للبحث عن خطأ لعلي عليهما السلام ! وتوجل على عليهما السلام في اليمن فأسلمت على يده همدان وغيرها ، وقاتل في بعض المناطق وغنم غنائم وزعها ، وعزل منها الخمس لرسول الله ﷺ ، واختار جارية فقوم قيمتها وحسبها من سهمه من الخمس ، ولعله تزوجها . فرأى خالد في ذلك انتصاراً يُعوض به فشله لنصف ستة ! فكتب إلى النبي ﷺ مع بريدة وثلاثة أشخاص ، ووصل بريدة إلى المدينة ففرح بعضوا على عليهما السلام وقالوا له عجل وأخبر النبي ﷺ لتسقط مكانته عنده !

لكن التبيحة كانت معكوسه عليهم ! فقد غضب النبي ﷺ غضباً شديداً، وأخرج من يكره علياً عليه السلام من الإسلام ، وقال لهم: إن حب علي إيمان وبغضه نفاق ، وإن ولهم من بعده.. الخ.

ويُعرف هذا الحديث بحديث بريدة ، وهو صحيح عندهم روتته مصادرهم بصيغ عديدة، ومنها ما في جمع الزوائد: ١٢٧ / ٩: «عن بريدة قال: أبغضت علياً بغضنا لم أغضبه أحداً قط ! قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً ! قال: فبعث ذلك الرجل على جيش فصحبته ، ما صحبته إلا بغضه علياً.. وفي حديث: وأخذ عليٌّ جارية من الخمس ، فدعا خالد بن الوليد بريدة فقال: إغتنمها فأخبر النبي ماصنعت ! فقدمت المدينة ، ودخلت المسجد ورسول الله ﷺ في منزله وناس من أصحابه على بابه فقالوا: ما الخبر يا بريدة؟ قلت: خيراً فتح الله على المسلمين . فقالوا: ما أقدمك؟ قلت: جارية أخذها عليٌّ من الخمس فجئت لأخبر النبي ﷺ . فقالوا: فأخبر النبي فإنه يسقط من عينه، ورسول الله يسمع الكلام فخرج مغضباً فقال: ما بال أقوام يتقصون علياً ! من تنقص علياً فقد تنقصني ، ومن فارق علياً فقد فارقني، إن علياً مني وأنا منه ، خلق من طيني وخلقت من طينة إبراهيم ، وأنا أفضل من إبراهيم ، ذرية بعضاً منها من بعضاً والله سميع عليم . يابريدة: أما علمت أن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ ، وأنه ولهم بعدي؟ قلت: يا رسول الله ، بالصحبة إلا بسطت يدك فباعتي على الإسلام جديداً ! قال: فما فارقته حتى بايعته على الإسلام » !

ومنها ما رواه الحاكم (١١٠ / ٣) و فيه: «فتعقاد أربعة من أصحاب رسول الله إذا لقينا النبي ﷺ أخبرناه بما صنع علي ! قال عمران: وكان المسلمون إذا قدموا من سفر

بدأوا برسول الله ﷺ، فنظروا إليه وسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالمه ، فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله ﷺ فقال أحد الأربعة: يا رسول الله ، ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا ! فأعرض عنك ! ثم قام الثاني فقال مثل ذلك فأعرض عنه ! ثم قام الثالث فقال مثل ذلك فأعرض عنه ! ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا ! فأقبل عليه رسول الله ﷺ والغضب في وجهه فقال: ما تريدون من علي ! إن علياً مني وأنا منه ، وهو ولني كل مؤمن . هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

وفي رواية الطوسي في أماله: ٢٤٩: «فدعاني خالد فقال: يا بريدة قد عرفت الذي صنع ، فانطلق بكتابي هذا إلى رسول الله ﷺ فأخبره وكتب إليه . فانطلقت بكتابه حتى دخلت على رسول الله ﷺ وأخذ الكتاب فأمسكه بشماليه ، وكان كما قال الله لا يكتب ولا يقرأ ، وكانت رجلاً إذا تكلمت طأطأت رأسه حتى أفرغ من حاجتي ، فطاطأت وتكلمت ، فوقيعت في عليٍّ حتى فرغت ، ثم رفعت رأسه فرأيت رسول الله ﷺ قد غضب غضباً شديداً لم أره غضب مثله قط إلا يوم قريطة والنضير ! فنظر إلىي فقال: يا بريدة إن علياً وليكم بعدي ، فأحبب علياً فإنما يفعل ما يؤمر ! قال: فقمت وما أحد من الناس أحب إلى منه . وقال عبد الله بن عطاء: حدثت بذلك أبا حرب بن سويد بن غفلة ، فقال: كتمك عبد الله بن بريدة بعض الحديث ، أن رسول الله ﷺ قال له: أنا فقئت بعدي يا بريدة؟!».

أما البخاري فعادته في مثل هذا الحديث أن يمحضه كلياً ، أو يبتره ، أو يحرفه ويحوله إلى ذم لعليٍّ ! قال في صحيحه (٥/١١٠): «عن بريدة قال: بعث النبي عليهما السلام إلى خالد ليقبض الخمس ، وكانت أبغضه عليهما وقد اغتسل ، فقللت خالد:

ألا ترى إلى هذا؟ فلما قدمنا على النبي ذكرت ذلك له ، فقال: يا بريدة أتبغض
علياً؟ قلت: نعم. قال: لا تبغضه ، فإن له في الخمس أكثر من ذلك ». ^{عليه السلام}

فقد تعمد البخاري التزوير ليوهم أن خالداً هو الذي قاتل وغنم ، وأن علياً ^{عليه السلام}
ذهب جابياً للخمس ! فانظر كيف مدح خالداً ، وطعن في علي ^{عليه السلام} !

وقصة بريدة حجة بالغة على إيمانه على ^{عليه السلام} وخلافته ، بحثناها في العقائد الإسلامية
(٤/٩١) ، لكن غرضنا هنا إثبات جبن خالد وحسده لعلي ^{عليه السلام} ! ورد ما زعموه من
بطولته ، فلا هو فارس ولا بطل ، لكنه يتفارس ويتباطل ! نعم هو مناور حاسد !

١٣ . بلغ كذبهم في بطولات خالد في فتح العراق ، أنهم اخترعوا له أبطالاً
لوجودهم ، ومعارك لا وجود لها ! من ذلك أنه قتل قائداً فارسياً إسمه هرمز
في كاظمة قرب الكويت ، مع أنه لم يمر من هناك بل دخل العراق من جهة
حائل وهي جهة مختلفة لـ كاظمة. كما أنه لم يكن في كاظمة جيش فارسي في أي
وقت ، وحتى البصرة كانت فيها مصالح فارسية صغيرة ، ولم يكن فيها جيش .
والطريف أنهم جعلوا كذبهم هذه حديثاً نبوياً طويلاً ، وصححوه وأثبتوا صحة !
كما صرحت البخاري تقطيع خالد تسعه أسياف على رؤوس الروم في مؤتة ، مع أنها
مخالفة للواقع بنصهم الصحيح !

قال في جمجم الزوائد(٦/٢٢٣): «عن خريم بن أوس قال: سار خالد إلى ميسيلمة
فسرنا معه، فلما فرغنا من ميسيلمة وأصحابه أقبلنا إلى ناحية البصرة فرأينا هرمز
بكاظمة في جمع عظيم ، ولم يكن أحد أعدى للعرب من هرمز . قال أبو السكن:
وبه يضرب المثل يقول العرب: أكفر من هرمز ، فبرز له خالد بن الوليد ودعا

إلى البراز فبرز له هرمز ، فقتله خالد بن الوليد ، وكتب بذلك إلى أبي بكر فنله سلبه ، فبلغت قلنسوته مائة ألف . ثم سرنا على طريق الطرف حتى دخلنا الحيرة فكان أول من تلقانا فيها الشيءاء بنت بقيلة على بعلة شهباء بخمار أسود ، كما قال رسول الله ﷺ فتعلقت بها وقلت: هذه وهبها لي رسول الله ﷺ ، فدعاني خالد عليها البيعة فأتيته بها ، فسلمها إلى !

وبلغني في غير هذا الحديث أن الشاهدين كانا محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر . رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم وقد تقدم معنى هذا الحديث من حديث عدى بن حاتم في باب قتال فارس والروم ورجاله رجال الصحيح».

ورواه الطبراني ورده (٣٠٩ / ٢) ، قال: «ما قدم كتاب خالد على هرمز ، كتب بالخبر إلى شيرى بن كسرى ، وإلى أردشير بن شيرى ، وجمع جموعه ثم تعجل إلى الكواظام في سرعان أصحابه ليتلقى خالداً.. فلما أتى الخبر خالداً بأن هرمز في الخير أمال الناس إلى كاظمة ، وبلغ هرمز ذلك فبادره إلى كاظمة فنزلها وهو حسیر ، وكان من أسوأ أمراء ذلك الفرج جواراً للعرب ، فكل العرب عليه مغيط ، وقد كانوا ضربوه مثلاً في الخبث حتى قالوا: أخبث من هرمز وأكفر من هرمز . وتعباً هرمز وأصحابه واقترونا في السلالسل والماء في أيديهم ، وقدم خالد عليهم فنزل على غير ماء ، فقالوا له في ذلك فأمر مناديه فنادى: ألا انزلوا وحطوا أثقالكم ، ثم جالدوهم على الماء فلعمري ليصيرون الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين ، فحطت الأثقال والخيل وقوف ، وتقدم الرجل ثم زحف إليهم حتى لاقاهم ، فاقتتلوا وأرسل الله سحابة فأغزرت ما وراء صف المسلمين فقواهم بها... ثم خرج هرمز فنادى: رجل ورجل أين خالد؟ وقد عهد إلى

وقد بلغ من افتضاح قصة البطل هرمز أن المؤرخين غير الطبرى ردوها أيضاً، كالواقدى والبلاذرى ، قال: (٢٩٥/٢): «والذى عليه أصحابنا من أهل الحجاز أن خالداً قدم المدينة من اليهامة ، ثم خرج منها إلى العراق ، على فيد والشعلبة ، ثم أتى الحيرة». وقال الطبرى: (٥٥٦/٢): «وهذه القصة في أمر الأبلة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير ، وخلاف ماجاءت به الآثار الصحاح !»

١٤. اخترعوا خالد بطولات في معارك لا وجود لها ، فصرت تقرأ في تاريخ الطبرى (٥٥٧/٢) مثلاً: وقعة المذار.. وقعة الوجلة.. وقعة أليس.. وقعة أمغيشيا.. وقعة يوم المقر.. وقعة الأنبار وهى ذات العيون.. وقعة كلواذى..

وَقْعَةِ عَيْنِ التَّمْرِ .. وَقْعَةِ دُوْمَةِ الْجَنْدُلِ .. وَقْعَةِ حَصِيدِ .. وَقْعَةِ الْخَنَافِسِ .. وَقْعَةِ بَنِي الْبَرَاءِ .. وَقْعَةِ الشَّنِيِّ وَالْزَّمِيلِ .. وَقْعَةِ الْفَرَائِضِ ..
وَتَقْرَأُ خَوْفُ الْفَرَسِ مِنْ خَالِدٍ وَإِرْسَالِهِ الرَّسُولَ إِلَيْهِ ، وَإِرْسَالِهِ الْجَيُوشَ بِقِيَادَةِ قَادِهِ كَبَارٍ ، كَالْقَادِيْ قَارِنَ ، الَّذِي بَرَزَ إِلَيْهِ خَالِدٌ لَكِنْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ شَخْصٌ آخَرُ وَقُتِلَ فَقَبْلَهُ مَعَ الْأَسْفِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقُتِلَهُ خَالِدٌ وَقُطِعَهُ إِرْبَابًا إِرْبَابًا !

قَالُوا: «وَخَرَجَ خَالِدٌ سَايِّرًا حَتَّى يَنْزَلَ الْمَذَارَ عَلَى قَارِنَ فِي جَمْوِعِهِ ، فَالْتَّقَوْا خَالِدًا عَلَى تَعْبِيهِ فَاقْتَلُوهُ عَلَى حَنْقٍ وَحَفِيظَةٍ ، وَخَرَجَ قَارِنٌ يَدْعُو إِلَى الْبَرَازِ فَبَرَزَ لَهُ خَالِدٌ وَأَبْيَضُ الرَّكْبَانِ مَعْقُلُ بْنُ الْأَعْشَى بْنَ الْبَاشِ ، فَابْتَدَرَاهُ فَسَبَقَهُ إِلَيْهِ مَعْقُلٌ فَقُتِلَ .. وَقُتِلَتْ فَارِسٌ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً فَضَمُّوا السُّفَنَ ، وَمَنَعُتْ الْمَيَاهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ طَلَبِهِمْ وَأَقَامَ خَالِدٌ بِالْمَذَارِ ، وَسَلَمَ الْأَسْلَابَ لِمَنْ سَلَبَهَا بِالْغَةِ مَا بَلَغَتْ ، وَقَسَمَ الْفَئَ وَنَفَلَ مِنَ الْأَخْمَاسِ أَهْلَ الْبَلَاءِ ، وَبَعْثَ بِيَقِيَّةِ الْأَخْمَاسِ . عَنْ أَبِي عَثَمَانَ قَالَ: قُتِلَ لِيَلَةَ الْمَذَارِ ثَلَاثُونَ أَلْفًا سَوْيَ مِنْ غَرْقٍ ! وَلَوْلَا الْمَيَاهُ لَأَتَى عَلَى آخِرِهِمْ وَلَمْ يَفْلُتْ مِنْهُمْ مِنْ أَفْلَتْ إِلَى عَرَةِ وَأَشْبَاهِ الْعَرَةِ ». (الطَّبَرِي: ٥٥٨/٢).

وَزَادَ ابْنُ كَثِيرٍ عَلَى الطَّبَرِيِّ فَقَالَ فِي نَهَايَتِهِ: «وَسَارَ خَالِدٌ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجَيُوشِ حَتَّى نَزَلَ عَلَى الْمَذَارِ وَهُوَ عَلَى تَعْبِيَّتِهِ ، فَاقْتَلُوهُ اقْتَالَ حَنْقٍ وَحَفِيظَةٍ ، وَخَرَجَ قَارِنٌ يَدْعُو إِلَى الْبَرَازِ فَبَرَزَ إِلَيْهِ خَالِدٌ وَابْتَدَرَهُ الشَّجَاعَانِ مِنَ الْأَمْرَاءِ فُقِتِلَ مَعْقُلُ بْنُ الْأَعْشَى بْنَ الْبَاشِ قَارِنًا ، وُقْتَلَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمَ قَبَاذًا ، وُقْتَلَ عَاصِمُ أَنْوَشَجَانَ ، وَفَرَّتِ الْفَرَسُ وَرَكْبَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي ظَهُورِهِمْ ، فَقُتِلُوا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثُونَ أَلْفًا ، وَغَرَقَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي الْأَنْهَارِ وَالْمَيَاهِ ، وَأَقَامَ خَالِدٌ بِالْمَذَارِ وَسَلَمَ

الأسلاب إلى من قتل ، وكان قارن قد انتهى شرفه في أبناء فارس . وجمع بقية الغنيمة وخَسَّها وبعث بالخمس والفتح والبشرارة إلى الصديق ، مع سعيد بن النعمان أخيبني عدي بن كعب ، وأقام خالد هناك حتى قسم أربعة الأخماس وسيبي ذراري من حصره من المقاتلة ».

وفي رواية للطبرى: «عن المغيرة قال: كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر ، قوت العسكر ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ، ثلاثة أيام . وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعى جندلاً من بني عجل ».

«قدم خالد على المقدمة فأطاف بالخندق وأنشب القتال ، وكان قليل الصبر عنه إذا رأه أو سمع به . وتقدم إلى رماته فألوصاهم وقال: إني أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب ، فارموا عيونهم ولا تؤخزوا غيرها ، فرموا رشقاً واحداً ثم تابعوا ففُقِعَ ألف عين يومئذ ، فسميت تلك الواقعة ذات العيون ! وتصاير القوم: ذهبوا عيون أهل الأنبار ، فقال شيرزاد: ما يقولون؟ ففسر له فقال: آباز ، آباز ، فراسل خالداً في الصلح على أمر لم يرضه خالد ، فرد رسلاً ، وأتى خالد أضيق مكان في الخندق في برذايا الجيش (أي إيل النقل) فتحررها ، ثم رمى بها فيه فأفعمه (ملاه) ، ثم اقتحم الخندق والرذايا جسورهم.. فقال خالد: اللهم إن هزتمتهم فعلى أن لا أستبقي منهم من أقدر عليه ، حتى أجري من دمائهم نهرهم ! فانهزمت فارس فنادي منادي خالد: الأسراء الأسراء ! ألا من امتنع فاقتلوه ، فأقبل بهم المسلمون أسراء ، ووكل بهم من يضرب أعناقهم يوماً وليلة . فقال له القعقاع وغيره: لو قلت أهل الأرض لم تجر دمائهم ، فأرسل عليها الماء تَبَرُّ يمينك ، ففعل . وسمى نهر الدم ! ووقف خالد على الطعام وقال للمسلمين: قد

نفلتكموه ، فتعشى به المسلمين وجعل من لم يَرِ الرقاق (الخزير المرقوق) يقول: ما هذه الرقاق البيض ! وبلغ عدد القتل سبعين ألفاً ، وكانت الواقعة (وقعة أليس) في صفر » ! (الكامل/٢: ٣٨٩).

وتتعجب من جرأة هؤلاء الرواة ووقد احتفهم ! فلا خالد ذهب الى المدار وميسان والبصرة ، ولا كان يوجد جيش فارسي هناك ، وحتى أسماء القيادة الفرس اخترعها الرواة من جيوبهم !

١٥ . ورووا أن خالداً خاض حرباً ، وأنظر رمضان ولم يصمه بسبب الجهد !

قال الطبرى: ٣٢٧/٢: «ثم قصد خالد بعد الرضاب وتغلب إلى الفراض والفرض تحوم الشام والعراق والجزيرة ، فأفطر بها رمضان في تلك السفرة التي اتصلت له فيها الغزوات والأيام ، ونظم نظماً أكثر فيهن الرجاز ، إلى ما كان قبل ذلك منهن . قالوا فلما اجتمع المسلمون بالفرض حيت الروم واغتناظت واستعنوا بهن يليهم من مصالح أهل فارس ، وقد حموا واغتنظوا واستمدوا تغلب وإياد والنمر فأمدوهن ، ثم تاهدوا خالداً حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم؟ قال خالد: بل أعبروا إلينا قالوا ففتحوا حتى عبر ، فقال خالد: لا نفعل ولكن اعبروا أسفل منا . وذلك للنصف من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة . فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض: إحتسبوا ملككم ، هذا رجل يقاتل على دين وله عقل وعلم ، ووالله لينصرن ولنجذلن . ثم لم يتذفعوا بذلك فعبروا أسفل من خالد ، فلما تساموا قالـت الروم: امتازوا حتى نعرف اليـوم ما كان من حسن أو قبيح من أينا يجيئ ففعـلـوا ، فاقتـلـوا قـتـالـاً .

شديداً طويلاً. ثم إن الله عز وجل هزمهم ، وقال خالد للمسلمين: **أَلْحُوا عَلَيْهِمْ**
ولا تر فهو عنهم ، فجعل صاحب الخيل يمحشر منهم الزمرة برماح أصحابه ،
فإذا جمعوهم قتلواهم ، فقتل يوم الفراض في المعركة وفي الطلب مائة ألف !
وأقام خالد على الفراض بعد الواقعة عشرأً ، ثم أذن في القفل إلى الحيرة لخمس
بقي من ذي القعدة ، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم ، وأمر شجرة بن الأعز
أن يسوقهم ، وأظهر خالد أنه في الساقية !

فانظر إلى هذه المعركة الضخمة المزعومة ، واجه فيها خالد قوات دولتين هما الفرس
والروم ، واستمدوا بثلاث قبائل عربية هي تغلب وإياد والنمر بن قاسط ، ولم يقتل
فيها أحد من جيش خالد ، وقتل هو من أعدائه وفي الطلب أي الغارات التي كان
يرسل فيها خيله ، مائة ألف !

لكن لا يوجد إسم قتيل واحد منهم ، ولا يوجد وصف للمعركة ، لا من بدأها ولا
من بارز فيها ، ومن قاد الميمنة والميسرة والقلب والجناحين ، ولا وصف شيء من قاتلها
ولا وصف بطولة واحدة خالد بارز فيها أحداً ، أو حمل فيها !

مع أنك تجد في حملته الآتية على بني تغلب أسماء بعض الذين قتلتهم وهم نائمون !
وإسمى الشخصين المسلمين اللذين قتلها وهم يتشهدان ودفع ديمهما أبو بكر ، وهما:
« عبد العزى بن أبي رهم أخو أوس مناة ، ولبيد بن جرير ». .

إنه لا سبب لإيهام الرواية الشديد ، إلا أن أصل المعركة مكذوبة من أجل خالد !

١٦ . خالد متخصص في شن الغارات على العرب وليس على الروم والفرس
وكل عمله في العراق كان من هذا النوع ، فلم يواجه قوات الفرس أبداً ، وأغار

على قبيلة تغلب وغدر بهم ، زاعماً أنهم ارتدوا ، فباغتهم ليلًا وقتل منهم
وسبى نساء ، كما فعل بمالك بن نويرة وحية ، حيث أمنهم ثم غدر بهم !

قال ابن سعد في الطبقات: ١/٣١٦: «قدم على رسول الله ﷺ وفد بني تغلب ستة عشر رجلاً، مسلمين ونصارى عليهم صُلُبُ الذهب ، فنزلوا دار رملة بنت الحارث ، فصالح رسول الله ﷺ النصارى على أن يقرهم على دينهم ، على أن لا يصغوا (يُعْتَذِرُوا) أولادهم في النصرانية ، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم .

ووصف الطبرى: ٢/٣٩٨، كيف احتال عليهم خالد عندما أراد أن يغدر بهم: « وعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المسيح ، وخرج خالد من العين قاصداً إليهم ، فلما كانت تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعاً بال المسيح ، فأغاروا على الهذيل ومن معه وهم نائمون ، من ثلاثة أوجه قتلولهم ، وأفلت الهذيل في ناس قليل ، وكثير فيهم القتل ، وكان مع الهذيل عبد العزى بن أبي رهم أخوه أوس مناة ، ولبيد بن جرير ، وكانت قد أسلماً ومعهما كتاب أبي بكر يراسلهمها ، فقتلا في المعركة ! فبلغ أبو بكر قول عبد العزى :

أقول إذ طرق الصباح بغارة سبحانك اللهم رب محمد

سبحان رب لا إله غيره رب البلاد ورب من يتورد

فوداهم (أعطى دينها لأولياء الدم) وأوصى بأولادهم . فكان عمر يعتد بقتلهم
وقتل مالك بن نويرة على خالد ! أي كان عمر يدين خالداً بذلك ، ويرى وجوب
قتله قصاصاً لغدره بهؤلاء المسلمين .

هذا، وقد يكون التغلبيون اعترضوا على خلافة أبي بكر كما فعلت قبائل كندة في حضرموت ، وكما فعل بنو يربوع ، فاتهمهم خالد بالإرتداد ليسبيهم ! وهكذا كانت معارك خالد في العراق غارات غدر على مواطنين ومزارعين عرب وغير عرب ، ولم يكن فيها معركة مع الفرس ! وكذلك في طريقه إلى الشام شن غارات مbagحة على غير الروم !

لاحظ نص البلاذري: «لما أتى خالد بن الوليد كتاب أبي بكر وهو بالحيرة خلف المشتى بن حارثة الشيباني على ناحية الكوفة ، وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاثة عشرة في ثمان مئة ، ويقال في ست مئة ويقال في خمس مئة . فأتى عين التمر ففتحها عنوة ، ويقال إن كتاب أبي بكر وافقه وهو بعين التمر وقد فتحها ، فسار خالد من عين التمر فأتى صندواداء وبها قوم من كندة وإياد والعجم فقاتلهم أهلها فظفر ، وخلف بها سعد بن حرام الأنصاري فولده اليوم بها . وبلغ خالداً أن جعاً لبني تغلب بن وائل بالمضجع والخصيد مرتدين عليهم ربيعة بن بجير ، فأتاهم ، فقاتلوه فهزمهم وسي وغنم ، وبعث بالسي إلى أبي بكر... ثم أغاث خالد على قراقر وهو ماء لكلب ، ثم فوز منه إلى سُوى وهو ماء لكلب أيضاً ومعهم فيه قوم من بهراء ، فقتل حرقوص بن النعمان البهري من قضاة واكتسح أموالهم ...»

قال الواقدي: خرج خالد من سوى إلى الكوايل ، ثم أتى قرقيسيا فخرج إليه صاحبها في خلق ، فتركه وانحاز إلى البر ومضى لوجهه ! (أي خاف وهرب منه).

وأتى خالد أركة وهي أرك فأغار على أهلها وحاصرهم ، ففتحها صلحاً على شئ أخذه منهم لل المسلمين . وأتى دومة الجندل ففتحها . ثم أتى قسم فصالحة بنو مشجعة بن التيم بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاوة وكتب لهم أماناً . ثم أتى تدمر فامتنع أهلها وتحصنوا ثم طلبوا الأمان فأمنهم على أن يكونوا ذمة ، وعلى أن قروا المسلمين ورضخوا لهم .

ثم أتى القرىتين فقاتلته أهلها فظفر وغنم . ثم أتى حوارين من سينير فأغار على مواشي أهلها فقاتلوه ، وقد جاءهم مدد أهل بعلبك وأهل بصرى ، وهي مدينة حوران ، فظفر بهم فسيبي وقتل .

ثم أتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحهم وهو نصارى فسيبي وقتل . ووجه خالد بسر بن أبي أرطاة العامري من قريش وحبيب بن مسلمة الفهري إلى غوطة دمشق ، فأغارا على قرى من قراها . وصار خالد إلى الشنية التي تعرف بشنية العقاب بدمشق ، فوقف عليها ساعة ناثراً رايته ، وهي راية كانت لرسول الله ﷺ سوداء ، فسميت ثنية العقاب يومئذ» .

وفي تاريخ دمشق: ٦٨٢: «فمر بدومة ، فأغار عليها فقتل بها رجالاً وهزمهم ، وسبابه الجودي» .

وفي تاريخ الطبرى: ٦١٠/٢: «ثم سار خالد على وجهه ذلك حتى أغار على غسان بمرح راهط ، ثم سار حتى نزل على قناة بصرى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان فاجتمعوا عليها فرابطوها حتى صاحت بصرى على الجزية وفتحها الله على المسلمين ، فكانت أول مدينة من

مدائن الشام فتحت في خلافة أبي بكر ، ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مددأً لعمرو بن العاص ، وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين ، وسمعت الروم بهم فانكشفوا عن جلق إلى أجنادين وعليهم تذارق أخو هرقل لأبيه وأمه . وأجنادين بلد بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين . وسار عمرو بن العاص حين سمع بأبي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان حتى لقيهم ، فاجتمعوا بأجنادين ، حتى عسکروا عليهم».

أقول: إن أبسط قارئ يرى أن خالداً يغير على الضعفاء من العرب سكان هذه القرى والدساكير الآمنة المسالمة للمسلمين ، فيقتل وينهب ويسيء ! وهذه هي كل بكولاته ، أما إذا رأى أن الطرف قوي فيهرب منه ، ويقولون إنه انحاز عنه وانكشف ولا يقول هرب ولا انهزم !

١٧. الصورة الحقيقة لعمل خالد في العراق: أنه دخل في أوائل السنة الثانية عشرة للهجرة ، وكانت سنة هادئة عسكرياً ، لأن الفرس كانوا مشغولين بوضعهم الداخلي ، فاقتصر عمل خالد على إبرام عقود صلح مع الدساكير والمدن في المناطق التي حررها المثنى ، أو انهار فيها الحكم الفارسي . وكان العمل الثاني لخالد أن يرسل المثنى بن حارثة إلى بعض المدن أو الدساكير التي فيها حاميات من بقايا النظام ، أو من أهلها ، فإذا انتصر عليهم جاء خالد فأبرم معهم صلحاً ، وأخذ المبلغ الموقوم !

قال الطبرى: «أقام خالد فى عمله سنة ومتزله الحيرة، يُصَعِّد ويُصَوِّب قبل خروجه إلى الشام وأهل فارس يخلعون ويملكون، ليس إلا الدفع عن برسير.

وذلك أن شيرى بن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى كسرى بن قباذ ، ووتب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه ، فقتلوا كل من بين كسرى بن قباذ وبين بهرام جوار ، فبقوا لا يقدرون على من يملكونه من يجتمعون عليه».

أقول: هذا نصّ على أن الفرس كانوا مشغولين بصراعهم على منصب الملك ، فلم يخوضوا حرباً ، إلا الدفاع عن بهرامير وهي عاصمتهم ، وهي من مجموعة المدائن . وهذا يرد كل ما رواه عن جيوش الفرس وتحشيدهم للألف المؤلفة التي زعموا أن خالداً واجهها وخاص معها معارك ، فلم يكن في العراق إلاماميات صغيرة ومتوسطة ، إلى أن أرسلوا جيشاً بعد ذهاب خالد بنحو سنة فكانت معركة الجسر ، ثم كانت معركة القادسية بعد معركة الجسر بأكثر من سنة ، ثم كان فتح المدائن بعد معركة القادسية بستين !

أما إبرام خالد الصلح مع الدساكر المفتوحة وبشهادة المفتوحة على مبالغ ، فقد بدأ في أول دخوله إلى العراق حيث أبرم صلحًا مع القرىيات ، وهي سكاكة الفعلية وما حولها وهي اليوم في السعودية وكانت قد اتياً من العراق . ثم دخل إلى الخيرة ووقع مع حاكمها صلحًا وقبض المال ، وهكذا..

قال الطبرى: «ثم كانت سنة اثنى عشرة من الهجرة.. كتب إليه أبو بكر وخالد مقيم باليمامة .. يأمره أن يسير إلى العراق ، فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقرىات من السواد يقال لها بانقية وباروسما وأليس ، فصالحه أهلها . وكان الذي صالحه عليها ابن صلوباً، وذلك في سنة اثنى عشرة فقبل منهم خالد الجزية ، وكتب لهم كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد لابن صلوباً السوادي ومتزله بشاطئ الفرات إنك آمن بأمان الله إذ حقن دمه بإعطاء

الجزية وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خرجنك وجزيرتك ومن كان في قريتيك بانقيا وباروسيا ألف درهم فقبلها منك ورضي من معي من المسلمين بها منك ولك ذمة الله وذمة محمد صلوات الله وآمنة المسلمين على ذلك.

ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة ، فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس بن حية الطائي ، وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر فقال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن أجبتم إليه فأنت من المسلمين لكم مالهم وعليكم ما عليهم ، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحقرن على الموت منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فقال له قبيصة بن إياس: ما لنا بحربك من حاجة ، بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية . فصالحهم على تسعين ألف درهم ، فكانت أول جزية وقعت بالعراق هي والقرىات ، التي صالح عليها ابن صلوبيا .

وفي معجم البلدان (٤/٣٣٥): «القرىات ، جمع تصغير القرية: من منازل طي ، قال أبو عبيد الله السكوني: من وادي القرى إلى تياء أربع ليال ، ومن تياء إلى القرىات ثلاث أو أربع ، قال: والقرىات دومة وسكة وقلارة ». .

أقول: ذكر المؤرخون مصالحات خالد الكثيرة مع عدد من المدن والقرى بمحاله كبيرة أو صغيرة ، وكان يفرق قسمًا منه ، ويرسل قسمًا إلى أبي بكر ، وعندما وصل إلى الشام وصادر عمر نصف ثروته ، أقر بثمانين ألف درهم ، فصادر منه أربعين .

وينبغي الإلتفات هنا إلى أن اهتمام الخليفة وقادته بالمال أمر بارز في الفتوحات ، ومنه أموال الجزية التي تؤخذ على كل رأس ، وأموال الخراج التي تؤخذ على الأراضي ،

وأموال الصالح التي تؤخذ للكف عنهم وحياتهم . وزاد عليها خالد أموال الشارات على القرى والدساكر وتشمل النهب والسببي !

نقرأ مثلاً في الطبرى: «أن خالد بن الوليد أتى الأنبار فصالحوه على الجلاء ثم أعطوه شيئاً رضي به... ثم سار إلى عين التمر ففتحها عنوة فقتل وسبي، وبعث بالسيى إلى أبي بكر فكان أول سبي قدم المدينة من العجم . وسار إلى دومة الجنديل فقتل أكيدر وسبي ابنة الجودي ورجع فأقام بالحيرة . هذا كله سنةاثنتي عشرة شهراً».

وفي الطبرى: «واستبى الشرخ (الأطفال دون البلوغ) وبعث بخمسة الله إلى أبي بكر مع النعمان بن عوف بن النعمان الشيبانى .. وكانت على خالد يمين لييفتن تغلب في دارها.. وقسم خالد فيأهم في الناس ، وبعث الأخناس إلى أبي بكر مع الصباح بن فلان المزني ، وكانت في الأخناس ابنة مؤذن النمرى ، وليلى بنت خالد ، وريحانة بنت الهذيل بن هبيرة».

وفي الطبرى(٣٠٨/٢): «فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم . فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق».

وفي الطبرى(٣١٩/٢): «ولما صالح أهل الحيرة خالداً خرج صلويبا بن نسطونا صاحب قس الناطف ، حتى دخل على خالد عسكره فصالحه على بانتقىا ويسما وضمن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات جميعاً ، واعتقد لنفسه وأهله وقومه على عشرة آلاف دينار ، سوى الخرزة خرزة كسرى(ضربة) وكانت على كل رأس أربعة دراهم».

وفي تاريخ دمشق: ٨٧ / ٢: «وسيبي من عين التمر بشرأً كثيراً بعث بهم إلى أبي بكر وذلك أول سبى قدم المدينة. من ذلك السبى أبو عمارة أبو عبد الله بن أبي عمرة، وعبيد مولى المعلى ، وأبو عبيد الله مولىبني زهرة ، وخير مولى أبي داود ، ويسار مولى قيس بن خمرة.. وكان فيهم عمير بن زيتون الذي بيت المقدس ، ويسار مولى أبي بن كعب ، وهو أبو الحسن بن أبي الحسن البصري ». .

وفي فتوح البلاذري: ١٣١ / ١: «ثم أغار خالد على قرارق وهو ماء ل الكلب ، ثم فَوَزَ منه إلى سُوى وهو ماء ل الكلب أيضاً ومعهم فيه قوم من بهراء ، فقتل حرقوص بن النعسان البهراي من قباعية ، واكتسح أمواههم ». .

وفي الكامل: ٣٧٩ / ٢: «فليما فرغ من أليس سار إلى أمغيشيا، وقيل اسمها منيشيا فأصابوا فيها ما لم يصبوا مثله ، لأن أهلها أجهلهم المسلمين أن ينقلوا أمواههم وأثاثهم وكراعهم وغير ذلك ، وأرسل إلى أبي بكر بالفتح ومبليغ الغنائم والسبى وأخرب أمغيشيا ! فلما بلغ ذلك أبي بكر قال: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد ». .

لاحظ أن خالد بن الوليد ، القائد المسلم الفاتح ، لم يدع أحداً إلى الإسلام ولم يخسر أهل القرى بين الإسلام والمجزية ، وأنه أجاد المباغة فلم يمهل أهل أمغيشيا النصارى أن يحملوا شيئاً من أمواههم فنهبها كلها ، وما أرسلها إلى الخليفة المعتزم فرح بها وقال:

«عجزت النساء أن يلدن مثل خالد !»

يعني مثله في الغارة ونبب أمواههم وأثاثهم وكراعهم وغير ذلك ! أي نساءهم واطفالهم ! وكل ذلك باسم الله تعالى ورسوله ﷺ ، وتقرباً إلى الله تعالى هداية الناس !

لكن الرواة لم يكتفوا بأخبار جبایة خالد ونبهه ، فقدموه بطلًا قائداً مقاتلاً ، واخترعوا له بطولات ومعارك وهمية ، مع نفس هذه القرى والدساکر التي أغار عليها ونبهها وسيّر منها ، وكتب معها عهود صلح !

قال الطبری: ٥٦٢ و ٥٦٣ : «عن المغيرة قال: كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر قوت العسكر ثانية عشر ألفاً أو يزيدون ثلاثة أيام ، وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعى جندلاً... فقدم على أبي بكر بالخبر وبفتح أليس وبقدر الفئ.. قال وبلغت قتلهم من أليس سبعين ألفاً جلهم من أمغيشيا.. بلغ سهم الفارس ألفاً وخمس مائة سوى النفل الذي نفله أهل البلاء . وقالوا جميعاً قال أبو بكر حين بلغه ذلك: يا معاشر قريش ، يخبرهم بالذى أتاه: عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله . أُعجزت النساء أن يُنشئن مثل خالد».

وفي أكثر المصادر: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد . والخراذيل القطع الصغار ، ولعلها معرفة من الخردة الفارسية أو المعنى أن أسد العرب غالب أسد الفرس على قطع اللحم .

١٨. لكن عمر كان يتّهم خالداً بقتل الأنفس المحترمة ، وبخيانة بيت المال!
وقد طلب من أبي بكر القصاص منه لأنّه قاتل ، واتهمه بخيانة المسلمين وسوء الأمانة ! وعندما صار خليفة بادر إلى مصادرة نصف أمواله !

قال في الإصابة: ٢١٨ / ٢: «وكان سبب عزل عمر خالداً ما ذكره الزبير بن بكار قال: كان خالد إذا صار إليه المال قسمه في أهل الغنائم، ولم يرفع إلى أبي بكر حساباً».

وبينبغى الإلتفات إلى أن النظرة المادية كانت حالة طاغية على تفكير قريش والجزيرية ، حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام إن أكثرهم لم يؤمّنا بالإسلام حتى رأوا صدق وعد النبي ﷺ بالفتحات وأموالها ورفاهيتها ، فلانـت قلوبـهم !

قال ~~عليه~~ كما في شرح النهج (٢٩٨/٢٠): «ولولا أن قريشاً جعلت إسمه ذريعة إلى الرياسة ، وسلماً إلى العز والأمرة ، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً ، ولارتدى في حافرتها ، وعاد قارحها جذعاً ، وبازلها بكرأً .

ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقة ، وتمولت بعد الجهد والمخصصة ، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً ، وثبتت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً ، وقالت: لو لا أنه حق لما كان كذا ! ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها » !

والقارح والبازل من الإبل كبيرة السن ، والجذع والبكر صغيرها . وهو مثل للتراجع .

١٩. وتعمدت روايات السلطة أن تصور خالداً على أنه بطل فتوحات العراق،
ولم تنس أن تعد من قادة جيشه الأبطال: ضرار بن الأزور وزيد بن الخطاب اللذين دفنهما خالد في الميامة !

قال الطبرى (٥٧١/٢): «كانت الثغور في زمن خالد بالسيّب (منطقة في الكوفة) بعث ضرار بن الأزور ، وضرار بن الخطاب ، والمنى بن حارثة ، وضرار بن مقرن ، والقعقاع عمرو ، وبسر بن أبي رهم ، وعتيبة بن النهاس ، فنزلوا على السيّب في عرض سلطانه ، فهؤلاء أمراء ثغور خالد ، وأمرهم خالد بالغارقة والإلحاح ، فمخروا ما وراء ذلك إلى شاطئ دجلة » .

أقول: نعم كان أكثر هؤلاء مع خالد في العراق ، وقد مخروا بعض مناطقه ، لكن بغارات على الضعفاء المسلمين ولم يخوضوا أي معركة كبيرة ، ما عدا المنى الذي ركز عملياته على مسالح الفرس ثم جيشهم .

بل زعموا أن خالداً فتح المدائن ، مع أنها فتحت بعد ذهابه من العراق بأربع سنوات ، لأنها معركة الجسر بعد ذهابه بستة ، وفتح المدائن بعدها بثلاث سنين !

٢٠ . واخترع خالد صلاة تحرير فيها فقهاء السلطة ، ولم يفهموها إلى يومنا هذا !!

فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٤٧ / ١٦: «عن الشعبي قال: لما فتح خالد الحيرة صلى صلاة الفتح ثمان ركعات لا يسلم فيهن ! ثم انصرف وقال: لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعه أسياف ! وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس قوماً كأهل أليس ». .

وقال الشيخ حسن بن فرحان المالكي في كتابه: نحو إنفاذ التاريخ الإسلامي / ٦٤: «لكن صلاة خالد هذه رواها سيف ويريد بها صلاة الفتح .. وصلاة الفتح هذه لفظة منكرة ، فليس في الإسلام ما يسمى بصلة الفتح ! فهذه صلاة مبتدعة وهذه الرواية صحيحة ». .

٢١ . وزعم خالد لنفسه الإنتصارات ، وأن سببها أنه يحمل من شعر النبي ﷺ

في قلنسوته ! ففي مستدرك الحاكم: ٣ / ٢٩٩: «أن خالد بن الوليد فقد قلنوسه له يوم اليرموك فقال: أطليوها فلم يجدوها، ثم طلبوها فوجدوها ، وإذا هي قلنوسة خلقة (قديمة) فقال خالد: اعتمر رسول الله ﷺ فحلق رأسه ، وابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنوسوة ، فلم أشهد قتالاً وهي معي ، إلا رزقت النصر ». .

وفي مغازي الواقدي: ٢ / ٨٨٣: «خرج مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع فلما حلق رسول الله ﷺ رأسه أعطاه ناصيته فكانت في مقدم قلنوساته ، فكان لا يلقى

أحداً إلا هزمه الله تعالى . ولقد قاتل يوم اليرموك فوّقعت قلنسوته فجعل يقول:

القلنسوة ، القلنسوة ! فقيل له بعد ذلك: يا أب سليمان عجباً لطلبك القلنسوة وأنت في حومة القتال! فقال: إن فيها ناصية النبي ﷺ ولم ألق بها أحداً إلا ولي».

٢٢. وقد بينا عدم صحة بطولته المزعومة في معركة طليحة ، في حرب اليمامة

وأن الفعل المؤثر كان لعدي بن حاتم رضي الله عنه وقبيلاته طيء والأنصار، فسببت الحكومة ذلك إلى خالد ! مع أنهم اعترفوا بأنه سيطر عليه الخوف وسرى منه إلى جيشه ، عندما قتل طليحة الفارسون الذين ذهبوا للإسْطَلَاعِ ، فرجع خالد بجيشه من قرب بزانة ، وذهب إلى طيء يطلب معونتهم.

قال الطبرى (٤٨٤/٢): «وأقبل خالد بالناس حتى مروا بثابت بن أثرب قتيلاً، فلم يفطنوا له حتى وطأته المطى بأخلفها، فكبر ذلك على المسلمين، ثم نظروا فإذا هم بعكاشة بن حصن صريراً، فجزع لذلك المسلمين.. لما رأى ما بأصحابه من الجزع عند مقتل ثابت وعكاشة قال لهم: هل لكم إلى أن أميل بكم إلى حيٍّ من أحياه العرب ، كثير عددهم شديدة شوكهم، لم يرتد منهم عن الإسلام أحد؟ فقال له الناس: ومن هذا الحي الذي تعنى فنعم والله الحي هو؟ قال: لهم طىء . فقالوا: وفلك الله ، نعم الرأى رأيت ، فانصرف بهم حتى نزل بالجيش في طىء».

وبزانة معسكر طليحة ، في أول نجد ، وجبال طيء في جهة العراق والأردن !

وقد تقدم بالتفصيل فضح ما ادعاه خالد ، وما ادعوه له في معركة اليمامة .

٢٣. وروينا بطلة خالد ، لكن في هجومه على بيت الزهراء عليها السلام ! فقد روى العياشي في تفسيره: ٢ / ٦٦ ، والمفید في الإختصاص / ١٨٥ ، عن أبي المقدام ، قال: «ما أتى

على علي عليهما السلام يوم قط أعظم من يومين أتياه ، فاما أول يوم فالاليوم الذي قبض فيه رسول الله عليهما السلام ، وأما اليوم الثاني ، فوالله إني بجالس في سقيفةبني ساعدة عن يمين أبي بكر والناس يبايعونه ، إذ قال له عمر: يا هذا ليس في يديك شيء مالم يبايعك على ! فابعث إليه حتى يأتيك يبايعك فإنما هؤلاء رعاع ، فبعث إليه قنفذ فقال له: إذذهب فقل لعلي: أجب خليفة رسول الله .

فذهب قنفذ فلما لبث أن رجع فقال لأبي بكر: قال لك: ما خلف رسول الله أحداً غيري ! قال: إرجع إليه فقل: أجب ، فإن الناس قد أجمعوا على بيعتهم إياه وهؤلاء المهاجرون والأنصار يبايعونه وقريش ، وإنما أنت رجل من المسلمين لك ما لهم وعليك ما عليهم ، فذهب إليه قنفذ ، فلما لبث أن رجع فقال قال لك: إن رسول الله عليهما السلام قال لي وأوصاني إذا واريتـه في حضرته ، لا أخرج من بيتي حتى أؤلف كتاب الله ، فإنهـ في جراید النخل وفي أكتاف الإبل .

قال عمر: قوموا بـنا إـلـيـهـ ، فقام أبو بـكرـ ، وعـمـرـ ، وعـثـمـانـ ، وخـالـدـ بنـ الـولـيدـ ، والمـغـيرـةـ بنـ شـعـبـةـ ، وأـبـوـ عـبـيـدـةـ بنـ الجـراحـ ، وـسـالـمـ مـوـلـيـ أـبـيـ حـذـيفـةـ ، وـقـنـدـ ، وـقـمـتـ مـعـهـمـ فـلـمـ اـنـتـهـيـنـ إـلـىـ الـبـابـ فـرـأـتـهـمـ فـاطـمـةـ عليهـماـ السـلـامـ فأـعـلـقـتـ الـبـابـ فـيـ وـجـوـهـهـمـ ، وـهـيـ لـاـتـشـكـ أـنـ لـاـيـدـخـلـ عـلـيـهـ إـلـاـ يـاـذـهـاـ ، فـضـرـبـ عـمـرـ الـبـابـ بـرـجـلـهـ فـكـسـرـهـ وـكـانـ مـنـ سـعـفـ ، ثـمـ دـخـلـواـ فـأـخـرـ جـوـاـ عـلـيـاـ مـلـيـاـ !

فـخـرـجـتـ فـاطـمـةـ قـفـالتـ: يـاـ أـبـاـ بـكـرـ أـتـرـيدـ أـنـ تـرـمـلـنـيـ مـنـ زـوـجـيـ ، وـالـلـهـ لـئـنـ لمـ تـكـفـ عـنـ لـأـنـشـرـنـ شـعـرـيـ وـلـأـشـقـنـ جـبـيـ وـلـأـتـبـنـ قـبـرـ أـبـيـ وـلـأـصـبـحـ إـلـىـ رـبـيـ ، فـأـخـذـتـ بـيـدـ الـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ وـخـرـجـتـ تـرـيـدـ قـبـرـ النـبـيـ عليهـماـ السـلـامـ: أـدـرـكـ اـبـنـهـ مـحـمـدـ عليهـماـ السـلـامـ فـإـنـيـ أـرـىـ جـنـبـيـ الـمـدـيـنـةـ تـكـفـيـانـ ، وـالـلـهـ إـنـ نـشـرـتـ شـعـرـهـاـ

وشقت جيبيها وأنت قبر أبيها وصاحت إلى ربه ، لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها وبمن فيها ! فأدركها سليمان فقال: يا بنت محمد إن الله إنما بعث أباك رحمة فارجعي . فقالت: يا سليمان يريدون قتل علي ! ما على عليٍّ صبر ، فدعوني حتى آتي قبر أبي ، فأنشر شعري وأشق جنبي وأصبح إلى ربِّي ! فقال سليمان: إني أخاف أن يخسف بالمدينة ، وعلىٌّ بعثني إليك ويأمرك أن ترجع إلى بيتك وتنصري . فقالت: إذاً أرجع وأصبر وأسمع له وأطيع .

قال: فأنخرجوه من منزله مليباً ومرروا به على قبر النبي ﷺ قال فسمعته يقول: يا ابنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي .. إلى آخر الآية . وجلس أبو بكر في سقيفة بنى ساعدة وقدم عليٍّ فقال له عمر: بابع ! فقال له علي: فإن أنا لم أفعل فمه؟

فقال له عمر: إذا أضرب والله عنفك !

فقال له علي: إذاً والله أكون عبد الله المقتول وأخا رسول الله .
فقال عمر: أما عبد الله المقتول فنعم وأما آخر رسول الله فلا ، حتى قالها ثلاثة !
بلغ ذلك العباس بن عبد المطلب ، فأقبل مسرعاً يهروي فسمعته يقول: إرفقوا بابن أخي ولكم عليَّ أن يباعكم ، فأقبل العباس وأخذ بيده علي فمسحها على يد أبي بكر ، ثم خلوه مغضباً .

وقال السيد مرتضى في مأساة الزهراء عليها السلام (٢٢٦/١): «ذكر لنا التاريخ أسماء عدد من المهاجرين مثل: أبي بكر ، عمر ، قنفذ ، أبي عبيدة بن الجراح ، سالم مولى أبي حذيفة ، المغيرة بن شعبة ، خالد بن الوليد ، عثمان ، أسيد بن حضير ، معاذ بن

جبل ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، ومحمد بن مسلمة ، وهو الذي كسر سيف الزبير ، وزيد بن أسلم ، وعياش بن ربيعة ، وغيرهم». فقد كان خالد معهم ، كما كان قبل عشر سنوات مع المتآمرين البضعة عشر من قبائل قريش ، لقتل النبي ﷺ .

٤. وروينا بطولة خالد في محاولة اغتيال أمير المؤمنين ع وذلك بأمر أبي بكر !

قال السيد مرتضى في مأساة الزهراء ع : (٢٢٨/١) : « وقد تآمروا أيضاً على قتل علي ع على يد خالد بن الوليد ، وهو يصلى في مسجد رسول الله ﷺ ، حينما نطق أبو بكر قبل التسليم قائلاً: لا يفعلن خالد ما أمرته ! وقد أفتى أبو حنيفة بجواز التكلم قبل التسليم استناداً إلى هذه القضية كما يقال وأفتى سفيان الثوري استناداً إلى هذه القضية أيضاً ، بأن من أحدث قبل التسليم وبعد الشهيد ، فصلاته تامة».

ويقصد ما رواه عدد من مصادرنا ، ومنها الإحتجاج للطبرسي : (١١٨/١) ، قال: «روي أن أبو بكر وعمر بعثا إلى خالد بن الوليد ، فواعدها على قتل علي ع وضمن ذلك لها فسمعت ذلك الخبر أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر في خدرها ، فأرسلت خادمة لها ، وقالت ترددت في دار علي وقولي له: إِنَّ الْمُلَائِكَةَ يَأْتِيُونَ بِكَ .. ففعلت الجارية وسمعها علي ع فقال: رحها الله ، قولي لولاتك: فمن يقتل الناكثين والمارقين والقاسطين؟ !

ووقدت المواعدة لصلاة الفجر إذ كان أخفى ، واختيرت للسذفة والشبهة فإنهم كانوا يُغلّسون بالصلاحة حتى لا تعرف المرأة من الرجل ، ولكن الله بالغ أمره . وكان أبو بكر قال لخالد بن الوليد: إذا انصرفت من صلاة الفجر فاضرب

عنق علي. فصل إلى جنبه لأجل ذلك وأبو بكر في الصلاة يفكك في العواقب فندم ، فجلس في صلاته حتى كادت الشمس تطلع ، يتعقب الآراء ويخاف الفتنة ولا يأمن على نفسه ، فقال قبل أن يسلم في صلاته: يا خالد لا تفعل ما أمرتك به، ثلاثة . وفي رواية: لا يفعلن خالد ما أمر به !

فالتفت على عليه السلام فإذا خالد مشتمل على السيف إلى جانبه ، فقال: يا خالد ما الذي أمرك به؟ قال: بقتلك ! قال: أو كنت فاعلاً؟ فقال: إِي وَالله لَوْلَا أَنَّهُ نَهَانِي لَوْضُعَتِهِ فِي أَكْثَرِك شِعْرًا ! فقال له على عليه السلام: أما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ، لولا ما سبق به القضاء ، لعلمت أي الفريقين شر مكاناً وأضعف جنداً .

وفي رواية لأبي ذر: أن أمير المؤمنين أخذ خالداً بأصبعيه السبابة والوسطى في ذلك الوقت ، فعصره عصراً فاصاح خالد صيحة منكرة ، ففزع الناس وهمتهم أنفسهم وأحدث خالد في ثيابه ، وجعل يضرب برجليه الأرض ولا يتكلم !

أقول: يظهر أن هذا الخبر كان معروفاً من قديم ، فقد روى السمعاني في الأنساب (٩٥/٣) عن ابن حبان قال: «عبد بن يعقوب الرواجني من أهل الكوفة ، يروي عن شريك حدثنا عنه شيوخنا ، مات سنة خمسين ومائتين في شوال ، وكان رافضياً داعية إلى الرفض ، ومع ذلك يروي المناكير عن أقوام مشاهير فاستحق الترك ، وهو الذي روى عن شريك عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: إذا رأيتم معاوية على منبره فاقتلوه . قلت: روى عنه جماعة من مشاهير الأئمة مثل أبي عبد الله محمد بن إسحاق البخاري ، لأنه لم يكن داعية إلى هواه ، وروى عنه حديث أبي بكر أنه قال: لا يفعل خالد ما أمر به . سألت

الشريف عمر بن إبراهيم الحسيني بالكوفة عن معنى هذا الأمر، فقال: كان أمر خالد بن الوليد أن يقتل علياً ، ثم ندم بعد ذلك فنهى عن ذلك ». .

هذا ، وقد رویت روايات متفاوتة فيها فعله على عليه السلام بخالد على أثرها ، ومنها أنه طوق عنقه بعمود حديد غليظ ، فلم يستطعوا ذكه حتى توسط العباس عند علي عليه السلام ، وفي بعضها طلب منه أبو بكر ففكه . ونحن نقبله إذا صلح سنته ، فليس هو بأعجب من دحى على عليه السلام بباب خبر ثم حمله وجعله جسراً للجيش . وقد رویت أعاجيب عن قوته البدنية عليه السلام .

ففي المناقب (١٢١/٢): «فَلِمَا ترَعَ عَلَيْهِ كَانَ يَصَارِعُ الرَّجُلَ الشَّدِيدَ فِي صَرْعَهِ.. وَرَبِّا يَلْحِقُ الْحَصَانَ الْجَارِيَ فَيُصَدِّمُهُ فِي رِدَّهِ عَلَى عَقْبِيهِ.. لَمْ يَمْسِكْ بِذَرَاعِ رَجُلٍ قَطُّ إِلَّا أَمْسَكَ بِنَفْسِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَنَفَّسَ.. وَيَقَالُ أَنَّهُ كَانَ يَتَأْبِطُ بِاثْنَيْنِ وَيَدِيرُ وَاحِدًا بِرِجْلِهِ.. ثُمَّ رُوِيَّ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ وَجَابِرِ الْأَنْصَارِيِّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَاسِ مِنْ خَبَرِ طَوْلِيْنَ قَصَّةً تَطْوِيقَهُ لِعَنْتِ خَالِدٍ بِعَمَودِ حَدِيدٍ ، وَأَنَّهُ بَقَى فِي عَنْقِهِ أَيَّامًا حَتَّى شَفَعَ لِهِ أَبُو بَكَرٌ فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ فَقَبضَ عَلَى رَأْسِ الْحَدِيدِ مِنَ الْقَطْبِ فَجَعَلَ يَفْتَلُ مِنْهُ يَمِينَهُ شَبَرًا شَبَرًا فِي رَمِيِّهِ !

٢٥. بُرُزَ مِنْ أَوْلَادِ خَالِدٍ ابْنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَكَانَ قَائِدَ جَيْشَ مَعاوِيَةِ فِي صَفَّيْنِ ،
وأحبه أهل الشام فطلبوه من معاوية أن يجعله ولی عهده ، فقتله بالسم على يد طبيب مسيحي ، ف جاء أخوه المهاجر من مكة وقتل الطبيب . وكان المهاجر شيئاً صلباً شهد مع علي عليه السلام حرب الجمل وصفين ، وأولاده شيعة .
(الاستيعاب: ٤/١٤٥٣). وأم المهاجر أسماء الخثعمية ، وليس أم قيم زوجة مالك بن نويرة ، ولا زوجته الأخرى مية بنت مجاعة الحنفي . (تاریخ دمشق: ٦١/٢٦٤).

سعد بن أبي وقاص قائد عيّرته زوجته بالجبن

١. سعد بن أبي وقاص ويكنى أبي إسحاق ، وإن اسم أبي وقاص مالك بن أهيب ،

بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب . وعبد مناف الذي في نسببني زهرة غير عبد مناف الجد المشترك لبني هاشم وأمية .

قال رواة السلطة إن سعداً أسلم وهو شاب ابن ١٧ سنة (المتنظم: ٥/٢٨١) وقال ابنه محمد: «قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين، ولكن كان أفضلي إسلاماً». (الطبرى: ٢/٦٠).

وقال ابن حجر في الإصابة: ٦١: «أو أمه حنة بنت سفيان بن أمية، بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمية». وقد عاشت طويلاً ولم تسلم (فتح الباري: ٧/٦٦).

وقالوا غضبت عليه وقالت له: «يا سعد بلغني أنت قد صبأت ، فوالله لا يظلي سقف بيت من الضح والربيع ، وإن الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد». فشكى سعد إلى النبي ﷺ فعل أممته، فنزلت آية تأمر ببر الوالدين وعدم طاعتها في الكفر . (الكافل: ١٩٨/٣).

ثم تحرروا في أي آية نزلت ، لأن المطلوب آية نزلت في الوقت المبكر الذي فرضه سعد لإسلامه ! وآية الأمر بالإحسان الى الوالدين وتحريم قول أف لهما ، في سورة الإسراء: ٢٣، وآية: **وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي** ما ليس لك به علم فلَا تُطعِّمُهُما في سورة العنكبوت: ٨ ، ولقمان: ١٥ ، وآية: **اْشْكُرْ لِي وَلِوَالدَّيْكَ**... في لقمان: ١٤ . وآية: **حَمْلَتْهُ اُمَّهُ كُزْمًا وَوَضَعَتْهُ كُزْمًا**... في الأحقاف: ١٥ .

وكل هذه سور متأخرة عن توقيتهم لإسلام سعد ، ولذلك داخ مشايخهم !

وقد أطّال بحث ذلك ابن حجر ولم يصل إلى نتيجة مقنعة (فتح الباري: ٣٣٥ / ١٠). هذا ، وقد طعن عبد الله بن مسعود في أم سعد ، عندما كان والي بيت المال في الكوفة فاستقرض منه سعد مبلغاً ، وطالبه بعد مدة فلم يسدده ، وأهانه فقال له: يا ابن حنة ! وهو تشكيك بنسبيته إلى أبيه ! وكان التشكيك بأبيه من زمن النبي ﷺ ، فقد قال سعد إنه شكى ذلك النبي ﷺ فقال له إن أمك بريئة ! قال سعد كما في الرياض النضرة للمحب الطبراني (٤ / ٣١٩) قلت للنبي ﷺ: «من أنا يا رسول الله ؟ قال أنت سعد بن مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ؛ من قال غير ذلك فعليه لعنة الله . أخرجه الضحاك . أمه حنة بنت سفيان بن أبي أمية بن عبد شمس . قاله ابن قتيبة والدارقطني وغيرهما» . ولكن رواية سعد هذه تزييناً الشك في الأمر ، ولا ترفعه !

وقال مفلج بن راشد في إلزام النواصب / ١٧١: « وقد نسبوا سعداً إلى غير أبيه وأنه من رجل من بني عذرة كان خدناً لأمه ، ويشهد بذلك قول معاوية له حين قال سعد لمعاوية: أنا أحق بذلك الأمر منك ، فقال له معاوية: يأتي عليك ذلك بني عذرة ، وضرط له ! روى ذلك التوفل بن سليمان » . يقصد أنك لست قريشاً !

٢. كان سعد قصيراً ، غليظاً ، أسمر ، أفطس ، أشعر الجسد ، يخضب السواد ، هكذا وصفته ابنته ، والرواية ، ومنهم ابن الجوزي في كتاب المتنظم (٥ / ٢٨١).
وكان صاحب قوس وصيد ، وقد أمره النبي ﷺ على بعض سراياه ، وزعموا أنه أول من رمى بسهم في سبيل الله ، في السرية التي أرسلها النبي ﷺ بإمرة

عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، فاعتبرت قافلة لقريش ، ولم يكن بينهم قتال ، وتراموا ببعض السهام ، فقيل إن سعداً جرح أحدهم بسهمه !

٣. وهناك مشكلة أخرى في نسب سعد، فقد قيل إن أبي وقارص ليسوا من زهرة

بل من بني عذرة ، كما ذكر بعض النساين ، وقد حكم به عبد الله بن مسعود .

وقد روى في شرح نهج البلاغة: ٦٥٥ ، قول حسان في عتبة بن أبي وقارص :

«من عاذري من عبد عذرته بعدما هو في دجوجي شديد المضائق

وأورث عاراً في الحياة لأهله وفي النار يوم البعث أم البوائظ

ثم قال: وإنها قال عبد عذرته ، لأن عتبة بن أبي وقارص وإخوته وأقاربه في نسبهم كلام ، ذكر قوم من أهل النسب أنهم من عذرة ، وأنهم أدعياء في قريش ، ولم يُذكر معرف ، وقصة مذكورة في كتب النسب .. وتنازع عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقارص في أيام عثمان في أمر فاختصا ، فقال سعد لعبد الله: أسكط يا عبد هذيل ، فقال له عبد الله: أسكط يا عبد عذرته ».

وروروا أن عمر قال إن سعد لا يصلح للخلافة ، لأنه يقال إنه من بني عذرة ، كما أن معاوية حكم ببني أبي وقارص عن بني زهرة وقريش !

روى المسعودي في مروج الذهب: ١/٣٥٣ ، عن ابن إسحاق: «لما حجَّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد ، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندرة ، فأجلسه معه على سريره ، ووَقَعَ معاوية في علي وشَرَعَ في سَبَّه ، فزحف سعد ثم قال: أجلسنِي معك على سريرك ثم شرعت في سب علي ، والله لأن يكون في حوصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحب إلى من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس والله لأن

أكون صهراً لرسول الله ﷺ وأن لي من الولد ما لعلي أحب إلى من أن يكون لي
ما طلعت عليه الشمس ، والله لأن يكون رسول الله ﷺ قال لي ما قاله يوم
خبر: لأعطيكَ الراية غداً يجده الله ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفارار ،
يفتح الله على يديه ، أحب إلى من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، والله لأن
يكون رسول الله ﷺ قال لي ما قال له في غزوة تبوك: إلا ترضى أن تكون مني
بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، أحب إلى من أن يكون لي ما
طلعت عليه الشمس . وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت ، ثم نهض... عنِ
ابن عائشة وغيره ، أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرطاً له
معاوية وقال له: أقعد حتى تسمع جواب ما قلت: ما كنْتَ عندي قطُّ لأم منك
الآن ، فهلا نصرته ، ولم يقدِّمْ عن بيته ، فاني لو سمعت من النبي مثل الذي
سمعت فيه لكنْت خادماً لعلي ما عشت ! فقال سعد: والله إني لأحق بموضعك
منك ، فقال معاوية: يأنى عليك ذلك بنو عذرة ! وكان سعد فيها يقال لرجل
من بنى عذرة.. وفي ذلك يقول السيد بن محمد الحميري :

سائل قريشاً بها إن كنت ذاعمتها	منْ كانْ أبئتها في الدين أوَّلَادَا
منْ كانْ أقدمها سلماً ، وأكثرها	علماً ، وأظهرها أهلاً وأولاداً
منْ وَحَدَ الله إِذْ كانتْ مكذبة	تدعوا مع الله أوثانًا وأندادًا
منْ كانْ يُقْدِم في الهيجاء إن نكلوا	عنها وإن بخلوا في أزمة جادا
منْ كانْ أعدلها حكماً ، وأقسطها	حلماً ، وأصدقها وعداً ويعادا
إنْ يَصْدَقُوك فلم يَعْدُوا أبا حسن	إنْ أنت لم تلق للأبرار حسادا
إنْ أنت لم تلق من تَيَمْ أخا صَلَف	ومن عدي لحق الله جَحَادا

أو من بني عامر أو من بني أسد
 رَهْطُ الْعَبِيدِ ذُوي جهل وأوغادا
 أورهط سعد وسعد كان قد علموا
 عن مستقيم صراط الله صَدَّادا
 قوم تَدَاعَوْا زَنِيَّا ثِمَ سَادُهُم
 لولا خسول بني زهر لما سادا

وكان سعد ، وأسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن سلمة ، من قعد عن علي بن أبي طالب وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم من ذكرنا من القُعَادَ وذلك أنهم قالوا: إنها فتنة ، ومنهم من قال لعلي: أَعْطِنَا سِيوفًا نَقْاتِلُ بِهَا مَعَكَ ، فلإذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم وتبَّعْتُ عن أجسامهم ، وإذا ضربنا بها الكافرين سَرَّتْ فِي أَبْدَانِهِمْ ، فأعرض عنهم علي وقال: وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَا نَسْمَعُهُمْ وَلَوْ أَشْنَعُهُمْ لَتَوَلَّوْهُمْ مُغْرِضُونَ .

٤. مع معرفة سعد بفضل على عليهما السلام فقد كان يكرهه ، لأنه قتل من أخواله في بدر!
 فقد جعله عمر أحد أعضاء الشورى ، الذين عيَّنَهم ليختاروا خليفة منهم ، وأعطى حق النقض لعبد الرحمن بن عوف. (الاستيعاب: ٦٠٦).

فوصفهم على عليهما السلام بقوله كما في نهج البلاغة (١/٣٥): «حتى إذا مضى لسيله جعلها في جماعة زعم أي أحدهم ! فيا الله وللشوري ، متى اعترض الريب في مع الأول منهم ، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر ! لكنني أنسقتُ إذ أسفوا ، وطرثُ إذ طاروا ، فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هن وهن !»

قال الشريف المرتضى في رسائله (٢/١١١): «أراد المائل إلى صهره عبد الرحمن بن عوف الزهري ، فإنه كان بينه وبين عثمان مصاهرة معروفة ، فعقد له الأمر ومال

إليه بالمساورة . والذى مال إليه لضغطه إنما هو سعد بن أبي وقاص الزهرى ، فإنه كان منحرفاً عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو أحد من قعد عن بيعته في وقت ولايته».

٥. امتنع سعد عن بيعة على عليه السلام ونصرته ، فتركه على عليه السلام ولم يجره على البيعة .

وكان سعد يتقرب إليه ليوليه فلم يوله وأخبره أن ابنه عمر سيقتل الحسين عليه السلام ! «كان عليه السلام يخطب الناس وقال: سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله ما تسألوني عن شئ مضى ولا شئ يكون إلا بأنكم به . قال فقام إليه سعد بن أبي وقاص وقال: يا أمير المؤمنين: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال له: والله لقد سألتني عن مسألة حذثني خليلي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنك ستسألني عنها ! وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس ! وإن في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني ! وعمر يومئذ يدرج بين يدي أبيه». (أمال الصدوق / ١٩٦).

٦. أدان سعد سب معاوية لعلى عليه السلام ، وشهد ببعض أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه

وحديثه مشهور في صحيح مسلم (١٢٠/٧) وغيره: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثة قاهلن له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له على: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان! فقال له رسول الله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي. وسمعته يقول يوم خير: لا أعطين الرأبة رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال فتطاولنا لها فقال: أدعوا لي علياً فأتى به أرمد فبصر في عينه ودفع الرأبة إليه ففتح الله عليه . ولما نزلت هذه الآية: فقل

تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسيناً وحسيناً ،
 فقال: اللهم هؤلاء أهلي».

وروى في مروج الذهب (٣٥٤/١) عن ابن عائشة وغيره ، أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ، ضرط له معاوية (أي سخر به بصوت من فمه) وقال له: «أقعد حتى تسمع جواب ما قلت: ما كنْتَ عندي قطُّ لأمٍّ منك الآن فهلا نصرته ، ولمْ قعدت عن بيته؟ فإني لو سمعت من النبي مثل الذي سمعت فيه ، لكنت خادماً لعلي ما عشت! فقال سعد: والله إني لأحق بموضعك منك ! فقال معاوية: يا أبي عليك ذلك بنو عذرة! وكان سعد فيها يقال لرجل منبني عذرة». وفي تاريخ دمشق: ٣٦٠ / ٢٠: عن المدبي قال: «حج معاوية بن أبي سفيان فمر بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، فالتفت إلى عبد الله بن عباس فقال: يا أبو عباس إنك لم تعرف حقنا من باطل غيرنا ، فكنت علينا ولم تكن معنا ، وأنا ابن عم المقتول ظلماً يعني عثمان بن عفان وكانت أحق بهذا الأمر من غيري ! فقال ابن عباس: اللهم إن كان هكذا فهذا وأواماً إلى ابن عمر أحق بها منك ، لأن أباه قتل قبل ابن عمك ! فقال معاوية: ولا سواء ، إن أبو هذا قتله المشركون وابن عمي قتلهم المسلمون . فقال ابن عباس: هذا والله أبعد لك ، وأدحض حجتك !

فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبو إسحاق أنت الذي لم تعرف حقنا وجلس فلم تكن معنا ولا علينا ! قال فقال سعد: إني رأيت الدنيا قد أظلمت فقلت لبعيري إخ فأنختها حتى انكشفت ، قال فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين ما قرأت في كتاب الله عز وجل إخ ! قال فقال سعد: أما إذا أبىت فإني

سمعت رسول الله يقول لعلي: أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار! قال فقال معاوية: لتأتيني على هذا بيبينة! قال فقال سعد: هذه أم سلمة تشهد على رسول الله. فقاموا جميعاً فدخلوا على أم سلمة فقالوا: يا أم المؤمنين إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله ، وهذا سعد يذكر عن النبي ما لم نسمعه أنه قال يعني لعلي: أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار . فقالت أم سلمة: في بيتي هذا قال رسول الله لعلي! قال فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق ما كنت ألومك الآن إذ سمعت هذا مع من رسول الله وجلست عن علي ! لو سمعت هذا من رسول الله لكتبت خادماً لعلي حتى أموت» !

وأورد ابن كثير في النهاية: ٨٤، وضعفه على تردد بدون ذكر السبب ! إلا ما تربى عليه من بعض على طريقه قال: «وفي إسناد هذا ضعف والله أعلم !»

أقول: هذا الحوار بين سعد ومعاوية يكفي لكشف شخصياتهما ، فمعاوية يقول له: لماذا أنت لبيم متناقض، تشهد لعلي بما شهدت به ثم لابياعه ولا تنصره ، فلو أني سمعت من النبي ﷺ ما سمعته أنت فيه لكتبت خادماً له كل حياتي ! أي أن الحجة تامة على سعد بما رواه ، فيجب عليه طاعة على طريقه !

وكان ينبغي لسعد أن يعترضه ويقول لمعاوية: والحجّة عليك أيضاً تامة بما رويت لك عن النبي ﷺ ، فلماذا خرجمت على عليّ وحاربته ؟

لكنه اختار الجواب من زاوية أخرى فقال له: أنا وأنت ظلمنا علياً من أجل الخلافة وخالفنا منطق التوبة واخترنا منطق قريش القبلي ، وأنا بها المطلق أحق بها منك لأنني أحد أعضاء الشورى الذين رشحهم عمر زعيم قريش للخلافة !

فأجابه معاوية إجابة قاسعة فطعن في نسبه وقال له: يأبى عليك أنك من بنى عذرة ولست قرشياً من بنى زهرة كما تدعى !

٧. زعموا أن النبي ﷺ شرّ عشرة قرشين بالجنة ، وجعلوا سعداً أحدهم .
روى ذلك سعيد بن نفيل ابن عم عمر ، وعدّ نفسه وسعداً منهم . وقد رد حديثه على عائشة وقال إن سعيداً كذبه في خلافة عثمان .

فقد روى في الإحتجاج: ٢٣٧ / ١: «لما التقى أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ أهل البصرة يوم الجمل ، نادى الزبير يا أبا عبد الله أخرج إلى ، فخرج الزبير ومعه طلحة . فقال لها: والله إنكم لتعلمان وأولوا العلم من آل محمد وعائشة بنت أبي بكر ، أن كل أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمد ﷺ ، وقد خاب من افترى . قالا: كيف تكون ملعونين ونحن أصحاب بدر وأهل الجنة ؟ ! فقال: لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم . فقال له الزبير: أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل وهو يروي أنه سمع من رسول الله يقول: عشرة من قريش في الجنة ؟ قال على عائشة: سمعته يحدث بذلك عثمان في خلافته .

قال الزبير: أفتراه كذب على رسول الله ﷺ ؟ فقال له على عائشة: لست أخبرك بشئ حتى تسميهم . قال الزبير: أبو بكر ، عمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن عمرو بن نفيل . فقال له على عائشة: عدلت تسعة فمن العاشر؟ قال له: أنت . قال على عائشة: قد أقررت أني من أهل الجنة ، وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين ! قال له: أفتراه كذب على رسول الله ؟ قال: ما أراه كذب ولكنه والله اليقين ! فقال على عائشة: والله إن بعض من سميته لفي

تابوت في شعب في جب في أسفل درك من جهنم ، على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسرع جهنم رفع تلك الصخرة ! سمعت ذلك من رسول الله ﷺ وإنما أظرفك الله بي وسفك دمي على يديك ، وإنما أظرفني الله عليك وعلى أصحابك وسفك دمائكم على يدي ، وعجل أرواحكم إلى النار ! فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي » !

٨. أسرة سعد بن أبي وقاص أسرة عجيبة ، فمنها سعد كبيرهم الذي سترقه ،

ومنها ابن أخيه هاشم بن عتبة ، البطل الشيعي الفاتح ، الذي سترقه .
ومنها عتبة والد هاشم وأخ سعد ، وكان شديد العداوة للنبي ﷺ وقد تعاقد مع نفر من عتاة قريش منهم والد الزهرى ، على قتل النبي ﷺ في معركة أحد .

قال المقريزى في إمتناع الأسىع (٤/٣٣٩) : « ومن أعداء رسول الله ﷺ عبد الله بن شهاب..الزهرى .. وعتبة بن أبي وقاص مالك بن أبيه بن عبد مناف ، وعبد الله بن الله بن شهاب الزهرى ، وعمرو بن قمة الأدمي من بني تميم .. وعبد الله بن حميد بن زهير .. بن أسد بن عبد العزى بن قصى .. وذلك أنه لما كان يوم أحد تعاقد هؤلاء مع أبي بن خلف على قتل رسول الله ﷺ !

أما عتبة بن أبي وقاص فرمى بأربعة أحجار ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وشق شفته السفلى . وأما ابن قمة فكسر وجيته ﷺ وغيب حلق المغر فيها ، وعلاه بالسيف فلم يقطع ، وسقط رسول الله ﷺ فجحشت ركبته (رُضت) .

وأما أبي بن خلف فشد بحرابة ، فأعان الله عز وجل رسوله ﷺ فقتله .
واما عبد الله بن حميد فأقبل يريد النبي ﷺ فشد عليه أبو دجانة فضربه وقال : خذها وأنا ابن خرشة ، فقال النبي ﷺ اللهم ارض عن ابن خرشة ، فإني عنه

راض . قال الواقدي: دعا رسول الله ﷺ على الذين تعاقدوا على قتلته فقال:
اللهم لا تُحِلْ أحداً منهم الحول ، فهات عتبة من وجوه أليم أصحابه فتعذب به،
وأصيّب ابن قمّة في المعركة ، ويقال إنه لما رمى مصعب بن عمر فقتله قال:
خذها وأنا ابن قمّة ، فقال رسول الله ﷺ: أقمأه الله ، فعهد إلى شاة ليحلبها بعد
الوقعة فنطحته وهو معتقلها فقتلته ، ووجد ميتاً بين الجبال ».

أقول: نفى الإمام الباقر عـ أن تكون رباعية النبي ﷺ كسرت وقال «قبضه الله
سلبياً» (معانى الأخبار / ٤٠٦). وبظهور أن سنه تخلخت . وقد بينا في السيرة النبوية
هروب جميع الصحابة بمن فيهم سعد ، ما عدا علي بن أبي طالب وأبي دجانة ونسيبة ، وقد
جرحا . وجاء علي بن أبي طالب وأصعد النبي ﷺ من المخربة ، وأمره جبريل أن يستطل
بالصخرة ، وأن يقاتل علي بن أبي طالب وحده ويرد الحملات التي تستهدف قتله .

وقال في شرح نهج البلاغة ٥٥/٥٥: «عتبة بن أبي وقاص ، الذي كسر رباعية رسول
الله ﷺ يوم أحد ، وكلم شفتته وشج وجهه ، فجعل يمسح الدم عن وجهه ،
ويقول: كيف يفلح قوم خضوا وجه نبيهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى ربهم ..
وقال حسان بن ثابت في ذلك اليوم :

ونصرهم الرحمن رب المشارق	إذا الله حياماً مشرباً بفعلمهم
ولقاء قبل الموت إحدى الصواعق	فهلاك رب يا عتبة بن مالك
فدمت فاه قطعت بالبوارق	بسقطت يميناً للنبي محمد
تصير إليه عند إحدى الصواعق	فهلا ذكرت الله والمنزل الذي
هو في دجوجي شديد المضائق	فمن عاذري من عبد عذره بعدهما
وفي النار يومبعث أم البوائق	وأورث عاراً في الحياة لأهله

وإنما قال عبد عذرة، لأن عتبة بن أبي وقاص وإخوه وأقاربه في نسبهم كلام، ذكر قوم من أهل النسب أنهم من عذرة، وأنهم أدعياء في قريش». وفي سيرة ابن هشام: «وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وقاص، وذكر أربعة أبيات وقال: «تركنا منها بيتين أقذع فيها». وقد تركهما من أجل سعد، ولكن عمر ومعاوية وابن مسعود، صرحاً بمضمونها!

٩. وكان يفتخر برمه يوم أحد ويقول: «تَلَّ رسول الله ﷺ كُنَانَتِهِ يَوْمَ أَحُد»
وقال إرم فداك أبي وأمي». (سنن النسائي: ٥٧/٦) ! مع أنه هرب وترك النبي ﷺ !
(راجع معركة أُحد في السيرة البرية عند أهل البيت عليهم السلام).
وقد زعم سعد أنه رجع إلى النبي ﷺ ورمى عنه بألف سهم ، ففداء النبي ﷺ
بأبيه وأمه ، ودعا له أن يسدد الله سهمه ويستجيب دعوته ، فصار سهمه مسدداً
ودعوته مستجابة !

وقد بالغ رواة السلطة بحديثه وصححه الحاكم على شرط مسلم (٢٦/٣) وجاء فيه:
«قال: لما جال الناس (فروا) عن رسول الله تلك الجولة يوم أحد تحيت (من بين
الغارين) فقلت: أذود عن نفسي فإذاً أستشهد وإنما أننجو حتى ألقى رسول
الله ، فيينا أنا كذلك إذا برجل خمر وجهه ، ما أدرى من هو فأقبل المشركون
حتى قلت قد ركبوا ، ملأ يده من الحصى ثم رمى به في وجوههم فنكبا على
أعقابهم القهقري حتى يأتوا الجبل ! ففعل ذلك مراراً ، ولا أدرى من هو وبيني
وبينه المقداد بن الأسود ، فيينا أنا أريد أن أسأل المقداد عنه إذ قال المقداد: يا
سعد هذا رسول الله يدعوك . فقلت: وأين هو؟ فأشار لي المقداد إليه فقمت

ولكأنه لم يصبني شيء من الأذى ، فقال رسول الله: أين كنت اليوم يا سعد؟ فقلت: حيث رأيت يا رسول الله (هارباً). فأجلسني أمامه فجعلت أرمي وأقول: اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله يقول: اللهم استجب لسعد اللهم سدد لسعد رميته ، إيهما سعد ، فداك أبي وأمي . فيما من سهم أرمي به إلا قال رسول الله ﷺ: اللهم سدد رميته وأجب دعوته . إيهما سعد : حتى إذا فرغت من كنانتي نثر رسول الله ﷺ ما في كنانته فنبّلني سهماً نضياً ، قال: وهو الذي قد رَيَّش وكأن أشد من غيره . قال الزهري: إن السهام التي رمى بها سعد يومئذ كانت ألف سهم . هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخر جاه».

أقول: معنى قول النبي ﷺ لسعد حسب قوله: أين كنت اليوم يا سعد؟ أن سعداً كان مع الفارين من الضحى إلى ما بعد الظهر، وقد عاد بعضهم بعد انسحاب قريش عصراً ! ولا يصح قول سعد إنه جلس أمام النبي ﷺ ورمي العدو لأن النبي ﷺ كان في ظل الصخرة وكان المشركون بعيدين عنه لا تصل اليهم السهام ، فكانت الكتبية منهم تحمل على النبي ﷺ فيردها على وجبريل ﷺ، فكيف تصل اليهم سهام سعد وهو جالس كما زعم في حضن النبي ﷺ!

فلا الوقت الذي رجع فيه من هروبه وقت رمي سهام ، ولا مكانه ، ولا سمعنا أن قريشاً جرح بسهم من سهام سعد !

ونلاحظ أنه لم يرو أحد غير سعد أنه رجع من فراره في أحد ، ولا رووا أنه شارك في الصلاة على شهداء أحد بعد الظهر .

كما لا يصح ما قاله سعد وصححه مجمع الزوائد (١٥٥/٩) من أن مشركاً جاءه يسب المسلمين ، فقال النبي ﷺ لسعد: «إرم فداك أبي ، قال: فنزعت بسهم ليس فيه نصل ، فأصبحت جنبه فوق وانكشفت عورته ، فضحك النبي ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه» ! ولم يقل سعد ولا الرواوي في أي معركة كان ذلك ، ولا يصح أن يكون في معركة أحد ، ولا أظنه يصح في غيرها !

كما لم يصح أنه قتل أحداً بسهم قبل فراره ، فقد قال ابن سعد (٤١/٢) عن غلام بن عبد الدار الذي حمل اللواء في أحد ، واسميه صواب: «وقال قائل: قتل سعد بن أبي وقاص ، وقال قائل: قتل علي بن أبي طالب ، وقال قائل: قتل قzman ، وهو أثبت القول» .

وقد روى ابن هشام في السيرة: ٢/٥٣٢ ، أنه قُتل يوم بدر حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة ، لكن ابن عبد البر ذكره في الأسرى (الدرر: ١١١/١) وذكره بعضهم فيمن قتلته علي عليهما السلام (المستجاد: ١/٧١) فإن صحت روايتم أن سعداً قتله ، فلا بد أن يكون رماه بسهم ولم يبرز اليه ، لأنه لم يثبت عنه أنه بارز أحداً أو شارك في قتال!

١٠. ويفكفي لإثبات بُعْن سعد أنه أحد الذين عَيَّرُهم الله تعالى بالخوف في بدر!
 قال تعالى: **أَمَّنْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ قَبْلَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيهِمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتْسَوْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا
 كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا
 لَمْ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخْرَنَتَنَا إِلَى أَجْلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ..**

قال الطبرى في تفسيره: ٥/٢٣٣: «نزلت في قوم من أصحاب رسول الله كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد... فلما فرض عليهم القتال شَقَّ عليهم!»

وفي أسباب النزول لابن حجر: ٩١٨ / ٢: «وقال مقاتل بن سليمان : نزلت في عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص وهم من بني زهرة ، وقدامة بن مظعون والمقداد بن الأسود ، وذلك أنهم استأذنوا في قتال كفار مكة لما يلقون منهم من الأذى فقال: لم أؤمر بالقتال ، فلما هاجر إلى المدينة وأذن بالقتال ، كره بعضهم ذلك ». وقال الزركشي: ٤٢٢ / ١: «هذه الإشارة للفريق الذين نافقوا من القوم الذين قيل لهم كفروا أيديكم وأقيموا الصلاة».

وفي تفسير الرازى: ١٨٤ / ١٠: «والأولى حمل الآية على المنافقين ، لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله: وَإِنْ تُصْبِهُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا أَهْلُهُو مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.. ولاشك أن من هذا كلام المنافقين.. فالمعطوف في المنافقين وجوب أن يكون المعطوف عليهم فيهم أيضاً». وروى الحاكم: ٦٦ / ٢ ، تفسيرها بابن عوف وأصحابه، وصححه على شرط بخاري وكذا النسائي: ٣ / ٦ ، والبيهقي: ١١ / ٩.

وهو يدل على وجود منافقين في مكة ، وقد ادعى رواة قريش أن المنافقين فقط في المدينة ! كما يدل على جبن هؤلاء الصحابة الكبار، ومن المؤكد أن سعداً منهم ، وأن المقداد ليس منهم ، وقد نص البخاري على موقفه الشجاع في بدر .

١١. وادعى سعد لنفسه فضيلة أنه مستجاب الدعوة، وكان يخوّف بها خصومه

فقد زعم أن النبي ﷺ دعا له أن تُنجّاب دعوته ، وأنه قال ذات يوم للنبي ﷺ: «يا رسول الله ، أدع الله أن يجيب دعوتي ، فقال: إنه لا يستجيب الله دعوة عبد حتى يطيب مطعمه . فقال: يا رسول الله أدع الله أن يطيب مطعمي ، فدعاه . قالوا: فكان سعد يتورع من السنبلة يجدها في زرعه فيردها من حيث أخذت .

وقد كان كذلك مجاب الدعوة لا يكاد يدعوا بدعاً إلا استجيب له .. روى ذلك عنه ابن كثير في النهاية (٨٢/٨) وذكر أن عمر خاف أن يدعو عليه سعد ، عندما خرجت جارية لسعد يقال لها زبراء وعليها قميص جديد فكشفتها الريح ، فشد عليها عمر بالدرة ، وجاء سعد ليمنعه فتناوله عمر بالدرة ، فذهب سعد يدعوا على عمر فتناوله الدرة وقال: إقصص مني ، فعفا عن عمر .

ثم روى له ابن كثير موارد من استجابة دعائه على أشخاص ونساء ، ثم قال: « قال محمد بن سيرين: طاف سعد على تسع جوار في ليلة! فلما انتهى إلى العاشرة أخذته النوم فاستحيت أن توقظه. وذكر أنه دفن بالبيع وقد جاوز الشهرين ، وكان ميراثه مائتي ألف وخمسين ألفاً .».

أقول: كان مصروف العائلة في ذلك الوقت ثلاث مئة درهم ، فما تركه سعد يعتبر ثروة . وقد تكون ثروته من حلال لكن ليته أوفى دينه الذي افترضه من بيت المال وكان واليه عبد الله بن مسعود !

١٢ . واقتراض سعد من ابن مسعود الوالي على بيت المال مبلغًا كبيرًا ولم يُوفِّه!
وكان سعد يعمل بالزراعة في الكوفة والمدينة ، ويلملك أراضي بالإقطاع ودوراً عديدة ، وقطعاً من الماشي والأباعر ، وقد ذكر عدداً منها عمر بن شبة في تاريخ المدينة . وفي مروج الذهب: ٣٣٣ / ٢، وابن خلدون: ٢٠٥ / ١: «ابنني سعد بن أبي وقار داره بالحقيقة ، فرفع سموكها ووسع فضاءها وجعل أعلى لها شُرُفاتٍ» .

ومع ثروته ، لم يُوف ما افترضه من بيت المال ، وشتم ابن مسعود !

فقد روت ذلك مصادر السلطة ووثقته وصححته ، كما في مجتمع الروايات (١٥٤/٩) ، أن ابن مسعود قال لسعد: «أَدَّ الْمَالُ الَّذِي قَبَلَكَ . فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ لَا رَأَى لَقِيَ مِنِي شَرًّا ! هَلْ أَنْتَ إِلَّا ابْنُ مَسْعُودٍ ، وَعَبْدُ مِنْ هَذِيلٍ ! فَقَالَ: أَجْلَ وَاللَّهِ إِنِّي لَابْنٌ مَسْعُودٍ ، وَإِنِّي لَابْنٌ حَمْنَةَ ! فَقَالَ لَهُمَا هَاشِمٌ بْنُ عَتَبٍ: إِنَّكُمَا صَاحِبَا رَسُولِ اللَّهِ يُنْظَرُ النَّاسُ إِلَيْكُمَا . فَطَرَحَ سَعْدٌ عَوْدًا كَانَ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: قُلْ قَوْلًا وَلَا تَلْعُنْ . فَسَكَتَ ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ: لَوْلَا اتقاءَ اللَّهِ لَدَعْوَتُ عَلَيْكَ دُعَوةً مَا تَخْطُؤُكَ ...».

فما عجب من إهانة سعد لابن مسعود لأنه طالبه بأداء دينه لبيت المال ! فأين عدالة الصحابة ، وأين طيب المطعم الذي هو شرط لاستجابة الدعوة ، وأين المناقب والفضائل التي ادعوها لسعد وهو غني ويأكل الحرام ، عن عمد وإصرار ، وبهين أمين المسلمين على ماهيم عندما يطالبه به !؟

وكم خلافها حتى عرَّض ابن مسعود بمحنة أم سعد ونسبة إلىبني عذر، وصار قضية في المجتمع الكوفي ، وطال أكثر من عشرين سنة ، ففي تاريخ الطبرى: ٣١١/٣: «عن الشعبي قال: كان أول ما نزع به بين أهل الكوفة وهو أول مصر ، نزع الشيطان بينهم في الإسلام أن سعد بن أبي وقاص استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالاً فأقرضه، فلما تقاضاه لم يتيسر عليه ، فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبد الله بناس من الناس على استخراج المال واستعلن سعد بناس من الناس على استئنافه ، فافتقر وبعضهم يلوم بعضاً يلوم هؤلاء سعداً ويلوم هؤلاء عبد الله». .

وواصل ابن مسعود مطالبه لأنه مسؤول عن المال ، وواصل سعد هروبه من الدفع وشتمه لابن مسعود ! ففي تاريخ الطبرى: ٣١١ / ٣: «ما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام في قرض أقرضه عبد الله إيه فلم يتيسر على سعد قضاؤه ، غضب عليهما عثمان وانتزعها (الكوفة) من سعد وعزله ، وغضب على عبد الله وأقره». ففي تاريخ الذهبي: ٣١٥ / ٣: «وقيل عزل عثمان سعداً عن الكوفة ، لأنه كان تحت دين لابن مسعود فتقاضاه واحتسبها ، فغضب عثمان من سعد وعزله» !

١٣. ويظهر أن سعداً لا يستطيع أن يعطي شيئاً أخذه، وهو طبع في بعض الناس
 ففي فتوح البلدان (٨/١): «أوجد غلاماً يقطع الحمى فضربه وسلبه فأسه ! فدخلت مولاته أو امرأة من أهله على عمر فشككت إليه سعداً فقال عمر: رد الفأس والثياب أبا إسحاق رحمك الله. فأبى وقال: لا أعطي غنيمة غنميتها رسول الله ! سمعته يقول: من وجد ثوره يقطع الحمى فاضربوه واسلبوه ! فاخذ من الفأس مسحة ، فلم ينزل يعمل بها في أرضه حتى توفى» !

والحمى: الواحة أو الأرض المحمية لرعي الخيل أو مواشي الدولة ، ولا يمكن أن يعطي النبي ﷺ حق الفوضى لكل من رأى شخصاً يقطع من شجر الحمى أن يضربه ويسلبه ! ونحن لائق بمدائح سعد لنفسه ! فالذين لاترد لهم دعوة هم أصحاب العجزات ، النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام ، وبعض الأولياء الذين لا يأكلون الحرام . وقد بحثنا ذلك في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام في المجلد الرابع من جواهر التاريخ .

٤. عينه عمر والياً على العراق ، أميراً على المثنى ، وجرير بن عبد الله البجلي :
 «وتنازع جرير والمثنى بن حارثة الإمارة ، فبعث عمر سعد بن مالك وكتب
 إليهما أن اسمعا له وأطليعا ». (تاريخ خليفة/٨٧).

وأمدده بمجموعات مقاتلة عديدة . قال ابن الأعثم: ١٣٧ / ١: «ثم دعا سعد بن أبي
 وقاص فقال: يا سعد بني وهب، إن الله تبارك وتعالى إذا أحب خلقاً حبه إلى
 خلقه، وأنا موجهك إلى أرض العراق لتكون أميراً على جميع من قدم عليه،
 فسر وقل لا حول ولا قوة إلا بالله ، واعلم أني لست أترك أحداً يطبق حمل
 السلاح إلا وجهت به إليك ، وأنا أرجو أن يفتح الله على يديك.

ثم جمع له عمر من كل أوب حتى صار سعد في سبعة آلاف ، ثم سار حتى نزل
 بموضع يقال له شراف ، وجعل عمر لا يقدم عليه أحد إلا وجه به إليه ، فكان
 أول من قدم عليه عمرو بن معد يكرب الزبيدي في زهاء خمس مائة رجل ،
 وطليحة بن خويلد الأسدية في ثمان مائة فارس ، وشرحبيل بن السمط الكندي
 في سبع مائة راكب ، وفرات بن حيان العجلي في سبع مائة راكب ، والمغيرة بن
 شعبة في ثلاثة مائة راكب ، وعاصم بن عمرو التميمي في أربع مائة راكب ،
 وعاصم بن زراة التميمي في ست مائة راكب ، وخثيم بن عبد الله السلمي في
 ألف راكب ، والمكشوح المرادي في أربع مائة راكب . قال: وصار إليه جرير بن
 عبد الله البجلي في ست مائة راكب من بجيلة ».

٥. ورأى المسلمين في الكوفة أن سعداً لا يقاتل في المعارك! ولا يهتم بمشاكل
المسلمين ، فهو مشغول بالصيد والقنص ، وقد بنى قصراً في الكوفة ! فشكوه إلى

عمر ، فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة فسألهم عنه فقام: «رجل يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة فقال: أما إذ ناشدتنا ، فإن سعداً لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في الرعية ، ولا يغزو في السرية ». (النهاية: ٧/١٢١).

وفي تاريخ اليعقوبي (١٥٥/٢): «ثم إن أهل الكوفة شكوا سعداً وقالوا: لا يحسن يصلى ، فعزله عمر عنهم ».

وفي الأخبار الطوال / ١٢٩: «وأقام سعد أميراً على الكوفة وجميع السواد ثلاث سنين ونصفاً ، ثم عزله عمر ، وولى مكانه عمّار بن ياسر على الحرب ، وعبد الله بن مسعود على القضاء ، وعمرو بن حنيف على الخراج ».

وفي الطبرى: (٢٠٩/٣): «قال سعد: إني لأول رجل أهرق دماً من المشركين .. وبنو أسد ترعم أي لا أحسن أصلي ، وأن الصيد يلهبني ! يقصد أنه أول من رمى سهماً ، فجرح مشركاً . وكان ذلك كما زعم سعد: «في السرية التي خرج فيها مع عبيدة بن الحارث في ستين راكباً ، وهي أول السرايا بعد الهجرة ». (فتح الباري: ١١/٤٧).

وقال خليفة في تاريخه / ٣٣: «ولم يك بينهم قتال ، غير أن سعد بن مالك رمى يومئذ سهم ، فكان أول سهم رمي به في الإسلام».

لكن ابن عبد البر قال في الإستيعاب (٢/٧٧٢): «ويقال طلیب بن عمیر أول من أهرق دماً في سبيل الله ، وقيل بل سعد بن أبي وقاص ». و حتى لو كان سعد أول من رمى سهم ، فهذا لا يمنع أنه كان في الكوفة مغرماً بالصيد ، مشغولاً به عن المسلمين كما اتهموه .

ويدل على سوء إدارة سعد أنه بنى قصرًا في الكوفة ، وكان يحتجب به عن المسلمين ، فأرسل عمر من أحرقه ! قال سيد سابق في فقه السنة (٢/٥٩٠): «وحرقَ (عمر) قصر سعد بن أبي وقاص بالكوفة ، لما احتجب فيه عن الرعية». وعمدة القاري: ١٤، والإصابة: ٦، والوافي: ٥، ٢٩، ٢٩.

وقد نص البيعقي (١٥٥/٢) على أن شركاية أهل الكوفة لسعد كانت في أول تحشيد الفرس لمعركة نهاوند ، فسكن سعد المدينة وانشغل ببناء قصره ، ولم يشارك في شيء من أمر نهاوند . وولى عمر بدله عمار بن ياسر نحو ستين ، فقام عمار رضي الله عنه بالإعداد لمعركة نهاوند ، وشارك فيها . (البلاذري: ٣٤٣/٢).

١٦. وتعجب من عمر فقد كان رأيه سلبياً في سعد، ومع ذلك ولاه ودافع عنه!

فقد رروا عن عمر بسند معتبر عندهم أنه طعن في سعد عندما سأله ابن عباس عنمن يرشحه للخلافة بعده ، ففي شرح النهج: ١٢/٢٥٩، والشافي للمرتضى: ٤/٢٠٢: «عن ابن عباس قال: قال عمر: لا أدرى ما أصنع بأمة محمد ﷺ، وذلك قبل أن يطعن، فقلت: ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه عليهم؟ قال: أصحابكم يعني علياً؟ قلت: نعم والله هو لها أهل ، في قرابته من رسول الله ﷺ وصهره وسابقته وبلائه . فقال عمر: إن فيه بطالة وفكاهة. قلت: فأين أنت عن طلحة؟ قال: فأين الزهو والتخوة! قلت: عبد الرحمن؟ قال: هو رجل صالح على ضعف فيه (أمره في يد أمراء) قلت: فسعد؟ قال: ذاك صاحب مقنب (البَرِّ) وقتل، لا يقوم بقرية لو حمل أمرها . قلت: فالزبير؟ قال: وعقة لقنس (متضجر سى الخلق) مؤمن الرضى كافر الغضب».

وفي تذكرة ابن حمدون: ٣/١١٠، وثغر الدر: ١/١١٦، وشرح النهج: ١/١٨٦، أن عمر خاطب الذين رشحهم للخلافة وشهد أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض فأعطي حق التقضي لعبد الرحمن بن عوف ، وأمر أن يقتل من خالف منهم ، ثم وبخهم: «ثم أقبل على سعد فقال: إنما أنت صاحب قنص وقوس وأسهم ، ومقتب من المقائب ، وما زهرة والخلافة وأمور الناس! ثم أقبل على علي بن أبي طالب ، فقال: لله أنت لولا دعابة فيك، أما والله لو وليتهم حملتهم على المحجة البيضاء والحق الواضح ، ولن يفعلوا».

ومع ذلك رشح سعداً للخلافة، وأوصى كما في فتح الباري (١٣/١٥٧، و٧/٤٥): «لم أعزله لضعف ولا لخيانة.. وأوصى عمر من يلي الخلافة بعده ، أن يولي سعداً».

أقول: السبب الحقيقي لتمسك عمر بسعد هو السبب لتمسكه بسالم مولى حذيفة وبأبي عبيدة ، وإعلانه قبل موته بأنه لو كان أحد هما حياً لههد اليه بالخلافة ، مع أن سالماً عبد فارسي ! فقد كان سعد عضواً قدرياً في قادة الحزب القرشي الذين اتفقوا من بعد فتح مكة ، وعملوا لأخذ خلافة النبي ﷺ وإبعاد أهل بيته عنها .

وقد ورد إسم سعد في البعثة عشر أصحاب ليلة العقبة ، الذين هموا بها لم يبالوا في رجوع النبي ﷺ من تبوك . ورواه ابن حزم بسنده موثق ولا يتسع له مجالنا .

١٧. كما صادر عمر من ولاته نصف ثرواتهم ، وبعث إليهم بر رسالة موحدة:
 «أما بعد فإنكم معشر العمال تقدمتم على عيون الأموال ، فجيبيتم الحرام ، وأكلتم الحرام ، وأورثتم الحرام ! وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصاري فيقاسمك مالك ، فأحضره مالك والسلام ». (كتب العمال: ٥/٨٥٣).

وفي تاريخ اليعقوبي: ١٥٧/٢: «قيل إن منهم سعد بن أبي وقاص عامله على الكوفة وعمرو بن العاص عامله على مصر ، وأبا هريرة عامله على البحرين ». .

١٨. كانت مشكلة سعد أنه رأى نفسه كبيراً، لأن عمر جعله أحد أعضاء الشورى الستة الذين يصلحون للخلافة ! مع أنه كان يرى أن علياً عليه السلام أحقهم بها ، لكنه قرر أن لا يباعه ويتنظر لعل الفرصة تأتيه ، وكذلك لم يباع معاوية ولم يعترض به خليفة ، ودخل عليه وقال: السلام عليك أيها الملك.. الخ.

وقد كتب له معاوية في زمن علي ليكون إلى صفته ، فأجابه: (أما بعد فإن عمر لم يدخل في الشورى إلا من تحمل له الخلافة من قريش ، فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا بإجماعنا عليه ، ألا إن علياً كان فيه ما فينا ، ولم يكن فينا ما فيه ، وهذا أمر قد كرهت أوله ، وكرهت آخره ، فاما طلحة والزبير فلو لزما بسوتها لكان خيراً لها ، والله يغفر لام المؤمنين ما أنت والسلام). (شرح النهج: ٣/١١٤، و تاريخ اليعقوبي: ٢/١٨٧، وصفين لابن مراحـ /٧٤، وأورد شرعاً في رسالة معاوية وجواب سعدـ. والإمامـة والـسيـاسـة: ١/٩٠، وفيـه: غـيرـ أنـ عليـاـ كانـ منـ السـابـقةـ وـلمـ يـكنـ فيـناـ ماـ فيهـ، فـشارـكـناـ فيـ مـحـاستـناـ وـلمـ نـشارـكـهـ فيـ مـحـاسـتهـ، وـكانـ أحـقـنـاـ كلـنـاـ بـالـخـلـافـةـ وـلكـنـ مـقـابـدـيـ اللهـ تـعـالـيـ التيـ صـرـفـهـاـ عـنـهـ. وجـواـهـرـ المـطـالـبـ لـابـنـ الدـمـشـقـيـ: ٢/٣٦ـ، وفيـهـ: غـيرـ أنـ عليـاـ كانـ فيـناـ ماـ فيهـ وـلمـ يـكنـ فيـناـ ماـ فيهـ، وـلوـ لمـ يـطلـبـهاـ وـلـزـمـ بـيـتهـ لـطـلـبـهـ الـعـربـ وـلـوـ بـأـقـصـيـ الـيـمـنـ). .

ولا يغرك ما يرويه سعد في فضل أمير المؤمنين عليه السلام وما يشهد على نفسه في حقه كقوله: «قال أما بعد فإن علياً لم يسبقه أحد من هذه الأمة من أولها بعد نبيها ولن يلحق به أحد من الآخرين منهم ». (تاريخ دمشق: ١٣/٢٧٥).

فقد كان مع ذلك يبغض علياً عليه السلام حسداً ويريد الخلافة لنفسه! فاعتزله ولم

بياعه ولم ينصره ، ولم يتتفع بتحذير أمير المؤمنين عليهما الله ولابنه عمر بن سعد قاتل الحسين عليهما الله ! فقد «كان عليهما الله يخطب الناس وقال: سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله ما تسألوني عن شئ مضى ولا شئ يكون إلا نأيكم به ، قال فقام إليه سعد بن أبي وقاص وقال: يا أمير المؤمنين: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة ؟ فقال له: والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله عليهما الله أنك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس ، وإن في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني ! وعمر يومئذ يدرج بين يدي أبيه » ! (كامل الزيارات/ ١٥٥ ، وأمال الصدق/ ١٩٦ ، وخصائص الأنفة/ ٦٢ ، والاحتجاج/ ١: ٣٨٩).

ولم يتتفع سعد بن وقاص لدنياه أيضاً باعتزالة عن علي عليهما الله وعاوية ، فقد قتله معاوية بالسم ، في سنة قتله للإمام الحسن عليهما الله ! والله في خلقه شؤون .

١٩ . ورووا أن سعداً كان جريئاً على معاوية ، يواجهه بأنه ملك وليس خليفة ،

ففي مصنف عبد الرزاق (٣٩١ / ١٠): «دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية فقال: السلام عليك أيها الملك ! فقال معاوية: فهلا غير ذلك ، أنت المؤمنون وأنا أميركم ، فقال سعد: نعم ، إن كنا أمنراك ، قال: فقال معاوية: لا يبلغني أن أحداً يقول: إن سعداً ليس من قريش إلا فعلت به و فعلت !

وهو يقصد الطعن في نسب سعد ، وأنه ليس من قريش !

وروى البيعوي: ٢/ ٢١٧ ، قول سعد: «ذاك إن كنا أمنراك ، إنما أنت مُتَّرِّزْ أي قافرْ مفتتصب للخلافة . ورواه ابن عساكر في تاريخه (١٧ / ٣٢٤) ، والأزدي في الجامع: ٣٩٠ / ١٠ ، وابن حنبل في فضائل الصحابة: ٩٨٨ / ٢ ، والبلاذري في أنساب الأشراف / ١١١١ ، والقصول المهمة: ٢/ ٧٣٣ ، والنصائح الكافية / ١٩٥ .

وفي الكامل لابن الأثير: ٤٠٩/٣: «لما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه سعد بن أبي وقاص فقال: السلام عليك أيها الملك . فضحك معاوية وقال: ما كان عليك يا أبا إسحاق لو قلت يا أمير المؤمنين . فقال: أتقوها جذلان ضاحكاً والله ما أحب أباً وليتها بها وليتها به». أي أخذتها بالقهر بغير حق، أما هو فيريدها بحق ! وقد حاول معاوية استئثاره في زمن علي عليه السلام وبعد فرضي سعد ، وكتب ذات مرة إلى معاوية: «أما بعد فإن عمر لم يدخل في الشورى إلا من تحمل له الخلافة من قريش ، فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا بإجماعنا عليه ، إلا إن علياً كان فيه ما فينا ولم يكن فيما فيه ، وهذا أمر قد كرهت أوله وكرهت آخره ، فأمام طلحة والزبير فلو لزما بيتهما لكان خيراً لها ، والله يغفر لأم المؤمنين ما أنت: والسلام». (شرح النهج: ١١٤/٣، واليعقوبي: ١٨٧/٢، والإمامية والسياسة: ١: ٩٠).

٢٠. زعم سعد أنه أحق بالخلافة ، ولذلك قرر عدم بيعة على عليه السلام ولا معاوية ،
وأن يتظر في قصره بالحقيقة. قال البلاذري في أنساب الأشراف /٣٤٤: «قال سعد بن أبي وقاص: أنا أحق الناس بهذا الأمر لم أشرك في دم عثمان ، ولم أحضر شيئاً من هذه الأمور الفتنة». لكن لم ينفعه انتظاره حتى تجاوز الشهرين ولا اعتزاله . فقد قتله معاوية بالسم ليزيجه من طريق يزيد . (عدمة القاري: ٦/٥).

قال علي بن الحسين البهقي الشافعي المتوفى ٤٨٣ في كتابه لباب الأنساب /٤٠: «وأمر والي المدينة سعيد بن العاص حتى سقاهم السم ، مع سعد بن أبي وقاص وجماعة من المهاجرين ، فمات الحسن مسموماً بعد يومين وسعد بن أبي وقاص في يومه».

وفي الاستيعاب: ٦٠٩/٢: «وكان سعد من قعد ولزم بيته في الفتنة وأمر أهله ألا يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة على إمام ، فطمع فيه معاوية وفي عبد الله بن عمر و محمد بن مسلمة ، وكتب إليهم يدعوهم إلى عونه على الطلب بدم عثمان ويقول لهم لا يُكَفِّرُونَ ما أتوه من قتلته وخذلانه إلا بذلك ، ويقول إن قاتله وخاذله سواء ، في نثر ونظم كتب به إليهم تركت ذكره . فأجابه كل واحد منهم يرد عليه ما جاء به من ذلك ، وينكر مقالته ويعرفه بأنه ليس بأهل لما يطلب . وكان في جواب سعد بن أبي وقاص له:

معايير داؤك الداء العياء	وليس لاتجئ به دواء
أيدعني أبي حسن علي	فلم أردد عليه ما يشاء
وقلت له اعطنني سيفاً بصيراً	تميز به العداوة واللواء
فإن الشر أصغره كبير	وإن الظهر تقلبه السداداء
أتطمئن في الذي أعيه علياً	على ما قد طمعت به العفاء
ليوم منه خير منك حباً	ومتى أنت للمرء الفداء
فاما أمر عثمان فدعه	فإن الرأي أذهبه البلاء

قال أبو عمر: سئل علي رضي الله عنه عن الذين قعدوا عن بيعته ونصرته والقيام معه؟
 فقال: أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل .

٢١. وكان معاوية يرى أن الذنب ليس ذنب سعد ، في طموحة غير المشروع

للخلافة، بل ذنب عمر بن الخطاب الذي جرأ قبائل قريش علىبني عبد مناف ! قال في تاريخ دمشق: ١٩٧/١٩: «أرسل معاوية إلى حضين بن المنذر الذهلي ، فدعاه وأدناه حتى كان قريباً منه ، ثم أجلسه وألقى تحته وسادة ، ثم قال له

معاوية: بلغني أن لك عقلاً ورأياً وعلماً بالأمور ، فأخبرني ما فرقَ بين هذه الأمة ومن سفك دمائها وشق عصاها وفرق ملأها؟ قال: قتل أمير المؤمنين عثمان . قال: ما صنعت شيئاً . قال: مسیر علي إلى عائشة وطلحة والزبير ، ومسیر علي إليك وقتالكم بصفين ، والذي كان بينكم من سفك الدماء والاختلاف ! قال: ما صنعت شيئاً ! قال: فأخبرني يا أمير المؤمنين ! فحمد الله معاوية ثم قال: إن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، فدعا الناس إلى الإسلام فعمل رسول الله بكتاب الله عز وجل حتى قبضه الله وعصمه بالوحى ، ثم استخلف المسلمين أبا بكر فكان أفضل من تعلم وتعلمون ، فعمل أبو بكر بكتاب الله وسنة رسوله حتى قبضه الله إليه ، ثم استخلف أبو بكر على المسلمين عمر ، فعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة أبي بكر حتى أصاب عمر من قضاء الله ما أصابه ، فخيرَ بين سنته فجعلها شورى ولم يجُب إلا بجعلها بينهم ، وكانوا خير من تعلم على الأرض ، فلما جلسوا لها وتنازعوها دعا كل رجل منهم إلى نفسه ، فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها ويستخلف؟ فأبى القوم وكان أزدهم فيها فقلدوها إياه فاستخلف عثمان ! فما زال كل رجل من أهل الشورى يطمع فيها ويطمع له فيها أحبابهم ، حتى وثوا على عثمان فقتلوه ، واختلفوا بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً ! فهذا الذي سفك دماء هذه الأمة وشق عصاها وفرق ملأها ! انتهى . فاعجب لمعاوية كيف لا يقول لعمير شكرأ لك لترتيبك الأمر لبني أمية ، بإعطائي حكم الشام ، ثم بترتيب الشورى وحق النقض لصلحة عثمان !

فبدل أن يشكره يرى أن عمر أحسن الخراب لأنه أشرك غيرهم معهم ولو في شورى شكلية ، فسبّ ذلك طمع أعضاء الشورى من غير بني أمية !

واعجب لضعف عمر العدوبي أمام أبي سفيان ومعاوية ، فقد نصب معاوية نفسه بعد موت أخيه فواق عمر عليه ! ولم يسمع لاعتراض الصحابة على حداثة سنّه ! (تاريخ دمشق: ٨٦ / ٥٩، وسیر الذہبی: ١٢٦ / ٣).

٢٢. ومن ضعف شخصية سعد أنه كان يتقرب إلى معاوية ، ويدعى أنه حاول نصرة عثمان! فقد روى عمر بن شبة في تاريخ المدينة (٤ / ١٢٢٣): « قال سعد: أرسل إليَّ عثمان وهو محصور يشكُّو إلَيَّ ما هو فيه ، فأخرج فأجد علَيَا قاعداً في المسجد في حجره سيف في غمد أحمر ، فجلست إليه ووضعت ركبتي على ركبته وجعلت ذكره الله وأقول: إن ابن عمك مقتول ! فقال: ما أنا من هذا في شيء . فلما كثُرت عليه وضع يده على أربertia فعركتها ، وقال...». انتهى.

أقول: في نسخة الكتاب بياض قدر ثلث سطر ، فقد حذفوا جواب علي عليه السلام لأنَّه شديد بزعمهم ضد عثمان ! وبذلك يقول سعد حاولت أن ينصره علي لكنه أبي ! لكن أين كان سعد نفسه وقوسه وسيفه ، ولماذا لم ينصره ؟!

فقد روى الطبرى (٤٠٦ / ٣) عن محمد بن مسلمة قال: « قالوا إنطلقا معنا إلَيْه ، فقد كلمنا علَيَا ووعدنا أن يكلمه إذا صلَّى الظهر ، وجئنا سعد بن أبي وقاص فقال: لا أدخل في أمركم . وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال مثل هذا» .

٢٣. وأراد معاوية أن يبايع بعده لابنه يزيد فاعتراض عليه سعد وكثيرون ، فقتل مجموعة بالسم منهم سعد ، ليزج بهم من طريق يزيد .

قال في البدء والتاريخ: ٨٥ / ٥: «روى شعبة أن سعداً والحسن بن علي ماتا في يوم واحد قال: ويرون أن معاوية سمهما ». ونحوه أنساب الأشراف للبلاذري: ٤٠٤ / ١.

وفي مقاتل الطالبيين/ ٤٨: «وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد ، فلم يكن شئ أثقل من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص ، فدسَّ إليهما سهَّاً فهاتا منه». وفي لباب الأنساب والألقاب للبيهقي / ٤٠: «أمر والي المدينة سعيد بن العاص حتى سقاه السم مع سعد بن أبي وقاص وجماعة من المهاجرين ، فمات الحسن رضي الله عنه مسموماً بعد يومين ، وسعد بن أبي وقاص في يومه ». انتهى . والبيهقي هذا: علي بن زيد البيهقي الشافعي توفي ٥٦٥ وهو عالم مشهور له مصنفات أدبية وتاريخية وهندسية . (راجع: إيضاح المكنون ١: ١٥٤ ، والذرية: ٢٧٧/ ١٨) وهو غير البيهقي المشهور صاحب السنن ، واسمه علي بن الحسين البيهقي ، توفي ٤٨٣ . وفي الأحاديث المثنوي للضحاك: ١٦٩: «ومات سعد بن أبي وقاص بالعقيق (في قصره) وحمل فدنه بالمدينة ، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة ».

٢٤. بلغ من اهتمام سعد بأولاده أنه أحضر لهم من العراق معلمًا نصريانياً خاصاً
قال البلاذري في أنساب الأشراف / ٢٩٤ ، والفتح: ٥٨٣/٣: «وكان عبيد الله بن عمر الخطاب لما قتل أبوه اتهم الهرمزان ورجلًا من أهل الخيرة نصريانياً ، كان سعد بن أبي وقاص أقدمه المدينة معه فكان يعلم ولده والناس الكتاب والحساب ، يقال له جفينة... وكان جفينة ظثراً لسعد بن أبي وقاص ». أي أرضعت سعداً أم جفينة . (والطبرى: ٣٠٣/٣ ، وفتح البلاذري: ٥٨٣/٣ ، والطبقات: ٣٥٦/٣ ، وفيه: من نصارى الخيرة وكان ظثراً لسعد بن أبي وقاص أقدمه المدينة للملحق الذي كان بينه وبينه .

٢٥. وقد ورث سعد طموحة للخلافة إلى أولاده ! فشار ابنه محمد مع ابن الأشعث على عبد الملك ، وهزمهم الحجاج وأسرهم . قال ابن الأعثم (١٠٢/٧):
 «فقدم بالأسارى على الحجاج ، والحجاج يومئذ بواسط العراق ، فأول من قدم

إليه محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وقد كان يلقب بظل الشيطان من طوله، فلما رأاه الحجاج قال: يا ظل الشيطان! كيف رأيت صنيع الله بك؟ ثم التفت الحجاج إلى جلسائه فقال: إن هذا رغب عن يزيد بن معاوية وزعم أنه أحق بالأمر منه ، يتشبه بالحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، ثم ما زال يركض في الفتن إلى أن تبعه حوالي كندة وصار مؤذناً للظالمين . فقال محمد بن سعد: أيها الأمير إنك قد ظفرت، فإن تعف فقد أمر الله عز وجل بالعفو وإن تقتل فقد قدرت». فقتله الحجاج.

نسبوا النصر إلى سعد الهارب من قيادة حبيشه !

إذا تتبع البطولات التي ذكروها لسعد بن أبي وقاص ، تجدها من نوع بطولات خالد بن الوليد ، من اختراعه ونشر رواة الحكومات ، الذين هم كوكالة الأنبياء في عصرنا ، لأنه كان مواليًا لأبي بكر وعثمان ! لكن سعدًا أقل ادعاء من خالد ، فخالد يقول إنه دُقَّ تسعة أسياف في مؤته ، وسعد لم يدع أنه دُقَّ تسعه أسياف في بدر ، ولا خمسة في القادسية ! ففي ولاته على الكوفة كانت معركة القادسية ولم يشارك فيها ! وكان بعدها فتح المدائن وجلولاء وغيرها ، ثم معركة نهاوند الكبرى ، ولم يقاتل سعد في أيّ منها ! لكن الدعاية الحكومية قالت إنه قائد فتح العراق ، وقسم من إيران ! وقال ابن حبان في ثقاته: ٢١٠ / ٢: «وكان الناس قد أجبينا سعدًا وقالوا: أجبنت عن محاربة الأعداء ، فاعتذر إلى الناس ، وأراهم ما به من القرروح في فخذه ، حتى سكت الناس » !

أقول: لكن الناس لم يسكنوا ، وهجوه بقصائد ، بل لم يستطع سعد أن يقنع زوجته سلمى بتبرير هروبه ! فعندما رأت المسلمين منهزمين والخيل هاربة ، وسعده جالس في قصره بحججة أن في فخذه دَمَّلاً ويصعب عليه ركوب الفرس ، صاحت سلمى: وامثنية ، مَنْ للخيل يقودها ويردّها إلى المعركة ! فقد تذكرت بطولات زوجها البطل المثنى بن حارثة رضي الله عنه .

وقال المتعصبون لسعد: « طلع بجسده طلوعٌ منعه من الركوب ، فاشتد القتال يوماً فأشرفت سلمى من القصر فقالت: وامثناه ولا مثنى اليوم للخيل ! فلطمها سعد وقال: أين المثنى؟! فقالت: أغيرةٌ وجُبناً ! فقال سعد: ما يعذرني أحد إذا لم تعذرني ، وأنت ترين ما بي » ! (الإصابة لابن حجر: ٨/١٨٣).

وفي فتوح البلاذري (٢/٣١٦): « وكان مقيهاً في قصر العذيب ، فجعلت امرأته وهي سلمى بنت حفصة من بنى تميم بن ثعلبة ، امرأة المثنى بن حارثة ، تقول: وامثنية ولا مثنى للخيل ، فلطمها. فقالت: يا سعد ، أغيرةٌ وجُبناً !

وقال الطبرى (٣/٥١): « فلما رأت ما يصنع أهل فارس قالت: وامثنية ولا مثنى للخيل اليوم ! هي عند رجل قد أضجره ما يرى من أصحابه وفي نفسه ، فلطم وجهها وقال: أين المثنى من هذه الكتبة التي تدور عليها الرحب ، يعني أسدًا وعاصمًا وخيله ، فقالت: أغيرةٌ وجُبناً (فذهبت مثلًا) ! قال: والله لا يعذرني اليوم أحد إذا أنت لم تعذرني وأنت ترين ما بي ، فتعلقها الناس. فلما ظهر الناس لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه. وكان غير جبان ولا ملوم ». ونحوه الكامل: ٢/٤٧٣.

وفي معارف ابن قتيبة /٤٨: «فقالت: القوم أقرانٌ ولا منشى لهم! فلطم سعد عينها». وفي التذكرة الحمدونية (١/٢٧١): «فقالت: أَفْ لِكَ ، أَجْبَنَا وَغَيْرَةً! وَكَانَتْ مَغَاضِبَةً لِسَعْدِ عَشِيشَةِ أَرْمَاثَ ، وَلِيلَةِ الْهَدَأَةَ ، وَلِيلَةِ السَّوَادِ ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ أَنْتَهُ وَصَالِحَتْهُ». لسعد عشية أرماث ، وليلة الهدأة ، وليلة السواد ، حتى إذا أصبحت أنته وصالحته».

أقول: أخذتها الغيرة هزيمة المسلمين ، وتذكرت شجاعة المشنى ، وهي ترى جبن سعد ! وهي أدرى به من غيرها ، فلو كان عذرها مقبولاً لما رمته بالجبن ! ويؤيد ذلك رواية الطبرى: «فتعلقها الناس ، فلما ظهر الناس لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه» أي تعلق الناس بكلمة زوجته ، واحتجوا عليه بشهادتها بأنه جبان ! كما يؤيدها أنها غضبت عليه وهجرته يومين ، وكانا حدثى عهد بزواجهما ، فقد تزوج بها تلك الأيام بشرف ، ثم نزل بها القادسية . (الطبرى: ٣/٥١).

وقد أخفت الحكومة أكثر الشعر في جبن سعد ، مع أنه من وثائق القادسية ! ومن بقاياه في الطبرى: (٤/٢٩١) ومعجم البلدان (٤/٨١): «وقاتل المسلمون يومئذ وسعد في القصر ينظر إليهم فتنسب إلى الجبن ، فقال رجل من المسلمين: «ألم ترَ أنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ نَصْرَهُ وَسَعَدَ بِبَابِ الْقَادِسِيَّةِ مُعْصِمًا فَأَبْنَا وَقَدْ آمَتْ نِسَاءَ كَثِيرًا وَنَسْوَةَ سَعَدَ لِيْسَ فِيهِنَّ أَيْمُّ» وقال بشر بن ربيعة في ذلك اليوم:

وقد جعلت أولى النجوم تغور	أَمَّ خِيَالَ مِنْ أَمِيمَةِ مُوهَنَّا
حجازية ، إن المحل شطير	وَنَحْنُ بِصَحْرَاءِ العَذِيبِ وَدُونَنَا
جواد ومفتوق الغرار طرير	فَزَارَتْ غَرِيبًا نَازِحًا جَلَّ مَالَهِ
وسعد بن وقاص علي أمير	وَحَلَّتْ بِبَابِ الْقَادِسِيَّةِ نَاقِيَّ
باب قديس والمكر ضرير	تَذَكِّرْ هَدَاكَ اللَّهُ وَقَعْ سَيْوَنَنَا

عشية ود القوم لو أن بعضهم
يُمار جناحي طائر فيطير
إذا برزت منهم إلينا كتيبة
أتونا بآخرى كالجبلال ثور
فضاربتهم حتى تفرق جعهم
وطاعنت إني بالطعن مهير
وعمره أبو ثور شهيد وهاشم
وقيس ونعمان الفتى وجرير».

وقال جرير بن عبد الله البجلي كما في النهاية: ٥٣

«أنا جرير وكنيتي أبو عمرو قد فتح الله وسعد في القصر».

وقد حاول المتعصبون لسعد إلى يومنا أن يدافعوا عنه بأنه مريض معذور ، وقد
ذموا زوجته لأنها وصفته بالجبين !

قال ابن كثير في النهاية (٧/٤٤ و ٥٢): «فقالت: أَغْيِرْهُ وَجِبْنَا! يَعْنِي أَنَّهَا تُعَيِّرُهُ
بِجُلُوسِهِ فِي الْقَصْرِ يَوْمَ الْحَرْبِ! وَهَذَا عَنَادُهُمْ، فَإِنَّهَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِعَذْرَهُ، وَمَا
هُوَ فِيهِ مِنْ مَرْضٍ مُّلَائِعٍ مِّنْ ذَلِكِ.. إِنْ سَعَدَا كَانَ بِهِ قَرْوَهُ وَعَرْقُ النِّسَاءِ فَمَنْعَهُ
مِنْ شَهَادَتِ الْقَتْلِ، لَكِنَّهُ جَالِسٌ فِي رَأْسِ الْقَصْرِ يَنْظُرُ فِي مَصَالِحِ الْجَيْشِ، وَكَانَ مَعَ
ذَلِكَ لَا يَغْلِقُ عَلَيْهِ بَابَ الْقَصْرِ لِشَجَاعَتِهِ! وَلَوْ فَرَّ النَّاسُ لِأَخْذِتِهِ الْفَرْسُ قَبْضًا
بِالْيَدِ لَا يَمْتَنِعُ مِنْهُمْ».

فقد صار ابن كثير من تعصبه طيباً وفحصن سعداً وأعطاه شهادة طيبة ، ثم
صار جغرافياً فجعل قصر العذيب في القدسية ، مع أن الحموي قال في معجم
البلدان (٤/٩٢): «بيته وبين القدسية أربعة أميال».

وقال الطبرى في تاريخه (٣/٧٦): «قادس قرية إلى جانب العذيب ، فنزل الناس بها ،
ونزل سعد في قصر العذيب».

«ومن القادسية إلى العذيب وهي أول خط البادية ستة أميال». (الإدريسي: ٣٨٣/١)

«وكان بين موضع الواقعة ما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة ، فإذا حمل الجريح وفيه تميز وعقل ونظر إلى تلك النخلة .. قال لحامله: قد قربت من السواد ، فأرجيوني تحت ظل هذه النخلة». (مروج الذهب للمسعودي: ٣١٧/٢)

ثم جعل ابن كثير سعداً شجاعاً لأنه ترك باب قصره مفتوحاً ! مع أن القصر خلف جيش المسلمين بمسافة ، ولذا أرسل رستم قوة ليقتلوا سعداً ، فاستغاث بالمسلمين ، فأرسلوا قوة لحمايته وعطلوها عن المعركة !

قال البيعقي (١٤٤/٢): «وكان سعد يومئذ عليلاً فصار إلى قصر العذيب فنزله وتحصن فيه ، فبلغ رستم فوجه خيلاً فأحدقت بالقصر ، فلما بلغ المسلمين ذلك صاروا إلى القصر».

ولا أدري ما هو الموجب لتصديق سعد دون زوجته إلا التعمّص ، فكيف يتهمونها بعذاته وقد اختارت بعده وفاة زوجها المثنى ، وفضوله على إخوة المثنى وفرسانه ، وهم أفضل من سعد وأجل.

ويؤيد رأي سلمى غياب سعد عن كل المعارك في فتح العراق وإيران ! فهل كانت تخرج بفخذه دملة عند كل معركة ، ولسنوات طويلة ؟!

وأين كان سعد عندما دهم الخطر المسلمين ، وتمجمع الفرس في نهاوند بمائة وخمسين ألف جندي ، ثم كانت معركة نهاوند العظيمة التي سهاها المسلمون فتح الفتوح ، ولم يكن لسعد فيها دور سوى أنه نفذ ما أمره به عمر من إرسال ثلث قوات الكوفة إلى المعركة ، فأرسلها ، ثم ذهب إلى المدينة وبدأ ببناء قصره !

وكيف نشط وشفى من الدمامل وذهب الى المدائن بعد أن فتحها المسلمين وأخذ يجمع الأموال ، وأرسل المرقال في قيادة الجيش الى خاقانين أو جلواء ! ولما انتصروا في جلواء أرسلوا اليه ليحضر فلم يحضر حتى غضب المسلمين ، فشفى من الدمامل ووكل سليمان الفارسي بالأموال وذهب كالمبر ، ثم رجع !

قال ابن الأعثم في الفتوح (٢١٦/١): «ورحل المسلمون من جلواء إلى خاقانين فنزلوها يومهم ذلك ، ثم رحلوا منها إلى قصر شيرين فنزلوها ، وكتبوا إلى سعد بن أبي وقاص يستأذنونه في التقدم إلى حلوان ، ويحشونه على المصير إليهم ليكون لهم ملجاً وسندًا يلجؤون إليه ويشاورونه في أمورهم ، وقد كان سعد علياً فتباطأ عنهم ولم يصر إليهم ، وكتب إليهم يأمرهم بالتقدم إلى حلوان ! قال: فغضب المسلمين لقعود سعد عنهم وإبطائه عن نصرتهم ، ثم أنشأ إبراهيم بن حارثة الشيباني يقول في ذلك:

أما بال سعد خام عن نصر جيشه
لقد جئت يا سعد ابن زهرة منكرا
وأقسم بآلة العلي مكانه
لوان الثنى كان حياً لأصhra
وقاتل فيها جاهداً غير عاجز
وطاعن حتى يحسب الجنون أحرا
يريد بما يبلي الشواب الموفر
كشداته يوم الجليلة معلماً
وضارب بالسيف الحسام مقدماً
ولكن سعداً لم يرد أجر يومه
ولم يأتنا في يوم بأس فيعنرا

قال: فبلغت سعداً هذه الآيات فكانه تحرك للمسير على عنته ، ثم دعا سليمان الفارسي فاستخلفه على المدائن وأوصاه بحفظ الغنائم ، وصار فيمن معه من أصحابه حتى لحق بال المسلمين ، وهم يومئذ نزول بقصر شيرين فنزل معهم

يومهم ذلك . فلما كان من غدنادى في الناس بالرحيل إلى حلوان ، فرحل ورحل الناس معه ، وبلغ ذلك من شهر بن هرمزان المقيم بحلوان ، فخرج عن حلوان هارباً حتى لحق بيزدجرد وهو في جم أصحابه .

وأقبل سعد بن أبي وقاص وعلى مقدمته جرير بن عبد الله البجلي ، حتى دخل (جرير لا سعد) حلوان ، فأنشأ عبد الله بن قيس الأزدي يقول :

فأبلغ أبا حفص بأن خيولنا	بحلوان أضحت بالكماء تجمجم
ونحن دهنها صباحاً بفييق	جرير علينا في الكتبة معلم
ونحن أبدنا الفرس في كل موطن	بجمع كمثل الليل والليل مظلوم
نقاتل حتى أنزل الله نصره	وسعد بباب القادسية معصم
فأبا وقد أيمت نساء كثيرة	ونسوة سعد ليس فيهن أسم
أولئك قومي إن سمعت بمعشرى	وموضع أيسارى إذا نيل مغنم».

وفي فتوح ابن الأعثم: ٢١٧/١: «فقدم إلى سعد رجل من خضم يقال له بشر بن ربيعة ، وكان من الفرسان المعدودين ، فطلب من سعد زيادة فلم يزده شيئاً فغضب الخثعمي لذلك ، ويقال إنه هجا سعد بن أبي وقاص ، فأنشأ يقول:

بنوب عن القوم الكرام بجمعهم	وفَضَّل سعد بالعطية خالدا
فإن تكرم العذرى بالقسم واصلاً	فأجاد برأى السوء للجور زائداً
أنتهب جهلاً لا أبالك حقنا	لقد ضفت ذرعاً عن مدى الحق حائداً
مني كان ميراث ابن خضم قل لنا	خالداً يا للناس لا كنت جاهداً
لعمري لئن كانت قريش تعطفت	عليك أبا وهب فالقيمة رافداً
لقد غمرت آباءك اللؤم دهرها	وأفلقت في فهر تحمل الوصائد».

وفي فتوح البلدان للبلاذري: ٣٢٠ / ٢: (وقال بشر بن ربيعة بن عمرو الخثعمي:

أَمْ خِيَالٌ مِنْ أَمِيمَةِ مُوهَنَا
وَقَدْ جَعَلْتُ أُولَى النَّجُومِ تَغُورُ
وَنَحْنُ بِصَرَاءِ الْعَذِيبِ وَدَارُهَا
وَلَا غَرَوْ إِلَّا جَوَبَهَا الْبَيْدُ فِي الدَّجِي
وَنَحْنُ بِيَابِ الْقَادِسِيَّةِ نَاقِتِي
وَسَعْدُ بْنُ وَقَاصٍ عَلَيَّ أَمِيرٌ
طَوِيلُ الشَّدْيِ كَابِ الرَّنَادِ قَصِيرٌ
تَذَكَّرْ هَدَاكَ اللَّهُ وَقَعْ سَيِّونَا
عَشِيهَةَ وَدَ الْقَوْمَ لَوْ أَنْ بَعْضَهُمْ
يُتَازُّ جَنَاحِي طَائِرٌ فِي طِيرٍ).

فقارن بالله هذه الحقائق الدامغة ، بها قاله علماء السلطة عن سعد !

أقول: بعد كل ما عرفت عن سعد ، فاقرأ الصورة الكاذبة التي قدمها رواة الحكومات وعلماؤها ، كالتي دونها ابن عبد البر . قال في الإستيعاب: «وكان أحد الفرسان الشجعان من قريش ، الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ في مغازييه ، وهو الذي كَوَفَ الكوفة ، ولقيَ الأعاجم وتولى قتال فارس ، أمره عمر بن الخطاب على ذلك ، ففتح الله على يده أكثر فارس ، وله كان فتح القادسية وغيرها . وكان أميراً على الكوفة فشكاه أهلها ورموه بالباطل فدعا الذي واجهه بالكذب عليه دعوة ظهرت فيه إجابتها والخبر بذلك مشهور».

فادعوا له الشجاعة ، وأنه لقي جيوش الفرس وحاربهم ، مع أنه جبن عن المارك ، حتى هجاه المسلمون بالشعر ! ونسبوا له تقصير الكوفة ، مع أنهم رووا أن الذي اختار مكانها سليمان الفارسي بأنه علم النبي ﷺ وعلى ذلك.

وأخيراً فقد ناقضوا أنفسهم ، وشهدوا أن أهل الكوفة شكوا سعداً وأرسل عمر من يتحقق فثبت له صدق شكاياتهم ، فاضطر إلى عزله ! (النهاية: ٧/ ١٢١).

حرير بن عبد الله البجلي مقاول حرب في سبيل الله

١ . هو حرير، بن عبد الله ، بن جابر، بن مالك، بن نضر، بن ثعلب، بن جشم
 من بني زيد بن كهلان بن سباء . وتلقى بجبلة وختعم في أنمار بن إراش، وبجبلة
 جدتهم زوجة أنمار . وفي حرير وبجبلة قال الشاعر (سيرة ابن هشام: ٤٩ / ١):

لولا حرير هلكت بجبلة نعم الفتى وبشتت القبيلة

وكان حرير طويلاً، وقد بالغوا في وصف طوله بأحاديث أسانيدها صحيحة
 على شرط الشيخين البخاري ومسلم ! فقالوا كان طوله ستة أذرع ، وقالوا كان
 رأسه يصل إلى سمام البعير ، وكان طول نعله ذراعاً .

وقالوا: كان جيلاً وسيماً ، وكان يتبااهي بذلك فقال: رأني عمر متجرداً ، أي
 عرياناً، فقال: ما أرى أحداً من الناس صور صورة هذا إلا ما ذكر من يوسف !
 وقد أمره عمر على قبيلته بجبلة، فشاركتوا في القادسية وبعدها .(الإصابة: ١ / ٥٨٣).

٢ . أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوماً، وزعم أن النبي ﷺ بشر المسلمين به
 قبل أن يصل ، وقال إنه خير أهل اليمن ، وإن عليه مسحة ملك ، وإنه دعا له
 بالبركة ولذريته ، ومسح بيده على رأسه ووجهه وصدره وبطنه ، حتى انحنى
 حرير حياً أن تدخل يد النبي ﷺ تحت إزاره ! ثم بسط له عرض ردائه وقال
 له: على هذا يا حرير فاقعد ! (أوسط الطبراني: ٦ / ١٧٩، ومستند أحد: ٤ / ٣٦٠).

وفي الاستيعاب: ١ / ٢٣٧: «قال حرير: أسلمت قبل موت النبي ﷺ بأربعين
 يوماً».

وفي صحيح بخاري: ٤/٢٥: «ما حجبني النبي منذ أسلمت ، ولا رأني إلا تبسم في وجهي . ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل فضرب بيده في صدره وقال: اللهم ثبته ، واجعله هادياً مهدياً». وحذف البخاري منه قول جرير إن النبي ﷺ كان يتسم له حتى لو كان في الصلاة ! (مبسوط السرخسي: ١/٧٧).

وزعم جرير أن النبي ﷺ قال: «جرير من أهل البيت ظهرًا لبطن ، قالها ثلاثة». وإذا جاءته الوفود يقول له إلبس حلتك ، فيباهي به الناس ! (معجم الزوائد: ٩/٣٧٣). وهو بذلك يضاهي سليمان الفارسي رضي الله عنه ، عندما رأى احترام المسلمين له ، ودوره المؤثر في فتح العراق وإيران .

كما قالوا إن النبي ﷺ بعث جريراً إلى المتتبئ العنسي في اليمن ، والمذكورون الكلاع اليهودي ، قال البلاذري: ١/١٢٥: «قالوا: فبعث رسول الله جرير بن عبد الله البجلي في السنة التي توفى رسول الله فيها ، وفيها كان إسلام جرير ، إلى الأسود يدعوه إلى الإسلام فلم يجده . وبعض الرواة ينكرون بعثة النبي ﷺ جريراً إلى اليمن ». .

وفي صحيح بخاري: ٤/٢٣: «قال لي رسول الله ﷺ : ألا تريحني من ذي الخلصة؟ وكان بيتأ في خثعم يسمى كعبة اليهانية . قال: فانطلق في حسنين ومائة فارس من أحمس ، وكانت أ أصحاب خيل ، قال: وكنت لا أثبت على الخيل ، فضرب في صدره حتى رأيت أثر أصابعه في صدره ، وقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً . فانطلق إليها فكسرها وحرقها ثم بعث إلى رسول الله ﷺ يخبره ، فقال رسول جرير: والذي بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجوف أو أجرب . قال: فبارك في خيل أحمس ورجالها ، حسنت مرات» .

أقول: هذه نهادج من تعظيم جرير لنفسه ، وقد قبل رواة الخلافة كلامه ، لأنه مرضي عند الحكومة . وقد يكون النبي ﷺ بعثه الى اليمن لدم صنم أو لإبلاغ رسالة الى الأسود العنسي ، أو ذي الكلاع اليهودي ، لكنَّ تباهي جرير وإفراطه في مدح نفسه مردود ، لأن المبالغة والتبعج فيه ظاهران !

٣. وصف أمير المؤمنين عليه جريراً وصديقه وأستاذه الأشعث بن قيس بقوله:

«أما هذا الأعور ، يعني الأشعث ، فإن الله لم يرفع شرفاً إلا حسده ، ولا أظهر فضلاً إلا عابه ، وهو يُمْنِي نفسه ويخدعها ، يخاف ويرجو ، فهو بينهما لا يشق بوحد منها . وقد من الله عليه بأن جعله جباناً ، ولو كان شجاعاً لقتله الحق !

وأما هذا الأكثف عند الجاهلية ، يعني جرير بن عبد الله البجلي ، فهو يرى كل أحد دونه ، ويستصغر كل أحد ويختقره ، قد ملئ ناراً ، وهو مع ذلك يطلب رئاسة ويروم إمارة ، وهذا الأعور يغويه ويطغيه ، إن حدثه كذبه ، وإن قام دونه نكص عنه ، فهما كالشيطان إِذْ قَالَ لِإِنْسَانٍ أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّيَ بَرِئٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمَيْنَ». (شرح النهج: ٢٠/٢٨٦)

ومعنى الأكثف عند الجاهلية: التقليل التصرف عندما تشور جاهليته . والرجل الكثيف: الثقيل الغليط المعاشرة ، لشدة أنايته .

٤. دخل جرير الى العراق مع خالد بعد اليهامة ، وساعدته في عقود الصلح
وجباية الأموال . وذلك في أوائل السنة الثانية عشرة للهجرة ، أما قبلها فلم يقم جرير بشيء إلا ما روي أنه جاء الى أبي بكر (الكامل: ٢/ ٣٧٥): «وأمره أن يستنفر من قومه من ثبت على الإسلام ويقاتل بهم من ارتد عن الإسلام ، وأن يأتي خثعم

فيقاتل من خرج غضباً لذى الخلصة . فخرج جرير وفعل ما أمره ، فلم يقم له أحد إلا نفر يسير فقتلهم وتبعهم».

ونحن نشك في ذلك أو في أهميته ، لأن بجيلاً كانت متفرقة في القبائل ، كما سترى .
فالملوك أن جريراً بدأ نشاطه بعد ستة ونصف من وفاة النبي ﷺ بذهابه مع خالد .
قال البلاذري: «وقد روى أن خالداً لما كان بناحية البیامه كتب إلى أبي
بكير يستمده ، فأمده بجرير بن عبد الله ، فلقيه جرير منصر فـاً من البیامه ، فكان
معه ، وواعظ صاحب المدار بأمره . والله أعلم» .

وقال البلاذري: «ثم بعث خالد جرير بن عبد الله البجلي إلى أهل بانقيا ،
فخرج إليه بصبرى بن صلوباً فاعتذر إليه من القتال وعرض الصلح ، فصالحه
جرير على ألف درهم وطيلسان . ويقال إن ابن صلوباً أتى خالداً فاعتذر إليه
وصالحة هذا الصلح . فلما قتل مهران ومضى يوم النخيلة (أي بعد ستين) أتاهم
جرير فقبض منهم ومن أهل الحيرة صلحهم ، وكتب لهم كتاباً بقبض ذلك ..
وقد ينكرون أن يكون جرير بن عبد الله قد أقدم العراق إلا في خلافة عمر بن
الخطاب ، وكان أبو مخنف والواقدى يقولان: قدمها مرتين . قالوا: ففتح جرير
بواريج الأنبار ، وبها قوم من مواليه» .

٥. كما ساعد خالد بن الوليد في قتال بني تغلب ، وغدر بهم كصاحبه خالد !

ومن المعروف أن النبي ﷺ ركز في حروبها على الروم والفرس ، وعمل بجذب
العرب إلى جانبه ، لكن خالداً لما جاء إلى العراق وعقد عقود الصلح مع

المزارعين من أهل البلاد ، كسر هذه السياسة ، وغدر ببني تغلب كما ذكرنا في ترجمته ، وكان معه جرير في هذه الغارة .

قال الطبرى: ٣٢٦/٢: «فأغاروا على المهزيل ومن معه ومن أوى إليه وهم نائمون من ثلاثة أوجه ، فقتلواهم ، وأفلت المهزيل في أناس قليل ، وامتلاً الفضاء قتلى فما شبوا بهم إلا غنماً مُصرّعاً ! وكان حرقوص معرساً بأمرأة من بنى هلال تدعى أم تغلب فقتلت تلك الليلة ، وعبادة بن البشر ، وامرؤ القيس بن بشر ، وقيس بن بشر ، وهو لاء بنو الثورية من بنى هلال ، وأصحاب جرير بن عبد الله يوم المصيخ من النمر عبد العزى بن أبي رهم بن قرواش أخا أوس مناة من النمر ، وكان معه ومعه لبيد بن جرير كتاب من أبي بكر يإسلامهما ! وبلغ أبو بكر قول عبد العزى وقد سأله عبد الله ليلة الغارة قال: سبحانك اللهم رب محمد . فوداه وودي لبيداً وكانا أصيبياً في المعركة .. وكان عمر يعتد على خالد بقتلها إلى قتل مالك يعني ابن نويرة ، فيقول أبو بكر: كذلك يلقى من ساكن أهل الحرب في ديارهم . وقال عبد العزى:

أقول إذ طرق الصباح بغارة سبحانك اللهم رب محمد

سبحان رب لا إله غيره رب البلاد ورب من يتورد».

٦. وزعموا أن جريراً لما كان مع خالد قتل مربزيان المدار ، ولا يصح ذلك ،

قال البلاذري: ٢٩٦/٢: «وقد روی أن خالداً لما كان بناحية اليمامة كتب إلى أبي بكر يستمده ، فأمده بجرير بن عبد الله ، فلقيه جرير منتصراً من اليمامة فكان معه . وواقع صاحب المدار بأمره والله أعلم . وقال الواقدى: والذي عليه أصحابنا

من أهل الحجاز أن خالدًا قدم المدينة من البشامة ، ثم خرج منها إلى العراق على فيد والشعيبة ، ثم أتى الحيرة ». أي لم يمر من جهة البصرة وميسان والمدار .

وفي تاريخ اليعقوبي: ١٤٣/٢: «فوجه عمر جرير بن عبد الله ، فقدم الكوفة ، ثم خرج منها فواقع مربزيان المدار فقتله ، وانهزم جيشه وغرق أكثرهم في دجلة ». وقال الطبرى: ٥٥٧/٢: «وكانَتْ وقْعَةُ المَذَارِ فِي صَفَرِ سَنَةِ اثْنَيْ عَشَرَ».

أقول: المدار مكان قرب مدينة العمارة العراقية ، ولم يكن فيها جيش فارسي ، وقد تكون فيها حامية صغيرة ، وقد ذكرت روايات أن عتبة بن غزوان قتل مربزيان المدار ، قال في الأخبار الطوال/ ١١٧: «ثم إن عتبة سار إلى المدار وأظهره الله عليهم ، ووقع مربزيانها في يده فضرب عنقه وأخذ بزته ، وفي منطقته الزمرد والياقوت ، وأرسل بذلك إلى عمر وكتب إليه بالفتح ، فتبادر الناس بذلك وأكبوا على الرسول يسألونه عن أمر البصرة ، فقال إن المسلمين يهيلون بها الذهب والفضة هilaً ، فرغب الناس في الخروج ، حتى كثروا بها ، وقوى أمرهم ». والطبقات: ٧/٧.

٧. كان جرير جندياً في جيش خالد بن سعيد فجاءه فكرة لجمع بجيلاً فرجع

ففي تاريخ الطبرى: ٥٦٨/٢: «كان جرير بن عبد الله من خرج مع خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام ، فاستأذن خالدًا إلى أبي بكر ليكلمه في قومه ليجمعهم له وكانوا أوزاعاً في العرب ولি�تخلصهم ، فأذن له فقدم على أبي بكر فذكر له عدةً من النبي ﷺ وأتاه على العدة بشهود وسأله إنجاز ذلك ، فغضض أبو بكر وقال له: ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين من بازائهم من الأسددين فارس والروم ، ثم أنت تتكلفني التشغل بما لا يعني عما هو أرضي الله ولرسوله ، دعني

وسر نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله في هذين الوجهين ، فسار حتى قدم على خالد وهو بالحيرة ، ولم يشهد شيئاً مما كان بالعراق ، إلا ما كان بعد الحيرة ، ولا شيئاً مما كان خالد فيه من أهل الردة » .

ومعنى ذلك أن جريراً ترك معركة أجنادين التي كانت في تلك الفترة وبطلاها خالد بن سعيد بن العاص ، فقد استأذنه جرير وجاء إلى المدينة ليطالب أبي بكر وبعد زعم أن النبي ﷺ وعده فيه أن يجمع له قبيلته بجبلة تحت إمرته ! فأخر أبو بكر حاجته لأنه مشغول بحرب الروم والفرس ، فلم يعد جرير إلى الشام ، بل ذهب إلى خالد بن الوليد في العراق ، ثم لم يذهب مع خالد إلى الشام بل استأذنه ورجع إلى أبي بكر يطالبه بإصدار مرسوم ليجمع قبيلته !

قال الطبرى: « وكان جرير بن عبد الله وحنظلة بن الربيع ونفر ، استأذناه خالداً من سُوَى (قرب المسار) فأذن لهم فقدموا على أبي بكر ، فذكر له جرير حاجته فقال: أعلى حانا ! وأخره بها .

فلما ولّ عمر دعاه بالبينة فأقامها ، فكتب له عمر إلى عمالة السعاة في العرب كلهم: من كان فيه أحد ينسب إلى بجبلة في الجاهلية وثبت عليه في الإسلام يعرف ذلك ، فأخرج جرير إلى جرير ، ووعدهم جرير مكاناً بين العراق والمدينة ، فتاموا ، قال جرير: أخرج حتى تلحق بالمنى ، فقال: بل الشام ، قال: بل العراق فإن أهل الشام قد قووا على عدوهم ، فأبى ، حتى أكرهوا . فلما خرجموا له وأمرهم بالموعد عَوَضَه لإكراهه واستصلاحه ، فجعل له ربع خمس ما أفاء

الله عليهم في غزاتهم هذه ، له ولمن اجتمع إليه ولمن أخرج له إليه من القبائل ، وقال: إنخدونا طريقاً فقدموا المدينة ثم فصلوا منها إلى العراق ، مُهَدِّينَ للمثنى».

٨. وبعد هزيمة المسلمين في معركة الجسر ، قاول جرير عمر على «الجهاد» بقومه

قال البلاذري: ٣١١ / ٢ ، وابن سلام في الأموال/ ٧٩: «أخبرني الشعبي أن عمر وجه جرير بن عبد الله إلى الكوفة ، بعد قتل أبي عبيد أول من وجهه ، قال: هل لك في العراق وأنفك الثالث بعد الخمس؟ قال: نعم» !

وقال البلاذري: ٣١٠ / ٢: «مكث عمر بن الخطاب سنة لا يذكر العراق ، لصواب أبي عبيد وسلط . وكان المثنى بن حارثة مقيماً بناحية الليس يدعو العرب إلى الجهاد . ثم إن عمر ندب الناس إلى العراق فجعلوا يتحامونه ويتأقلون عنه.. وقدم جرير بن عبد الله من السراة في بجيلة ، فسأل أن يأتي العراق على أن يعطيه وقومه ربع ما غلبوا عليه . فأجابه عمر إلى ذلك ، فسار نحو العراق» .

أقول: تلاحظ التفاوت في مقاولة جرير مع الخليفة ، فرواية تقول أكرهه عمر ثم أعطاه ، ورواية تقول إن عمر عرض عليه فقبل ، ورواية تقول إن جريراً طلب من عمر فقبل . كما أن القيمة المروية متفاوتة !

ويتبين منه أن جريراً لم يشارك في فتوح الشام ولا العراق قبل معركة البويب . وكان جنوده ست مائة ، فقضى وقتاً في العراق وهو يراسل المثنى ليستقبله ويعرف به أميراً عليه ، والمثنى يحبه أنت مدد لي ، فتفضل إلى الجهاد .

قال ابن الأعثم: ١٣٦ / ١: «ثم دعا عمر بجرير بن عبد الله البجلي فقال له: ويحك يا جرير! إننا قد أصبنا بالمسلمين مصيبة عظيمة والمثنى بن حارثة في وجه العدو

غير أنه جريح لما به ، فسر نحو العراق فعسى الله عز وجل أن يدفع شر هؤلاء الأعاجم وتحمد بكم جرائمهم . قال : فسار جرير بن عبد الله من المدينة في سبع مائة رجل حتى صار إلى العراق فنزلها ، وبلغ ذلك المشن بن حارثة الشيباني ، فكتب إليه : أما بعد يا جرير فإننا نحن الذين أقدمنا المهاجرين والأنصار من بلدتهم ، وأقمنا نحن في نحر العدو نكابدهم ليلاً ونهاراً ، وإنما أنت مدد لنا ، فما انتظارك رحمة الله لا تصير إلينا ؟ فصر إلينا وكثُرنا بأصحابك ... قال فكتب إليه جرير : أما بعد فقد ورد كتابك على فقراته وفهمته ، فأما ما ذكرت أنك الذي أقدمت المهاجرين والأنصار إلى حرب العدو ، فصدقتك . ولبيك لم تفعل !

وأما قولك : إن المهاجرين والأنصار لحقوا ببلدهم ، فإنه لما قتل أميرهم لحقوا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وأما ما ذكرت أنك أقمت في نحر العدو فإنك أقمت في بلدك ، وبذلك أحب إليك من غيره .

وأما ما سألتني من المصير إليك ، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يأمرني بذلك ، فكن أنت أميراً على قومك ، وأنا أمير على قومي . والسلام » .

« وتنافع جرير والمشن بن حارثة الإمارة ، فبعث عمر سعد بن مالك وكتب إليهما أن اسمعا له وأطيعا ». (تاريخ خليفة / ٨٧).

ثم شارك جريراً في المعركة ، ولا بد أنه قاول المشن وأخذ منه امتيازاً !

ومن العجيب اعتذار عمر بن الخطاب عن تأمير المشن على جريراً بأن جريراً من أصحاب النبي ﷺ بينما المشن ليس من أصحابه ! مع أن المشن صحابي أسلم

على أثر وقعة ذي قار أبي في السنة الثانية أو الثالثة للهجرة ، ووفد إلى النبي ﷺ .
بينما أسلم جرير قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوماً !

قال الطبرى: ٦٥٤/٢: «وكتب المثنى إلى عمر يمْحُل بجرير (يتقدّه) فكتب عمر إلى المثنى إني لم أكن لاستعملك على رجل من أصحاب محمد ، يعني جريراً ، وقد وجه عمر سعد بن أبي وقاص إلى العراق في ستة آلاف أمره عليهم ، وكتب إلى المثنى وجرير بن عبد الله أن يجتمعوا إلى سعد بن أبي وقاص وأمر سعداً عليهما».

وهذا يدل على أن الحكام كانوا يعطون لقب الصحابي وامتيازاته إلى المرضى عندهم وبائز عوته عن غيره ، حتى لو كان صحابياً وأفضل منه !

وقد روا (جمع الزوائد: ٨/٤٠) أن سليمان الفارسي رضي الله عنه ، حاول أن يصحح معنى الصحابي ، ووثقوا حدثه: «عن أبي البخtri قال: جاء الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي إلى سليمان الفارسي ، فدخلوا عليه في حصن في ناحية المدائن فأتياه فسلماً عليه وحياه ، ثم قالا: أنت سليمان الفارسي؟ قال: نعم . قالا: أنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: لا أدرى . فارتبا و قالا: لعله ليس الذي نريد ، قال لهم: أنا صاحبكم الذي تريدان ، إني قد رأيت رسول الله ﷺ وجالسته ، فإنما صاحبه من دخل معه الجنة ، فما حاجتكما؟ قالا: جئناك من عند أخي لك بالشام ، فقال: من هو؟ قالا: أبو الدرداء ..».

٩. ثم شارك جرير مع بنى بجيلة في معركة البويب ، بقيادة المثنى رضي الله عنه
ولعل البجليين ضغطوا عليه عندما طلب منه المثنى المشاركة ، لأن جيش
الفرس داهم المسلمين ، وكان جرير بعد ذلك يزعم أن المعركة كانت بقيادته !

قال البلاذري (٣١١/٢): «وكان على الناس فيها تزعم بجبلة جرير بن عبد الله ، وفيها تقول ربعة المشنی بن حارثة . وقد قيل إنهم كانوا متسايدین ، على كل قوم رئيسهم . فالتقى المسلمون وعدوهم ، فأبلى شرجيل بن السبط الكندي يومئذ بلاء حسناً ، وقتل مسعود بن حارثة أخو المشنی بن حارثة ، فقال المشنی: يا معشر المسلمين ، لا يُرْعِكُم مصرع أخي ، فإن مصارع خياركم هكذا ! فحملوا أحللة رجال واحد محققين صابرين ، حتى قتل الله مهران وهزم الكفرا ». .

وقد ذكرنا بطولات المشنی في ترجمته، ورويت بطولات بحرير وقومه ، منها ما رواه الطبری: (٦٥٢/٢): «قال المشنی يومئذ: من يتبع الناس حتى ينتهي إلى السبب؟ فقام جرير بن عبد الله في قومه فقال: يا معشر بجبلة إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غداً من النفل مثل الذي لكم منه ، ولكم ربع خمسه نفلاً من أمير المؤمنين ، فلا يكون أحد أسرع إلى هذا العدو ولا أشد عليه منكم ، للذي لكم منه ، ونية إلى ماترجون ، فإانيا تنتظرون إحدى الحسينين الشهادة والجنة والغنية والجنة . وما المشنی على الذين أرادوا أن يستقتلوا من منهزمة يوم الجسر ، ثم قال: أين المستبس بالأمس وأصحابه؟ إنتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السبب ، وأبلغوا من عدوكم ماتغيظونهم به هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا .. فأمر المشنی أن يعقد لهم الجسر ثم أخر جهم في آثار القوم ، واتبعهم بجبلة ، وخیول من المسلمين تغذى من كل فارس ، فانطلقا في طلبهم حتى بلغوا السبب ولم يبق في العسكر جسرٌ إلا خرج في الخيل ، فأصابوا من البقر والسي وسائر الغنائم شيئاً كثيراً فقسموه

المثنى عليهم ، وفضل أهل البلاد من جميع القبائل ، ونفل بجيشه يومئذ ربع الخمس بينهم بالسوية، وبعث بثلاثة أرباعه مع عكرمة ». أي إلى عمر .

١٠. ورأى جرير القائد مهران مقتولًا فقطع رأسه وأخذ سليه ، وادعى أنه قتله!

قال الدينوري في الأخبار الطوال / ١١٤ : «اجتمع عظماء فارس إلى بوران ، فأمرت أن يختبر اثنا عشر ألف رجل من أبطال الأساورة ، وولت عليهم مهران بن مهرويه المهداني ، فسار بالجيش حتى وافى المخيرة ، وزحف الفريقيان ، بعضهم البعض ، و لهم زجل كزجل الرعد ، وحمل المثنى في أول الناس ، وكان في ميمنة جرير وحملوا معه ، وثار العجاج ، وحمل جرير بسائر الناس من الميسرة والقلب وصدقتهم العجم القتال ، فجال المسلمون جولة (ابزموا) فقبض المثنى على حيته وجعل يتتف ما تبعه منها من الأسف ، ونادى: أيها الناس، إلى إلى ، أنا المثنى ! فتاب المسلمون فحمل الناس ثانية وإلى جانبه مسعود بن حارثة آخره ، وكان من فرسان العرب فقتل مسعود ، فنادى المثنى: يا معاشر المسلمين ، هكذا مرصع خياركم ، إرفعوا راياتكم ».

وقال ابن كثير في النهاية: ٣٦ / ٧: «فلم طالت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحملون ظهره ، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة ، وحمل غلام من بني تغلب نصراوي ، فقتل مهران وركب فرسه . كذا ذكره سيف بن عمر ، وقال محمد بن إسحاق: بل حمل عليه المنذر بن حسان بن ضرار الضبي فطعنه ، واحتز رأسه جرير بن عبد الله البجلي ، واختصما في

سلبه فأخذ جرير السلاح وأخذ المنذر منطقته ، وهررت المجروس ، وركب المسلمين أكتافهم ». .

أقول: كان القائد الفارسي وهو حاكم آذربيجان ، يقف في قلب جيشه ويقاتل ويظهر أن جريراً قابله ، فتقدم اليه مهران والتقيا ، وارتجز مهران: إن سألوا عنى فإني مهران أنا من أنكرني ابن ساذان وذكر الطبرى (٦٥٤/٢) أن مهران: «نشأ مع أبيه باليمين إذ كان عاملاً لكسرى». وقد مهران جريراً فاقتلا ، وساعد آخر من جريراً عليه ، فتخلص منهم مهران ورجع الى صفه ، فحمل عليه المثنى رضي الله عنه ، فانحاز مهران أمامه عن القلب الى الميمنة ، فاضطرب جيشه ، فرأى الشاب التغلبي النصراني فقصده وطعنه فوقع عن فرسه ، وانشغل الشاب بأخذ الفرس ، فجاء جرير وقطع رأس مهران وأخذ سلبه . وفي رواية أن الذي طعنه المنذر بن حسان الضبي وانشغل بفرسه هو ، فجاء جرير وحز رأسه وأخذ سلبه .

قال ابن الأعثم: ١٥٨/١: «ولحق المنذر بن حسان فرسه فأخذه ، ثم رجع إلى مهران ليس به ، فإذا جرير بن عبد الله قد سبقه وأخذ سلبه ، فقال له المنذر: أبا عمرو! أنا قتلت مهران وسلبه لي ولا حق لك فيه ، وإنما شغلني عنه فرسي ، ولقد كنت سيداً في الجاهلية وأنت اليوم سيد في الإسلام ، ولا يجمل بك أن تأخذ ما ليس لك فاردد على السلب ! قال جرير: فادفع إلى المنطقة وخذ باقي السلب ، فقال المنذر بن حسان: إذاً لا أفعل ، لأنني أنا طعنت مهران وأنا صرعته عن فرسه ، وأنا قطعت رجله». .

هذا ، وذكر ابن الأعثم أن قتل مهران كان في القادسية وهو خطأ . وذكر أنه كان عليه: «قباء حرير وقرطق ديباج ، وفي وسطه منطقة من الذهب مرصعة بالجوهر ، وفي أذنه قرطان من الذهب في كل قرط حبتان من بنات الدر ، وتحته فرس له أشقر .. فَقُوْمَ السُّلْبِ فَكَانَتْ قِيمَتُه بِضُعْفِ عَشْرِ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، وَقَوْمَتُ الْمَنْطَقَةِ فَكَانَتْ قِيمَتُهَا ثَلَاثَيْنَ أَلْفَ دِينَارٍ ». .

وقال ابن الأثير في الكامل: ٢٤٣/٢: «وقتل غلام نصراني من تغلب مهران واستوى على فرسه ، فجعل المثنى سليه لصاحب خيله ، وكان التغلبي قد جلب خيلاً هو وجاءة من تغلب ، فلما رأوا القتال قاتلوا مع العرب .

قال: وأفني المثنى قلب المشركين والمجنبات بعضها يقاتل بعضًا ، فلما رأوه قد أزال القلب وأفني أهله ، وثب مجنبات المسلمين على مجنبات المشركين ، وجعلوا يردون الأعاجم على أدبارهم ، وجعل المثنى والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر ويرسل إليهم من يذمرهم ويقول لهم: عاداتكم في أمثالهم ، أنصروا الله ينصركم حتى هزموا الفرس ، وسبتهم المثنى إلى الجسر وأخذ طريق الأعاجم ، فافترقوا مصدعين ومنحدرين ، وأخذتهم خيول المسلمين حتى قتلواهم وجعلوهم جثثاً ». .

أقول: ويفيد رأي ابن الأثير رواية الطبرى ، عن محفز بن ثعلبة قال: «جلب فتية من بني تغلب أفراساً ، فلما التقى الزحفان يوم البويب قالوا: نقاتل العجم مع العرب ، فأصحاب أحدهم مهران يومئذ ومهران على فرس له وَرْدٌ مجفف بتجفاف أصفر ، بين

عينيه هلال ، وعلى ذئبه أهلة من شَيْهَ ، فاستوى على فرسه ثم انتهى : أنا الغلام التغلبي
أنا قتلت المرزبان ، فأنا جرير ابن الهوير في قومها ، فأخذ برجله فأنزلاه .

وروى الطبرى أيضاً : وقتل غلام من التغلبين نصرانى مهران واستوى على فرسه
فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله ، وكذلك إذا كان المشرك في خيل رجل فقتل
وسلب ، فهو للذى هو أمير على من قُتل ، وكان له قائدان أحدهما جرير ، فاقتسمَا
سلاحه والآخر ابن الهوير . وروى أيضاً : أن جريراً والمنذر اشتراكاً فيه فاختصاً به
سلاحه فتقاضياً إلى المثنى ، فجعل سلاحه بينهما ، والمنطقة والسوارين بينهما ». انتهى .
على أيّ ، لم يكن دور جرير في المعركة بطولة ، فلا هو غالب مهران وقتله عندما التقى
بل استعان عليه بالبجليين وهو في المبارزة خطأً وضعف !

ولا هو حمل عليه كثاً حمل المثنى فهرب مهران أمامه إلى الميمنة ، ولا هو لمحه وقتله
كالفتى التغلبي . ولا عندما رأاه قتيلاً حمد الله تعالى وترك سلبه لقاتله !
لكن أتباع السلطة ظلوا يكتبون أن جريراً قتل مهران ! «عن الشعبي أن جرير بن عبد
الله البجلي بارز مهران فقتله ، فقومت منطقته بثلاثين ألفاً». (نصب الراية: ٤/٣٠٢).

١١. سكن جرير وقمه الكوفة وشارك في معركة القادسية وكان قائداً للميمنة ،

قال ابن الأعمش: «ثم سار (سعد) حتى نزل بموضع يقال له شراف ، وجعل
عمر لا يقدم عليه أحد إلا وجه به إليه ، فكان أول من قدم عليه عمرو بن معدى
كرب الزبيدي في زهاء خمس مائة رجل ... قال: وصار إليه جرير بن عبد الله
البجلي في ست مائة راكب من بجيلة». صار إليه: جاء إليه جرير من داخل العراق .

قال الطبرى: «فبعث خالد بن عرفطة حليف بنى أمية ، ووجه معه عياض
بن غنم في أصحابه ، وجعل على مقدمة الناس هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ،

وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى ميسرهم زهرة بن حوية التميمي
و مختلف سعد لما به من الوجع».

وكان دور جرير والبجلين مؤثراً في معركة القادسية لكنهم بالغوا فيه كثيراً ،
فجعلوا بجيش ربع الجيش مع أنهم ستمائة رجل من مجموع نحو ثلاثة ألفاً !

قال جرير: «لقد أتى على نهر القادسية ثلاثة ساعات من النهار ما تجري إلا
بالدم ، مما قتلنا من المشركين». (مصنف ابن أبي شيبة: ٨/١٤).

وقال ابن حجر في الإصابة: ٥٨٣: «وقدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيله
وكان لهم أثر عظيم في فتح القادسية».

وقال حازم البجلي كما في الطبرى (٣/٧٨): «كنا ربع الناس ، فوجهوا إلينا ستة عشر
فيلاً وإلى سائر الناس فيلين ، وجعلوا يلقون تحت أرجل خيولنا حسک الحديد
ويرشقوننا بالنشاب فكان المطر علينا ، وقرنوا خيالهم بعضها إلى بعض لئلا
يفرروا . قال: وكان عمرو بن معدىكرب يمر بنا فيقول يا معاشر المهاجرين كونوا
أسوداً فإنما الأسد من أغنى شأنه ، فإنما الفارسي تيس إذا ألقى نيزكه . قال:
وكان إسوار منهم لا يكاد تسقط له نشابة ، فقلنا له: يا أبا ثور إنق ذلك الفارسي
فإنه لا تقع له نشابة ! فتوجه إليه ورمah الفارسي بنشابة فأصاب قوسه وحمل
عليه عمرو فاعتقه فذبحه ، واستلبه سوارين من ذهب ، ومنطقة من ذهب ،
وبلماقاً من ديباج . وقتل الله رستم ، وأفاء على المسلمين عسکره وما فيه . وإنما
المسلمون ستة آلاف ، أو سبعة آلاف ».

١٢ . وارتکب عمر خطأً كبيراً ، فقسم أرض العراق على المقاتلين في القادسية !

وكان يجب جريراً لجعل لججية سهمهم وربع الخمس ، وربع ما فتحوه من أرض العراق !

فقد صاحبوا رواية قيس البجلي ، قال: «كنا ربع الناس في القادسية فأعطانا عمر ربع السواد ، وأخذناها ثلاثة سنين ، ثم وفد جرير بن عبد الله البجلي إلى عمر بعد ذلك فقال: أما والله لو لا أني قاسم مسؤول ، لكنتم على ما قسم لكم ، وأرى أن تردوا على المسلمين . ففعلوا ». (المجموع: ٤٥٤ ، والمبيهقي: ٩ / ١٣٥).

وقال السرخي في شرح السير: ٦٤٥ / ٢: « واستدل عليه بفعل عمر ، فإنه حين بعث الناس إلى العراق قال جرير بن عبد الله البجلي: لك ولقومك ربع ما غلبتكم عليه ففتحوا السواد . ثم جعل عمر الأرض بعد ذلك أرض خراج ، ولم يمنعه ما نفل جريراً وقومه من ذلك ».

وفي تاريخ دمشق: ٢٠٢ / ٢: « قال محمد بن إدريس الشافعي: ليس للإمام إنفاقها (الأرض المفتوحة) وإنما يلزمها قسمتها ، فإن اتفق المسلمين على إيقافها ورضوا أن لا تقسم ، جاز ذلك . واحتج من ذهب إلى هذا القول بما روى أن عمر بن الخطاب قسم أرض السواد بين غانميها وحائزها ، ثم استنزفهم بعد ذلك عنها واسترضاهم منها فوقفها . فاما الأحاديث التي تقدمت فإن عمر لم يقسمها فإنها محمولة على أنه امتنع من إعطاء القسم واستدامته ، بأن انتزع الأرض من أيديهم أو أنه لم يقسم بعض السواد وقسم بعده ، ثم رجع فيه ». راجع الأم: ٤ / ٢٩٧ .

فهذه الروايات الصحيحة صريحة في أن عمر قسم أرض العراق بالفعل بين جيش القادسية قبل أن يستشير ، واستمر ذلك ثلاث سنين ، ثم أقنعه على عليه السلام فرجع عن خطنه ، وإلا لتكونت في تاريخ العراق طبقة إقطاعية «شرعية» وحوها جماهير فقيرة لاملك شيئاً !

لكن محبى عمر أنكروا خطأه الذي استمر مصرأً عليه ثلاث سنين ، وقالوا إنه أراد ذلك واستشار علياً وأخذ برأيه !

قال ابن حجر في فتح الباري: ١٥٧: «روى أبو عبيد في كتاب الأموال من طريق ابن إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن عمر أنه أراد أن يقسم السواد فشاور في ذلك فقال له علي: دعهم يكونوا مادة للمسلمين فتركهم».

وقال اليعقوبي: ١٥١/٢: «وشاور عمر أصحاب رسول الله في سواد الكوفة ، فقال له بعضهم: تقسمها بيننا ، فشاور علياً فقال: إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يحيى بعدها شيء ، ولكن تقرها في أيديهم يعملونها ، ف تكون لنا ولمن بعدها . فقال: وفقك الله ! هذا الرأي ».

وقال البلاذري: ٣٢٦/٢: «عن حارثة بن مضرب أن عمر بن الخطاب أراد قسمة السواد بين المسلمين ، فأمر أن يمحصوا فوجد الرجل منهم نصبه ثلاثة من الفلاحين . فشاور أصحاب رسول الله عليه السلام في ذلك فقال علي: دعهم يكونوا مادة للمسلمين . فبعث عثمان بن حنيف الأنباري فوضع عليه ثانية وأربعين وأربعة وعشرين واثني عشر ».«

على أن التوزيع الذي اعتمدته عمر للأراضي ركز ملكية المشاركين في القادسية على حساب سكان العراق ، وعلى حساب الذين جاؤوا بعدهم ، وشاركوا في الفتوحات .

ففي تاريخ الطبرى: ١٣٧/٣: «و جمع سعد من وراء المدائن وأمر بالإحصاء فوجدهم بضعة وثلاثين ومائة ألف ، ووجدهم بضعة وثلاثين ألف أهل بيته ووجد قسمتهم ثلاثة لكل رجل منهم بأهله ، فكتب في ذلك إلى عمر فكتب إليه عمر أن أقر الفلاحين على حاهم ، إلا من حارب أو هرب منك إلى عدوك فأدركته . وأخبر لهم ما أجريت للفلاحين قبلهم ، وإذا كتبت إليك في قوم فأجرروا أمثالهم مجراهم . فكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحاً؟

فأجابه: أما من سوى الفلاحين فذاك إليكم ما لم تغنموه، يعني تقسّموه ، ومن ترك أرضه من أهل الحرب فخلالها فهي لكم ، فإن دعوتموه وقبلتم منهم الجزء وردّدتموه قبل قسمتها فذمة ، وإن لم تدعوه فمعنى ذلك أنكم لمن أفاء الله ذلك عليه . وكان أحظى بقى الأرض أهل جلواء: استأثروا بقى ما وراء النهروان ، وشاركوا الناس فيما كان قبل ذلك .

فأقرروا الفلاحين ودعوا من لج ، ووضعوا الخراج على الفلاحين ، وعلى من رجع قبل الذمة ، واستصفوا ما كان لآل كسرى ومن لج معهم ، فيئأ لمن أفاء الله عليه ، لا يجاز بيع شيء من ذلك فيما بين الجبل إلى الجبل من أرض العرب ، إلا من أهله الذين أفاء الله عليهم. ولم يحيزوا بيع ذلك فيما بين الناس يعني فيمن لم يفته الله تعالى عليه من يعاملهم من لم يفته الله عز وجل عليه ، فأقره المسلمون لم يقتسموا لأن قسمته لم تأت لهم . فمن ذلك الآجام ، ومحفظ المياه ، وما كان لبيوت النار ، ولسكن البُرْد ، وما كان لآل كسرى ومن جامعه ، وما كان لمن قتل والأرحام .

فكان بعد من يرق يسأل الولاة قسم ذلك فيمنعهم من ذلك الجمهور ، فأبوا ذلك ، فانتهوا إلى رأيهم ولم يحبوا وقالوا: لو لا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لفعلنا . ولو كان طلب ذلك منهم على ملا لقصمتها بينهم ».

ونلفت هنا أن قول جرير وبجيلة إنهم كانوا في القادسية ربع المسلمين ، جاء مقابل قول النخعين ، ففي مصنف ابن أبي شيبة: « كنت لا تشاء أن تسمع يوم القادسية: أنا الغلام النخعي ، إلا سمعته ».

« فقال عمر: ما شأن النخع أصيروا من بين سائر الناس ، أفر الناس عنهم؟! قالوا: لا، بل ولو أعظم الأمر وحدهم ». (ابن أبي شيبة: ١٤/٨، والإصابة: ١٩٦/١). وذكر ابن أبي شيبة أن النخع كانوا في القادسية ألفين وأربع مئة ، أي ربع جيش المسلمين على رواية أنه عشرة آلاف ، وأن نقل المعركة كان عليهم !

وفي تاريخ الطبرى: ، ٨٢/٣ ، أنهم هاجروا من اليمن مع عوائلهم ، وزوجوا سبع مائة من بناتهم إلى المسلمين ، خاصة الأنصار . (ونحوه تاريخ دمشق: ٦٥ / ١٠٠).

فقد كان جرير وبنو بجيلة ، خاصة في الثلاث سنوات التي ملكهم فيها عمر ربع أراضي العراق المفتوحة ، بحاجة إلى تبرير ذلك ، فكانوا يبررونها تارة ببشرة عددهم وأئمهم كانوا ربع جيش القادسية مع أنهم كانوا ست مئة . وتارة بأن دورهم في الحرب كان أكثر من غيرهم . مع أن نقل القادسية كان على النخعين وليس عليهم .

كما ينبغي أن نلتفت إلى أن السياسة المالية التي طبّقها الخلفاء والقادة والجنود ، في الأراضي المفتوحة والفنادق وأموال الدولة، فيها تجاوزات كثيرة عن أحكام الإسلام

كما بينها أهل البيت عليهم السلام . ولا يتسم المجال للتفصيل ، فتحيلك إلى مصادر الحديث والفقه في أحكام الأرض المفتوحة ، وأحكام الأطفال ، والغنائم ، والأخmas .

١٣ . وكان جرير قائداً في معركة جلواء تحت إمرة هاشم المرقال رضي الله عنه
قال ابن الأعمش في الفتوح: ٢١٠ / ١: «وحل جرير بن عبد الله من الميمنة ، وحجر بن عدي من الميسرة ، والمكشوخ المرادي من الجناح ، وعمرو بن معد يكرب من القلب ، وصدقوهم الحملة لولوا مدبرين ، ووضع المسلمون فيهم السيف ،
قتل منهم من قتل ، وإنزם الباقيون حتى صاروا إلى خانقين ».

قال البلاذري: ٣٢٤ / ٢: «مكث المسلمون بالمداشر أياماثم بلغتهم أن يزدجرد قد جمع
جعماً عظيماً ووجهه إليهم ، وأن الجمع بجلواء ، فسرح سعد بن أبي وقاص
هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إليهم في اثنى عشر ألفاً ، فوجدوا الأعاجم قد
تحصنوا وخندقوا ، وجعلوا عيالهم وثقلهم بخانقين ، وتعاهدوا أن لا يفرروا ،
وجعلت الأمداد تقدم عليهم من حلوان والجبال . فقال المسلمون: ينبغي أن
نعاجلهم قبل أن تكثر أمدادهم ، فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على الميمنة ،
وعمره بن معدى كرب على الخيل ، وطلحة بن خوبيل على الرجال ، وعلى
الأعاجم يومئذ خرزاد آخر رستم . فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ، رميأ
بالنبل ، وطعنأ بالرماح حتى تقصفت ، وتجالدوا بالسيوف حتى انشت .
ثم إن المسلمين حلوا حلة واحدة قلعوا بها الأعاجم عن موقعهم ، وهزمواهم
فولوا هاربين ، وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً ، حتى حال
الظلم بينهم . ثم انصرفوا إلى معسكرهم ».

وقال ابن الأعثم إن جريراً الجيلي كان على الميمنة ، ثم قال في: ١٦٦: «فكان أول من تقدم إلى الحرب من المسلمين جرير بن عبد الله الجيلي ، ثم حمل فقاتل فأحسن القتال ، وحمل على أثره علي بن جحش العجي ، ثم حل في أثره إبراهيم بن الحارثة الشيباني ، ثم تقدم عمرو بن معد يكرب الزبيدي . قال: فجعل القوم يقتتلون . قال: ثم حمل جرير بن عبد الله على جمع أهل جلواء ، فلم يزل يطاعن حتى انكسر رمحه وجرح جراحات كثيرة ، فأنسأ بعضبني عمه يقول في ذلك:

تواكلت الأسور فلم تواكل	أخو النجادات فارسها جرير
جرير ذو الغني وبما تولى	أحق إذا تقسمت الأمور
وقدر الحرب حامية تفور	أغاث المسلمين وقد تواصوا
عليك ودوننا بله شطير	أبا حفص سلام الله منا
ولم نحمد لك الولي العظير	حدنا فعل صاحبنا جرير
فلا تنفل بجيلاً إن فيها	دواء الداء والحر الكبير

قال: ثم أقبل جرير بن عبد الله الجيلي علىبني عمه فقال: يا معشر بجيلاً إعلموا أن لكم في هذه البلاد إن فتحها الله عليكم حظاً سنياً ، فاصبروا على القتال هؤلاء الفرس التهاساً لإحدى الحسينين: إما الشهادة فتوابها الجنة ، وإما النصر والظفر ففيها الغني من العيلة . وانظروا ، لا تقاتلوا رية ولا سمعة فحسب الرجل خزياً أن يكون يربى بجهاده حمد المخلوقين دون الخالق .

وبعد ، فإنكم جربتم هؤلاء القوم ومارستمهم ، وإنما لهم هذه القسي المحنية وهذه السهام الطوال ، فهي أغنى سلاحهم عندهم ، فإذا رموكم بها فترسوا والزموا الصبر وصابروهم ، فو الله إنكم الانجاد الأجداد الحسان الوجوه في

اقتحام الشدائِد ! فاصبُرُوا صبراً يا معاشر البجيلة ! فوالله إني لأرجو أن يرى المسلمين منكم اليوم ما تقر به عيونهم ، وما ذاك على الله بعزيز ، ثم أنشأ جرير في ذلك يقول :

قادوا الجياد وفضوا جمِع مهران	تكلم بجيَلَة قومي إن سأَلَتْ بها
يُوم العروبة وترَ الحَي شَيَّان	وأندر كوا الورت من كسرى ومعشره
حاولتْ عند ركب الحَي قحطان	فسائلِ الجمَع جمَع الفارسيِّ وقد
ورميةٌ كان فيها مُلْك شَيَّطان	عز الأولى كان عزًا من بِصُول بهم
كان الكفور وبئس الفرسُ إن له	آباء صدق نموه غير ثَيَّان

قال: ثم حل جرير بن عبد الله على جمِع أهل جلواء ، فلم يزل يطاعن حتى انكسر رمحه وجرح جراحات كثيرة ، فأنشأ بعض بنى عمه يقول في ذلك:

تواكلتِ الأمور فلم يواكل	أخو النجادات فارسُها جريرُ
أحَقُّ إذا تقسمت الأمور	جريرُ ذو الغنِي وبِسما تولى
وقدَرَ الحرب حاميَةً تفور	أغاث المسلمين وقد تواصوا
عليكِ ودوننا بلد شطير	أبا حفص سلام الله منا
ولم نحمد لك الوالي العظير	حسدنا فعل صاحبنا جرير
فلاتغفل بجيَلَة إن فيها	دواء الداء والخَير الكبير ».

٤. ثم تقدم جرير داخل إيران وفتح بعض المدن الصغيرة بدون مقاومة تذكر

قال البلاذري: « قالوا : لما فرغ المسلمون من أمر جلواء الواقعة ضم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى جرير بن عبد الله البجلي خيلاً كثيفة ، ورتبه بجلواء ليكون بين المسلمين وبين عدوهم ... وقدم حلوان فأقام بها والياً عليها إلى أن

قدم عمار بن ياسر الكوفة ، فكتب إليه يعلمه أن عمر بن الخطاب أمره أن يمد به أبا موسى الأشعري ، فخلف جرير عزرة بن قيس على حلوان ، وسار حتى أتى أبا موسى الأشعري في سنة تسع عشرة».

١٥. ثم أمره عمار أن يمد أبا موسى الأشعري في محاصرة عاصمة الأهواز

«فكتب عمار إلى جرير وكان مقيناً بجلولاء ، يأمره باللحاق بأبي موسى ، فخلف جرير بجلولاء عروة بن قيس البجلي في ألفي رجل من العرب ، وسار ببقية الناس حتى لحق بأبي موسى ، فكتب أبو موسى إلى عمر يستزيده من المدد ، فكتب عمر إلى عمار يأمره أن يستخلف عبد الله بن مسعود على الكوفة في نصف الناس ، ويسير بالنصف الآخر حتى يلحق بأبي موسى ، فسار عمار حتى ورد على أبي موسى ، وقد وفاه جرير من ناحية جلولاء». (الأخبار الطوال / ١٣٠).

أقول: وقعت معركة في فتح تستر على أبواب المدينة ، واستشهد فيها بعض المسلمين فتحصن أهل تستر داخل المدينة ، وتحصن الهرمزان في قلعتها . ثم جاءهم فارسي ليلاً ودفهم على طريق إلى المدينة فدخلوا في الصباح وفاجئوا أهلها واحتلوها ، واستسلم الهرمزان على أن يبعثوا به إلى عمر ، فأخذه عمار إلى المدينة مع الغنائم .

أما دور جرير وبجيلا في فتح تستر فكان عادياً ضمن دور الكويفين بقيادة والي الكوفة عمار بن ياسر رضي الله عنه .

١٦. ثم أرسله أبو موسى الأشعري إلى رامهرمز ليدعوهم إلى الإسلام فسباهم!

قال ابن الأعثم في الفتوح: «دعا (أبو موسى) بالنعمان بن مقرن المزني وجرير بن عبد الله البجلي ، فأمرهما بالمسير إلى رام هرمز على أنها يدعوان أهلها إلى

الإسلام . قال: فسار جرير حتى نزل على رام هرمز ، ثم إنه بعث بالنعمان بن مقرن ففتح قلعتين من قلاع رام هرمز وأصحاب منها سبياً وخيراً كثيراً .
 قال: وفتح جرير بن عبد الله مدينة رام هرمز بالسيف قسراً ، فاحتوى على أموالها ونسائها وذريتها . قال: وبلغ ذلك أبي موسى الأشعري فقال لأهل البصرة: ويحكم ! إني كنت أعطيت أهل رام هرمز الأمان وأجلتهم ستة أشهر إلى أن يروا رأيهم ، فعجل جرير بن عبد الله وأهل الكوفة ففتحوا مدینتهم قسراً وقسموا السبايا ، فهاتوا ما عندكم من الرأي !

قال أهل البصرة : الرأي في ذلك عندنا أن تكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عنه وتخبره بذلك .. فكتب عمر إلى صلحاء عسكر أبي موسى مثل حذيفة بن اليمان والبراء بن عازب وأنس بن مالك وسعيد بن عمرو الأنباري وغيرهم أن ينظروا في ذلك ، فإن كان أبو موسى قد أعطى رام هرمز من الأمان قبل ذلك كما زعم وأعطاهم عهداً وكتاباً مكتوباً ، أن يرد الناس ما في أيديهم من السبي ، وإن كانت امرأة حامل أن تخبس في موضع ويوكل عليها ويجرى لها النفقة حتى تضع ما في بطنهما ، ثم تغير بعد ذلك بين الإسلام والمقام مع صاحبها فإن اختارت الإسلام فذلك ، وإن أبنت ردت إلى بلادها ، وأن تستحلفو أبا موسى الأشعري أنه قد كان أعطى أهل رام هرمز عهداً وأماناً وضرب لهم أجلاً ستة أشهر كما زعم ، فإذا حلف بذلك فيرد السبي ولا سبيل عليهم إلى انقضاء المدة والأجل . فاستحلف المسلمون أبي موسى فحلف أنه قد أعطى أهل رام هرمز أماناً وعهداً مؤكداً وضرب لهم أجلاً ، وكانوا في موادعته ستة أشهر .

فلما حلف أبو موسى بذلك رد المسلمين السبي إلى بلادهم ووضعت المهام
ما في بطونهن فخيرن بعد ذلك ، فمنهن من اختارت الإسلام ، فأقامت مع
صاحبها ، ومنهن من أبى فردة إلى بلادها .

قال: وكتب بعض أصحاب جرير بن عبد الله إلى عمر بن الخطاب أبياتاً يذكر
 فعل جرير بأهل رام هرمز ، وأنه لم يفعل ما فعل إلا بأمر أبي موسى ، وأن أبي
 موسى هو الذي أمرهم بالتزول عليهم وبمحاربتهم ..».

أقول: يتوجه الباحث من تغيب سلمان الفارسي عن فتح رامهرمز ، وهي
بلده وموطنه ، فقد كانت أمه منها ، وأبوه من أصفهان لكنه دهقان رامهرمز ،
وقد غيَّب رواة السلطة دوره في دعوة أهلها ، وقد يكون هو الذي طلب لهم
المهلة ستة أشهر ليقرروا بين الإسلام والجزية .

ولعل أبي موسى بعث جريراً والنعسان بن مقرن إلى حصون رامهرمز ، فبعثه
جرير إلى الحصون وقصد هو المدينة ، ولم يكن فيها قتال يذكر ، ولا نظنه خيرهم
بين الإسلام والجزية ، ولا بد أنهم أخبروه أن أبي موسى أعطاهم مهلة ليختاروا
ولم تنته المهلة ، ولعلمهم طلبوا حضور ابن بلدهم سلمان الفارسي ، لكن جريراً لم
يسمع كلامهم واستباح المدينة ونبها وسيبي نسائها المعروفات بالجمال !
مهما يكن فقد حكم صلحاء معسكر أبي موسى الذين كلفهم عمر بالتحقيق في
الأمر ، بأن جريراً أخطأ أو تعمد فنеб وسبى بغير وجه شرعى !

وحكموا عليه فأرجع جنده شيئاً ما أخذوه وبعض الرجال والنساء اللائي لم يحملن ، وبقيت الحوامل حتى تضعن حلهم ، فإن لم تسلم تعطي حلها لأبيه وتعود إلى بلدتها ! وهي صورة سيئة عن ارتکبه المسلمين !
 لكن جريراً وجماعته ظلوا يؤكدون ويحملون أن أباً موسى هو المقصى فقد أمرهم بقتل أهل رامهرمز وسيبهم ! ولعله أمرهم بقتالهم ، ثم تراجع ، ولا نطيل بذكر مجادلاتهم وشكاياتهم !

١٧ . ثم التحق جرير بجيش المسلمين لمواجهة تجمع جيش الفرس في نهاوند ،
 فقد كانت معارك المسلمين المهمة مع الفرس خمسة: معركة الجسر والبويب
 والقادسية وجلواء ، وأخرها نهاوند ، وهي أهمها وسميت فتح الفتوح .
 فقد جمع فيها الفرس من أنحاء بلادهم مئة وخمسين ألفاً ، ونحوها أن يقصدوا
 المدينة المنورة لاستئصال أصل دين العرب ! فكتب عمّار بن ياسر رضي الله عنه
 وكان إلى الكوفة إلى عمر بخبرهم ، فخاف عمر وجمع الصحابة .

قال ابن الأعمش (٢٩١/٢): «فلياً ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 وقرأه وفهم ما فيه ، وقعت عليه الرعدة والنفحة حتى سمع المسلمون أطيط
 أضراسه ! ثم قام عن موضعه حتى دخل المسجد ، وجعل ينادي: أين
 المهاجرون والأنصار ! لا ياجتمعوا رحمة الله وأعينوني أعانك الله». فأشاروا
 عليه بآراء مختلفة ، فقال له علي عليه السلام: «فأقم بالمدينة ولا تبرحها فإنه أهيب لك في
 عدوك وأربع لقلوبهم ، فإنك متى غزوت الأعاجم بنفسك يقول بعضهم
 البعض: إن ملك العرب قد غزاها بنفسه لقلة أتباعه وأنصاره ، فيكون ذلك أشد

لكلبهم عليك وعلى المسلمين ، فأقم بمكانتك الذي أنت فيه وابعث من يكفيك هذا الأمر والسلام . قال: فقال عمر رضي الله عنه: يا أبو الحسن ! فما الحيلة في ذلك ، وقد اجتمعت الأعاجم عن بكرة أبيها بنهاوند ، في حسين ومائة ألف يريدون استئصال المسلمين ؟ فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الحيلة أن تبعث إليهم رجلاً مجرياً قد عرفته بالباس والشدة ، فإنك أبصر بجندك وأعرف برجالك ، واستعن بالله وتوكل عليه واستنصره للمسلمين فإن استنصره لهم خير من فئة عظيمة تمدهم بها ، فإن أظفر الله المسلمين بذلك الذي تحب وتريد ، وإن يكن الأخرى وأعود بالله من ذلك ، تكون رداء المسلمين وكهفًا يلتجؤون إليه ، وفتة ينحازون إليها . قال فقال له عمر: نعم ما قلت يا أبو الحسن ... فلما سمع عمر مقالة علي كرم الله وجهه ومشورته ، أقبل على الناس وقال: ويحكم عجزتم كلكم عن آخركم أن تقولوا كما قال أبو الحسن ! والله لقد كان رأيه رأيي الذي رأيته في نفي . ثم أقبل عليه عمر بن الخطاب فقال: يا أبو الحسن ! فأشر علي الآن برجل ترضيه ويرتضيه المسلمون أجعله أميراً ، استكفيه من هؤلاء الفرس فقال: قد أصبته . قال عمر: ومن هو ؟ قال: السعیان بن مقرن المزني ، فقال عمر وجميع المسلمين: أصبت يا أبو الحسن ! وما لها من سواه . قال: ثم نزل عمر عن المنبر ودعا بالسائل بن الأقرع بن عوف ..).

وقال ابن حبان في الثقات: ٢٢٤ / ٢: «لَمَّا بَلَغَ الْخَبَرَ أَهْلَ الْكُوفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَتَبُوا إِلَى عَمَرَ فَلَمَّا أَخْذَ عَمَرَ الصَّحِيفَةَ مَشَى بِهَا إِلَى مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِالْكِبَرِ وَجَعَلَ يَنْادِي: أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ! أَيْنَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ! مَنْ هَاهُنَا مِنْ

ال المسلمين ! فلم يزل بنادي حتى امتلأ عليه المسجد رجالاً.. قام علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه... فطبق عمر ثم أهل مكراً يقول: الله أكبر الله أكبر ، هذا رأي هذا رأي كنت أحب أن أتابع عليه . صدق بن أبي طالب ، لو خرجت ببني لنقضت على الأرض من أقطارها، ولو أن العجم نظروا إلى عياناً ما زالوا عن العرض حتى يقتلوني أو أقتلهم . أشر على باعلي بن أبي طالب برجل أوليه هذا الأمر. الخ.).

أقول: لم يذكر ابن الأعثم أن عمر عين قائداً بعد النعمان ، لكن قال الطبرى (٤/١٢٢): «وكتب (عمر) إلى النعمان وكان بالبصرة ، أن يسير بمن هناك من الجنود إلى نهاوند ، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه ، والأمير على الناس كلهم النعمان بن مقرن ، فإذا قتل حذيفة بن اليمان ، فإن قتل فجرير بن عبد الله فإن قتل فقيس بن مكشوح ، فإن قتل قيس ففلان ثم فلان ، حتى عد سبعة أحدهم المغيرة بن شعبة . وقيل لم يُسم منهم ، والله أعلم .».

كما روى الطبرى (٣/٢٠٣) أن النعمان بن مقرن: «عَبَّاً كَتَابَهُ وَخَطَبَ النَّاسَ قَالَ: إِنْ أَصَبْتُ فَعَلَيْكُمْ حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ ، وَإِنْ أَصَبْتُ فَعَلَيْكُمْ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِنْ أَصَبْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَعَلَيْكُمْ قَيسَ بْنَ مَكْشُوْحَ». .

وقال في الأخبار الطوال (١٣٥): «إِنْ قُتِلَ النَّعْمَانُ فَوْلِيُّ الْأَمْرِ حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ ، وَإِنْ قُتِلَ حَذِيفَةَ فَوْلِيُّ الْأَمْرِ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجْلِيِّ ، وَإِنْ قُتِلَ جَرِيرَ فَالْأَمْرِيْرِ الْمَغِيرَةَ بْنَ شَعْبَةَ ، وَإِنْ قُتِلَ الْمَغِيرَةَ فَالْأَمْرِيْرِ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيسِّ». .

أقول: تضارب الرواية فيما يخالف النعمان ، ولا يعلم أن جريراً كان منهم ، والمتافق عليه حذيفة بن البيهان رضي الله عنه ، وقد أثبتت كفاءة عالية ، وفتح الله على يده وانتصر المسلمين ، واعزز الفرس ، ثم واصل فتح المدن والمناطق داخل إيران .
وقد رویت بطولات لعدد من الفرسان والقبائل في نهاوند ، ومنهم بنو بجية .

قال ابن الأعثم في الفتوح: ٣٠٦/٢: «ثم أقبل جرير بن عبد الله البجلي على الناس فقال: يا معاشر المسلمين، إنكم قد علمتم بأن أميرنا النعمان بن مقرن قد قتل منذ ثلاثة أيام وهذا الرابع، وهؤلاء الأعاجم كلما كسرنا لهم جيشاً زحفوا إلينا بجيش هو أعظم منه، وقد تعلمون أن يزدجرد ملك الأعاجم قاطبة قد صار إلى أصفهان، ولست آمن أن يبعث إليكم بجيش عظيم فيكون فيه البوار، وهذه الشمس قد زالت كما ترون، فاعلموا أنها لا تغيب إلا ونحن في جوف قلعة نهاوند إن شاء الله ولا قوة إلا بالله». قال فقال طليحة بن خويلد الأسدي: والله ما الرأي إلا ما رأيت يا أبو عمرو! ولقد قلت قولًاً ويجب أن نجعلها واحدة، لنا أم علينا، فإننا لا نطيق كثرة هؤلاء القوم. قال: فقال عمرو بن معد يكرب: وبمحك يا طليحة! لا تقل علينا فإني أرجو أن تكون لنا وقلبي يشهد بذلك، كما أنه يشهد أبي مقتول في هذا اليوم، ألا؟ وإنى حامل فاحملوا معى رحْكُمُ اللهُ، فواه لآجِهِنَّ أَنِّي لَا أَرْجِعُ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ أَوْ أُقْتَلَ».

١٨. ثم عَيَّنَ عمر جريراً والياً على همدان ، وبقي والياً عليها في زمن عثمان ، قال البلاذري: ٣٩٤/٢: «فلمَّا وَلِيَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شَعْبَةَ الْكُوفَةَ ، وَلِيَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ هَمْدَانَ ، وَوَلِيَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبَ قَزْوِينَ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهَا فَإِنْ فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى يَدِهِ غَزَا الدِّيلَمَ مِنْهَا ، وَإِنَّمَا كَانَ مَغْزَاهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ دَسْتَبِي ، فَسَارَ الْبَرَاءُ وَمَعْهُ

حنظلة بن زيد الخيل حتى أتى أهير فقام على حصنها ، وهو حصن بناء بعض الأعاجم على عيون سدها بجلود البقر والصوف واتخذ عليها دكة ، ثم أنشأ الحصن عليها ، فقاتلواه ثم طلبوا الأمان ، فآمنهم على مثل ما أمن عليه حذيفة أهل نهاوند ، وصالحهم على ذلك ، وغلب على أراضي أهير » .

ويظهر أن جريراً كان يعتقد عثمان ، فقد كان مع مالك الأستر في الذين ذهبوا الشكاية وإلى عثمان على الكوفة ، وكانوا عائدين من العمرة ، فوجدوا أبا ذر قد توفي في الربدة فجهزوه وصلوا عليه ودفنه . (أنساب الأشراف: ٥٤٥ / ٥).

قال اليعقوبي: ١٦٥: «ولي الوليد بن عقبة بن أبي معيط الكوفة مكان سعد ، وصل إلى الناس الغداة وهو سكران أربع ركعات ، ثم تهوع في المحراب ، والتفت إلى من كان خلفه فقال: أزيدكم؟ ثم جلس في صحن المسجد وأتى بساحر يدعى بطروى من الكوفة ، فاجتمع الناس عليه فجعل يدخل من دبر الناقة ويخرج من فيها ويعمل أعاجيب... وأخذ الوليد أبا سنان فضربه مائة سوط ، فوثب عليه جرير بن عبد الله ، وعدى بن حاتم ، وحذيفة بن اليمان ، والأشعث بن قيس ، وكتبوا إلى عثمان مع رسليهم ، فعزله وولي سعيد بن العاص مكانه» . لكن يظهر أن جريراً تقرب إلى عثمان واسترضاه ، وسيأتي أن مالك الأستر رضي الله عنه اتهمه بأن عثمان اشتري منه دينه بولاية همدان . (وقعة صفين: ٦٠).

١٩ . وكان جرير البجلي يشرب الخمر ، ويظهر من كلامه أنه كان مدمناً عليها !

فقد روى ابن حزم في المثل: ٤٨٨: «عن عثمان بن قيس أنه خرج مع جرير بن عبد الله البجلي إلى حمام له بالعاقول ، فأكلوا معه ثم أوتوا بعسل وطلاء ، فقال: إشربوا العسل أنتم ، وشرب هو الطلاء وقال: إنه يستنكر منكم ولا يستنكر مني ! قال: وكانت رائحة توتجد من هنالك ، وأشار إلى أقصى الحلقة» !

أقول: دير العاقول بين بغداد والنعمانية ، والمقصود هنا العاقول بالكوفة ، وهو على شاطئ الفرات ، ومعناه أن جريراً كان عنده بستان فيه حام، ودعا اليه بعض الشخصيات المحترمين، وجاء لهم بعد الغداء بشراب عسل، وله بخمر، وقال لهم: هذا يناسبكم ولا يناسبكم ! وكانت رائحته قوية فوصلت إلى آخر الحلقة !

٢٠. وكان جرير تلميد الأشعث ، وأداته في الحسد ، والفتنة ، والتحرش ،

وقد رووا كيف كذب على عمر فسقط شر حبيل بن السبط ، وعزل عممار بن ياسر . قال عمر بن شبة في تاريخ المدينة: ٨١٩ / ٣: « أوفد سعد بن أبي وقاص جرير بن عبد الله إلى عمر ، فقال له الأشعث بن قيس: إن استطعت أن تناول من شر حبيل بن السبط عند عمر فافعل ! وكان شر حبيل قد شرف بالكوفة وكان أثيراً عند سعد ، فغَمَ ذلك الأشعث ! فلما قدم جرير على عمر سأله عن الناس فقال: هم كقداح الحصير فيها الأعضل الطائش والقائم الرائش ، وسعد أماها يقيم ميلها ويُعمر عضها ، وقد قال قائل ! قال: وما قال القائل؟ قال: قال:

الآتيتني والمرء سعد بن مالك وزيراً وابن السبط في جلة البحر

فيفرق أصحابي وأخرج سالماً على ظهر قرقور أنادي أبا بكر

قال عمر: أَفْدَ فعلها؟ وكيف طاعة الناس له؟ قال: يقيمون الصلاة لوقتها ويؤتون الزكاة ولاتها. قال: الله أكبر، إذا أقيمت الصلاة ، وأوتيت الزكاة كانت الطاعة . وكتب إلى سعد: أن احمل إلى زباء وشرحبيل ، فأرسلهما ، فأمسك زباء عنده بالمدينة ، وحمل شرحبيل إلى الشام ، فشرف بها ». .

وفي مصنف ابن أبي شيبة: ٩ / ٨، أن جريراً وفد مع عمار إلى عمر ، وكان عمار واليَا على الكوفة: «قال عمر: ألا تخبراني عن متزليكم هذين (يقصد الكوفة والمدائن) قال فقال جرير: أنا أخبرك يا أمير المؤمنين ، أما أحد المتزلين فأدنت نخلة من السواد إلى أرض العرب ، وأما المتزل الآخر فأرض فارس وعليها وَحْرُها وبقها ، يعني المدائن . قال: فكذبني عمار فقال: كذبت ! قال: فقال عمر: أنت أكذب ! ثم قال: ألا تخبروني عن أميركم هذا أجزٍ هو؟ قالوا: لا والله ما هو بمجزٍ ولا عالم بالسياسة . فعزله وبعث المغيرة بن شعبة» . والطبرى: ٤٢٤، وتاريخ دمشق: ٤٣ / ٤٥٠ .

ومسألة عزل عمار أعمق من هذا التبسيط ، وقد كان جرير أداة للأشعث وعمر فيها.

٢١. عندما بايع المسلمين علياً^{عليه السلام} دعا جرير المسلمين عنده إلى بيعته ووفد اليه

قال في أعيان الشيعة: ٤ / ٧٣: «كتب(عليه السلام) إلى جرير بن عبد الله البجلي مع زحر بن قيس ، وكان جرير عاماً لعثمان على ثغر همدان ، يخبره بوقعة الجمل ونكتهم بيعته ، وفعلهم بعامله عثمان بن حنيف وعفوه عنهم ، ومسيره إلى الكوفة . فخطبهم جرير فقال: أيها الناس ، هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو الأمون على الدين والدنيا ، وقد كان أمره وأمر عدوه ما نحمد الله عليه ، وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقهم بها . ألا وإن البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة ، وعلى حاملكم على الحق ما استقمتم فإن ملتم أقام ميلكم. فقال

الناس: سمعاً وطاعة، رضينا. فأجاب جرير وكتب جواب كتابه بالطاعة..

وقال جرير في ذلك:

نَرَدُ الْكِتَابَ بِأَرْضِ الْعِجْمَ	أَنَا كِتَابٌ عَلَيَّ فَلِمْ
وَلَا تُضْمَامُ وَلَا تُنَلَّمْ	وَلَمْ نَعْصِ مَا فِيهِ لَمَّا أَتَى
نَضِيمُ الْعَزِيزَ وَنَحْمِي الْذَّمِ	وَنَحْنُ وَلَا هُوَ عَلَى ثَغْرِهَا
بِكَأسِ الْمَنَابِيَا وَنَشْفِي الْقَرْمِ	نَسَاقِيهِمُ الْمَوْتُ عِنْدَ اللَّقَاءِ
وَضَرَبَ سَيْفُ تَطْيِيرِ اللَّمْ	طَحْنَاهُمْ طَحْنَةً بِالْقَنَا
وَدِينُ النَّبِيِّ بِجَلِ الظَّلْمِ	مَضِيَّنَا يَقِينًا عَلَى دِينِنَا
وَعَدْلُ الْبَرِّيَّةِ وَالْمَعْتَصِمِ	أَمِينُ الْإِلَهِ وَبِرْهَانُهُ
خَلِقْنَا الْقَائِمَ الْمَدْعُومَ	رَسُولُ الْمَلِيكِ وَمِنْ بَعْدِهِ
نَجَالَدُعْنَهُ غَوَّةُ الْأَمَمِ	عَلَيَّاً عَنِيتُ وَصَيَّ النَّبِيِّ
وَبَيْتُ الْبُوْتُ لَا يَهْتَضِمُ	لِهِ الْفَضْلُ وَالسُّبُقُ وَالْمَكْرَمَاتُ

قال: ثم أقبل جرير سائراً من ثغر همدان حتى ورد على علي بن أبي طالب بالковفة ، فباعمه ودخل فيها دخل فيه الناس من طاعة علي بن أبي طالب واللزوم لأمره ». وكتاب صفين لنصر بن مزاحم /٧ ، والإمامية والسياسة /٨٢ ، وجهرة خطب العرب: ٣٠٨ /١.

٢٢ . وبعده على بن أبي طالب إلى معاوية يدعوه أن يدخل فيها دخل فيه المسلمين ويباعمه ،

قال الطبرى: «وجه علي عند منصرفه من البصرة إلى الكوفة وفراغه من الجمل ، جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى بيته ، وكان جرير حين خرج على إلى البصرة لقتال من قاتله بها بهمدان عاملاً عليها ، كان عثمان استعمله عليها ، وكان الأشعث بن قيس على آذربيجان عاملاً عليها ، كان عثمان

استعمله عليها . فلما قدم على الكوفة منصر فأليها من البصرة كتب إليها يأمرها بأخذ البيعة له على من قبلها من الناس والإنحراف إليه ، ففعلا ذلك وانصرفوا إليه ، فلما أراد على توجيهه الرسول إلى معاوية قال جرير بن عبد الله .. إبعثني إليك فإنه لي وُدّ ، آتني فأدعوه إلى الدخول في طاعتك .

فقال الأشتر لعلي: لا تبعثه فواه الله إني لأظن هواه معه ! فقال علي: دعه حتى ننظر ما الذي يرجع به إلينا . فبعثه إليه وكتب معه كتاباً يعلمه فيه اجتماع المهاجرين والأنصار على بيته ونكث طلحة والزبير وما كان من حربة إياهم ، ويدعوه إلى الدخول فيها دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته ، فشخص إليه جرير ، فلما قدم عليه ماطله واستنظره ، ودعا عمراً (بن العاص) فاستشاره فيما كتب به إليه ، فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشام ، ويُلزم علياً دم عثمان ويقاتلهم بهم ، ففعل ذلك معاوية .

وكان أهل الشام .. لما قدم عليهم العenan بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه خصباً بدمه وبأصابع نائلة زوجته مقطوعة بالبراجم إصبعان منها وشئ من الكف ، وإصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الإبهام ، وضع معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر إلى الأجناد وثاب إليه الناس ، وبكوا سنة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه ، وآل الرجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء ولا يمسهم الماء للغسل إلا من احتلام ولا يناموا على الفرش ، حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشئ أو تفني أرواحهم !

فمكثوا حول القميص سنة والقميص يوضع كل يوم على المنبر ، ويجلله أحياناً فيلبسه ، وعلق في أردانه أصابع نائلة ، فلما قدم جرير بن عبد الله على فيها

حدثني عمر بن شبة قال: حدثنا أبو الحسن عن عوانة ، فأخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله ، وأنهم يبكون على عثمان ويقولون إن علياً قتله وأوى قتلته ، وإنهم لا يتنهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه .

فقال الأشتر لعلي: قد كنت نبيتك أن تبعث جريراً وأخبرتك بعداوته وغضبه ، ولو كنت بعثتني كان خيراً من هذا ، الذي أقام عنده حتى لم يدع باباً يرجو فتحه إلا فتحه ، ولا باباً يخاف منه إلا أغلقه !

فقال جرير: لو كنت ثم لقتلوك ، لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان !

فقال الأشتر: لو أتيتهم والله يا جرير لم يُعْنِي جوابهم ، وحملت معاوية على خطة أujeله فيها عن الفكر ، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين عليه السلام لجسرك وأشياهك في محيس لا تخرجون منه ، حتى تستقيم هذه الأمور !

فخرج جرير بن عبد الله إلى قرقيساء ، وكتب إلى معاوية ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، وخرج أمير المؤمنين فعسكر بالتخيلة ، وقدم عليه عبد الله بن عباس بمن نهض معه من أهل البصرة ». .

أقول: صرخ جرير في كلامه وشعره بعقيدته في علي عليه السلام وأنه وصي النبي صلوات الله عليه ، فكان عقله مع علي عليه السلام وهوأ مع معاوية ، وذلك لضعف إيمانه ، مع أنه صرخ برأيه السليبي في معاوية . وعندما كان مبعوثاً من علي عليه السلام في الشام ، كانت له مواقف ضعيفة ومواقف قوية ، منها ما كتبه إلى شرحبيل بن السمط وهو من أركان معاوية :

شرحبيل يا ابن الصمت لاتتبع الهوى	فيما لك في الدنيا من الدين من بدل
تروم بها ما رمت فاقطع له الأمل	وقل لابن حرب ما لك اليوم حرمة
وأنك مأمون الأديم من التغل	شرحبيل ان الحق قد جد جده
عليك ولا تعجل فلا خير في العجل	فأؤرذ ولا تُنْهَرْط بشئ نحافه
فقد خرق السربال واستنوق الجمل	ولاتك كالمحجري إلى شر غاية

وقال ابن هندي على عضنه
و الله في صدر ابن أبي طالب أجل
وما العلي في ابن عفان سقطة
بأمر ولا جلب عليه ولا قتل
إلى أن أتى عثمان في بيته الأجل
وما كان إلا لازماً قعريته
من قول غير هذا حسيبه
فمن قال قوله غير هذا فحسبه
وصي رسول الله من دون أهله
وفارسه الحامي به يضرب المثل
فلماقرأ شر حبيل الكتاب دُعِر وفكرو قال: هذه نصيحة لي في ديني ودنياي،
ولا والله لا أتعجل في هذا الأمر بشيء . وفي نفسي منه ! فلَفِقَ له معاوية الرجال
يدخلون إليه ويخرجون ، ويعظمون عنده قتل عثمان ويرمون به علياً عليه السلام !
ويقيمون الشهادة الباطلة والكتب المختلفة ، حتى أعادوا رأيه وشحدوا عزمه !
وذلك لما سبق في علم الله من شقائه». (أعيان الشيعة: ٤/٧٣).

ويظهر أن جريراً كان يحب أن يتحقق بمعاوية ويكون معه في صفين قائداً أو مشائراً
، خاصة أنه كتب له يدعوه للحضور إليه ، لكنه اصطدم برأي قبيله بجبلة التي
أجعّت على نصرة علي عليه السلام وحرب معاوية ، فقرر أن يعتزل الطرفين ! وانخذل من توبیخ
الأشر وشتمه له مبرراً لذلك !

قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين/ ٦٠: «فلما سمع جرير ذلك لحق بقرقيسيا
ولحق به أناس من قسر من قومه (قر بطن صغير من بجبلة) ولم يشهد صفين من
قسر غير تسعه عشر ، ولكن أحمس (بطن من بجبلة وهم كثرة وفرسان) شهدها منهم
سبعين مائة رجل ! وخرج على إلى دار جرير فشعث منها ، وحرق مجلسه (نقط)
وخرج أبو زرعة بن عمر بن جرير فقال: أصلحك الله ، إن فيها أرضًا لغير
جرير ، فخرج على منها إلى دار ثوير بن عامر فحرقها وهدم منها (مجلسه) وكان

ثوير رجلاً شريفاً وكان قد لحق بجرير . وقال الأشتر فيها كان من تخويف جرير
إيه عمرو ، وحوشب ذي ظليم ، وذي الكلام:

لعمُرُك يا جرير لقولْ عَمِّير
وَذِي كَلْعٍ وَحُوشَبَ ذِي ظَلَمٍ
أَخْفُ عَلَيَّ مِنْ زَفَ النَّعَامِ
إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَيَّ فَخَلَّ عَنْهُمْ
وَلَسْتُ بِخَائِفٍ مَا خَوْفُونِي
وَهُمُ الَّذِينَ حَامُوا عَلَيْهِ
مِنَ الدُّنْيَا، وَهُمْ مَا أَسَمَّى
فِيَانَ أَسْلَمَ أَعْمَهُمْ بِحَرَبٍ
يَشِيبُ هُوَهَا رَأْسُ الْفَلَامِ
إِنْ أَهْلَكَ فَقْدَ قَدَمْتُ أَسْرَأً
أَفْوَزَ بِفَلْجَسِي يَوْمَ الْخِصَامِ
وَقَدْ زَارُوا إِلَيَّ وَأَوْعَدُونِي
وَمِنْ ذَمَّاتِ مِنْ خَوْفِ الْكَلَامِ»

أقول: لاحظ أن أمير المؤمنين عليهما السلام أحرق من بيت جرير وثوير غرفة مجلسهما فقط ،
وكأنه يقصد مركز الفساد والنفاق في منزلهما .

كما كان الوجهاء ورؤساء العشائر يتخذون في دورهم أو أحيايهم مساجد ، وكان
المنافقون أمثال الأشعث وجرير يتذخونها مساجد ضرار ، فسماها أمير
المؤمنين عليهما السلام المساجد الملعونة في الكوفة !

قال الإمام البارق عليهما السلام: «إن بالكوفة مساجد ملعونة ومساجد مباركة.. وأما
المساجد الملعونة فمسجد ثعيف ، ومسجد الأشعث ، ومسجد جرير ، ومسجد
سماك ، ومسجد بالخمراء بنبي على قبر فرعون من الفراعنة . وروي أنها المساجد
التي فرح أهلها بقتل الحسين عليهما السلام . (الكافـي: ٤٩٠ / ٣) ، والخمراء: هي باخرى قربة قرب
الكوفة ، وفيها قبر ابراهيم بن عبد الله بن الحسن .»

**٢٣ . وكان جرير يبغض علياً عليهما السلام ، وقد حرف حديث الغدير فأضاف فيه مدح
أبي بكر وعمر ! وزعم أن النبي عليهما السلام أخذ بذراع علي عليهما السلام يوم الغدير ، وقال: من**

يَكْنِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مَوْلَاهُ ، فَإِنْ هَذَا مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالَّهُمَّ مِنْ عَادَاهُ . اللَّهُمَّ مِنْ أَحْبَبَهُ مِنَ النَّاسِ فَكَنْ لَهُ حَبِيبًا ، وَمِنْ أَبْغَضَهُ فَكَنْ لَهُ مَبْغَضًا . اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا اسْتَوْدِعُهُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ الْعَبْدِينَ الصَّالِحِينَ . أَيْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ !

وكان جرير والأشعث بن قيس وابن حرث وعده من متوفى الكوفة وشخصياتها المناقفة ، يتزهون ويشربون ، وقد سخروا من أمير المؤمنين عليه السلام وباعوا ضباباً بإمرة المؤمنين ! (رجال الطوسي / ٣٣ ، والنجاشي / ٧١ ، ومعجم السيد الخوئي : ٤ / ٣٦٢ ، والواقي للصفدي : ١ / ٥٩ ، والتهابي : ٥ / ٩١).

وروى في مناقب آل أبي طالب : ٩٧ ، والخراريج : ٧٤٧ : « يأسناده عن الأصبع قال : أمرنا أمير المؤمنين بالمسير من الكوفة إلى المدائن ، فسرنا يوم الأحد وتخلَّفَ عنا عمرو بن حرث والأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي ، مع خمسة نفر فخرجوا إلى مكان بالحيرة يقال له الخورنق والسدير وقالوا : إذا كان يوم الجمعة لحقنا علينا قبل أن يجتمع الناس ، فصلينا معه . فيينا هم جلوس وهم يتغدون إذ خرج عليهم ضب فاصطادوه ، فأخذه عمرو بن حرث فبسط كفه فقال : بابعوا هذا أمير المؤمنين ! فباعيه الشهانية ، ثم أفلتوه وارتخلوا وقالوا : إن على بن أبي طالب يزعم أنه يعلم الغيب ، فقد خلعناه وبابعوا مكانه ضباباً !

فقدمو المدائن يوم الجمعة ، فدخلوا المسجد وأمير المؤمنين عليه السلام ينطَّبُ على المنبر فقال عليه السلام : يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرَّ إليَّ من العلم حديثاً فيه ألف باب ، وكل باب يفتح منه ألف باب ، وإن سمعت الله يقول : يَوْمَ نَدْعُو أَكُلَّ أَنْاسٍ يَأْتِمُهُمْ .. وإن أقسم بالله قسماً حقاً ليعيش يوم القيمة ثمانية نفر من عسكري هذابدعون أنهم أصحابي ، لحقوا بنا آنفأ ، إمامهم ضب اصطادوه في طريقهم وبابعوا ، ولو شئت أن أسميهم لفعلت ! فتغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ، وكان عمرو بن حرث يتتفض كما تتفض السعفة جبناً وفرقأً !

٤٤. لكن بجيلة أخلصت ولاءها لأمير المؤمنين عليه السلام واستبدلت جريراً برافعة ،

وقد شاركت مع علي عليهما السلام في صفين فقد كان الأحسيون الفرسان سبع مئة ، وربما كان الباقيون من بقية بطون بجيلة أكثر . بينما لم يكن منهم مع معاوية إلا قلة .

قال نصر في صفين / ٢٢٩ : « وأمر (عليه السلام) كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام ، إلا قبيلة ليس منهم بالشام أحد ، مثل بجيلة لم يكن بالشام منهم إلا عدد يسير ، فصرفهم إلى خم ». أي جعلهم مقابل قبيلة خم .

وذكر في صفين / ٢٠٥ ، أن رئيسهم كان رفاعة بن شداد رضي الله عنه ، وهو فارس ، وفقيه ، وسيد قراء الكوفة ، وكان من كبار شيعة علي عليهما السلام وشارك معه في حرب الجمل هو وكثير من البجليين . وهذا يدل على أن رئاسة بجيلة خرجت من يد جرير رغم ثروته من الفتوحات ، وولايته لمنطقة همدان الهمة . وقد روى النسائي وابن ماجة عن رفاعة ، ووثقوه . وروى هو عن أستاذه الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي . (تهدیب التهذیب: ٣/٢٤٣).

وقد ثبت رفاعة على التشيع بعد علي عليهما السلام . وعندما قبض معاوية على حجر بن عدي وأصحابه ، طلبه فهرب مع عمرو بن الحمق إلى الموصل . ثم كان من رؤساء التوابين . ثم خرج مع المختار للطلب بدم الإمام الحسين عليهما السلام . (راجع: أنساب الأشراف: ٥/٢٧٢، ٥/٢٧٢، والفتح لابن الأثيم: ٢/٤٦٢، والطبرى: ٤/٥٢٣).

نتيجة

يتضح لك من سيرة جرير بن عبد الله البجلي ، دوره الحقيقي في معارك الفتوحات ، وأنه كان دوراً متوسطاً أو أقل ، وقد ضخموه لأنه مرضي عند السلطة ! على أنه يبقى أشجع من خالد وسعد ، ويبقى دوره الميداني أكبر من أدوارهما المزعومة ، لأن جريراً كان مقاتلاً أحياناً ، بينما كان خالد وسعد سياسيين ، في ثوب فرسان !

عمرو بن العاص.. لا نبلٌ ولا شجاعة !

١. كان أبوه العاص بن وائل السهمي من زنادقة قريش ، وقد سماه الله الأبراء

قال المؤرخ ابن حبيب في المنمق ٣٨٨ ، إن زنادقة قريش .. تعلموا الزنادقة (الإلحاد) من نصارى الخيرة: «وهم: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، وصخر بن حرب، وعقبة بن أبي معيط، وأبي بن خلف، وأبو عزة، والنضر بن الحارث بن كلدة، من بني عبد الدار، ونبيه ومنبه أبا الحجاج» .

وفي الكتب والألقاب: ٥٦/١: «وكان العاص بن وائل السهمي بيطاراً يعالج الخيل، وكان ابنته عمرو جزاراً، وكذلك أبو حنيفة صاحب الرأي والقياس». وكان العاص أحد المستهزئين الخمسة ، وهم أشد المشركيين عداءً للنبي ﷺ . وقد عملوا لقتله عليه السلام ثلاث سنوات وهم يتربصون الفرصة لقتله غيلةً ، ويطالبون أبا طالب وبني هاشم أن يدفعوه اليهم ليقتلواه ، ثم أنذروه وحددوا له وقتاً ليتراجع عن نبوته ، وإلا قتلواه جهاراً ! فأنزل الله عليه قوله: فَاضْدَعْ بِهَا تُؤْمِرُ وَأَغْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَنَّاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ .

وجاءه جبرئيل عليه السلام وقال له: لقد كفاك الله إياهم ! فقتل الله خمستهم ، كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه ، في يوم واحد .

فأما الوليد بن المغيرة والد العاص فمرةً بنبل لرجل راسه ووضعه في الطريق فأصابه شظية منه فانقطع أكماله حتى أدماء فمات وهو يقول: قتلني رب محمد ! وأما العاص بن وائل السهمي ، فإنه خرج في حاجة له إلى موضع فتددهه تحته حجر ، فتقطعت قطعة قطعة ، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد !

وأما الأسود بن عبد يغوث ، فخرج يستقبل ابنه زمعة فاستظل بشجرة ، فأتاه جبرئيل عليهما السلام فأخذ رأسه فنطح به الشجرة ، فقال لغلامه: إمنع هذا عني فقال: ما أرى أحداً يصنع بك شيئاً إلا نفسك ! فقتله وهو يقول: قتلني رب محمد !

وأما الأسود بن المطلب فدعا عليه النبي عليهما السلام أن يعمي الله بصره ، ويشكّله ولده فلما كان في ذلك اليوم خرج حتى صار إلى موضع ، فأتاه جبرئيل عليهما السلام بورقة خضراء فضرب بها وجهه فعمي ، وبقي حتى أنكله الله عز وجل ولده !

وأما الحارث بن الطلاطلة فخرج من بيته في السموم فتحول حبشاً فرجع إلى أهله فقال: أنا الحارث ، فغضبوا عليه فقتلوه وهو يقول: قتلني رب محمد !

قتل الله خستهم ! قد قتل كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه ، في يوم واحد !

وذلك أنهم كانوا بين يدي رسول الله عليهما السلام فقالوا له: يا محمد نتظر بك إلى الظهر فإن رجعت عن قولك وإلا قتلناك ! فدخل النبي عليهما السلام منزله فأغلق عليه بابه مغتَلَّاً لقوتهم ، فأتاه جبرئيل عليهما السلام عن الله عز وجل من ساعته فقال: يا محمد ، السلام يقرأ عليك السلام ، ويقول لك: فاصدِعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَغْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . يعني أظهر أمرك لأهل مكة ، وادعهم إلى الإيمان. قال: يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أودعوني؟ قال له: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ، قال: يا جبرئيل كانوا الساعة بين يدي ! قال: وقد كفيتهم. فأظهر أمره عند ذلك». (حلية الأولياء: ١٢٧).

وفي سيرة ابن هشام: ٢٦٥/٢ ، وأسباب النزول للواحدي: ٣٠٧: «كان العاص بن وائل السهمي إذا ذُكر رسول الله عليهما السلام قال: دعوه فإنها هو رجل أبتر لاعقب له ، لو هلك انقطع ذكره واسترحم منه، فأنزَلَ الله تعالى في ذلك: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ.

ما هو خير لك من الدنيا وما هو فيها ، والكثير: العظيم من الأمر . إِنَّ شَانِئَكَ
هُوَ الْأَكْبَرُ: العاص بن وائل .

عن ابن عباس قال: نزلت هذه السورة في العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم ، أنه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باببني سهم وتحديثا، وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتر ، يعني النبي ﷺ وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله وكان من خديجة ، وكانتا يسمون من ليس له ابن: أبتر، فسمته قريش عند موت ابنه أبتر وصبرورا فأنزل الله سبحانه: إنا أعطيناك الكوثر». (أسباب التزول / ٣٠٦)

وفي مناظرة الإمام الحسن عليه السلام مع عمرو كما في التشريف بالمن لابن طاووس /٣٦٢ «أنت كالكلب لا يحمد منه رأس ولا ذنب . قد يمك مذموم ، وحديثك بالشر موسوم ، ولدت على فراش مشترك ، واحتضن فيك خمسة ، فغلب عليك الأئم حسباً وأخبثهم منصباً . وأنت الأبتر شانع محمد عليه السلام ، وأنت الراكب إلى النجاشي لانتقاده جعفر وتعريفه للتلف . وأنت الهاجي رسول الله عليه السلام بسبعين بيتأ حتى قال: اللهم اعننا بكل بيت لعنة ! وأنت الملهم المدينة ناراً على عثمان ، والهارب إلى فلسطين ، والبائع بعدُ من معاوية بدنية الدين ».

رواه في الاحتجاج: ٤١١، مفصلاً وفيه: «ثم قمت خطيباً وقلت: أنا شانع محمد وقال العاص بن وايل: إن حمداً رجل أبتر لا ولد له فلو قد مات انقطع ذكره،

فأنزل الله تبارك وتعالى: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْرَزُ . وكانت أملك تمشي إلى عبد قيس
تطلب البغية ، تأتיהם في دورهم ورحالم وبطون أو ديتهم !

ثم كنت في كل مشهد يشهده رسول الله ﷺ من عدوه أشدهم له عداوة ،
وأشدhem له تكذيباً. ثم كنت في أصحاب السفينة الذين أتوا النجاشي والمهرجر
الخارج إلى الحبشة في الإشارة بدم جعفر بن أبي طالب وساير المهاجرين إلى
النجاشي ، فحاقد المكر السبع بك ، وجعل جدك الأسفل ، وأبطل أمانتك ،
 وخيب سعيك ، وأكذب أحdonتك ، وجعل كلمة الذين كفروا السفل ، وكلمة
الله هي العليا. ولستنا نلومك على بغضنا ، ولا نعاتبك على حبنا ، وأنتم عدو
لبني هاشم في الجاهلية والإسلام ، وقد هجوت رسول الله ﷺ بسبعين بيتاً من
شعر فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني لا أحسن الشعر ولا ينبغي لي أن أقوله ،
 فالعلن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة !

أقول: في سورة الكوثر حقائق كثيرة ، لا يتسع لها المجال. ومعناها أن الله تعالى أعطى
لرسوله ﷺ كثرة الذريعة من فاطمة بنت النبي ، وحضور الكوثر في المحشر ، ونهر الكوثر في
الجنة . فقد استعملت الكلمة في عدة معان ، وهذا من بلاغة القرآن .

٢. وتُعرَف أم عمرو بالنابغة ، وهي أمّة لبني عنزة ، كانت في مكة صاحبة راية
وقد اختارت أباً لعمرو بعد ولادته ، من بين خمسة رجال زنوا بها ! قال الزمخشري
في ربيع الأبرار: ٤/٢٧٥: «كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمّةً رجل من عنزة ،
فسبيبت فأشترتها عبد الله بن جدعان فكانت بعثياً ثم عتقت ، ووقع عليها أبو
ل heb ، وأمية بن خلف ، وهشام بن المغيرة ، وأبو سفيان بن حرب ، والعاص بن

وائل في طهر واحد ، فولدت عمراً ، فادعاه كلهم فحُكِّمَتْ فيه أمه (وكانت القاعدة تحكميـن البغـة) فقالـتـ: هو للعاـصـ ، لأنـ العـاصـ كانـ يـنـفـقـ عـلـيـهـاـ ، وـقـالـواـ: كـانـ أـشـبـهـ بـأـبـيـ سـفـيـانـ ». .

وقال الأميني كتاب في الغدير (١٢٢/٢) مـا مـا خـلاـصـتـهـ: قالـ الكلـبيـ في مـا ثـالـبـ الـعـرـبـ في بـابـ تـسـمـيـةـ ذـوـاتـ الرـاـيـاتـ: وأـمـاـ النـاـبـغـةـ أـمـ عـمـروـ بـنـ الـعـاصـ فـإـنـهـ كـانـ بـغـيـاـ قـدـمـتـ مـكـةـ وـمـعـهـ بـنـاتـ هـاـ، فـوـقـعـ عـلـيـهـاـ الـعـاصـ بـنـ وـائـلـ ، وـأـبـوـ هـلـبـ ، وـأـمـيـةـ بـنـ خـلـفـ ، وـهـشـامـ بـنـ الـمـغـيرـةـ ، وـأـبـوـ سـفـيـانـ بـنـ حـرـبـ ، فـيـ طـهـرـ وـاحـدـ فـوـلـدـتـ عـمـراـ فـاـخـتـصـ الـقـوـمـ جـيـعـاـ فـيـهـ كـلـ يـزـعـمـ أـنـهـ اـبـنـهـ ، ثـمـ إـنـهـ أـضـرـبـ عـنـهـ ثـلـاثـةـ وـأـكـبـ عـلـيـهـ اـثـنـانـ: الـعـاصـ بـنـ وـائـلـ ، وـأـبـوـ سـفـيـانـ بـنـ حـرـبـ فـقـالـ أـبـوـ سـفـيـانـ: أـنـاـ وـالـهـ وـضـعـتـهـ فـيـ حـرـ أـمـهـ . فـقـالـ الـعـاصـ: لـيـسـ هـوـ كـمـاـ تـقـولـ هـوـ اـبـنـيـ ، فـحـكـمـ أـمـهـ فـيـهـ ، فـقـالـتـ: لـلـعـاصـ . فـقـيلـ لـهـ بـعـدـ ذـلـكـ: مـاـ حـلـكـ عـلـىـ مـاـ صـنـعـتـ وـأـبـوـ سـفـيـانـ أـشـرـفـ مـنـ الـعـاصـ؟ فـقـالـتـ: إـنـ الـعـاصـ كـانـ يـنـفـقـ عـلـىـ بـنـاتـيـ ، وـلـوـ أـحـقـتـهـ بـأـبـيـ سـفـيـانـ لـمـ يـنـفـقـ عـلـيـهـ الـعـاصـ شـيـئـاـ ، وـخـفـتـ الضـيـعـةـ .

وقـالـ حـسـانـ بـنـ ثـابـتـ لـعـمـروـ بـنـ الـعـاصـ ، رـدـاـ عـلـىـ هـجـائـهـ لـرـسـوـلـ الـلـهـ صـلـيـلـهـ عـلـيـهـ وـلـهـ آـلـهـ وـسـلـيـلـهـ:

أـبـوـكـ أـبـوـ سـفـيـانـ لـاشـكـ قـدـبـدـتـ	لـنـافـيـكـ مـنـهـ بـيـنـاتـ الدـلـالـ
فـفـاخـرـبـهـ إـمـاـ فـخـرـتـ وـلـاـ تـكـنـ	تـفـاخـرـبـ الـعـاصـ الـهـجـيـنـ بـنـ وـائـلـ
وـإـنـ الـتـيـ فـيـ ذـاكـ يـاـ عـمـروـ حـكـمـتـ	فـقـالـتـ رـجـاءـ عـنـدـ ذـاكـ لـنـائـلـ
مـنـ الـعـاصـ عـمـروـ تـخـبـرـ النـاسـ كـلـمـاـ	تـجـمـعـتـ الـأـقـوـامـ عـنـدـ الـمـحـاـمـلـ

وـوـصـفـواـ أـبـيـ سـفـيـانـ بـأـنـهـ دـيـمـ قـصـيرـ أـخـفـشـ الـعـيـنـينـ . (سـطـ الـلـاـلـيـ / ٣٣٢ـ).

وـوـصـفـواـ عـمـروـ الـعـاصـ بـأـنـهـ قـصـيرـ ، يـخـضـبـ لـحـيـتـهـ بـالـسـوـادـ . (الـحاـكـمـ: ٤٥٢ـ / ٣ـ).

«قصيراً عظيم الهامة ناتئ الجبهة ، واسع الفم ، عظيم اللحية ، عريض ما بين المنكبين ، عظيم الكفين والقدمين» . (فتح مصر للقرشي المصري / ١٢٣) .
وما نلاحظه أن عليه عليه السلام كان يسميه: ابن النابغة ، ولم يقل ابن العاص أبداً !

٣. وكان عمرو من طفولته كأبيه العاص يبغض النبي ﷺ ويبغض عشيرته ،
فقد روى المقريري في إمتناع الأسباع: ٥/٣٣٣، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال:
«توفي القاسم بن النبي ﷺ فمر رسول الله وهو آت من جنازته على العاص بن وائل وابنه عمرو بن العاص ، فقال عاصر حين رأى رسول الله ﷺ : إني لأنشأه فقال العاص: لاجرم لقد أصبح أبترأ ، وأنزل الله تعالى: إِنَّ شَانِتُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» .

وقد عمل عمرو مع أبيه ضد النبي ﷺ ، وأرسلته قريش مرتين إلى النجاشي
تطلب منه أن يرد إليها المسلمين الذين اضطهدتهم وهاجروا إلى الحبشة !
ففي ذخائر العقبى / ٢١٣ ، عن ابن مسعود: «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع
جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي ، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن
ال العاص وعمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشي هدية ..» .

وقال دحلان في سيرته: ١/٤١٧: «كان لعمرو بن العاص هجرتان إلى الحبشة في
شأن المهاجرين على ما يذكره التاريخ: أحدهما مع عمارة في بدء الهجرة ، والثاني
مع عبد الله بن ربيعة بعد بدر ، ورجع خائباً خاسراً» .

وقال له الإمام الحسن عليه السلام في مناظرته (الاحتجاج: ١/٤١٥): «وأما أنت يا عمرو بن
ال العاص الشان اللعين الأبتر.. كنت في كل مشهد يشهدك رسول الله ﷺ من

عدوه أشدّهم له عداوة وأشدّهم له تكذيباً ! ثم كنت في أصحاب السفينة الذين أتوا النجاشي في الإشارة بدم جعفر بن أبي طالب وساير المهاجرين ، فحاق المكر السئ بك ، وجعل جدك الأسفل ، وأبطل أمانتك وخيب سعيك ، وأكذب أحديّتك ، وجعل كلمة الذين كفروا السفل ، وكلمة الله هي العليا».

وقد أبغض عمرو النبي ﷺ وحاربه وهجا في حياته ، وكذب عليه بعد وفاته ! ففي مصباح البلاغة: ٤/٢٧: «ومن كلامه لما بلغه أن عمرو بن العاص خطب الناس بالشام فقال: يعني رسول الله ﷺ على جيش فيه أبو بكر وعمر فظنت أنه إنما يعني لكرامتي عليه ، فلما قدمت قلت: يا رسول الله ، أي الناس أحب إليك؟ فقال: عاشرة . قلت: من الرجال؟ قال: أبوها . وهذا على يطعن على أبي بكر وعمر وعثمان . وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه ، وقال في عثمان: إن الملائكة تستحي من عثمان ، وقد سمعت علياً وإلا فَصُمْتَا يروي على عهد عمر أن نبي الله نظر إلى أبي بكر وعمر مقبلين فقال: يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، ما خلا النبيين منهم والمرسلين ، ولا تخدثها بذلك فيهلكا !

قال علي عليه السلام: العجب من طغاة أهل الشام حيث يقبلون قول عمرو ويصدقونه وقد بلغ من حديثه وكذبه وقلة ورעה أن يكذب على رسول الله ﷺ وقد لعنه سبعين لعنة ، ولعن صاحبه الذي يدعوه إليه في غير موطن ! وذلك أنه هجا رسول الله ﷺ بقصيدة سبعين بيتاً فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني لا أقول الشعر ، فاللعنة أنت وملائكتك بكل بيت لعنة تترى على عقبه إلى يوم القيمة !

ما لقيت من هذه الأمة من كذابها ومنافقها ! لكأني بالقراء الضعفة المجتهدين قد رروا حديثه وصدقوه فيه ، واحتجو علينا أهل البيت بكتبه أنا نقول خير هذه الأمة أبو بكر وعمر ، ولو شئت لسميت الثالث . والله ما أراد بقوله في عايشة وأبيها إلا رضا معاوية! ولقد استرضاه بسخط الله! وأما حديثه الذي يزعم أنه سمعه مني ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليعلم أنه كذب علىَّ يقيناً ، وإن الله لم يسمعه مني سرًا ولا جهراً! اللهم العن عمروًا وعن معاوية بصدقهما عن سبilk، وكذبها على كتابك، واستخفافهما بنبيك ﷺ، وكذبها عليه وعلىَّ

وفي شرح النهج: ٦٣/٤: «إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليٍّ تقتضي الطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغلب في مثله ، فاختلقو ما أرضاه ، منهم أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير .. وأما عمرو بن العاص، فروى عنه الحديث الذي أخرججه البخاري ومسلم في صحيحيهما مسنداً متصلًا بعمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ، إنها ولبي الله وصالح المؤمنين !

وأما أبو هريرة ، فروى عنه الحديث الذي معناه أن علياً خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله ﷺ فأمسك بخطه ، فخطب على المنبر وقال: لاها الله! لا تجتمع ابنة ولد الله وابنة عدو الله أبي جهل ! إن فاطمة بضعة مني يؤذني ما يؤذيها ، فإن كان على يزيد ابنة أبي جهل ، فليفارق ابنتي وليفعل ما يريد » .

وهذا يدل على أن عمرو العاص كان محترفًا للكذب ، وكان يؤكّد ذلك بفجور !

٤. وكان عمرو من شأنه حريصاً على أن يظهر بمظاهر الفروسية والشجاعة ،

كغيره من شباب المجتمع القرشي ، وقد شارك في حروب قريش ضد النبي ﷺ لكن لم يعهد عنه أنه برب إلى أحد ، أو شارك في القتال بجدية في حرب من الحروب ، بل كان مناورةً يجنب نفسه القتال ، كصديقه خالد بن الوليد .

وكان صديقه معاوية أصغر منه سنًا ، ورروا لها حفلات هو ، فقد كانا بعد وقعة أحد يتغينان بمقتل حمزة رضي الله عنه ، ويُسخران بالنبي ﷺ قال الصحابي أبو بربة وغيره: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر أفسمع رجلين في غرفة في ربوة يتغينان وأحدهما يحب الآخر ، وهو يقول:

ترك حواريًّا تلوح عظامه زوى الحرب عنه أن يُجئَ فُيقرأ

فقال النبي ﷺ: أنظروا من هما ؟ قال: فقالوا: عمرو و معاوية . فقال ﷺ: اللهم اركسهما ركساً ، و دعهما إلى النار دعاءً .

وقد صححه بعض أئمة الحديث . انظر: جزء أحاديث الشعر / ٩٥ ، للمقدسي ، ومستند أبي بعل: ١٣ ، ٤٢٩ ، والطبراني الكبير: ١١ ، ٣٨ / ٧ ، والأوسط: ١٣٣ / ٧ ، وابن أبي شيبة: ٥٠٨ / ٧ .

ومعنى البيت: افتخار المشركون بأنهم تركوا بغيراً في أحد ظاهرة عظامه ، وقد شغل الحرب المسلمين أن يدفونه ، ويقصدون حمزة .

ومعنى الرَّكْسُ: قلب الشيء على رأسه أو ردّ أوله على آخره . والدَّعْ: الدفع بدون احترام .

وفي الغارات: ٥١٣ / ٢: «بلغ عليه أن ابن العاص ينتقصه عند أهل الشام فتصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا عجبًا لايتفضي لابن النابغة ، يزعم لأهل الشام أن في دعابة ، وأني أمرت لدعابة ، أعافس وأمارس ، إنه والله يعلم لقد قال كاذبًا ونزع آثماً ، أما يشغله عن ذلك ذكر الموت وخوف الله والحساب؟

أما وشر القول الكذب ، إنه ليقول فيكذب ، ويعد فيخلف ، ويسأل فيلحف ،
ويُسأَل فيدخل ، وينقض العهد ويقطع الإلَّا . فإذا كان عند البأس فراجر وامر ،
ما لم تأخذ السيوف مأخذها من اهام ، فإذا كان ذلك فأكبر مكيدته أن يُمْرِقْط
ويمنح إسته ، قبحه الله وَتَرَّحْه » . وأمالي الطوسي / ١٣١

ولم أجده معنى يُمْرِقْط ، ولا بد أن تكون بمعنى ينكص ويهرب . وقد تفرد بروايتها
الثقفي ، وفي أكثر المصادر: فغاية مكيدته أن يمنح القرْم سُبْتَه ! أي إذا نفوق عليه من
بيارزه كشف عورته أمامه ، ليغض بصره ويتركه ، فينجو من القتل !
وهذا أمر مشهور عن عمرو ، تكرر منه في مبارزته لعلي عليه السلام ، وعيَّره به معاوية ،
وكفى به رداً على من ادعى له بطولة في الفتوحات !

قال في شرح النهج: ٣١٧/٦: «وروى الواقدي قال: قال معاوية يوماً بعد استقرار
الخلافة له لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله لا أراك إلا ويغلبني الضحك ! قال:
بماذا ؟ قال: أذكر يوم حل عليك أبو تراب في صفين ، فأزررت نفسك فرقاً من
شيا سنانه وكشفت سواتك له ! فقال عمرو: أنا منك أشد ضحكاً ، إنني لأذكر
يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك ، وربا لسانك في فمك ، وغضبت بريفك ،
وارتعدت فرائصك ، وبدا منك ما أكره ذكره لك !

فقال معاوية: لم يكن هذا كله ، وكيف يكون ودوني عك والأشعريون ! قال:
إنك لتعلم أن الذي وصفت دون ما أصابك ، وقد نزل ذلك بك ودونك عك
والأشعريون ، فكيف كانت حالك لو جمعكما مأقط الحرب ؟ فقال: يا أبا عبد الله
حضرتنا اهزل إلى الجد ، إن الجبن والفرار من عليٌّ لا عار على أحد فيها !

٥. اعترف عمرو وزميله خالد بن الوليد أن سبب إسلامهما هو الطعم الديني

فقد قال كما في جمع الزوائد ووثقه: (٣٥٠/٩): «لما انصرنا من الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون مكانى ويسمعون مني ، فقلت لهم: تعلمون والله إنى لأرى أمر محمد يعلو الأمور علوًّا منكراً ، وإنى قد رأيت أمراً فما ترون فيه؟ قالوا: وما رأيت؟ قلت: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن تكون تحت يدي محمد ! وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتيانا منهم إلا خير . قالوا: إن هذا الرأي ».

ثم وصف عمرو كيف أن خالد بن الوليد وافقه على رأيه . لكنهما قررا أن يُسلما بعد عمرة القضاء في السنة السابعة ، وجاءا إلى المدينة وأسلموا .

٦. ضخموا دور عمرو وزميله خالد مع النبي ﷺ في الستين اللتين أسلما فيها

وقد كشفنا ذلك في السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام ، فراجع ما كتبناه عن دور خالد في غزوة مؤتة ، ودور عمرو في غزوة ذات السلاسل .

٧. ضخموا دور عمرو في فتوحات فلسطين ومصر ، واختاروا له بطولات !

ونلاحظ أنه لا أثر له في معارك الردة ، في الدفاع عن المدينة ، ثم في معركة بزاخة مع طليحة الأسدي ، ولا في معركة اليمامة مع مسيلة الكذاب ، ولا في معارك البحرين وعمان مع المرتدين ، وكذا في فتح العراق وفارس .

ثم ننظر في معارك فلسطين والشام ومصر فلا نجد له مبارزةً ولا قتالاً جاداً في أي منها ، بل نجد أنه والرواة معه اخترعوا معارك لا وجود لها ! وقد كان غائباً عن بعضها، وحاضرًا في بعضها ، لكنه غير مقاتل ، ولا قائد ميداني !

قال البلاذري: «أول وقعة كانت بين المسلمين وعدوهم بقرية من قرى غزة يقال لها دائن، كانت بينهم وبين بطريق غزة ، فاقتتلوا فيها قتالاً شديداً، ثم إن الله تعالى أظهر أولياءه وهزم أعداءه وفض جعهم ، وذلك قبل قدوم خالد بن الوليد الشام . وتوجه يزيد بن أبي سفيان في طلب ذلك الطريق فبلغه أن بالعربة من أرض فلسطين جمعاً للروم ، فوجه إليهم أبو أمامة الصديي بن عجلان الباهلي فأوقع بهم ، وقتل عظيمهم ثم انصرف .

روى أبو مخنف في يوم العربة أن ستة قواد من قواد الروم نزلوا العربة ، في ثلاثة آلاف ، فسار إليهم أبو أمامة في كثف من المسلمين فهزهم وقتل أحد القواد ، ثم اتبعهم فصاروا إلى الدبية وهي الدابية ، فهزهم وغنم المسلمون غنماً حسناً.. كانت أول وقائع المسلمين وقعة العربة ولم يقاتلوا قبل ذلك مذ فصلوا من الحجاز . ولم يمرروا بشئ من الأرض فيما بين الحجاز وموضع هذه الواقعة إلا غلبوا عليه بغير حرب ، وصار في أيديهم ».

أقول: لم يكن عمرو بن العاص ولا خالد في هذه الواقعة . وأبو أمامة إسمه صديي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه ، وهو صحابي من خيرة شيعة علي عليه السلام.

فقد روى عنه محمد بن سليمان في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ٥٤٥ / ١: «دخل على معاوية بن أبي سفيان فألطنه وأدناه ، ثم دعا ببغاء فجعل يطعم أبو

أمامة بيده ، ثم أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده ثم أمر له ببدرة دنانير فأتي بها فدفعها إليه ثم قال : يا أبا أمامة سألك بالله ، أنا خير أم علي بن أبي طالب؟ ! فقال أبو أمامة : والله لا كذبت ، ولو بغير الله سألتني لص遁ت ، فكيف وسألتني بالله ! عليٌ والله خير منك وأكرم وأقدم هجرة ، وأقرب من رسول الله ﷺ قرابة وأشد في المشركين نكارة وأعظم على المسلمين منه ، وأعظم غناً عن الأمة منك ! يا معاوية أتدري ويلك مَنْ عَلَى ؟ ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين ، وأبو الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وابن أخي حمزة سيد الشهداء ، وأخو جعفر ذي الجناحين الطيار مع الملائكة في الجنة ، فأين تقع أنت من هذا يا معاوية ، أو ظنتت أني سأخْرِيك على علي بن أبي طالب بالطافك وإطعامك ومالك ، فأدخل إليك مؤمناً وأخرج عنك كافراً ! بئس ما سولت لك نفسك يا معاوية ! ثم نفخ ثوبه وخرج من عنده . قال : فأتبعه معاوية بالمال فقال : والله لا أرزاً منه ديناراً أبداً .

٨. وجعلوا دور شرحبيل و خالد بن سعيد وغيرهم لابن العاص و ابن الوليد !

قال الحموي في معجم البلدان: ٢/١٢٧: «وفتحت طبرية على يد شرحبيل بن حسنة في سنة ١٣ صلحًا على أنصاف منازلهم وكنائسهم، وقيل: إنه حاصرها أيامًا، ثم صالح أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم إلا ما جلووا عنه وخلوه، واستثنى مسجد المسلمين موضعًا. ثم نقضوا في خلافة عمر، واجتمع إليهم قوم من شواذ الروم فسير أبو عبيدة إليهم عمرو بن العاص في أربعة آلاف وفتحوها على

مثل صلح شرحبيل . وفتح (شرحبيل) جميع مدن الأردن على مثل هذا الصلح ،
غير قتال... جرش .. وهو من فتوح شرحبيل بن حسنة في أيام عمر ».

وقال البعموي: ١٤١/٢: «وكان المتولى لذلك (صلح الأردن) شرحبيل بن حسنة». وقال الحموي: ٣١١/٤: «قَدْسٌ: بالتحريك والسين المهملة أيضًا: بلد بالشام
قرب حصن ، من فتوح شرحبيل بن حسنة ، وإليه تضاف بحيرة قدس».

أما معركة أجنادين التي كانت سبب فتح فلسطين ، فكانت قيادتها مشتركة
وكانت بطولتها للصحابي خالد سعيد بن العاص رضي الله عنه ، وهو من كبار
شيعة علي عليهما السلام . لكن الرواية جعلوا قيادتها وبطولتها لعمرو بن العاص !

لقد نص المؤرخون على أن أبي بكر أرسل إلى بلاد الشام أربعة ، وأمر كل واحد
منهم على جيشه ، وأمر عليهم إن اجتمعوا أبي عبيدة بن الجراح . فكان الجيش
الأول بقيادة يزيد بن أبي سفيان ، إلى البلقاء في الأردن ، وكان أول من خرج .
والثاني بقيادة شرحبيل بن حسنة ، إلى الأردن ، وقصد في طريقه بصرى في شرق
سوريا . والثالث بقيادة أبي عبيدة إلى الجابية قرب دمشق . والرابع بقيادة عمرو
بن العاص إلى فلسطين ، وكان آخر الجيوش .

أما خالد بن سعيد بن العاص ، فكان القائد العام لجيوش الشام ، ثم أصرّ عمر
على أبي بكر أن يعزله فعزله وهو في الطريق ، فسلم الجيش ليزيد بن أبي سفيان ،
وذهب مع شرحبيل بن حسنة ، وكان شرحبيل يحترمه ويعامله كقائده .

قال في الطبقات: ٩٨/٤: «لما عزل أبو بكر خالد بن سعيد أوصى به شرحبيل بن حسنة ، وكان أحد الأمراء فقال: أنظر خالد بن سعيد فاعرف له من الحق عليك مثلما كنت تحب أن يعرفه لك من الحق عليه لو خرج واليأ عليك ، وقد عرفت مكانه من الإسلام ، وأن رسول الله ﷺ توفي وهو له وال ، وقد كنت وليته ثم رأيت عزله ، وعسى أن يكون ذلك خيراً له في دينه ، ما أبغط أحداً بالأماراة ! وقد خيرته في أمراء الأجناد فاختارك على غيرك على ابن عمك ، فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأي التقى الناصح فليكن أول من تبدأ به أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ، ول يكن خالد بن سعيد ثالثاً ، فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً . وإياك واستبداد الرأي عنهم ، أو تطوي عنهم بعض الخبر .»

قال محمد بن عمر(وهو الواقدي): قلت لموسى بن محمد: أرأيت قول أبي بكر قد اختارك على غيرك؟ قال: أخبرني أبي أن خالد بن سعيد لما عزله أبو بكر كتب إليه أبي الأمراء أحب إليك؟ فقال: ابن عمي أحب إلي في قرابته وهذا أحب إلي في ديني فإن هذا أخي في ديني على عهد رسول الله ﷺ وناصري على ابن عمي . فاستحب أن يكون مع شرحبيل بن حسنة .».

أقول: يقصد بابن عمه يزيد بن أبي سفيان . أما شرحبيل فهو بن المطاع الكندي صحابي عرف باسم أمه حسنة ، وهو من قبيلة غوث من كندة ، ولد في مكة وتحالف مع بني زهرة ، وأسلم وهاجر إلى الحبشة ، وكان فارساً صديقاً لخالد بن سعيد ، فاختار سعيد أن يكون معه ، فأعطيه قيادة الخيول ، ولعل خطط شرحبيل العسكرية كلها من خالد بن سعيد .

وكان هرقل يومها في حمص ، فأخذ يجمع الجيش لقتال المسلمين في أجنادين بفلسطين ، وتقع في منطقة الخليل قرب مدينة بيت جبرين .

قال البلاذري: /١٣٥ ثم كانت وقعة أجنادين وشهدتها من الروم زهاء مئة ألف سَرَب هرقل أكثرهم ، وتجمَّع باقوهم من السواحي ، وهرقل يومئذ مقيم بحمص». «واجتمعت الروم بأجنادين ، وعليهم تدارق أخو هرقل لأبيه ، وقيل كان على الروم القبclar. والكامل: ٤١٧ ، وفروج ابن الأعثم: ١١٣ .

«فتواتت جنود المسلمين والروم بأجنادين ، فالتقوا يوم السبت لليلتين يقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاثة عشرة ، فظهر المسلمون وهزم الله المشركين ، وقتل خليفة هرقل ». (تاریخ الطبری: ٦١١ / ٢).

وقال ابن عساکر في تاريخ دمشق: ٦٦ / ١٦: «فحملت خيلهم على خالد بن سعيد ، وكان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يحرض الناس ويدعو الله عز وجل ثم ينقض عليهم فحملت طائفة منهم عليه فناز لهم فقاتلهم قتالاً شديداً».

واستبسِل فيها أخوه أبیان بن سعيد: «وَرُوِيَ أَبْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ بِشَابَةَ فَتَرَعَّهَا وَعَصَبَهَا بِعِمَّاتِهِ فَحَمَلَهُ أَخْوَاهُ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ فَقَالَ: لَا تَنْزَعُوا عِمَّاتِي عَنْ جَرْحِي ، فَإِنَّكُمْ إِذَا انْتَزَعْتُمُوهَا عَنْ جَرْحِي تَبْعَثُنَّ نَفْسِي ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْهَا بِأَقْصِي حَجَرَ مِنَ الْبَلَادِ مَكَانِي ، فَلَمَّا نَزَعُوا عِمَّاتِي مَاتَ حَلَّلَهُ .. وَاسْتَشَهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَائِفَةً .. وَانْتَهَى خَبْرُ الْوَقْعَةِ إِلَى هَرْقُلَ ، فَنَخَبَ قَلْبَهُ وَمُلِئَ رُعْباً ، فَهَرَبَ مِنْ حَمْصِ إِلَى أَنْطَاكِيَّةِ ». (معجم البلدان: ١/ ١٠٣).

وفي التنبية للمسعودي /٢٤٨: «ولقيتهم الروم بأجنادين، ثم بمرج الصفر ، فهزموا وقتلوا قتلاً ذريعاً. وسار المسلمون إلى دمشق فنزلوا عليها (عادوا إلى حاصلها) وتوفي أبو بكر وهو محاصروها ، وكانت وفاته بالمدينة ليلة الثلاثاء لشان خلون من جهاد آخرة سنة ١٣ للهجرة ». .

أقول: تكشف النصوص المتقدمة عن أن دور عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كان في أجنادين كغيرهما أو أقل ، فلم يسجل لها الرواة ضربة بسيف ولا طعنة برمخ ، لكنهم مع ذلك جعلوا المعركة مرّة لهذا ، ومرة لذاك !

ففي تاريخ دمشق: ٢/١٠٠: «كانت أجنادين في جهاد الأولى سنة ثلاث عشرة وأميرها عمرو بن العاص ، ومعه خالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة». .

وقال ابن عبد البر في الإستيعاب: ١/٦٤: «وكان بأجنادين أمراء أربعة: أبو عبيدة ابن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة كلٌ على جنده. وقيل إن عمرو بن العاص كان عليهم يومئذ .

واكتفى المتعصبون بـ«قيل» أو بقول عمرو ، أو بقول ابنه عبد الله الذي كان يفتخر بأبيه في بيت المقدس ! كما في تاريخ دمشق: ٢/١٠٢: «عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث في بيت المقدس يقول: شهدنا أجنادين ونحن يومئذ عشرون ألفاً وعلى الناس يومئذ عمرو بن العاص فهزمهم الله تعالى ، ففاقت فتة (من الروم) إلى فحل في خلافة عمر ، فسار إليهم في الناس عمرو بن العاص ». .

أما المتعصبون لخالد بن الوليد ، فقالوا إن أجنادين معركة خالد ، ولا قائد غيره ولا بطل غيره ! قالت رواية البلاذري: ١٣٥ / ١: «ثم كانت وقعة أجنادين، وشهدها من الروم زهاء مئة ألف سرّب هرقل أكثرهم، وتمجّع باقوهم من النواحي ، وهرقل يومئذ مقيم بحمص ، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً ، وأبل خالد بن الوليد يومئذ بلاء حسناً ثم إن الله هزم أعداءه ». .

وفي رواية البلاذري أيضاً: ١٣٤ / ١: «إن خالد بن الوليد صار إلى غوطة دمشق ، ثم فرعها إلى ثنية ومعه راية بيضاء تدعى العقاب فيها سميت ثنية العقاب ، وصار إلى حوران ، فقصد مدينة بصرى فحاربهم ، فسألوه الصلح فصالحهم ، ثم صار إلى أجنادين وبها جمع للروم ، فحاربهم محاربة شديدة ، وتفرق جمع الكفرة ». .

وقال ابن الأعثم: ١١٥ / ١: «ذكر وقعة أجنادين وهي أول وقعة لخالد بن الوليد مع الروم ، قال: فأصبح خالد يوم السبت يعيي أصحابه فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسره سعيد بن عامر بن جديم ، وعلى جناح اليمونة يزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة على جناح الميسرة ، وخالد بن سعيد بن العاص على الكمين ، ثم جعل خالد بن الوليد نساء المسلمين من وراء الصفوف وأمرهن فاحتزمن وتشمرن وأخذن في أيديهن الحجازة ، وجعلن يدعون الله ويستنصرن على أعداء المسلمين . قال: وجعل خالد بن الوليد لا يقر بمكان واحد ، ولكنه يقف على كتبية كتبية من المسلمين ويقول: إتقوا الله عباد الله ! وقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تنكسوا على أعقابكم..». .

ثم لم تتصف الرواية كيف قتال خالد للروم ، بل وصفت تقتيل خالد لأسر اهـم بعد هزيمتهم ، فقالت: «واحتوى المسلمين على غنائم الروم فجمعوها ، وقدم خالد من أسر منهم وهم يزيدون على ثمان مائة رجل ، فضرب أعناقهم صبراً ، وما أبقى على واحد منهم ». .

وهكذا يلخصون المعركة بعقرية لابن العاص أو ابن الوليد ، لاترى أثراها ، أو بطولة تسمع إسمها ولا تجد فعلها ، إلا قتل الأسرى المكتفين !

ولا ينفعهم أن يكون القائد العام للمعركة عمرو ، بعد أن وصفه الإمام علي عليه السلام :
«إذا كان عند البأس فراجر وامر ، ما لم تأخذ السيف ما أخذها من الام »!

ومن عجيب تعصبهم خالد ، أن أبي بكر توفي بعد معركة أجنادين مباشرة ، فكان أول مرسوم كتبه عمر بعزل خالد بن الوليد . لكن الرواة واصلوا رواية عقرية خالد القيادية وبطلاته حتى وهو معزول ، وحتى وهو غائب .

ومن عجيب تعصبهم لابن العاص أنهم يروون حوله وعنـه أنه كان دنيوياً لا دين له ، يتاجر بدماء المسلمين ويسرقهم ، ثم يمدحون بطلاته ومكره وكـيده !

٩. لفقدان عمرو البطولة الحقيقة اخترع لنفسه بطولات في المكر والدهاء

فصرت تقرأ له قصصاً أسطورية عن مناوراته ودهائه ، كقصة ذهابه متنكراً إلى الأرطبوـن ، الذي زعم أنه كان قائـد جيش الروم في معركة أجنادـين .

ففي الطبرـي: «وكان الأرطـبون أدهـى الروـم وأبعـدهـا غورـاً وأنـكـاـها فـعلاً ، وقد كان وضع بالـرمـلة جـنـداً عـظـيـماً ، وـبـأـيـلـاء جـنـداً عـظـيـماً ، وـكـتـبـ عمـرو إـلـيـ عمرـ

بالخبر ، فلما جاءه كتاب عمرو قال: قد رمينا أرطبون الروم وبأرطبون العرب ،
فانظروا عم تتفرج » !

فذهب عمرو إلى الأرطبون كأنه رسول من عمرو ، فاكتشفه أرطبون من
فصاحت أنه هو عمرو بن العاص قائد جيوش المسلمين ، فأراد أن يقتله ، لكن
عمرو أخلص منه عمرو وقال له نحن عشرة قادة فصحاء أرسلنا عمر بن
الخطاب مشاورين لولي الله عمرو بن العاص ، فأرسل معه شخصاً لآتيك بهم ،
فأرسل معه شخصاً فتخلص منه ونجا ! «علم الرومي بأنه قد خدعه فقال:
خدعني الرجل ، هذا أدهى الخلق ، بلغت عمر فقال: غلبه عمرو ، الله عمرو !
ثم صار الأرطبون صديقاً لعمرو ، وكان يعلم المغيبات ، فأخبره أن الذي يفتح
بيت المقدس هو عمر: «قال: صاحبها رجل إسمه عمر ثلاثة أحرف ، فرجع
الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر ، وكتب إلى عمر يستمدء ويقول: إني أعالج
حرباً كؤداً صدوماً ، وبلاداً اذْخَرْتُ لك ، فرأيك .

ولما كتب عمرو إلى عمرو بذلك عرف أن عمرو لم يقل إلا بعلم ، فنادى في
الناس ، ثم خرج فيهم حتى نزل بالجایة». (الطبری: ٣/١٠٣).

ثم ذكرت الأسطورة أن الأرطبون هذا ذهب إلى مصر ، فكان في بلبيس يحرك
المقوس أن يقاتل المسلمين ولا يصالحهم ، وكان يعدهم بنصرة الروم لهم لكن
عمرو أقاتلهم وانتصر عليهم ، وهرب الأرطبون ! (الطبری: ٣/١٩٨).

قال الدكتور حسن ابراهيم حسن في كتابه: تاريخ عمرو بن العاص / ٧٦:

«ذكر بطرس / ٢١٥، أن لفظ أرطبون الذي يطلقه العرب على هذا القائد خطأ، وال الصحيح أريطيون». فترى هذا الدكتور بقبل أساطير عمرو، لم يوثق قصة أرطبون ولا قيادته التي زعمها جيش الروم في أجنادين ، والمعروف أن قادة الجيش الرومي كانوا: أخ هرقل لأبيه وأمه ، وابنه ولـ عـهـدـهـ ، وآخرون ليسـ فـيهـمـ أـرـطـبـوـنـ .

أما الواقعـيـ فـكـانـهـ لـمـ يـعـجـبـهـ إـسـمـ الـأـرـطـبـوـنـ ، فـجـعـلـهـ المـفـوـقـ مـلـكـ مصرـ! وـنـقـلـ قـصـتـهـ (٥٦/٢) شـبـيـهـاـ بـقـصـةـ أـرـطـبـوـنـ عـنـدـ الطـبـرـيـ وـأـنـ عـمـرـوـاـ ذـهـبـ إـلـيـهـ مـتـنـكـراـ! وـمـاـ جـاءـ فـيـهـ: «فـلـمـ سـمـعـواـ كـلـامـ عـمـرـوـ وـفـصـاحـتـهـ وـجـوـاـبـهـ الـحـاضـرـ قـالـوـاـ بـالـقـبـطـيـةـ للـمـلـكـ: إـنـ هـذـاـ عـرـبـ فـصـيـعـ الـلـسـانـ جـرـىـ الـجـنـانـ ، وـلـاشـكـ أـنـ الـمـقـدـمـ عـلـىـ قـوـمـ وـصـاحـبـ الـجـيـشـ ، فـلـوـ قـبـضـتـ عـلـيـهـ لـاـنـهـزـمـ أـصـحـابـهـ عـنـاـ .ـ قـالـ ، وـغـلامـ عـمـرـوـ وـرـدـانـ يـسـمـعـ ذـلـكـ ، فـقـالـ الـمـلـكـ: إـنـ لـاـ يـجـوزـ لـنـاـ أـنـ نـغـدـرـ بـرـسـوـلـ لـاـ سـيـماـ وـنـحـنـ اـسـتـدـعـيـنـاهـ إـلـيـهـ .ـ فـقـالـ وـرـدـانـ بـلـسـانـ آخـرـ مـاـ قـالـوـهـ ، فـقـهـمـ عـمـرـوـ كـلـامـهـ.. فـقـالـوـاـ.. يـاـ أـخـاـ الـعـرـبـ مـاـ نـظـنـ أـنـ فـيـ أـصـحـابـكـ مـنـ هـوـ أـقـوـيـ مـنـكـ جـنـانـاـ وـلـاـ أـفـصـحـ مـنـكـ لـسـانـاـ .ـ فـقـالـ عـمـرـوـ: أـنـاـ أـلـكـنـ لـسـانـاـ مـنـ فـيـ صـحـابـيـ ، وـمـنـهـ مـنـ لـوـ تـكـلـمـ لـعـلـمـتـ أـنـيـ لـاـ أـقـاسـ بـهـ.ـ فـقـالـ الـمـلـكـ: هـذـاـ مـنـ الـمـحـالـ أـنـ يـكـوـنـ فـيـهـمـ مـثـلـكـ.ـ فـقـالـ: إـنـ أـحـبـ الـمـلـكـ أـنـ آتـيـهـ بـعـشـرـةـ مـنـهـ يـسـمـعـ خـطـابـهـ؟ـ فـقـالـ الـمـلـكـ: أـرـسـلـ فـاطـلـبـهـمـ.ـ فـقـالـ عـمـرـوـ: لـاـ يـأـتـوـنـ بـرـسـالـةـ ، وـإـنـاـ إـنـ أـرـادـ الـمـلـكـ مـضـيـتـ وـأـتـيـتـ بـهـمـ.ـ فـقـالـ الـمـلـكـ لـوـزـرـائـهـ: إـذـاـ حـضـرـ وـاقـبـضـنـاـ عـلـيـهـمـ ، وـالـأـحـدـ عـشـرـ أـحـسـنـ مـنـ الـوـاحـدـ وـوـرـدـانـ يـفـهـمـ ذـلـكـ .ـ ثـمـ إـنـ الـمـلـكـ قـالـ لـعـمـرـوـ: إـمـضـ وـلـاـ تـبـطـئـ عـلـيـهـ ، فـوـثـبـ عـمـرـوـ قـائـمـاـ وـرـكـبـ جـوـادـهـ ، فـقـالـ الـمـلـكـ بـالـقـبـطـيـةـ: لـأـقـلـنـهـمـ أـجـعـينـ .ـ فـلـمـ خـرـجـ

من مصر قال له وردان ما قاله الملك، فلما وصل إلى الجيش أقبلت الصحابة وسلموا عليه وهم يقولون: والله يا عمرو لقد ساعت بك الظنون، فأقبل يحدّثهم بما وقع له معهم ، وبما قالوه وبما قاله وردان ، فحمدوا الله على سلامته».

١٠ . ويبلغ عمرو وأوج كذبه في أسطورة الملكة العروس أرمانوسية بنت المقوقس !

تقرأ في الواقدي (٤٣/٢) أسطورة أخرى عن لسان البطل الذهابي عمرو بن العاص ، بأنه أغار على موكب الملكة أرمانوسية بنت الملك المقوقس ، وكانوا يزفونها إلى زوجها ابن هرقل ، وبحرسها جيش من عشرة آلاف مقاتل وأكثر فعندها عمرو ، ومن معها وما معها ، ثم تفضل وأرجعها إلى أبيها ، فأسلمت ! قال الواقدي (٤٤/٢): «كان فلسطين بن هرقل قد تزوج بابنة المقوقس أرمانوسية وكان قد جهزها أبوها وأرسلها مع غلمانها وأموالها إلى بلبيس ، ثم إنها وجهت حاجبها تميلاطوس إلى الفرماء في ألفي فارس ، لحفظ ذلك المكان .. وأنّوا إلى عسكر أرمانوسية وإذا به عسكر كبير أكثر من عشرة آلاف .. أنفذت (أرمانوسة) كتاباً إلى أبيها المقوقس تعلمه بذلك وأنّها مغلوبة معهم وأن العرب متوجهون مع رجل يقال له عمرو بن العاص ، وأنا متتظرة جوابك .

قال: فلما وصل الكتاب إليه دعا أرباب دولته وقال لهم: قد تم من الأمر على كذا وكذا ، فما تشيرون به علي؟ قالوا: أيها الملك نرى لك من الأمر أن تنفذ جيشاً إلى الملكة ينصرها على عدوها ، وتنفذ إلى جليباب ملك البرية تستنصر به على هؤلاء العرب ، وتنفذ إلى مازع بن قيس ملك الجاوية ينفذ لك جيشاً ،

وتنفذ إلى من بالإسكندرية يأتون ، والى من بالصعيد يأتون ، فإذا اجتمعت إلَيْكَ هذِهِ الْأُمُّ فَالْقُبْلَةُ بِهِمْ الْعَرَبُ ، وَلَا تَأْمُنُ لَهُمْ فِي طَمَعٍ فِيْكَ .

قال: يا أهل دين النصرانية إعلموا أن الملك يحتاج إلى سياسة ، ومن ملك عقله ملك رأيه ، ومن ملك رأيه أمن من حوادث دهره ، وليس الغلبة بالكثرة وإنما هي بحسن التدبير ، والله لقد كان قيصر أكثر مني جنداً وأوسع بلاداً وأعظم عدة ، وقد جمع من بلاد الروم إلى اليونانية ، ومن أقاليمه ومن القسطنطينية ومن سائر البلاد ، وببلاد الأنجلوس واستنصر بنا وبغيرنا ، فما أعني عنه جمعه شيئاً ، ولا قدر أن يرد القضاء والقدر عنه...».

قال: فترك عمرو بن العاص الأنتقال ومعها من يحفظها ، وركب وسار بجرائد الخيل وترك مع الأنتقال عامر بن ربيعة العامري ... فما كان قبل طلوع الفجر... ووضعوا السيف في القبط ، فما طلعت الشمس إلا وقد قتل من القبط أكثر من ألف ، وأسر منهم خلق كثير ، وولىباقي منه زرين ، وأخذت أرمانوسية ابنة الملك وجيع ما معها من الأموال والرجال والخواري والغلبان .

قال عمرو بن العاص لأصحاب رسول الله ﷺ: إن الله سبحانه وتعالى قد قال: هل جزاء الإحسان ، وهذا الملك قد علمتم أنه كاتب رسول الله ﷺ وبعث هدية ، ونحن أحق بمن كافأ عن نبيه ﷺ هديته ، وقد رأيت أن تنفذ إلى الموقس ابنته وما أخذنا معها.. فاستصوبوها رأيه ، فبعث بها مكرمةً مع جميع ما معها ... قال الواقدي: وأسلمت أرمانوسية ومن كان يلوذ بها ».

وغرض هذه الأسطورة إثبات بطولة عمرو العاص بأنه واجه عشرة آلاف جندي وأكثر ! بمجموعة قليلة من الفرسان ، فقتل منهم ألفاً وانتصر عليهم ! ولم يقل عمرو العاص هل كان هؤلاء الجنود من الروم ، وقد انسحبوا من مصر ؟ أم كانوا من الأقباط ولم يكن عندهم جيش منظم ؟ أو من الملائكة ! ثم ت يريد الأسطورة إثبات أن عمرو مؤمنٌ ونبيٌّ ، فقد أطلق ابنة المقوس ، ليشكر المقوس ويرد له احترامه للنبي ﷺ وحديثه له !

١١ . ونسبوا إلى عمرو قصة اليمامة التي باضت على فسطاطه ليقولوا كان نبيلاً!

قال الحموي في معجم البلدان: ٤/٢٦٣: «وذكر يزيد بن أبي حبيب أن عدد الجيش الذين شهدوا فتح الحصن خمسة عشر ألفاً وخمس مائة ، وقال عبد الرحمن بن سعيد بن مقلوص: إن الذين جرت سهامهم في الحصن من المسلمين اثنا عشر ألفاً وثلاث مائة بعد من أصيب منهم في الحصار بالقتل والموت ، وكان قد أصابهم طاعون ، ويقال إن الذين قتلوا من المسلمين دفنتوا في أصل الحصن . فلما حاز عمرو ومن معه ما كان في الحصن ، أجمع على المسير إلى الإسكندرية فسار إليها في ربيع الأول سنة ٢٠ ، وأمر عمرو بفسطاطه أن يقوض فإذا بيمامة قد باضت في أعلىه فقال: لقد تحرمت بجوارنا ، أقرروا الفسطاط حتى تنقف (تخرج من البيضة) وتطير فراخها ، فأقر فسطاطه ووكل به من يحفظه أن لا تهاج ، ومضى إلى الإسكندرية وأقام عليها ستة أشهر ، حتى فتحها الله عليه».

أقول: لا شك أنه يوجد في المسلمين أهل نبل ووجдан ديني ربيع ، وأصحاب قلوب شفافة ، يصدر منها أمثال هذا العمل ، وقد كان في الثلاثة آلاف أو أربعة آلاف الذين دخلوا مصر مع عمرو وأنهم أهل لأن يصدر منهم هذا الفعل .

لكن الكلام في نسبة الى عمرو بن العاص ، لأنه لا ينسجم مع شخصيته وتاريخه ولا مع حصاره لذلك الحصن القبطي ، وقتل أهله ونبيه !
على أنه لم يثبت حصول أي مقاومة أو معركة لل المسلمين مع المصريين .

١٢. وكل المعارك في فتح مصر من مكذوباتهم ، لأنها فتحت صلحًا بلا قتال !

فقد اخترع عمرو واخترعوا له معارك وبطولات في فتح مصر ، مع أنه لم تكن فيه أي معركة على الإطلاق ! فلم يكن في مصر جيش رومي لأنهم سحبوا قواهم الى فلسطين وسوريا والقسطنطينية ، والذين بقوا من الروم في مصر كانوا سكاناً أو موظفين لامقاتلين . أما أهل مصر الأقباط فقد قرروا أن يصلحوا المسلمين ولا يحاربواهم ، وقد تحملوا بذلك غضب هرقل .

إن حقيقة فتح مصر أن عمروأ دخلها في ثلاثة آلاف وخمس مئة رجل ، فاستقبله ملكها المقوقس ووقع معه عهد الصلح على أن يدفع مبلغاً فعلاً ، ويدفع عن كل مصري دينارين في السنة ، وتم ذلك بدون ضربة سيف ولا سوط وحكم المسلمين مصر بدل الروم ، وأخذوا يديرونها ، ويأتون إليها للسكنى . وقد ذكرنا الأدلة على ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، وأن كل ما ادعاه عمرو العاص ورواته من معارك ، مكذوب مخترع من أصله !

ومن هذه المعارك المزعومة :

أ. «قدم عمرو بن العاص ، فكان أول موضع قوتل فيه الفرما ، قاتلته الروم قتالاً شديداً نحوًا من شهر ، ثم فتح الله على يديه ». (فتح مصر وأخبارها/١٣٤).

ب. «أتى أم دين فقاتلوا بها قتالاً شديداً، وأبطأ عليه الفتح فكتب إلى عمر يستمده فأمده بأربعة آلاف تمام ثانية آلاف فقاتلهم». (فتح مصر وأخبارها/١٣٦).

ج. «أن عمرو بن العاص حصرهم بالقصر الذي يقال له باب اليون حيناً، وقاتلهم قتالاً شديداً يصيّبُهم ويُمسِّيهِم، فلما أبطأ عليه الفتح كتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ويعلمه بذلك ، فأمده بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل ، وكتب إليه عمر بن الخطاب: إني قد أمدتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد... وقال آخرون بل خارجة بن حذافة الرابع ، لا يعدون مسلمة ، وقال عمر بن الخطاب: إنكم أنتم علمنا عشر ألفاً ولا تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة ». (فتح مصر وأخبارها/١٣٨).

وقد تقدمت رواية الطبرى أنهم فتحوا باب الحصن، وخرجوا عليهم مصالحين.

د. «لما حاصروا باب اليون وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلوا بهم شهراً، فلما رأى القوم الجد منهم على فتحه والحرص، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم فتح المقوقس وجاءوا من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي». (فتح مصر وأخبارها/١٣٦).

هـ. «ثم التقاوا بسلطيس فاقتتلوا بها قتالاً شديداً، ثم هزمهم الله . ثم التقوا بالكريون فاقتتلوا بها بضعة عشر يوماً. وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة ، وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو». (فتح مصر وأخبارها/١٥٦).

وما يوجب الشك في هذه المعارك أنه روی ما يصادها ، وأن روایتها لا تذكر صورة عن جانب أو حدث منها، ولا تسمی أحداً قتل فيها ، من المسلمين أو غيرهم !

١٣ . واستطاب عمرو طعم خراج مصر ، فخوئه عمر وصادر نصف أمواله !

ففي فتح مصر وأخبارها / ١٧٣ : «لما فتح عمرو بن العاص مصر ، صولح على جميع من فيها من الرجال من القبط ، من راهق الحلم إلى ما فوق ذلك ، ليس فيهم امرأة ولا صبي ولا شيخ ، على دينارين دينارين ، فأحسوا بذلك فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف ». .

وفي معجم البلدان (٤ / ٢٦٣) : «وكان الذي انعقد عليه الصلح أن فرض على جميع من بمصر ، أعلاها وأسفلها ، من القبط ، ديناران على كل نفس في السنة من البالغين ، شريفهم ووضيعهم ، دون الشيوخ والأطفال والنساء . وعلى أن للMuslimين عليهم النزول حيث نزلوا ثلاثة أيام ، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يعترضون في شيء منها ، وكان عدد القبط يومئذ أكثر من ستة آلاف ألف نفس والمسلمون خمسة عشر ألفاً ». .

وفي معجم البلدان (٥ / ١٤١) : «وكان المقوقس قد تضمن مصر من هرقل بتسعة عشر ألف ألف دينار ، وكان يجبيها عشرين ألف دينار ، وجعلها عمرو بن العاص عشرة آلاف ألف دينار أول عام ، وفي العام الثاني اثنى عشر ألف ألف ، ولما ولتها في أيام معاوية جباها تسعة آلاف ألف دينار ، وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة عشر ألف ألف دينار ». .

وهذا يدل على أن مجموع سكان مصر من الأقباط ، كان ببضعة عشر مليوناً .

وفي شرح النهج: ١٧٤ / ١: «وروى الزبير بن بكار قال: لما قلد عمر عمرو بن العاص مصر، بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق وصامت، فكتب إليه: أما بعد، فقد ظهر لي من مالك ما لم يكن في رزقك، ولا كان لك مال قبل أن أستعملك، فأنا لك هذا! فواه الله لو لم يهمني في ذات الله إلا من أختان في مال الله لكثراً هم وانتشر أمرها، ولقد كان عندي من المهاجرين الأولين من هو خير منك ولكنني قلدت رجاء غنائك، فاكتب إلىَّ من أين لك هذا المال، وعجل. فكتب إليه عمرو: أما بعد، فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين، فأما ما ظهر لي من مال فإننا قدمنا بلا دأْ رخصية الأسعار كثيرة الغزو، فجعلنا ما أصابنا في الفضول التي اتصل بأمير المؤمنين بنيها، والله لو كانت خيانتك حلالاً ما خنته وقد ائتمتني. فإن لنا أحساباً إذا رجعنا إليها أغتننا عن خيانتك. وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير مني، فإذا كان ذاك فواه ما دققت لك يا أمير المؤمنين بباباً، ولا فتحت لك قفلاً.

فكتب إليه عمر: أما بعد، فإني لست من تسطيرك الكتاب وتشقيقك الكلام في شيء، ولكنكم عشر الأمراء قعدتم على عيون الأموال ولن تعدموا أذرًا، وإنما تأكلون النار وتعجلون العار! وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة، فسلم إليه شطر مالك. فلما قدم محمد صنع له عمرو طعاماً ودعاه فلم يأكل، وقال هذه تقدمة الشر، ولو جئني بطعام الصيف لأكلت، فنح عنى طعامك، وأحضر لي مالك، فأحضره، فأخذ شطره. فلما رأى عمرو كثرة ما أخذ منه قال: لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمراً، والله لقد رأيت عمر وأباه على كل واحد منها

عباءة قطوانية ، لا تتجاوز مأبض ركبتيه ، وعلى عنقه حزمه حطب ، والعاص بن وائل في مزررات الديباج . فقال محمد: إيهَا عنك يا عمرو ! فعمرو والله خير منك ، وأما أبوك وأبواه فإنهما في النار ، ولو لا الإسلام لألفيت معتلفاً شاة ، يسرك غزرها ، ويسموك بكؤها . قال: صدقت ، فاكتم علىَ . قال: أفعل ».

وفي أنساب الأشراف للبلذري: ٢٥٨ / ١: « لما قاسم محمد بن مسلمة عمرو بن العاص قال عمرو: إن زماناً عاملنا فيه ابن حتمة هذه المعاملة لزمان سوء . لقد كان العاص يلبس الخز بكفاف الديباج . فقال محمد: مه ! لو لا زمان ابن حتمة هذا الذي تكرهه ألفيت معتللاً عتزاً بفناء بيتك يسرك غزرها ويسموك بكؤها . قال: أنشدك الله أن لا تخرب عمر بقولي فإن المجالس بالأمانة . فقال: لا ذكر شيئاً مما جرى بيننا وعمر حي ». والغَزْرَ: غزاره الحليب . والبَكَأ: شحة الحليب . وفي الواقي (٥/٢٠) أن عمروأ حاول أن يرشو محمد بن مسلمة، فلم يقبل!

١٤. وأحرق سعد كتب الفرس وأحرق عمرو مكتبة الإسكندرية ، بأمر عمر!
 فقد روى ذلك المؤرخون وحاول بعضهم نفيه، لكن علماء الوهابية افتخروا به !
 قال ابن خلدون في تاريخه: ٤٨٠ / ١: « ولما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتبًا
 كثيرة ، كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتنقلها
 لل المسلمين ، فكتب إليه عمر أن اطرحوها في الماء ، فإن يكن ما فيها هدى فقد
 هدانا الله بأهدي منه ، وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله ! فطرحوها في الماء أو في
 النار ، وذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصل إلينا .

وأما الروم فكانت الدولة منهم اليونان أولاً ، وكان هذه العلوم بينهم مجال رحب ، وحملها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكم وغیرهم ، واحتتص فيها المشاؤون منهم أصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم ، كانوا يقرأون في رواق يظلهم من الشمس والبرد على ما زعموا ، واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه بقراط الدن ، ثم إلى تلميذه أفلاطون ثم إلى تلميذه أرسسطو ، ثم إلى تلميذه الإسكندر الأفروسي وتامسطيون ، وغيرهم ، وكان أرسسطو معلمًا للإسكندر ملكهم الذي غالب الفرس على ملکهم وانتزع الملك من أيديهم ، وكان أرسخهم في هذه العلوم قدمًا وأبعدهم فيه صيناً ، وكان يسمى المعلم الأول فطار له في العالم ذكر .

ولما انقض أمر اليونان وصار الأمر للقياصرة ، وأخذوا بدين النصرانية هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الملل والشائع فيها ، وبقيت في صحفها ودواوينها مخلدة باقية في خزائنهم ، قد ملکوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم ، ثم جاء الله بالإسلام وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له ، وابتزوا الروم ملکهم فيما ابتزوه للأمم ، وابتدا أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع ، حتى إذا تبحج من السلطان والدولة وأخذ الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الأمم ، وتفنتوا في الصنائع والعلوم تشوّقوا إلى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمية ، بما سمعوا من الأساقفة والأقىسة المعاهدين بعض ذكر منها ، وبما تسمو إليه أفكار الإنسان فيها بعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث

إليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث إليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها، وازدادوا حرصاً على الظفر بها بقي منها. وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان يتطلعه ، فانبعثت هذه العلوم حرصاً ، وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي ، ويعث المترجمين لذلك فأواعي منه واستوعب ، وعكف عليها الناظر من أهل الإسلام ، وحذقوا في فنونها ، وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها، وخالفوا كثيراً من آراء المعلم الأول ، واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ، ودونوا في ذلك الدوافين ، وأربوا على من تقدمهم في هذه العلوم. وكان من أكابرهم في الملة أبو نصر الفارابي ، وأبو علي بن سينا بالشرق ، والقاضي أبو الوليد بن رشد ، والوزير أبو بكر بن الصانع بالأندلس ، إلى آخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم، واختص هؤلاء بالشهرة والذكر ، واقتصر كثيرون على اتحال التعاليم ، وما ينضاف إليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات ، ووقفت الشهرة في هذا المتاح على مسلمة بن أحد المجريطي ، من أهل الأندلس وتلاميذه». ورواه في كشف الظنون: ٦٧٩.

وقد ألف الشيخ ناصر بن حمد الفهد وهو من علماء الوهابية كتاباً للدفاع عن فعل عمر سمه: إقامة البرهان على وجوب كسر الأواثان .

وألف الشيخ سفر الحوالي الوهابي كتاباً باسم: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، وزعم في (٤١/٢) أن قوله تعالى: **مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقْ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَحْجِذَ الْمُضْلِبِينَ عَضْدًا**. يدل على وجوب إحراق هذه الكتب! لكن

الآية لا علاقة لها بالموضوع ! قال الحوالي: «فهذه الآية نسفت كل النظريات والفلسفات المخالفة للوحي ، الكوني منها والإنساني ، ووسمت أصحابها باسم المسلمين ، وما كانوا دائمًا إلا كذلك ، وعلى هذا المنهج سار عمر بن الخطاب -نفسه فإنه لما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتاباً كثيرة ، كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ليستأذن في شأنها وتنقلها للMuslimين... وعليه كذلك كان موقف أئمة الإسلام وعلماء الملة ، كالائمة الأربع ووكيع وابن المبارك والسفويين والفضل ، وغيرهم من سبقهم أو حلقهم . وعلى هذا ثبتت الطائفة المتصورة أهل السنة والجماعة في كل العصور ، فقد تعرضت كتب الفلسفة والمنطق للحرق والمصادرة في عصور متعاقبة ، ولاحقتها علماء الإسلام بالفتاوي المدمرة ». .

أقول: هناك فرق في الموقف من الكتب التي تتضمن أفكارًا مخالفة للإسلام ، بين مذهب أهل البيت عليهما السلام ومذهب الخلافة القرشية ، وقد تمسكت الخلافة بموقف عمر بن الخطاب وحكمه بوجوب حرقها وإتلافها ومعاقبة الذين يدرسونها .

بينما يرى مذهب أهل البيت عليهما السلام أن ملاك الحكم فيها هو سوء الإستفادة منها والإضرار بالMuslimين ، وهذا أفتوا بجواز اقتنائها ودراستها لنقد ما فيها من مخالفات . وقد بحثوا حكمها في كتب الفقه تحت عنوان: كتب الضلال .

١٥ . ونقض عمرو عهد الصلح مع أهل مصر وزعم أن بعضهم استنصر بالروم
 ! قال عمرو بن العاص وإعلام السلطة إن أهل الإسكندرية نقضوا عهد الصلح مع المسلمين ، ودعوا الروم فبعث لهم هرقل ثلاثة مئة مركب ، وقاتلوا المسلمين ليخرجوهم من مصر ، ويغبيوها إلى حكم الروم !

وادعى عمرو مجئ جيش الروم إلى الإسكندرية ، وجعله حجةً لهاجة قرى الإسكندرية ومدينتها ، فهاجها ونهبها وسباها وهدم سورها !
وقال عمرو إنها كانت معركة كبرى كان هو بطلها ، ولم تذكر رواية منها أنه شارك في قتال ، بل ذكرت رواية أن فرسه أصيب بسهم .

وعندما تدقق في النصوص والمصادر تجد أن الذي نقض عهد الصلح هو عمرو، حيث رفع مبلغ الصلح المتفق عليه ، وجعله متغيراً كل سنة حسب رأيه !
ثم تجد أن الخليفة عثمان نفى أن يكون أهل مصر نقضوا الصلح أو استنروا بالروم ، وأمر عمرو بأرجاع الأموال التي نهبها وبيان إلحاد السبايا من النساء والأطفال الذين استرقهم ! وفيها يلي رواية عمرو ، ثم ما ينقضها .

قالت رواية السيوطي في الموعظ والإعتبار: ٢٠٩/١: «وكانت الإسكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهم من قبل الخصي في المراكب ، حتى أرسوا بالإسكندرية فأجاههم من بها من الروم ، ولم يكن الموقف تحرك ولا نكث .
وقد كان عثمان عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فلما نزلت الروم سأل أهل مصر عثمان أن يقتصر عمراً حتى يفرغ من قتال الروم ، فإن له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ففعل .

وكان على الإسكندرية سورها فحلف عمرو بن العاص: لئن أظفره الله عليهم ليهدم سورها ، حتى تكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان ، فخرج إليهم عمرو في البر والبحر فضموا إلى الموقف من أطاعه من القبط ، وأمّا الروم فلم يطعه منهم أحد فقال خارجة بن حذافة لعمرو: ناهضهم قبل أن يكثرون مددهم

فلا آمن أن تنتقض مصر كلها . فقال عمرو : لا ، ولكن أدعهم حتى يسيروا إلى فإنهم يصيرون من مروا به فيخزي الله بعضهم ببعض ، فخرجو من الإسكندرية ومعهم من نقض من أهل القرى ، فجعلوا ينزلون القرية فيشرون خورها ويأكلون أطعمتها ويتنهبون ما مروا به ، فلم يتعرض لهم عمرو حتى بلغوا نفيوس ، فلقوهم في البر والبحر فبدأت الروم القبطاً ، فرموا بالنشاب في الماء رمياً شديداً ، حتى أصابت النشاب يومئذ فرس عمرو في لبته وهو في البر فعقر فنزل عنه عمرو . ثم خرجو من البحر فاجتمعوا هم والذين في البر فنفحوا المسلمين بالنشاب فاستأخر المسلمون عنهم شيئاً ، وحملوا على المسلمين حملة ول المسلمين منها وانهزم شريك بن سمي في خيله ، وكانت الروم قد جعلت صفوفاً خلف صفوف . وبرز يومئذ بطريق من جاء من أرض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب ، فدعا إلى البراز فبرز إليه رجل من زيد يقال له : حومل يكى أبا مذحج فاقتلا طويلاً برحين يتطاردان ، ثم ألقى الطريق الرمح وأخذ السيف فألقى حومل رمحه وأخذ سيفه ، وكان يعرف بالنجمة ، فجعل عمرو يصبح : أبا مذحج فيجيئه : ليك ، والناس على شاطئ النيل في البر على تعبيتهم وصفوفهم ، فتجاو لا ساعة بالسيف ثم حمل عليه الطريق فاحتمله ، وكان نحيفاً فاختلط حومل خنجرأ كان في منطقته أو في ذراعه ، فضرب به نحر العلج أو ترقونه ، فأنبته وقع عليه ، فأخذ سله ثم مات حومل بعد ذلك بأيام فرؤي عمرو يحمل سريره بين عمودي نعشة حتى دفنه بالقطم .

ثم شدّ المسلمين عليهم فكانت هزيمتهم فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية ففتح الله عليهم ، وقتل منوبل الخصي ، وقتلهم عمرو حتى أمعن في مديتها ، فكلم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم ، وبنى في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجداً وهو المسجد الذي بالإسكندرية الذي يقال له مسجد الرحمة ، سُمي بذلك لرفع عمرو السيف هناك . وهدم سورها كله وجمع ما أصاب منهم ، فجاءه أهل تلك القرى من لم يكن نقض فقالوا: قد كنا على صلحنا ، وقد مر علينا هؤلاء اللصوص فأخذوا ماتعاً ودواينا ، وهو قائم في يديك ، فرداً عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه ، وأقاموا عليه البينة ، وقال بعضهم لعمرو: ما حل لك ما صنعت بنا ، كان لنا أن نقاتل عنا لأننا في ذمتك ولم نقض ، فأما من نقض فأبعده الله ! فندم عمرو وقال: يا ليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من الإسكندرية ».

وقالت رواية البلاذري: ٢٦٠ / ١: « ثم إن عمرو بن العاص استخلف على الإسكندرية عبد الله بن حداقة.. في رابطة من المسلمين وانصرف إلى الفسطاط . وكتب الروم إلى قسطنطين بن هرقل ، وهو كان الملك يومئذ ، يخربونه بقلة من عندهم من المسلمين وبها هم فيه من الذلة وأداء الجزية . فبعث رجلاً من أصحابه يقال له منوبل في ثلاثة مئة مركب مشحونة بالمقاتلة . فدخل الإسكندرية وقتل من بها من روابط المسلمين إلا من لطف للهرب فجأ ، وذلك في سنة خمس وعشرين . ويبلغ عمرو وأخباره فسار إليهم في خمسة عشر ألفاً فوجد مقاتلتهم قد خرجوا يعيشون فيها يلي الإسكندرية من قرى مصر . فلقيهم

ال المسلمين فرشقوهم بالنشاب ساعة وال المسلمين متربسون، ثم صدقوهم الحملة فالتحمت بينهم الحرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . ثم إن أولئك الكفرا ولوا منهزمين ، فلم يكن لهم نهاية ولا عرجحة دون الإسكندرية فتحصنا بها ونصبوا العرادات ، فقاتلهم عمرو عليها أشد قتال ونصب المجنح فأنحرب جدرها ، وألح بالحرب حتى دخلها بالسيف عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذريعة ، وهرب بعض رومها إلى الروم ، وقتل عدو الله منوبل . وهدم عمرو والمسلمون جدار الإسكندرية ، وكان عمرو نذر لثن فتحها لي فعلن ذلك .

أقول: هذا ما رووه ، لكن توجد رواية ترد على النقاط الأساسية في هذه الرواية ، رواها عامة المؤرخين ، منهم المقريزي في الموعظ والإعتبار: ٢١٠ / ١، قال: «وكان سبب نقض الإسكندرية هذا أن «طلما» صاحب إخنا ، قدم على عمرو فقال: أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصير لها؟ فقال عمرو وهو يشير إلى ركن كنيسة: لو أعطيتني من الركن إلى السقف ما أخبرتك ! إنها أنت خزانة لنا ، إن كثر علينا كثروا علينا وإن خفف عنا خففنا عنكم ! فغضب صاحب إخنا وخرج إلى الروم فقدم بهم، فهزمهم الله تعالى وأسر، فأتي به إلى عمرو فقال له الناس: أقتلته فقال: لا بل إنطلق فجئنا بجيش آخر ! وسورة وتوجه وكساه برنس، فرضي بأداء الجزية، فقيل له: لو أتيت ملك الروم؟ فقال: لو أتيته لقتلني وقال: قتلت أصحابي».

فالذى نقض عهد الصلح هو عمرو بسياسة الظلمة مع أهل مصر ، فقد كان يزيد على الخراج المقرر وهو ديناران عن كل بالغ ، ما عدا الصغار والنساء والشيوخ ، وكان

لا يخبرهم بقدر ما يريد منهم حتى يأتي الموسم فيعلن مقرراته هذه السنة ، فلما سأله رئيس الأقباط في إخنا عن مقدار الجزية في تلك السنة لم يخبره وقال كلمة سيئة: إنها أنتم خزانة لنا ، نأخذ منها حسب حاجتنا ورغبتنا ! فغضب رئيس إخنا ، قيل استنصر بالروم وأتى بجيش هرقل ، فهزمهم عمرو ، وقتلهم جميعاً ، وأسر الإخنوي !

وقد ذكر المؤرخون بنود عهد الصلح الذي يظهر بوضوح أنه عمرو وأنقضه ! منهم ابن تغري في النجوم الزاهرة: ٢٠: « قال عبيد الله بن أبي جعفر: حدثني رجل من أدرك عمرو بن العاص قال: للقبط عهد عند فلان ، وعهد عند فلان ، فسمى ثلاثة نفر . وفي رواية أن عهد أهل مصر كان عند كبرائهم ، قال: وسألت شيئاً من القدماء عن فتح مصر ، قلت له: فإن ناساً يذكرون أنه لم يكن لهم عهد ، فقال: ما يبالي ألا يصلني من قال إنه ليس لهم عهد! فقلت: فهل كان لهم كتاب؟ فقال: نعم ، كتب ثلاثة: كتاب عند طلما صاحب إخنا ، وكتاب عند قzman صاحب رشيد ، وكتاب عند يحنس صاحب البرلس. قلت: كيف كان صلحهم؟ قال: دينارين على كل إنسان جزية ، وأرزاق المسلمين. قلت: أفعلم ما كان من الشروط؟ قال: نعم ، ستة شروط: لا يحرجون من ديارهم ، ولا لائز نساوهم ، ولا أولادهم ، ولا كنوزهم ، ولا أراضيهم ، ولا يزاد عليهم . وكان فتح مصر يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة ». والأموال للفاس بن سلام: ١، ١٢٤ / ١، والأربعون البلدانية لابن عساكر: ٣٦٦ / ١، ومعجم البلدان للحموي: ٧٧، وفتور مصر وأخبارها / ٢٧٠، و ٣٠٢، وحسن المحاضرة في أخبار مصر للسيوطى / ٥٧ .

ولم يثبت أن طلّها صاحب إخنا ذهب إلى الروم أو استعان بهم، نعم قد يكون قاوم بجهازته مأموري عمرو لجمع الخراج ، بالروم فقاتلهم المسلمون وأسروه. ثم ادعى عمرو أنه استعان بالروم فهاجم إخنا والإسكندرية وقرأها واستباحها ! وقد كشفت بعض المصادر مكيدة عمرو فقال ابن العميد في شذرات الذهب:٣٦/١:

«وبسبب العزل أنه غزا الإسكندرية ، ظاناً نقض العهد ، فقتل وسيبي ، ولم يصح عند عثمان نقضهم للعهد ، فأمر برد السيبي وعزله ، فاعتزل عمرو في ناحية فلسطين ، وكان ذلك بداء المخالفة».

وقال في شرح النهج:٦/٣٢٠: «قال أبو عمر: ثم إن عمرو بن العاص ادعى على أهل الإسكندرية أنهم قد نقضوا العهد الذي كان عاهد لهم ، فعمد إليها فحارب أهلها وافتتحها ، وقتل المقاتلة وسيبي الذرية ، فنقم ذلك عليه عثمان ، ولم يصح عنده نقضهم العهد ، فأمر برد السيبي الذي سبوا من القرى إلى مواضعهم ، وعزل عمراً عن مصر ، وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري مصر بدله ، فكان ذلك بدو الشر بين عمرو بن العاص وعثمان بن عفان ، فلما بدا بينهما من الشر ما بدا ، اعتزل عمرو في ناحية فلسطين بأهله ، وكان يأتي المدينة أحياناً . فلما استقر الأمر لمعاوية بالشام ، بعثه إلى مصر بعد تحرير الحكمين فافتتحها، فلم يزل بها إلى أن مات أميراً عليها في سنة ثلاث وأربعين».

لاحظ قوله: «أمر برد السيبي الذي سبوا من القرى إلى مواضعهم» لتعرف أن مكيدة عمرو كانت طمعاً بأموال الإسكندرية ، وأنه سي بناتهم وصبيانهم !

ولا بد أنه نهب الملايين في تلك الحملة التي ساها جهاداً وفتحاً ، وسيـى الألوف

من نسائهم وصبيـاهـم ، فبـاعـاـكـثـرـهـم ، وعـنـدـمـاـ انـكـشـفـاـ أمرـهـ أـرـجـعـاـقـلـهـمـ !

ومـاـيـوـجـبـ الشـكـ فـيـ بـعـدـ قـوـاتـ مـنـ الرـوـمـ إـلـىـ مـصـرـ فـيـ عـهـدـ عـمـرـوـ ،ـ أـنـ
روـاـيـاتـ المـعـرـكـةـ تـضـمـنـتـ أـوـصـافـ قـوـاتـ مـعـرـكـةـ ذاتـ الصـوـارـيـ التـيـ وـقـعـتـ بـعـدـ
عـشـرـ سـنـينـ ،ـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ الرـوـاـةـ أـسـقـطـوـهـاـ عـلـيـهـاـ ،ـ وـلـمـ يـكـنـ فـيـهـاـ عـمـرـوـ بـنـ
الـعـاصـمـ بـلـ قـادـهـاـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ وـمـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ حـذـيفـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـاـ.

ثـمـ تـجـدـ التـفـاوـتـ فـيـ روـاـيـاتـ القـصـةـ فـيـ المـرـاكـبـ الـرـوـمـيـةـ ،ـ التـيـ زـعـمـ اـبـنـ العـاصـمـ
أـنـهـ كـانـتـ ثـلـاثـ مـئـةـ مـرـكـبـ مـشـحـونـةـ بـالـقـاتـلـةـ ،ـ فـذـكـرـتـ روـاـيـةـ الـبـلـادـيـ أـنـهـمـ
دـخـلـواـ إـسـكـنـدـرـيـةـ وـقـتـلـواـ الـمـرـابـطـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ ،ـ إـلـاـ مـنـ لـطـفـ لـلـهـرـبـ فـنجـاـ .
لـكـنـ روـاـيـةـ اـبـنـ خـلـدـوـنـ (١٢٦/١) تـقـولـ:ـ «ـوـنـزـلـواـ بـسـاحـلـ إـسـكـنـدـرـيـةـ لـنـعـهـمـ
الـمـقـوـقـسـ مـنـ الدـخـولـ إـلـيـهـ»ـ .

وـرـوـاـيـةـ نـهـاـيـةـ الـأـرـبـ (٤٠٧/١٩) تـقـولـ:ـ «ـفـانـهـزـمـ الرـوـمـ ،ـ وـتـبـعـهـمـ الـمـسـلـمـوـنـ إـلـىـ أـنـ
أـدـخـلـوـهـمـ إـسـكـنـدـرـيـةـ»ـ .

وـتـؤـيـدـهـاـ روـاـيـةـ السـيـوطـيـ فـيـ (ـحـسـنـ الـمـاحـاضـرـ/ـ٥٧ـ)ـ قـالـتـ:ـ «ـثـمـ شـدـ الـمـسـلـمـوـنـ عـلـيـهـمـ ،ـ
فـكـانـتـ هـزـيـمـتـهـمـ .ـ فـطـلـبـهـمـ الـمـسـلـمـوـنـ حـتـىـ الـحـقـوـهـمـ بـالـإـسـكـنـدـرـيـةـ»ـ .
إـنـ عـدـدـ جـيـشـ الرـوـمـ الـمـزـعـومـ حـسـبـ الرـوـاـيـةـ نـحـوـ ثـلـاثـيـنـ أـلـفـ جـنـديـ ،ـ لـأـنـ
مـعـدـلـ الـمـرـكـبـ الـعـادـيـ مـئـةـ مـقـاتـلـ .ـ (ـمـرـوـجـ الذـهـبـ:ـ ٢٠٥ـ)ـ .

فـكـيـفـ يـعـقـلـ أـنـ يـكـونـ عـمـرـ وـقـاتـلـ ثـلـاثـيـنـ أـلـفـ جـنـديـ روـمـيـ بـقـلـيلـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ
وـقـتـلـهـمـ كـلـهـمـ كـمـاـ تـقـولـ الرـوـاـيـةـ ،ـ أـوـ يـكـونـ الـجـاهـمـ إـلـىـ دـخـولـ إـسـكـنـدـرـيـةـ ،ـ أـوـ

يكونوا نزلوا خارج الإسكندرية وانتظروا هم والمسلمون حتى أرسل أهل مصر إلى عثمان يطلبون منه أن يطلب من عمرو دفع ذلك الجيش ، فجاء عمرو البطل من الفسطاط ، وقاتلهم ؟ !

قال ابن تغري في النجوم الزاهرة (٧٨/١) : «السنة الخامسة من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر ، وهي سنة أربع وعشرين من الهجرة . فيها سار منويل الخصي إلى الإسكندرية ، فسأل أهل مصر عثمان إرسال عمرو بن العاص لقتال منويل المذكور ، فجاء إليها عمرو وحارب حتى افتتحها الفتح الثاني في هذه السنة وقيل بل كان ذلك في سنة خمس وعشرين وهو الأصح».

والمرجح عندي أن عمروًأ عندما أحس أن عثمان سيعزله عن مصر ، وضع هذه المكيدة ، فادعى أن هرقل أرسل جيشاً إلى قرى الإسكندرية ، فهاجمها عمرو وبطش فيها ونبتها وسبها ، وكان منها طلما رئيس إخنا ، ولعل فيها بعض الروم المقيمين . ثم هاجم عمرو الإسكندرية ، وهدم سورها ، ورجع إلى الفسطاط ، وجعل عبده وردان حاكماً على الإسكندرية .

قال البلاذري : «لما ولى عمرو وردان مولاه الإسكندرية ورجع إلى الفسطاط ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى أتاه عزله ، فولى عثمان بعده عبد الله بن سعد بن أبي سرح .. وكان أخا عثمان من الرضاعة ، وكانت ولايته في سنة خمس وعشرين».

و Noticed هنا تناقضات فقهاء السلطة ، فقد حكموا بصحة عقد الصلح الذي عقده عمرو مع المصريين ، فصارت مفتوحة صلحًا ، وثبتت ملكية أهلها لأرضهم .

ثم نقض عمرو عهد الصلح ، وادعى عليهم زوراً أنهم نقضوه ، وغزاهم وأخضعهم ، فحكم فقهاء السلطة بأنها صارت أرضاً مفتوحة عنوة ، وسلبت ملكية أرضها من أهلها وصارت لكل المسلمين ! فاتبع الفقهاء هو بالحاكم مع الأسف !

١٦ . ولم يكتف عمرو بالبطش والنهب ، بل هدم سور الإسكندرية كالجبايرة !
وقد أليس فعله ثوباً شرعياً فقال إنه نذر أن يهدم سور الإسكندرية ، وهو نذر غير شرعي ، في أي مذهب من مذاهب المسلمين !

قال القرشي المصري في فتوح مصر وأخبارها: ١٩٠ / ١: «كان على الإسكندرية سور فحلف عمرو بن العاص لئن أظهره الله عليهم ليهدم سورها ، حتى تكون مثل بيت الزانية ، تؤتي من كل مكان ! فخرج إليهم عمرو في البر والبحر . قال غير الليث: وضوى إلى المقوس من أطاعه من القبط ، فأما الروم فلم يطعه منهم أحد». والإكفاء للكلاعي: ٤٩ ، والمواعظ للمقربي: ١ / ٢١٠ .

ونلاحظ أن المقوس حسب الرواية كان مع قواته القبطية إلى جانب عمرو ، كما نلاحظ جبروت عمرو وبذاءة لسانه في قوله إن س يجعل الإسكندرية مثل بيت الزانية ! وهي مدينة عريقة ، ويسكنها المعاهدون والمرابطون .

ويشبه ذلك ما رواه عنه الزمخشري في ربيع الأبرار: ١٠٧ ، وفي طبعة: ٦٦ ، قال: «حبس عمرو بن العاص عن جنده العطاء ، فقام إليه رجل حميري فقال: أصلح الله الأمير إذا لم تعطنا فاتخذ جنداً من حجارة لا يأكلون ولا يشربون ! قال: أسكنت يا كلب ! قال: إن كنت كذلك ، فأنت أمير الكلاب »! والأذكياء لابن الجوزي: ٩٧ ، وغير الخصائص الواضحة للوطواط: ١ / ١٠٩ .

وقد لَطَّفَهُ من يحب عمروأ كالطبرى: ٢٠١ / ٣، وابن كثير في النهاية: ١١٣ / ٧، والنجمون الزاهرا: ٢٦ / ١، فقالوا إنه كان يجُمِسُ المقاتلين في معركته مع المقوقس: «ويختهم على الشبات، فقال له رجل من أهل اليمن: إننا لم نخلق من حجارة..». مع أنه لم تكن له معركة مع المقوقس أبداً، ولا معركة مهمة مع غيره ، كما بينا .

١٧ . حكم عمرو مصر سبع سنين ، ثم عزله عثمان وولى أخيه لأمه ابن أبي سرح الأموي ، فغضب عمرو غضباً شديداً ، وأخذ يحرض الناس على عثمان .

قال عمر بن شبة في تاريخ المدينة: ١٠٨٩ / ٣: «كان عمرو بن العاص من أشد الناس طعنَا على عثمان ، وقال: والله لقد أبغضت عثمان وحرضت عليه ، حتى الراعي في غنميه ، والمسقاة تحت قربتها ». .

وفي الطبرى: ٣٩٢ / ٣: «قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان ، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به فقال: يا ابن النابغة ! ما أسرع ما قَبِيلَ جِرْبَانُ جُبَيْتَكَ ، إنما عهدهك بالعمل عام أول ، أطعن على وتأتيني بوجه وتذهب عنى بأخر ، والله لو لا أكلة (تربيدها) ما فعلت ذلك ! قال فقال عمرو: إن كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلى ولاتهم باطل ، فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعيتك .

قال عثمان: والله لقد استعملتك على ظلَعِك وكثرة القالة فيك . فقال عمرو: قد كنت عاماً لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عنى راض . قال فقال عثمان: وأنا والله لو آخذتك بما آخذتك به عمر لاستقمت ولكنني لنت عليك فاجترأت علىَ . أما والله لأنما أعز منك نفراً في الجاهلية وقبل ان ألي هذا السلطان . فقال عمرو: دع عنك هذا ، فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وهدانا به . قد رأيت العاص بن

وائل ورأيت أباك عفان ، فوالله للعاصى كان أشرف من أبيك ! قال: فانكسر عثمان وقال: مالنا ولذكر الجاهلية . قال: وخرج عمرو ودخل مروان فقال يا أمير المؤمنين وقد بلغت مبلغاً يذكر عمرو بن العاص أباك؟ فقال عثمان: دع هذا عنك . من ذكر آباء الرجال ذكروا أباه . قال: فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه ، يأتي علياً مرة فيؤلبه على عثمان ، ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان ، ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان ! فلما كان حصر عثمان الأول خرج من المدينة حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع ، فنزل في قصر له يقال له العجلان ، وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفان ! قال فيينا هو جالس في قصره ذلك ومعه ابناه محمد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي ، إذ مر بهم راكب فناداه عمرو: من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة . قال: ما فعل الرجل يعني عثمان؟ قال: تركته محصوراً شديداً بالحصار . قال عمرو: أنا أبو عبد الله ، قد يضر ط العبر والمكواة في النار ! فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مر به راكب آخر فناداه عمرو: ما فعل الرجل يعني عثمان؟ قال: قتل . قال: أنا أبو عبد الله ، إذا حككت قرحة نكأتها ، إن كنت لأحرض عليه حتى أني لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل ! فقال له سلامة بن روح: يا معاشر قريش إنه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسر تقوه فيما حللكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحق من خاصرة الباطل ، وأن يكون الناس في الحق شرعاً سواء . وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمه ، أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، ففارقتها حين عزله».

١٨. وجع عمرو ثروة طائلة من الفتوحات ، وكان شديد الحرص على الولاية

وقد ظهرت ثروته مبكراً في عهد عمر، ففي شرح النهج: ١٧٤/١: «وروى الزبير بن بكار قال: لما قلد عمر عمرو بن العاص مصر، بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق وصامت ، فكتب إليه...». وقد خونه عمر ، لكن أبقاء على مصر ! وفي معجم البلدان: ٥/٣٨٦: «اللوَّهُط: وهو مالٌ كان لعمرو بن العاص بالطائف.. عرْش عمرو بن العاص بالوهط ألف ألف عود كرم على ألف ألف خشبة ، ابْنَاع كل خشبة بدرهم ، فحج سليمان بن عبد الملك فمر بالوهط فقال: أحب أن أنظر إليه ، فلما رأه قال: هذا أكرم مال وأحسنـه ، ما رأيت لأحد مثله ألا ولا أن هذه الحرة (بورة) في وسطه فقيل له: ليست بحـرة ولكنها مسطاح الزبيب ، وكان زبيـبه جـع في وسطـه فلما رأه من الـبعد ظـنه حـرة سـوداء! وقال ابن موسى: الوهـط قـرية بالـطائف على ثلاثة أمـيال من وجـه كانت لـعمرو بنـالـعاصـ». .

وفي تاريخ دمشق: ٤٦١٠٩: «وشهد فتح دمشق وكان له بها دار عند سقيفة كرمي في جيرون ، ودار في ناحية باب الجابية ما بين دار الشعريين وزقاق الماشميين ، ودار تعرف ببني حجيبة في رحبة الزبيب ، ودار تعرف بالمارستان الأول عند عين الحمي».

وفي التراتيب الإدارية: ٤٠٢: «ومن كان يعد من أغنياء الصحابة عمرو بن العاص خرج ابن عساكر أن عمرًا كان يلقي كروم الوهط بستان له بالطائف بألف الف خشبة كل خشبة بدرهم فالكرم الذي يحتاج إلى خشب بألف الف كم تكون غلته وكانت له دور كثيرة بمصر ودور بدمشق منها دار بجرون ودار

في ناحية الجابية ودار تعرف بداربني أحبيحة ودار تعرف بالمارستان . أنظر تاريخ ابن عساكر حتى قال بعض العصرىين: إن ما ذكره المؤرخون من مقدار ثروة عمرو لا يقبله العقل .».

وفي مستدرك الحاكم: ٤٥٢/٣: «لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال: كيلوا مالى، فكالوه فوجدوه اثنين وخمسين مُداً ، فقال من يأخذها بما فيه ، يا ليته كان بعراً ! قال: وكان المدستة عشر أوقية ، الأوقية منه مكوكان . ومات عمرو بن العاص يوم الفطر وقد بلغ أربعاء وتسعين سنة ».

وفي تاريخ دمشق: ١٩١/٤٦: «لما احضر عمرو بن العاص ، نظر إلى صناديق فقال: من يأخذها بما فيها ، يا ليته كان بعراً ! ثم أمر الحرس فأحاطوا بقصره ، فقال بنوه ما هذا ؟ فقال: ما ترونَ هذا يعني شيءَا !

١٩ . لم يشبع عمرو ، وظل يفكر ، حتى أخذ خراج مصر طعمَة من معاوية
 روى البلاذري في أنساب الأشراف: ٢٨٥/٢: أن علياً عليه السلام أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يطلب منه أن يبايعه ويدخل فيها دخل فيه المسلمين ، فأرسل معاوية إلى عمرو بن العاص وكان مقبياً في فلسطين: «فلمَّا أتاه الكتاب دعا ابنه عبد الله محمدأً فاستشارهما، فقال له عبد الله: أيها الشيخ إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبض وهو عنك راض ، ومات أبو بكر وعمر وهم عنك راضيان ، فإياك أن تفسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها من معاوية ، فتكتبَ كَبَّا في النار . ثم قال لمحمد: ما ترى؟ فقال: بادر هذا الأمر ، تكن فيه رأساً قبل أن تكون ذئباً..

فلما أصبح عمرو دعا مولاه وردان فقال: إرحل بنا يا وردان فرحل ، ثم قال: حطّ ، فحط . ففعل ذلك مراراً ، فقال له وردان: أنا أخبرك بما في نفسك ، اعترضت الدنيا والآخرة في قلبك ، فلست تدري أيتها تختار ! قال: الله درك ما أحطأت ، فما الرأي ؟ قال: تقييم في متزلك فإن ظهر أهل الدين عشت في دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغف عنك ! فقال عمرو: إرحل يا وردان على عزم .

ثم قدم على معاوية فذاكره أمره ، فقال: أما على فلا تسوى العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء ، وإن له في الحرب حظاً ما هو لأحد من قريش.

قال: صدقت ، وإنما نقاتله على ما في أيدينا ونلزمهم دم عثمان . فقال عمرو: وإن أحق الناس أن لا يذكر عثمان لأننا وأنت ، أما أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين ، وأما أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتى استغاث بيزييد بن أسد البجلي فسار إليه ، فقال معاوية: دع ذا وهات فإيعني .

قال: لا لعمرو الله ، لا أعطيك ديني حتى آخذ من دنياك ! فقال معاوية: سل .

قال: مصر تعطمني إياها . فغضب مروان بن الحكم وقال: ما لي لا أستشار؟

قال معاوية: أسكك فيها يستشار إلا لك .

فقام عمرو مغضباً فقال له معاوية: يا أبا عبد الله ، أقسمت عليك أن تبيت الليلة عندنا . وكره أن يخرج فيفسد عليه الناس ، فبات عنده وقال:

معاوي لا أعطيك ديني ولم أتل	به منك ديناً فانتظرن كيف تصنع
إذن تعطني مصر فأأربح صفة	أخذت بها شيئاً يضرُّ وينفع
وما الدين والدنيا سواء وإنني	لآخذ ما تعطي ورأسي مقنع

ولكتني أعطيك هذا وإنني لأخده نفسي والمخادع يُخدع

فلما أصبح معاوية دخل عليه عتبة بن أبي سفيان فقال له: يا معاوية ما تصنع؟
أما ترضى أن تشتري من عمرو دينه بمصر! فأعطاه إياها وكتب له كتاباً.

وفي شرح النهج: ٦٧/٢: «فخرج عمرو من عنده ، فقال له إبناه: ما صنعت؟ قال:
اعطانا مصر طعمة . قالا: وما مصر في ملك العرب؟!

قال: لا أشبع الله بطونكم إن لم تشبعكم مصر.. قال: وكتب معاوية له بمصر
كتاباً ، وكتب: على ألا ينقض شرط طاعة ، فكتب عمرو: على ألا تنقض طاعة
شرطًا ، فكايد كل واحد منها صاحبه.

يقصد معاوية أن بيعة عمرو غير مشروطة بمصر ، وقد صد عمرو أنها مشروطة بها.

قال نصر: فلما كتب الكتاب قال معاوية لعمرو: ماترى الآن؟ قال: إمض الرأي
الأول ، فبعث مالك بن هبيرة الكندي في طلب محمد بن أبي حذيفة فأداركه
فقتلته ، وبعث إلى قيسar بالهدايا فوادعه...». (راجع صفين لنصر بن مزاحم /٤٤).

وقال ابن سعد في الطبقات: ٤/٢٥٨: «لما صار الأمر في يدي معاوية استكثر طعمة
مصر لعمرو ما عاش ، ورأى عمرو أن الأمر كله قد صلح به ويتديره وعنائه
وسعيه فيه ، وظن أن معاوية سيزيد الشام مع مصر فلم يفع معاوية ، فتذكر
عمرو لمعاوية ، فاختلفا وتغالطا ، وتميز الناس وظنوا أنه لا يجتمع أمرهما ،
فدخل بينهما معاوية بن حديج فأصلح أمرهما ، وكتب بينهما كتاباً وشرط فيه
شروطًا لمعاوية وعمرو خاصة ، وللناس عليه ، وأن لعمرو ولاية مصر سبع
سنين ، وعلى أن على عمرو السمع والطاعة لمعاوية ، وتوافقاً وتعاهداً على ذلك

وأشهد عليهما به شهوداً. ثم مضى عمرو بن العاص على مصر واليأ عليها وذلك في آخر سنة تسع وثلاثين، فوالله ما مكث بها إلا ستين أو ثلاثة حتى مات!»
يشير الرواية إلى أن معاوية دس السم لعمرو ! وتاريخ دمشق: ٤٦، ١٧٤، وتاريخ
اليعقوبي: ٢، ١٨٥ ، ومروج الذهب: ٤٣٥، و تاريخ أبي الفدا: ١٨٤ .

٢٠. أشار عمرو بن العاص على معاوية بإيقاف الفتوحات الإسلامية فأوقفها

وبعث معاوية إلى قيسر بالمدايا وعقد معه صلحًا على جزية سنوية يدفعها معاوية ، وهي مئة ألف دينار ذهبًا ، ليفرغ لحرب علي عليه السلام! بل نصت رواية ابن الأعثم على أن معاوية اتفق مع هرقل على أن يساعده إذا انهزم في صفين !
قال المسعودي في مروج الذهب(٢/٣٧٧): «وامتنع المسلمون عن الغزو في البحر والبر لشغفهم بالحروب ، وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله إليه لشغله بعلي عليه السلام» .

وقال ابن الأعثم(٢/٥٣٩): «فنادى علي في الناس فجمعهم ، ثم خطبهم خطبة بلية وقال: أيها الناس ! إن معاوية بن أبي سفيان قد وادع ملك الروم ، وسار إلى صفين في أهل الشام عازماً على حربكم ، فإن غلبتموهם استعنوا عليكم بالروم ». وقد صححوا روايته في مسند أحمد: ٤/١١١ ، وتفسير ابن كثير: ٢/٣٣٣ .

بينما لم يوقف على عليه السلام الفتوحات ، رغم أن أعداءه شغلوا ثلاثة حروب داخلية فقد فتح ولاته عليه السلام مناطق كثيرة من خراسان والهند وإفريقيا .

فقد أرسل ابن أخيه جعدة بن هبيرة لإكمال فتح خراسان . وأرسل من لم يرغب في حرب معاوية إلى مناطق من فارس والقفقاز . وأرسل جيشاً من البحرين لفتح مناطق في الهند . كما أرسل بالتهديد إلى هرقل .

وقال اليعقوبي في تاريخه: ١٨٣/٢: «ولما فرغ من حرب أصحاب الجمل ، وجه جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي إلى خراسان » .

وفي شرح النهج: ١٨/٣٠٨: «هبيرة بن أبي وهب ، كان من الفرسان المذكورين ، وابنه جعدة بن هبيرة ، وهو ابن اخت علي بن أبي طالب ، أمها أم هاني بنت أبي طالب ، وابنه عبد الله بن جعدة بن هبيرة ، هو الذي فتح القندمار ، وكثيراً من خراسان ، فقال فيه الشاعر:

لولا ابن جعدة لم تُفتح قهندركم ولا خراسان حتى ينفح الصور

وفي معجم البلدان: ٤/٤١٩ ، وصحاح الجوهرى: ١/٤٣٣: قهندر بالزاي ، والظاهر أن جعدة رضي الله عنه فتح بقية خراسان وأفغانستان .

وقال الطبرى في تاريخه: ٤/٤٦: «فانتهى إلى أبى شهر وقد كفروا وامتنعوا فقدم على على بن أبي شهر فبعث خليل بن قرة اليربوعي فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه وصالحة أهل مرو ، وأصاب جاريتين من أبناء الملوك نزلتا بأمان ، فبعث بهما إلى علي فعرض عليها الإسلام وأن يزوجهما ، قالتا زوجنا ابنيك فأبى ، فقال له بعض الدهاقين ادفعهم إلى فإنه كرامة تكرمني بها ، فدفعهم إلى فكانتا عنده يفرش لهما الدبياج ويطعمهما في آنية الذهب ، ثم رجعنا إلى خراسان» .

وقال خليفة بن خياط في تاريخه /١٤٣ ، في حوادث سنة ٣٦: « وفيها ندب الحارث بن مرة العبدى (من البحرين) الناس إلى غزو الهند ، فجاوز مكران إلى بلاد قنديايل ووغل في جبال الفيقان...».

وفي فتوح البلدان للبلاذري: « فلما كان آخر سنة ثمان وثلاثين وأول سنة تسع وثلاثين في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، توجه إلى ذلك التغر الحارث بن مرة العبدى متظوعاً بإذن علي عليه السلام فظفر وأصاب مغناهاً وسبباً ، وقسم في يوم واحد ألف رأس» .

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم /١١٥: « فأجاب علياً إلى السير والجهاد جل الناس إلا أن أصحاب عبد الله بن مسعود أتواه ، وفيهم عيدة المسلمين وأصحابه ، فقالوا له: إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم ، ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام ، فمن رأيأه أراد ما لا يحمل له ، أو بدا منه بغي كنا عليه. فقال على: مرحباً وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين والعلم بالسنة. من لم يرض بهذا فهو جائز خائن . وأتاه آخرؤن من أصحاب عبد الله بن مسعود ، فيهم ربيع بن خيسم وهم يومئذ أربعين مائة رجل ، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك ، ولا عناء بنا ولا بك ولا المسلمين عمن يقاتل العدو ، فولنا بعض الشغور نكون به تم نقاتل عن أهله . فوجهه على على ثغر الري ، فكان أول لواء عقده بالکوفة لواء ربيع بن خيسم .

عن ليث بن سليم قال: دعا عليٌّ باهله فقال: يا معشر باهله ، أشهد الله أنكم تبغضوني وأبغضكم ، فخذوا عطاكم واخرجوا إلى الديلم . وكانوا قد كرهوا أن ينحرجو معه إلى صفين » !

٢١. وكان موقف عليٍّ من عمرو شديداً، متناسباً مع شدة نفقة ومكائد

فلم يعبر عنه الإمام عليٌّ إلا بابن النابغة ، وكأنه بذلك يُعيره بأمه وسلوكيها السيء ، أو ثبت عنده أنه ليس ابن العاص ، أو يرى أن معنى قوله تعالى عن العاص: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ . ينفي وجود ذرية لل العاص ، وأنه عقيم حقيقة !

وقال عليٌّ في إحدى خطبه: «أنهوا نائمكم ، واجتمعوا على حكم ، وتجروا على حرب عدوكم . قد بدت الرغوة عن الصريح ، وقد بان الصبح لذى عينين ، إنها تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء ، وأولى الجفاء ، ومن أسلم كرهاً ، وكان لرسول الله ﷺ أنفَ الإسلام كله حرباً . أعداء الله والسنّة والقرآن ، وأهل البدع والإحداث ، ومن كانت بوائقه تتفقى ، وكان على الإسلام وأهله خوفاً ، وأكلة الرشا ، وعبدة الدنيا ! لقد أمني إلى أن ابن النابغة لم يبایع حتى أعطاه ثمناً ، وشرط أن يؤتى به أثيمه ، هي أعظم مما في يده من سلطانه . لا صفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا ، وخزنت أمانة هذا المشترى نصرة فاسق غادر ، بأموال المسلمين ». (الغارات للبنقي: ٣١٦ / ١، ونهر البلاغة: ١١٥ / ٢٠)

وفي شرح النهج: ٢٠/٣٢٦: «كنت في أيام رسول الله ﷺ كجزء من رسول الله ﷺ ينظر إلى كما ينظر إلى الكواكب في أفق السماء ، ثم غض الدهر مني ففُرِنَ في فلانٌ وفلان ، ثم فُرِنَتْ بخمسة أمثلهم عثمان ، فقلت: واذفراه ! ثم لم يرض الدهر لي

بذلك ، حتى أرذلني ، فجعلني نظيرًا لابن هند وابن النابغة ! لقد استنت الفصال حتى القرعى». .

ومعنى **واذْفَرَاهُ**: أي فاحت رائحة كريهة . واستنت الفصال حتى القرعى: أي تسابقت الإبل حتى المريضة بالقرع . وهو مثل «يضرب لمن يتشبه بمن هو فوقه» (فتح الباري: ٤ / ٦). «يضرب للذى يتكلّم مع الذى لا ينبغي له أن يتكلّم بين يديه لجلالة قدره ، والقرعى: جمع قريع كمريض ومرضى ، وهو الذي به قرع بالتحريك ، وهو بشر أىض يطلع في الفصال». (حياة الحيوان: ٢٠٤). .

وكتب **عليثية** إلى معاوية جواباً على كتابه: «وسأجيك فيما قد كتبت بجواب ، لا أظنك تعقله أنت ولا وزيرك ابن النابغة عمرو ، المافق لك كما وافق شنٌ طبقة ، فإنه هو الذي أمرك بهذا الكتاب وزينه لك ، وحضر كما فيه إيليس ومردة أصحابه . والله لقد أخبرني رسول الله ﷺ وعرفني أنه رأى على منبره اثني عشر رجلاً أئمة ضلال من قريش ، يصعدون منبر رسول الله وينزلون على صورة القرودة ، يردون أمتهم على أدبارهم عن الصراط المستقيم . قد خبرني بأسمائهم رجالاً رجالاً ، وكم يملك كل واحد منهم ، واحد بعد واحد . عشرة منهم من بنى أمية ورجالان من حيين مختلفين من قريش ، عليهما مثل أوزار الأمة جميعاً إلى يوم القيمة ، ومثل جميع عذابهم ، فليس من دم يهرق في غير حقه ، ولا فرج يغشى حراماً ، ولا حكم بغير حق إلا كان عليهما وزره . وسمعته يقول: إن بنى أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجالاً جعلوا كتاب الله دخلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولًا». (كتاب سليم / ٣٠٢).

وعندما غزا عمرو بن العاص مصر بجيش من الشام ، وقاتل محمد بن أبي بكر والي عليٌّ عليها ، خطب عليه السلام مستنهضاً المسلمين لمساعدة المصريين ، فقد روى جندي بن عبد الله: «إني لعند عليٍّ جالسٌ إذ جاءه عبد الله بن قعین جد كعب يستصرخ من قبل محمد بن أبي بكر ، وهو يومئذ أميرٌ على مصر، فقام عليٌّ عليه السلام فنادى في الناس: الصلاة جامعة فاجتمع الناس ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلوات الله عليه وسلم ثم قال: أما بعد فهذا صريح محمد بن أبي بكر وإنكم من أهل مصر ، وقد سار إليهم ابن النابغة عدو الله وعدوكم ، فلا يكونون أهل الضلال إلى باطلهم والرکون إلى سبيل الطاغوت ، أشد اجتئاعاً على باطلهم وضلالتهم منكم على حقكم ، فكأنكم بهم قد بدؤوكم وإنكم بالغزو ، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر. عبد الله إن مصر أعظم من الشام خيراً، وخير أهلاً، فلا تغلبوا على مصر، فإن بقاء مصر في أيديكم عزٌّ لكم، وكبث لعدوكم. أخرجوها إلى الجرعة لتروا هناك كلنا غداً ، إن شاء الله». (الغارات: ١/٢٩٠).

وروى أبو جعفر الإسکافي في المعيار والموازنة / ١٠٣ ، جواب رسالة من عليٌّ عليه السلام إلى عمرو، وفيها «ابن العاصي وليس العاص»: «من علي بن أبي طالب إلى عمرو بن العاصي، أما بعد ، فإن الذي أعجبك مما تلويت من الدنيا ، ووثقت به منها منفلت منك ، فلا تطمئن إلى الدنيا فإنها غرارة ، ولو اعتبرت بما مضى حذرت ما بقي ، وانتفعت منها بما وعظت به ، ولكن أتبعت هواك وأثرته ، ولو لا ذلك لم تؤثر على ما دعوناك إليه ».

لكن أشد موقف لأمير المؤمنين عليه السلام من عمرو كان في صفين ، يوم كتبوا عهد الهدنة والتحكيم . روى الطوسي في أمالقه: «ما وقع الإنفاق على كتب القضية بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين معاوية بن أبي سفيان ، حضر عمرو بن العاص في رجال من أهل الشام ، وعبد الله بن عباس في رجال من أهل العراق ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام للكاتب: أكتب هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . فقال عمرو بن العاص: أكتب إسمه واسم أبيه ولا تسمه بإمرة المؤمنين ، فإنها هو أمير هؤلاء وليس بأميرنا . فقال الأحنف بن قيس: لا تمح هذا الاسم فإني أنخوف إن محوه لا يرجع إليك أبداً . فامتنع أمير المؤمنين عليه السلام من محوه ، فتراجع الخطاب فيه مليأً من النهار ، فقال الأشعث بن قيس: أمح هذا الإسم ترّحه الله ! فقال أمير المؤمنين: الله أكبر سُنَّةَ بَسْنَةً ومَثَلُ بمثل ، والله إني لكاتب رسول الله صلوات الله عليه وسلم يوم الحديبية وقد أمل على: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . فقال له سهيل: أمح رسول الله إنا لا نقر لك بذلك ولا نشهد لك به ، أكتب إسمك وإسم أبيك ، فامتنعت من محوه فقال النبي صلوات الله عليه وسلم: أمحه يا علي وستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض . فقال عمرو بن العاص: سبحان الله ، ومثل هذا يشبه بذلك ، ونحن مؤمنون وأولئك كانوا كفاراً !

قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا ابن النابغة ، متى لم تكن للفاسقين ولينا وللمسلمين عدواً ، وهل تُشَبِّه إلَّا أملك التي دفعت بك؟ فقال عمرو: لا جرم لا يجمع بيني

وبينك مجلس أبداً . فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والله إني لأرجو أن يطهر الله مجلسي منك ومن أشباهاك ! ثم كتب الكتاب وانصرف الناس ». .

وفي الإيضاح / ٢٣٥، أن معاوية كان يلعن في قنوطه علياً عليه السلام وأصحابه على المنابر . وأن علياً كان يلعن معاوية في قنوطه ، وعمرو بن العاص ، وأبا الأعور السلمي وأبا موسى الأشعري .

وللإمام الحسن عليه السلام مواقف صريحة من عمرو في مناظراته معه بعد صلحه مع معاوية ، منها ما رواه الطبرسي في الاحتجاج: « وأما أنت يا عمرو بن العاص ، الشاني اللعين الأبتر ، فإ إنما أول أمرك أن أملك بغيّة ، وأنك ولدت على فراش مشترك ، فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن حرب ، والوليد بن المغيرة ، وعثمان بن الحرش ، والنضر بن الحرش بن كلدة ، وال العاص بن وايل ، كلهم يزعم أنك ابنه ، فغلبهم عليك من بين قريش لأمّهم حسباً ، وأعظمهم بغيّة . ثم قمت خطيباً وقلت: أنا شاني محمد ، وقال العاص بن وايل: إنَّ مُحَمَّداً رجلاً أبتر لا ولده ، فلو قد مات انقطع ذكره . فأنزل الله تبارك وتعالى: إِنَّ شَائِنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ . وكانت أمك تمشي إلى عبد قيس تطلب البغيّة ، تأتיהם في دورهم ورجالهم وبطون أوديّتهم ، ثم كنت في كل مشهد يشهده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عدوه أشدّهم له عداوة ، وأشدّهم له تكذيباً .

ثم كنت في أصحاب السفينـة: الذين أتوا النجاشي والمهاجرـة الخارجـة إلى الحبشـة في الإشـاطـة بـدم جـعـفرـ بنـ أبي طـالـبـ وـساـيـرـ المـهـاجـرـينـ إـلـىـ النـجـاشـيـ ، فـحـاقـ المـكـرـ

السى بك ، وجعل جدك الأسفل ، وأبطل أميتك ، وخيب سعيك ، وأكذب أحدوتتك ، وجعل كلمة الذين كفروا السفل ، وكلمة الله هي العليا .

وأما قولك في عثمان ، فأنت يا قليل الحياة والدين الهبت عليه نارا ، ثم هربت إلى فلسطين ترخيص به الدواير ، فلما أتاك خبر قتله حبست نفسك على معاوية ، فبعثه دينك يا خبيث بدنيا غيرك ، ولسنا نلومك على بغضنا ، ولم نعاتبك على حبنا ، وأنت عدو لبني هاشم في الجاهلية والإسلام ، وقد هجوت رسول الله ﷺ بسبعين بيتاً من شعر ، فقال رسول الله: اللهم إني لا أحسن الشعر ، ولا ينبغي لي أن أقوله ، فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة !

ثم أنت يا عمرو المؤثر ديناك على دينك . أهديت إلى النجاشي الهدايا ، ورحلت إليه رحلتك الثانية ، ولم تنهك الأولى عن الثانية ، كل ذلك ترجع مغلوباً حسيراً تريد بذلك هلاك جعفر وأصحابه ، فلما أخطأك ما رجوت وأملت ، أحلت على صاحبك عمارة بن الوليد .»

٢٢. كان عمرو في الثمانينات ومعاوية في الأربعينات، ويشعر بال الحاجة إلى مكائده

فعندما قرر معاوية أن يخرج على علي عليهما السلام ويعاقبه ، أرسل إلى عمرو وكان في فلسطين وأحضره ، وفاوضه واتفق معه على إعطاءه الثمن وهو مصر طعمه له !

عندها قال معاوية لنبدأ بأول رأي عندك: «فلما كتب الكتاب قال معاوية لعمرو: ماترى الآن؟ قال: إمض الرأي الأول . بعث مالك بن هبيرة الكندي في طلب محمد بن أبي حذيفة فأدركه فقتله ، وبعث إلى قيسر بالهدايا فوادعه». (كتاب صفين لنصر بن مزاحم / ٤٤).

إن كثيراً من أعمال معاوية وجرائمها ، كانت تطبيقاً لآراء عمرو بن العاص ، وكان معاوية يجاهر بذلك ، وقد يفتخر به ! وأعظم مكائد عمرو بن العاص ، وأكثرها تأثيراً على التاريخ الإسلامي ، مكيدته في رفع المصاحف في صفين ، عندما شارف على ~~شيئه~~ على النصر ومعاوية على الهزيمة !

قال في الأخبار الطوال / ١٨٨ : « ثم إن علياً قام من صبيحة ليلة الهرير في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ، إنه قد بلغ بكم وبعدوكم الأمر إلى ما ترون ، ولم يبق من القوم إلا آخر نفس ، فتأهبوهار حكم الله لمساجزة عدوكم غالباً ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين .

وبلغ ذلك معاوية ، فقال لعمرو: ما ترى ، فإنما هو يومنا هذا وليلتنا هذه ! فقال عمرو: إنني قد أعددت بحيلتي أمراً أخرته إلى هذا اليوم ، فإن قبلوه اختلفوا ، وإن ردهم تفرقوا ، قال معاوية: وما هو؟ قال عمرو: تدعوهם إلى كتاب الله حكماً بينك وبينهم فإنك بالغ به حاجتك . فعلم معاوية أن الأمر كما قال . قالوا: وإن الأشعث بن قيس قال لقومه وقد اجتمعوا إليه: قد رأيتم ما كان في اليوم الماضي من الحرب المبررة . وإنما والله إن التقينا غالباً إنه لبوار العرب وضيعة الحرمات ! قالوا: فانطلقت العيون إلى معاوية بكلام الأشعث فقال: صدق الأشعث ، لعن التقينا غالباً ليملين الروم على ذراري أهل الشام ، وليملين دهاقين فارس على ذراري أهل العراق ، وما يبصر هذا الأمر إلا ذوو الأحلام ، أربطوا المصاحف على أطراف القنا .

قالوا: فربط المصاحف ، فأول ما ربط مصحف دمشق الأعظم ربط على خسأة أرماح ، يحملها خمسة رجال ، ثم ربط سائر المصاحف ، جميع ما كان معهم وأقبلوا في الغلس ، ونظر أهل العراق إلى أهل الشام قد أقبلوا ، وأمامهم شبيه بالرايات فلم يدرروا ما هو حتى أضاء الصبح ، فنظروا فإذا هي المصاحف... .

فقال علي رضي الله عنه: ما الكتاب تريدون ، ولكن المكر تحاولون... .

ثم أقبل أبو الأعور السلمي على برذون أشهب وعلى رأسه مصحف ، وهو ينادي: يا أهل العراق ، هذا كتاب الله حكمًا فيها بيتنا وبينكم . فلما سمع أهل العراق ذلك قام كردوس بن هانئ البكري فقال: يا أهل العراق ، لا يهدئكم ما ترون من رفع هذه المصاحف ، فإنهما مكيدة... .

ثم تكلم الحسين بن المنذر فقال: أيها الناس ، إن لنا داعيًّا قد حمدنا ورده وصدره وهو المؤمن على ما فعل ، فإن قال: لا ، قلنا: لا ، وإن قال: نعم ، قلنا: نعم . فتكلم علي وقال: عباد الله ، أنا أحرى من أجاب إلى كتاب الله ، وكذلك أنت ، غير أن القوم ليس ب يريدون بذلك إلا المكر ، وقد عصتهم الحرب ، والله لقد رفعوها وما رأيهم العمل بها ، وليس يسعني مع ذلك أن أدعى إلى كتاب الله فأبي ، وكيف وإنما قاتلناهم ليدينوا بحكمه .

فقال الأشعث: يا أمير المؤمنين نحن لك اليوم على ما كنا عليه لك أمس ، غير أن الرأي ما رأيت من إجابه القوم إلى كتاب الله حكمًا .

فأما عدي بن حاتم وعمرو بن الحمق فلم يهربا بذلك ، ولم يشيروا على علي به . ولما أجاب علي رضي الله عنه قالوا له: فابعث إلى الأشتر ليمسك عن الحرب

و يأتيك . وكان يقاتل في ناحية الميمنة ، فقال علي ليزيد بن هانئ: إنطلق إلى الأشتر فمره أن يدع ما هو فيه ويقبل ، فأتاه فأبلغه فقال: إرجع إلى أمير المؤمنين فقل له إن الحرب قد اشترجت بيني وبين أهل الناحية ، فليس بيوز أن انصرف . فانصرف يزيد إلى علي فأخبره بذلك ، وعلت الأصوات من ناحية الأشتر ، وثار النفع ، فقال القوم لعلي: والله ما نحسبك أمرته إلا بالقتال !

قال: كيف أمرته بذلك ولم أساره سراً ! ثم قال ليزيد: عد إلى الأشتر ، فقل له أقبل فإن الفتنة قد وقعت . فأتاه فأخبره بذلك . فقال الأشتر: أرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم . قال: أما والله لقد ظنت بها حين رفعت أنها ستوقع اختلافاً وفرقة . فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فقال: يا أهل الوهن والذل ، أحين علومت القوم تنكلون لرفع هذه المصاحف ؟ أمهلوني فواف ناقة ، قالوا: لا ندخل معك في خطبتك !

قال: ويحكم ، كيف بكم وقد قتل خياركم وبقي أراذلكم ، فمتى كتم محقين ؟ أحين كتم تقابلون أم الآن حين أمسكتم ؟ فما حال قتلامكم الذين لا تنكرون فضلهم ، أفي الجنة أم في النار ؟ قالوا: قاتلناهم في الله ، وندع قتالهم في الله .

قال: يا أصحاب الجبة السود ، كنا نظن أن صلاتكم عبادة وسوق إلى الجنة ، فتراكم قد فررتם إلى الدنيا ، فقبحا لكم .

فسبوه وسبهم ، وضربوا وجه دابته بسياطهم ، وضرب هو وجوه دوابهم بسوطه . وكان مسعر بن فدكي وابن الكواء وطبقتهم من القراء الذين صاروا بعد خوارج ، كانوا من أشد الناس في الإجابة إلى حكم المصحف «.

وفي تاريخ الطبرى: ٤/٣٤: «عبد الرحمن بن جنبد الأزدي عن أبيه أن علياً قال: عباد الله إمضوا على حكم وصدقكم قتال عدوكم ، فإن معاوية وعمرو بن العاص ، وابن أبي معيط ، وحبيب بن مسلمة ، وابن أبي سرح ، والضحاك بن قيس ، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالاً وصحتهم رجالاً ، فكانوا شر أطفال وشر رجال ! وبحكم إنهم ما رفعوا هاتم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها ، وما رفعوا لها لكم إلا خديعة ودهناً ومكيدة . فقالوا له: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله . فقال لهم: فإني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب ، فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم ، ونسوا عهده ونبذوا كتابه .

فقال له مسعود بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السبسي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه ، والا ندفعك برمتك إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان ، إنهم دعونا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل فقبلناه ، والله لنفعلنها أو لنفعلنها بك ! قال قال: فاحفظوا عنى نهيء إياكم ، واحفظوا مقالتكم لي . أما أنا فإن طباعوني تقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم ».

أقول: كانت مكيدة عمرو ضربة كبيرة للإسلام ، نتج عنها اختلاف جيش علي عليه السلام ، ثم خدعة التحكيم التي كان بطلها عمرو ، وظهور الخوارج ، ثم قتل علي عليه السلام وغلبة معاوية ، وما ارتكبه هو وابنه يزيد من كبار في الأمة.. الخ . كل ذلك أحسن له عمرو العاص بمكنته ، وهو يعلم أنه عمله ضد مصلحة الإسلام والمسلمين ، لكنه الطمع الدنيوي بخارج مصر !

٢٣. غزا عمرو مصر بجيش معاوية وقتل واليها محمد بن أبي بكر فلعلته عائشة

وكان عمرو لا يحترمها فقد قال لها بعد هزيمتها في حرب الجمل: «لوددت أنك قُتلت يوم الجمل. قالت: ولم لا أباً لك ! قال: كنت قوتين بأجلك وتدخلين الجنة ، ونجعلك أكبر التشنيع على علي بن أبي طالب» ! (شرح النهج: ٦/٣٢٢).

وعندما جاءها خبر قتل عمرو لأخيها محمد وإحراق جثته ، بكى عليه ولعنت معاوية وعمرو بن العاص ! ثم استرضاهما معاوية بالمال فسكتت . ثم ساءت علاقتها به لما أرادأخذ البيعة ليزيد ، لأنها كانت تأمل بها لأخيها عبد الرحمن !

قال الثقفي في الغارات: ١/٢٨٥: «لما أتتها نعي محمد بن أبي بكر وما صنع به ، كظمت حزنا ، وقامت إلى مسجدها حتى تشحّب دما». وفي رواية تشحّب ثديها دما ، وقد يفسر ذلك إن صبح بارتفاع ضغط الجسم من الحزن !

لكن الذي زاد ارتفاع ضغط عائشة أكثر أن ضررتها رملة بنت أبي سفيان ، المعروفة بأم حبيبة أم المؤمنين ، فرحت بقتل أخيها معاوية لمحمد أخ عائشة ، واحتفلت به بطريقة هند أكلة الأكباد ! «لما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه سالم ومعه قميصه ، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء ! فأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي بكبش فَشْوَيَ ، وبعثت به إلى عائشة وقالت: هكذا قد شُويَ آخروك !

فحلفت عائشة لا تأكل شواءً أبداً، فما أكلت شواءً بعد مقتل محمد سنة ٣٨ حتى لحقت بالله سنة ٥٧ ، وما عثرت قط إلا قالت: تَعَسَ معاوية بن أبي سفيان

وعمره بن العاص ومعاوية بن حديج». (الغارات: ١/٢٨٧، و: ٢/٧٥٧ وأنساب الأشراف: ٢/٤٠٣ ، وحياة الحيوان للدميري: ١/٤٠٤).

وفي الكامل لابن الأثير: ٣٥٧/٣: «لما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وقتلت في دبر الصلاة تدعوا على معاوية وعمرو ، وأخذت عيال محمد إليها».

وفي سير الذهبي: ١٨٦/٢: «إن معاوية لما حج قدم فدخل على عائشة ، فلم يشهد كلامها إلا ذكران مولى عائشة ، فقالت لمعاوية: أمنت أن أخبي لك رجلاً يقتلك بأخي محمد ! قال: صدقت . وفي رواية قال لها: ما كنت لتفعل!». ونحوه الطبرى: ٤/٢٠٥ ، والإستيعاب: ١/٢٣٨ ، وشرح الأخبار: ٢/١٧١ . راجع جواهر التاريخ: ٢/١٤٨ .

٤. نقل الرواية عن عمرو حالة صحو وجرأة اعترف فيها بالحق على نفسه

ففي كتاب تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن إبراهيم /٢٧٠: «وقال عمرو بن العاص: أعجب الأشياء أن المبطل يغلب الحق ! يُعرض بعل ومعاوية ! فقال معاوية: بل أعجب الأشياء أن يعطي الإنسان ما لا يستحق . يعرض بعمرو ومصر التي أخذها له طُعمَة !»

وروى في الفصول المختارة للمفيد: ٢٦٥، اعترافاً من عمرو بن العاص لعلي عليه السلام، قال عمرو: «مرّ علي بن أبي طالب على أبي بكر ومعه أصحابه ، فسلم عليه ومضى ، فقال أبو بكر: من سره أن ينظر إلى أول الناس في الإسلام سبقاً ، وأقرب الناس برسول الله قرابةً ، فلينظر إلى علي بن أبي طالب !»

٥. تزوج عمرو العديد من النساء ، لعل أشهرهن بنت أبي معيط الخمار بمكة

وهي أخت عثمان بن عفان من أمه . (الطبقات: ٨/٢٣٠).

وكان له ولدان عبد الله ومحمد ، واشتهر عبد الله بأنه كان يحب العلم ، فأخذ يكتب أحاديث النبي ﷺ فنهاه أبوه وفلان لأنها تفضح قريشاً ! قال: «كنت

أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا
أتكتب كل شيء تسمعه ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ! فأمسكت
عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوّل ما ياصبعه إلى فيه فقال: أكتب ،
فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق ». (سنن أبي داود: ٢/١٧٦).

لكن الشاب عبد الله بن عمرو أطاع قريشاً ولم يكتب الحديث النبوى ، وأغمى
 بشفاعة اليهود ، فكان التلميذ المطبع لكتاب الأحاديث ، ثم وجد حمل بعير من
 كتبهم مترجمة إلى العربية فكان يحدث منها !

قال ابن حجر في فتح الباري: ١/١٦٧: « إنه قد ظفر في الشام بحمل جمل من
 كتب أهل الكتاب ، فكان ينظر فيها ويحدث عنها » .

وكان يؤمن بنسخة التوراة الموجودة فقال: رأيت فيها يرى النائم كأن في إحدى
 أصبعي سمنا وفي الأخرى عسلاً فأنا أعقهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول
 الله ﷺ فقال: تقرأ الكتابين التوراة والفرقان فكان يقرؤهما! (مسند أحمد: ٢/٢٢٢).

قال عنه الشيخ الأزهري محمود أبو رية في كتابه الق testim: شيخ المضيرة أبو
 هربة/ ١٢٤: « هو أحد العادلة الثلاثة الذين رووا عن كعب الأحبار ، وكان
 قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، وكان يرويها للناس ،
 فتجنب كثير من أئمة التابعين الأخذ عنه. وكان يقال له: لا تحدثنا من الزاملتين».
 ومعنى قوله إنه كان يحدث منها: أنه كان ينسب ما فيها إلى رسول الله ﷺ لأنه قال:
 حدثنا عن أهل الكتاب ولا حرج !

قال ابن تيمية في فتاواه: ٣٦٦/١٣: « قال(ص): بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عنبني إسرائيل ولاحرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو. ولهذا كان عبد الله قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منها ، بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك». .

يقصد أن ابن العاص فهم الإذن من النبي ﷺ أن ينسبوا اليه الإسرائيليات ! وهذا من نوع حيل أبيه عمرو ، لأن معنى قول النبي ﷺ: حدثوا عنبني إسرائيل ولاحرج : قولوا في انحرافهم ما شئتم فهو صحيح ، فحرفه وجعل معناه: خذوا الحديث منهم وانسبوه إليّ ، ولاحرج عليكم !

قال ابن كثير في النهاية: ٢/١٢: «عن عبد الله قال: نظر رسول الله إلى الشمس حين غابت فقال: في نار الله الحامية ، لو لا ما يَزَعُها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض فيه غرابة.. وقد يكون موقوفاً من كلام عبد الله بن عمرو، فإنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين فكان يحدث منها» !

أقول: نهى زعماء قريش عن تدوين السنة النبوية في حياة النبي ﷺ، ثم منعوا تدوينها بعد وفاته ، وقربوا حاخامت اليهود مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام ووهد بن منه ، وأطلقوا أيديهم في نشر الإسرائيليات ، ونشأ لهم تلميذ كأبي هريرة وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عمر ، ولذلك ترانا لانقبل روایاتهم وقد بحثنا ذلك في كتاب تدوين القرآن، وكتاب ألف سؤال وإشكال .

هذا ، وذكر ابن عبد البر أن عبد الله بن عمرو كان نادماً على حضوره صفين وقاتلته عليهما لكن أتى ينفعه ذلك مع مذهبة في التحديد ولم يصلح ما أفسد ! قال في الإستيعاب: ٩٥٨/٣: «واتذر رضي الله عنه من شهوده صفين، وأقسم أنه لم يرم فيها برمح ولا سهم، وأنه إنما شهد لها لعزمه أبيه عليه في ذلك، وأن رسول الله قال له: أطع أباك ! كان يقول: ما لي ولصفين ! ما لي ولقتال المسلمين ! والله لو ددت أني مت قبل هذا بعشر سنين ثم يقول: أما والله ما ضربت فيها بسيف ولا طعن برمح ولا رميت بسهم ، ولو ددت أني لم أحضر شيئاً منها، وأستغفر الله عز وجل عن ذلك وأتوب إليه . إلا أنه ذكر أنه كانت بيده الراية يومئذ ، فندم ندامة شديدة على قتاله مع معاوية وجعل يستغفر الله ويتب إليه».

٢٦. أخذ عمرو لقب فاتح فلسطين ومصر ، لكنه ترك في الإسلام أسوأ الآثار

قال ابن حجر الإصابة: ٤٥٤٠، إنه عاش تسعين سنة ، وكان أكبر من عمر بن الخطاب ببضع سنين ، ومات بعده بعشرين سنة».

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢/١٨٧: «فلمما نزل به قال له ابنه عبد الله بن عمرو: يا أبا إِنَّكَ كُنْتَ تَقُولُ عَجِبًا لِمَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ وَعَقْلَهُ مَعَهُ ، كَيْفَ لَا يَصْفُهُ ، فَصَفَ لَنَا الْمَوْتُ وَعَقْلَكَ مَعَكَ . فَقَالَ: يَا بْنَيَ الْمَوْتُ أَجْلٌ مِنْ أَنْ يَرْصُدَ ، وَأَجْدَنِي كَأَنِّي سَأَصْفَ لَكَ مِنْهُ شَيْئاً أَجْدَنِي كَأَنَّ عَنْقِي جَبَلٌ رَضُوٌّ ، وَأَجْدَنِي كَأَنِّي جَوَفٌ شَوَّكٌ السَّلَاءُ ، وَأَجْدَنِي كَأَنَّ نَفْسِي يَخْرُجُ مِنْ ثَقْبٍ إِبْرَةً... تَوْفِيْ عَمَرُ بْنُ الْعَاصِ يَوْمَ الْفَطْرِ بِمَصْرِ سَنَةِ اثْتَنِيْنَ وَأَرْبَعِينَ ، وَهُوَ وَالْمُعَاوِيَا». والحاكم: ٣/٤٥٤.

وفي الإستيعاب لابن عبد البر: ١١٩٠ / ٣، عن الشافعى قال: «دخل ابن عباس على عمرو بن العاص في مرضه فسلم عليه وقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: أصلحت من دنياي قليلاً وأفسدت من ديني كثيراً! فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسد ، والذي أفسدت هو الذي أصلحت ، لفُرِّت . ولو كان يفعني أن أطلب طلب ، ولو كان ينجيني أن أحرب هرب ، فصرت كالمجنح ين بين السماء والأرض ، لا أرقى بيدين ولا أهبط برجلين ! وهكذا اعترف عمرو بأنه أفسد دينه بالمعاصي ، لكن بعد فوات الأوان ! ولو كانت معاصيه شخصية لكان الأمر أهون ، لكنها معاصرٌ كتبت تاريخ المسلمين وبعض عقائدهم ، إلى يومنا هذا ، مع الأسف .

«جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعاً شديداً فلما رأى ذلك ابنه عبد الله بن عمرو قال: يا أبا عبد الله ما هذا الجزع وقد كان رسول الله يدريك ويستعملك؟ قال: أي بنى قد كان ذلك ، وسأخبرك عن ذلك: إني والله ما أدرى أحباً ذلك كان أم تالفاً يتألفني ! ولكن أشهد على رجلين أنه قد فارق الدنيا وهو يحبهما: ابن سمية وابن أم عبد». (مسند أحد: ٤ / ٢٠٠، وصححه في الزائد: ٩ / ٣٥٣).

ويعناه أنه أحس أن النبي ﷺ كان يتالفه ، فهو من المؤلفة قلوبهم وليس من المؤمنين !

الفصل الخامس

الأبطال الشيعة قادة الفتوحات

فاتح العراق المثنى بن حارثة رضي الله عنه

**١. «المثنى بن حارثة ، بن سلمة ، بن ضمصم ، بن سعد ، بن مرة ، بن ذهل ،
بن شيبان » . (الإصابة: ٥٦٨ / ٥).**

قال ابن قتيبة في المعرفة / ١٠٠ ، ملخصاً: «وأما ذهل بن شيبان فولده مرة بن ذهل بن شيبان وفيه العدد والبيت ، وربيعة بن ذهل ، وحملم بن ذهل ، والحارث بن ذهل .. ومن الأشراف من بني شيبان عوف بن حملم بن ذهل الذي قيل فيه: لا حُرَّ بوادي عوف . ومنهم الضحاك بن قيس الشاري ، وشبيب وقنب الخارجيان . و منهم هانئ بن مسعود صاحب يوم ذي قار ، وأخوه قيس بن مسعود . و منهم جساس قاتل كليب ، والمثنى بن حارثة الذي افتح السواد ». .

٢. كان بنو شيبان متحالفين مع أبناء عمهم بني عجل و كانوا يعيشون معهم
ومع اللهازم من هذيل ، في جنوب العراق . وقد زارهم النبي ﷺ في موسم الحج وعرض عليهم دعوته وتلا عليهم من القرآن ، فأعجبهم الإسلام . وطلب منهم أن يذهب معهم إلى العراق ويحمّوهم من قريش والعرب ليبلغ رساله ربه ، فاعتذروا له بأنهم مجاورون لكسرى ، ولا يستطيعون ذلك .

وزعهاؤهم يومها مفروق وهانئ بن مسعود والمنى ، فقال له مفروق: (دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة ، فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا . فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وإنني أرى إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك لمجلس جلسته إلينا زلة في الرأي وقلة فكر في العواقب ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكرة أن نعقد عليهم عقداً ولكن ترجع وترجع وتنظر وتنظر !

وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المنى بن حارثة فقال: وهذا المنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا . فقال المنى: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتبعنا إياك على دينك ، وإنما أنزلنا بين ضرتين (صبرتين)! فقال رسول الله ﷺ: ما هاتان الضرتان؟ قال: أنهار كسرى ومياه العرب ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لأن حدث حدثاً ولا نؤوي حدثاً ، وإن أرى هذا الأمر الذي تدعون إليه مما تكرره الملوك ، فإن أحببت أن نؤويك ونصرك مما يلي مياه العرب فعلنا . فقال رسول الله ﷺ: ما أسأتم في الرد ، إذ أفصحت بالصدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه . أرأيتم إن لم تلبموا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم ، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم نعم» .

وفي رواية أن النبي ﷺ أعجب بهم وقال: (آيةُ أَخْلَاقٍ فِي الْجَاهْلِيَّةِ مَا أَشْرَفَهَا، بِهَا يَدْفَعُ اللَّهُ بِأَسْبَعِهِمْ عَنْ بَعْضِهِمْ) . (ثقات ابن حبان: ٨٠ / ١).

فقد عرض المثنى على النبي ﷺ أن يحميه من قبائل العرب دون الفرس ، فشكراه النبي ﷺ ومدح صدقهم وأخلاقهم ، وبشرهم بأن الله سيورثهم ملك كسرى .

٣. وبعد سنوات قليلة كانت معركة ذي قار، قرب مدينة الناصرية بين بني شيبان ومعهم بنو عجل، وبين الفرس، فقال شيخهم: إجعلوا شعاركم إسم الرجل القرشي الذي دعاكم في مكة ، فجعلوا شعارهم: يا محمد ، يا محمد . فنصرهم الله باسم النبي ﷺ ، وكان ذلك بعد معركة بدر بأربعة أشهر ، وأرسلوا خمس الغنائم إلى النبي ﷺ فقبلها وشكرهم ، كما يأتي .

٤. بدأ المثنى فعاليته بتحرير العراق زمن النبي ﷺ، وواصلها بعد وفاته
 قال ابن عبد البر في الإستيعاب: ١٤٥٦/٤: «المثنى بن حارثة الشيباني كان إسلامه وقدومه في وفد قومه على النبي ﷺ سنة تسع ، وقد قيل سنة عشر . وبعثه أبو بكر سنة إحدى عشرة في صدر خلافته إلى العراق . كان المثنى شجاعاً شهماً بطلاً ميمون النقيبة ، حسن الرأي والإمارة ، أبل في حروب العراق بلاء لم يبلغه أحد .. قدم على أبي بكر فقال: يا خليفة رسول الله إيعنني على قومي فإن فيهم إسلاماً ، أقاتل بهم أهل فارس وأكفيك أهل ناحيتي من العدو .

ففعل ذلك أبو بكر ، فقدم المثنى العراق فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد ، حولاً مجرّماً (كاماً) ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يسأله المدد ، ويقول له: إن أمددتني وسمعت بذلك العرب أسرعوا إلى وأذل الله المشركين . مع أني أخبرك يا خليفة رسول الله أن الأعاجم تخافنا وتقينا .

فقال له عمر: إبعث خالد بن الوليد مددًا للمثنى بن حارثة ، يكون قريباً من أهل الشام ، فإن استغنى عنه أهل الشام ألح على أهل العراق حتى يفتح الله عليه ، فهذا الذي هاج أبا بكر على أن يبعث خالد بن الوليد إلى العراق».

وفي فتوح ابن الأعثم (٧٢/١١): «وبلغ أبا بكر عنه فعاله فقال للMuslimين: ويحكم من هذا الذي تأينا أخباره ووقائعه قبل معرفة خبره؟ قال: فوشب قيس بن عاصم المنقري فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجاهول الحسب ، ولا بقليل العدد والمدد ، هذا المثنى بن حارثة الشيباني . قال: فأرسل إليه أبو بكر فجعله رئيساً على قومه ، وبعث إليه بخلعة ولواء وأمره بقتال الفرس . قال: فجعل المثنى بن حارثة يقاتل الفرس من ناحية الكوفة وما يليها ، ويغير على أطرافها ، فلم يترك لهم سارحة ولا رائحة إلا استاقها (أخذ الماشي) وأقام على ذلك حولاً كاماً أو نحواً من ذلك ..

ثم إنه (المثنى) دعا بابن عم له يقال له سويد بن قطبة بن قتادة بن جرير بن بشار بن ثعلبة بن سدوس ، فضم إليه جيشاً ووجهه إلى نحو البصرة ، فجعل يحارب أهل آبلة وما يليهم من الفرس . قال: فكان المثنى بن حارثة بناحية الكوفة وما يليها ، وسويد بن قطبة من ناحية البصرة وما يليها، هذا في جيش وهذا في جيش، جميعاً يحاربان الفرس ، ولا يفتران عن ذلك ».

أقول: فقد اتسعت فعاليات المثنى إلى البصرة ، وكان عنده قادة ، ذكرروا منهم: «سبرة بن عمرو التميمي .. كان مع المثنى بن حارثة في جملة قواده في حروب العراق ». «الإصابة»(٣/٢٥). «مضارب بن زيد البجلي ، له إدراك (صحابي) ثم شهد بعد ذلك القادسية». «الإصابة»(٦/٩٩).

فقد اغتنم المثنى انشغال الفرس بصراعهم الداخلي ، ووسع جهاده في كل العراق ما عدا شرقى دجلة من جهة إيران ، وذلك قبل مجىء خالد بن الوليد .

٥. ينبع الإلتفات إلى ثلاثة عوامل في فتح العراق ، أولها: حالة الإنهاك في

النظام الفارسي مما شجعَ العرب وساعدهم في عمليات الفتح ومعاركه .
وثانيها: أن النبي ﷺ بشّرَ الأمة بفتح بلاد كسرى وقىصر ، وبشر بنى شيبان خاصة بفتح العراق فقال لهم: «رأيتم إن لم تلبتوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم لك ذلك ». (شرح الأخبار للقاضي النعمان: ٢/٣٨٧).

وثالثها: الهمة العالية والشجاعة التي اتصف بها زعيم بنى شيبان المثنى بن حارثة الشيباني ، فقد كان هذا الصحابي الجليل شخصية مميزة وقائداً شجاعاً .
وكانت أخباره تصل إلى المدينة فيعجب المسلمين به .

قال ابن حجر في الإصابة (٥/٥٦٨): «قال عمر بن شيبة: كان المثنى بن حارثة يغير على السواد ، فبلغ أبا بكر خبره فقال: من هذا الذي تأتينا وقائمه قبل معرفة نسبة؟ ثم قدم على أبي بكر فقال: يا خليفة رسول الله يعني على قومي فإن فيهم إسلاماً أقاتل بهم أهل فارس ، وأقتل أهل ناحيتي من العدو . ففعل ، فقدم المثنى العراق فقاتل وأغار على أهل السواد وفارس ».

وقال البلاذري (٢/٢٩٥): «فبلغ أبا بكر خبره فسأل عنه فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقري: هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجھول النسب ، ولا ذليل العهد ، هذا المثنى بن حارثة الشيباني . ثم إن المثنى قدم على أبي بكر فقال له: يا خليفة رسول الله ، استعملني على من أسلم من قومي أقاتل هذه الأعاجم من

أهل فارس . فكتب له أبو بكر في ذلك عهداً ، فسار حتى نزل خفان ، ودعا قومه إلى الإسلام فأسلموا » .

وهذا يدل على أن إسلام المثنى قبل ذلك ، ويدل على استجابة قومه له ، وإن كان الإسلام انتشر فيهم من بعد معركة ذي قار .

٦. كان المثنى وعشيرته من شيعة علي عليهما السلام ، وكان أبناؤه وعشيرته مع علي في حرب الجمل ، واستشهد فيها ابنه ثامة رضي الله عنه . قال في أنساب الأشراف / ٢٤٤ : « وقتل يومئذ ثامة بن المثنى بن حارثة الشيباني ، فقال الأعور الشني :

يا قاتل الله أقواماً هم قتلوا يوم الخربة علباء وحسانا

وابن المثنى أصحاب السيف مقتله وخير قرائهم زيد بن صوحانا

وكانَ وقعة الجمل بالخربة ، وحسان الذي ذكره: حسان بن مخدوح بن بشر بن حرط (الذهلي) كان معه لواء بكر بن وائل ، فقتل فأخذه أخوه حذيفة بن مخدوح فأصيب ، ثم أخذه بعده عدة من الحوطين فقتلوا ، حتى تحاموا » .

وفي مصنف ابن أبي شيبة (١٣٩/٢) أن أخاه مصعب بن المثنى بن حارثة: « قال يوم الجمل: أدفنونا وما أصاب الشرى من دمائنا ! أي نحن شهداء الله تعالى .

وفي أنساب السمعاني: ١/٤٤: « التقى رجلان من بكر بن وائل ، أحدهما منبني شيبان بن ثعلبة ، والآخر منبني ذهل بن ثعلبة ، فقال الشيباني: أنا أفضل منك . وقال الذهلي: بل أنا أفضل منك . فتحاكما إلى رجل من همدان ، فقال: لست مفضلاً واحداً منكما على صاحبه ، ولكن إسمعا ما أقول لكم: من أيكما كان عمران بن مرة الذي ساد في الجاهلية والإسلام ؟ قال الشيباني: كان مني . قال:

فمن أيكما كان عوف بن النعيمان الذي كان يأخذ في الإسلام ألفين وخمس مائة (الشجاعته في الحرب)؟ قال الشيباني: كان مني. قال: فمن أيكما كان المثنى بن حارثة الذي فتح الكوفة وخطب على منبرها؟ قال الشيباني: كان مني. قال: فمن أيكما كان مصقلة بن هبيرة الذي أعتق خمس مائة أهل بيت منبني ناجية؟ قال الشيباني: كان مني. قال: فمن أيكما كان يزيد بن رويم الذي كان يقود الجيش؟ قال الشيباني: كان مني. قال: فمن أيكما كان بشير بن الخصاوصية الذي هاجر إلى رسول الله ﷺ وكان إسمه زحاماً فسماه رسول الله بشيراً؟ قال الذهلي: كان مني. قال: فمن أيكما كان عبد الله بن الأسود الذي هاجر إلى رسول الله ﷺ؟ قال الذهلي: كان مني . قال: فمن أيكما كان قطبة بن قنادة الذي أغادر على البصرة والأبلة ووليهما؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما كان علاء بن الهيثم صاحب لواء ربيعة وكندة يوم الجمل، وعزل عنه الأشعث بن قيس؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما حسان بن محدوج الذي قتل يوم الجمل ومعه لواء ربيعة وكندة؟ قال الذهلي: مني ، قال: فمن أيكما كان مجذأة بن ثور الذي شرى المسلمين بنفسه وفتح الله على وجهه الأهواز؟ قال الذهلي: مني ، قال: فمن أيكما شقيق بن ثور الذي ساد قومه ورؤسهم أربعين سنة؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما كان سود بن منجوف الذي كان أعظم الناس وفادة وأكثرهم شفاعة وخير شريف قوم ليتيم وأرملة؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما كان مرثد بن ظبيان الذي هاجر إلى رسول الله ﷺ فوھب له أسرى بكر بن وائل وكتب معه إلى بكر بن وائل كتاباً أن: أسلموا تسلموا؟ قال الذهلي: مني ، قال: فمن أيكما كان الحسين بن المنذر صاحب راية ربيعة يوم صفين؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن

أيكمَا كان عبد الله بن الأسود ، الذي هاجر إلى رسول الله ﷺ صاحب القرون باليمامة ؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكمَا القعقاع بن شور الذي كان أكرم العرب مجالسة ، وأفصحهم لساناً ، وأحسنهم وجهاً ، وأكرمهم طرفة ؟ قال الذهلي: مني. قال: فهذا الذي أقول لكم».

أقول: يظهر أنه يفضل الذهليين على الشيبانيين وإن كان لكل منها مفاخر ، لكنه يكشف عن أنهم جميعاً كانوا من شيعة علي عليهما السلام ، وانهم قدّموا معه شهادة في حياته ، وبعد مماته . وقد قتل ابن رئيسهم عبد الرحمن بن حسان بن محدوج ، مع حجر بن عدي عليهما السلام ، لأنه رفض أن يسب علي عليهما السلام .

ولا بد أن المثنى كان يلتقي بعلي عليهما السلام عندما كان يذهب إلى المدينة في وفد بنى شيبان إلى النبي ﷺ أو بعد وفاته عليهما السلام ، ولعله عليهما السلام أشار على أبي بكر باعتماد المثنى وإمداده بالمقاتلين باعتمده ، كما نصوا على أنه أشار على عمر باعتماد السعيمان بن مقرن قائداً لحركة نهاوند ، وبعده حذيفة .

ولعل حساسية عمر من المثنى كانت بسبب تشيعه لعلي عليهما السلام وارتباطه به ، فقد صرخ من زمن أبي بكر بأنه سيعزله إن تولى الخلافة ، وعزله فلم ينعزل ، ثم مات المثنى في ظرف غامض ، كما يأتي .

٧. ذكروا للمثنى عدة إخوة ، وكلهم قادة شجاعان ، أبرزهم مسعود والمعنى ،
وذكر ابن الأعمش (١٦٦/١) أخاه إبراهيم بن الحارثة ، في قادة معركة جلواء .
وذكروا أن أخيه مسعوداً استشهد في معركة البويب ، وسيأتي . وذكروا ابنته الفارعة ، وقد تزوجت أنس بن مالك ، ورزقت منه بأولاد . (الطبقات: ١٩٢/٧).

وذكروا مضافاً إلى ابنه ثيامة الذي استشهد في حرب الجمل أخاه مصعباً، الذي كان معه في حرب الجمل، وابنه عبد الرحمن بن المثنى ، وذكروا عنه قصة غريبة ، وهي أنه زوج بنت عامر بن عبد الأسود بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار ، إلى عبيد الله بن زياد ، بحکم أن عبد الرحمن ابن المثنى رئيسبني شيبان ، والبنت من أحفاد حليفهم حنظلة وهو رئيسبني عجل بن جليم ، وهو قائد معركة ذي قار فغضب عليه عمر بن الخطاب وضرره وجسده ، لأن ابن زياد ليس كفؤاً لهم ، فهو عبد للحارث بن كلدة . (إكمال الكمال: ٤/٤٣٦).

وهذا يدلنا على أن حساسية عمر من المثنى انتقلت إلى أولاده ، رضي الله عنهم !

٨. أرسل أبو بكر خالد بن الوليد مددأ للمثنى ، فبقى في العراق سنة وكسراً ،
وكانت فترة هادئة عسكرياً ، لأن الفرس كانوا مشغولين بوضعهم الداخلي ،
وكانت العمليات على بقایا المسالح الفارسية ، وبعض الدساکر لاخضاعها . ولم
يخض خالد أي معركة منها ، بل كان القتال على المثنى وفرسانه .

قال الدينوري في الأخبار الطوال / ١١١ : « فلما أقضى الملك إلى بوران بنت كسرى بن هرمز ، شاع في أطراف الأرضين أنه لا ملك لأرض فارس وإنما يلوذون بباب امرأة ، فخرج رجلان من بكر بن وائل ، يقال لأحدهما المثنى بن حارثة الشيباني والأخر سويد بن قطبة العجلي ، فأقبلَا حتى نزلَا فيمن جمعاً بتخوم أرض العجم ، فكانا يغiran على الدهاقين فـيأخذان ما قدرَا عليه ، فإذا طلباً أميناً في البر فلا يتبعهما أحد ، وكان المثنى يغير من ناحية الحيرة ، وسويد من ناحية الأبلة ، وذلك في خلافة أبي بكر .

فكتب المثنى بن حارثة إلى أبي بكر يعلمه ضراوته بفارس ويعرفه وهم ، ويسأله أن يمده بجيش . فلما انتهى كتابه إلى أبي بكر كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد ، وقد كان فرغ من أهل الردة ، أن يسير إلى الحيرة فيحارب فارس ، ويضم إليه المثنى ومن معه .

وكره المثنى ورود خالد عليه وكان ظن أن أبي بكر سيوليه الأمر ، فسار خالد والمثنى بأصحابها ، حتى أتاها على الحيرة وتحصن أهلها في القصور الثلاثة... ثم صالحوه من القصور الثلاثة على مائة ألف درهم يؤدونها في كل عام إلى المسلمين . ثم ورد كتاب أبي بكر على خالد مع عبد الرحمن جيل الجمحي ، يأمره بالشخصوص إلى الشام ليمد أبو عبيدة بن الجراح بمن معه من المسلمين ، فمضى وخلف بالحيرة عمرو بن حزم الأنصاري مع المثنى » .

أقول: يمكن أن يكون المثنى في نفسه كره تأمير خالد عليه ، لكن لم يظهر منه إلا الطاعة لأنّه القائد المعين من الخليفة . وكان المثنى معتمد خالد في عامه عملياته العسكرية ، كما بينا ذلك في الحديث عن خالد .

وقد بالغ رواة السلطة في دور خالد ، والتنقيص من دور المثنى ، لكن لم يثبت خالد أي مبارزة أو مشاركة في حملة فيها قتال ، بل كان عمله استعراضياً ، أو مبالغة وغدرأ لنائمهن كما صنع في تغلب ، أو حضوراً للقبض مبلغ الصلح المقرر .

ففي فتوح البلاذري (٢٩٥ / ٢) مختصرًا: «وكتب لأبي بكر أن يمدد بالجيش لحرب الفرس ، فأرسل إليه خالد بن الوليد فوجّه المثنى بن حارثة إلى ألينس ، منطقة قرب السباوة فخرج إليه صاحبها جابان بجيشه فالتقوا قرب النهر ، فهزّهم المثنى ثم صالحهم . ثم دنا المثنى بمن معه إلى الحيرة ، فخرجت إليه خيول

صاحب كسرى التي كانت في المخافر فهزهم . ثم جاء خالد فصالحهم ، بعد أن وطّد المثنى بن حارثة له الأمور » .

وفي الطبرى (٥٥٢/٢): « وأقبل خالد بن الوليد يسير فعرض له جابان صاحب أليس ، بعث إليه المثنى بن حارثة فقاتلته فهزمه وقتل جل أصحابه ، إلى جانب نهر ثم يدعى نهر الدم لتلك الواقعة ، وصالح أهل أليس » .

فكان خالد يتبع بنفسه ، ويعتذر المثنى لقتال هذه الحامية الفارسية ، أو تلك الجماعة أو القرية ، فينتصر عليهم ويتفق معهم ، فيأتي خالد ويوقع الصلح ويأخذ المبلغ والأعيان المتفق عليها ، ونادراً ما يذهب هو في غارة !

لذلك ، نجد رواية الطبرى (٥٥٢/٢) تقول إنه بعث المثنى فقاتل في أليس فقبلوا بالصالحة . ثم نجد رواية (٥٦٠/٢) تقول إنهم كانوا ألوفاً فierz خالد إلى قائدهم وقتله ، وكانتوا أعدوا طعاماً فقال لهم ضعوا فيه السم فسمموه ، وجاء خالد والمسلمون فأكلوا منه ولم يتسموا ، ثم اتفقوا معه فصالحهم .

فتعرف أن هذه الرواية تريد مدح خالد بأنه مقاتل بطل ، وأنه ضد التسمم لقوة إيمانه ! ومثلها رواية (تاريخ الطبرى: ٥٥٩/٢) عن وقعة يوم الولجة ، تزعم أن خالداً بارز « رجلاً من أهل فارس يعدل بألف رجل فقتله فلما فرغ انكأ عليه ودعا بغضائه » !

ثم نجد أن هذه المعركة كانت غارة على نصارى بكر بن وائل العرب وقتل منهم خالد وأسر ! (الطبرى: ٥٦٠/٢) ، أما القادة الفرس فكانوا معروفين ، وردت أسماؤهم في المعارك الكبيرة والصغيرة التي خاضها المسلمون ، مثل جابان ، ومردانشاه ، وذى الحاجب ، ومهران ، والجالينوس ، وقائدهم العام رستم . وقد أخفى الراوى هنا إسم القائد الذي قتله خالد ، لأنه لا وجود له !

والصحيح أن خالداً كان يصالح ويقبض المال ، والذي كان يقاتل هو المثنى!

وتقرأ في فتوح البلاذري (٢٩٧ / ٢ وما بعدها) عن آخر أعمال خالد: « وسار خالد إلى الأبار فتحصن أهلها ، ثم أتاه من دله على سوق بغداد وهو السوق العتيق الذي كان عند قرن الصراء ، فبعث خالد المثنى بن حارثة فأغار عليه ، فملا المسلمين أيديهم من الصُّفَرَاء والبيضاء وما خف حمله من المtau... فلما رأى أهل الأبار ما نزل بهم صالحوا خالداً على شئ رضي به فأقر لهم...».

وأتى خالد بن الوليد رجل دله على سوق يجتمع فيها كلب وبكر بن وائل وطوائف من قضاة فوق الأبار ، فوجه إليها المثنى بن حارثة ، فأغار عليها فأصاب ما فيها ، وقتل وسبى . ثم أتى خالد عين التمر فأقصى بحصنه ، وكانت فيه مسلحة للأعلام عظيمة فخرج أهل الحصن فقاتلوا ، ثم لزموا حصنهم فحاصرهم خالد وال المسلمين حتى سألوا الأمان فأبى أن يؤمنهم ، وافتتح الحصن عنوة وقتل وسبى ، ووجد في كنيسة هناك جماعة سباهم ، فكان من ذلك السبي حرمان ابن أبيان بن خالد التمري .. وسيرين أبو محمد بن سيرين وإخوته وهم: يحيى بن سيرين ، وأنس بن سيرين ، ومعبد بن سيرين .. ثم سار خالد من عين التمر إلى الشام ، وقال للمثنى بن حارثة: إرجع رحمك الله إلى سلطانك فغير مقصِّر ولا وان». .

ومع ذلك تقرأ عنتريات خالد وقوله كما في تاريخ الطبرى (٣١٩ / ٢): «لقد قاتلت يوم مؤة فانقطع في يدي تسعة أسياف ، وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس وما لقيت من أهل فارس قوماً كأهل أليس ». .

فهو يفتخر بطولته في مؤتة ، ويزعم أنه كسر على رؤوس الروم تسعه أسياف ، ويقول إن الفرس أشجع من الروم ، وإن أهل آلیس أشجع الفرس ! فأين قاتل خالد في مؤتة وقد هرب منها حتى المسلمين التراب في وجهه ؟ وأين قاتل أهل آلیس ولم يذهب إلى منطقتهم بل بعث المثنى فقاتلهم وصالحوه ؟ !

وفي الطبرى (٣٠٨/٢): «وأقبل حتى دنا من الحيرة ، فخرجت إليه خيول آزادبه صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالحة ما بينه وبين العرب ، فلقواهم بمجتمع الأنهر ، فتووجه إليهم المثنى بن حارثة فهزهم الله . ولما رأى ذلك أهل الحيرة خرجوا يستقبلونه .. قال لهم خالد: إني أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام فإن قبلتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا وإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر ، فقالوا: لاحاجة لنا في حربك ، فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم ، فكانت أول جزية حللت إلى المدينة من العراق » .

وفي الطبرى (٥٨٤/٢): «ثم أعطوه شيئاً رضي به فأقرهم .. وجه المثنى على سوق فيها جمع لقضاءه وبكر فأصحاب ما في السوق » .

وذكر التویري (١١٥/١٩) وقعة حصید وقعة الخنافس وما بعدها التي نسبوها إلى خالد ، وقال لم تكن مع خالد بل مع خليفته على العراق أي المثنى ! وبيكفي لرد الوجعات التي نسبوها إلى خالد أن ابن الأعثم (١٣٤/١) قال عن وقعة الجسر ما لفظه: «ذكر وقعة الجسر وهي أول وقعة للمسلمين مع الفرس ». وقد كانت بعد ذهاب خالد بشهور وربما بستة !

ومعنىه أن كل ما قبلها من عمليات المثنى رضي الله عنه ، قبل خالد ، إنما هو عمليات على حاميات وليس على جيش نظامي ، وكانت أول معركة مع جيش فارسي نظامي معركة بابل بعد ذهاب خالد ، وبعدها معركة التمغرق ، ثم معركة الجسر .

معركة بابل أول معركة مع الجيش الفارسي النظامي

٩. كانت أول معركة مع الجيش النظامي الفارسي بعد ذهاب خالد من العراق

وكانت قبل أن يمد عمر المثنى بأبي عبيد الثقفي ونحو ألف مقاتل ، فقد عاجل الفرس المثنى عندما ملكوا عليهم شهر براز ، فأرسل جيشاً لحربه .

قال الطبرى: « واستقام أهل فارس على رأس سنة من مقدم خالد الحيرة ، بعد خروج خالد بقليل ، وذلك في سنة ثلاثة عشرة على شهر براز بن أردشير بن شهريار ، من يناسب إلى كسرى ثم إلى سابور ، فوجه إلى المثنى جنداً عظيماً ، عليهم هرمز جاذويه في عشرة آلاف ومعه فيل ، وكتب المسالح إلى المثنى بإقباله ، فخرج المثنى من الحيرة نحوه وضم إليه المسالح ، وجعل على مجنبته المعنى ومسعوداً أبني حارثة ، وأقام له ببابل .

وأقبل هرمز جاذويه وعلى مجنبته الكوكب والخوبذ ، وكتب إلى المثنى: من شهر براز إلى المثنى: إني قد بعثت إليك جنداً من وحش أهل فارس ، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ، ولست أقاتلك إلا بهم !

فأجابه المثنى: من المثنى إلى شهر براز: إنما أنت أحد رجلين ، إما باع فذلك شر لك وخير لنا ، وإما كاذب فأعظم الكاذبين عقوبة وفضيحة عند الله وفي الناس الملوك ! وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اصطэрتم إليهم ، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير !

فجزع أهل فارس من كتابه وقالوا: إنما أتى شهر براز من شؤم مولده ولؤم
منشئه ، وكان يسكن ميسان ، وبعض البلدان شين على من يسكنه ! وقالوا له:
جرأت علينا عدونا بالذى كتبته به إليهم ، فإذا كاتبت أحداً فاستشر !
فاللقو ببابل فاقتتلوا بعدوة الصرامة الدنيا ، على الطريق الأول قتالاً شديداً .
ثم إن المثنى وناساً من المسلمين اعتوروا الفيل ، وقد كان يفرق بين الصفوف
والكراديس ، فأصابوا مقتله فقتلوه وهزموا أهل فارس ، واتبعهم المسلمون
يقتلونهم ، حتى جازوا بهم مساحتهم ، فأقاموا فيها ، وتبع الطلب الفالة حتى
انتهوا إلى المدائن . وفي ذلك يقول عبدة بن الطيب السعدي ، وكان عبدة قد
هاجر لهاجرة حليلة له ، حتى شهد وقعة بابل فلما آسته رجع إلى البادية فقال:

هل حِلُّ خُوَلَةٍ بَعْدَ الْبَيْنِ مَوْصُولُ	أَمْ أَنْتَ عَنْهَا بَعِيدٌ الدَّارُ مَشْغُولُ
وَلِلأَحْبَةِ أَيَّامٌ تُذَكَّرُ هَا	وَلِلنَّوْى قَبْلِ يَوْمِ الْبَيْنِ تُؤْيَلُ
حَلَتْ خَوِيلَةٌ فِي حَيِّ عَهْدِهِمْ	دُونَ الْمَدَائِنِ فِيهَا الدِّيكُ وَالْفِيلُ
يَقَارِعُونَ رَؤْسَ التُّبْخَمِ ضَاحِيَةً	مِنْهُمْ فَوَارِسٌ لَا عَزْلٌ وَلَا مِيلٌ

القصيدة للفرزدق بعد بيوتات بكر بن وائل . وذكر المثنى وقتله الفيل :

وبيت المثنى قاتلُ الفيل عنوةً ببابل إذ في فارس ملك بابل

ومات شهر براز منهزم هرمز جاذويه (حكم أربعين يوماً فقتلوه) واختلف أهل
فارس وبقي ما دون دجلة وبرس من السواد في يدي المثنى وال المسلمين .
ثم إن أهل فارس اجتمعوا بعد شهر براز على دخت زنان ابنة كسرى ، فلم ينفذ
لها أمر فخلعت وملك سابور بن شهر براز . قالوا: ولما ملك سابور بن شهر براز
قام بأمره الفرخزاد بن البدوان فسألة أن يزوجه أزر ميدخت ابنة كسرى ففعل ،

غضبت من ذلك وقالت: يا ابن عم أتزوجني عبدي؟ قالت: استحى من هذا الكلام ولا تعديه على فإنه زوجك فبعثت إلى سياوش الرازى وكان من فتاك الأعاجم فشكك في الذى تخاف ، فقال لها: إن كنت كارهة لهذا فلا تعاوذه فيه وأرسل إلية وقولي له فليقل له فأنا أكفيكه ، ففعلت و فعل واستعد سياوش ، فلما كان ليلة العرس أقبل الفرزاذ حتى دخل فثار به سياوش فقتله ومن معه ، ثم نهد بها معه إلى سابر فحضرته ، ثم دخلوا عليه فقتلوه وملكت آزر ميدخت بنت كسرى ، وتشاغلوا بذلك وأبطأ خبر أبي بكر على المسلمين فخلف المثنى على المسلمين بشير بن الحصاصية ووضع مكانه في المسالح سعيد بن مرة العجلي وخرج المثنى نحو أبي بكر ليخبره خبر المسلمين والمشركين ، وليستأذنه في الإستعنة بمن قد ظهرت توبته وندمه من أهل الربدة من يستطيعه الغزو ، وليخبره أنه لم يختلف أحداً أنشط إلى قتال فارس وحرها ومعونة المهاجرين منهم . فقدم المدينة وأبو بكر مريض ، وقد مرض أبو بكر بعد خرج خالد إلى الشام مرضه التي مات فيها بأشهر ، فقدم المثنى وقد أشفي وعقد لعمر فأخبره الخبر ، فقال: عليّ بعمر ، فجاء فقال له: إسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به ، إني لأرجو أن أموت من يومي هذا وذلك يوم الإثنين فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى... فمات أبو بكر ، وندب عمر الناس مع المثنى ».

ومعنى ذلك أن قوة المثنى التي وصلت إلى بضعة آلاف بلغت من القوة أنها هزمت جيشاً نظامياً من عشرة آلاف ، وقد كان بطولته مع إخوانه قادة المعركة الفضل الأول في تحقيق النصر . وقد أدركت الخلافة أهمية فتح العراق وتقوية جبهة .

١٠ . وكان أول من أمدّ بهم عمر المثنى أبي عبيد الثقفي ، أرسله واليًا على العراق

قال الطبرى: «أول ما عمل به عمر أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني إلى أهل فارس قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات فيها أبو بكر، ثم أصبح فبائع الناس ، وعاد فندب الناس إلى فارس ، وتتابع الناس على البيعة ففرغوا في ثلاثة ، كل يوم ينذهب فلا يتدب أحد إلى فارس ، وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأنقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأثم . قالوا: فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس إلى العراق فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود وسعد بن عبيد الأنصاري حليف بنى فزاره هرب يوم الجسر».

أقول: وصفت الروايات خوف المسلمين من قتال الفرس ، وأن عمر ندبهم ثلاثة أيام وخطب فيهم المثنى ، فاستجاب له أبو عبيد بن مسعود أبو المختار الثقفي طلاق ذهب المثنى قبله ، وجمعوا لأبي عبيد ألف مقاتل أو أكثر .

ثم وصفت الرواية أوضاع فارس و المعارك المسلمين معهم ، وفيها مناقبة أبي عبيد وزاهته عن المال الحرام ، وبطولات المثنى ، الذي تحمل ثقل المعارك .

وكان أبو عبيد رضي الله عنه من أفضل القادة الذين أمدت بهم الخلافة المثنى ، فهو من نوع عمار وهاشم المرقال وحجر بن عدي شجاعة وزاهدة وتعففاً .

قال الطبرى (٦٣٠ / ٢): «وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليه وأنقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم ، وفهرهم الأمم ! قالوا: فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس إلى العراق ، فكان أول متدب أبو عبيد بن مسعود ، وسعد بن عبيد الأنصاري .. وتكلم المثنى بن حارثة فقال: يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه ، فإننا قد تبحبنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شقى السود ، وشاطرناهم ونلتنا منهم ، واجرأ من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها . وقام عمر في الناس فقال: إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النعجة ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك . أين القراء المهاجرون عن موعد الله ، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال: ليظهره على الدين كله . والله مظهر دينه ومعز ناصره ومولى أهله مواريث الأمم .. فلما اجتمع ذلك البعث قيل لعمر: أمر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين والأنصار . قال: لا والله لا أفعل إن الله إنها رفعكم بسبيقكم وسرعتكم إلى العدو فإذا جبتم وكرهتم اللقاء فأولى بالرئاسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الدعاء . والله لا أؤمر عليهم إلا أو لهم انتداباً . ثم دعا أبا عبيد وسلططاً وسعداً فقال: أما إنكم لو سبقتهما لوليتكما ولأدركتمها بها إلى مالكها من القدمة ، فأمر أبا عبيد على الجيش وقال لأبي عبيد: إسمع من أصحاب النبي ﷺ وأشركم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين ، فإنها الحرب وال Herb لا يصلحها إلا الرجل المكيث ، الذي يعرف الفرصة والكف ». »

المعركة الثانية مع الجيش الفارسي معركة النمارق

١١. خاض المثنى وأبو عبيد معركتين ، أبليا فيهما بلاء حسناً: النمارق، والجسر.

فقد جاءت بوران ملكة الفرس برستم بن فرخزاد حاكم خراسان ، ونصبته نائبة لها وقادها عاماً لجيش الفرس لعشر سنين ، وألسته تاجاً ، ثم عَزَّ ذلك ملكهم يزدجرد عندما تَوَجَّه في السنة التي جاء فيها أبو عبيدة إلى العراق .

فحرك رستم المرازبة الفرس (حرس الحدود) وقاده الدساكر في العراق ، لينقضوا عقود الصلح ويثوروا على المسلمين ، فسارع إلى الثورة قائدان هما جوبان في منطقة النمارق ، والنرجسي في منطقة زند رود . وكلاهما قرب واسط .

قال ابن كثير في النهاية (٣٥ / ٧): «فملکوه (يزدجرد) عليهم وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وهو من ولد شهريار بن كسرى ، وعزلوا بوران واستوثقت الملك له واجتمعوا عليه وفرحوا به وقاموا بين يديه بالنصر أتم قيام واستفحلا أمره فيهم وقويت شوكتهم به ، وبعثوا إلى الأقاليم والرساتيق فخلعوا الطاعة للصحابة ونقضوا عهودهم وذعنهم ! وبعث الصحابة إلى عمر بالخبر ، فأمرهم عمر أن يتبرزوا من بين ظهاريهم (يخرجوا من مناطق العراق الزراعية) ول يكونوا على أطراف البلاد حولهم على المياه ، وأن تكون كل قبيلة تنظر إلى الأخرى بحيث إذا حدث حدث على قبيلة لا يخفى أمرها على جيرانهم . وتفاقم الحال جداً ، وذلك في ذي القعدة من سنة ثلاثة عشرة ».

وقال الطبرى (٦٣٤ / ٢): «وقدم المثنى الحيرة من المدينة في عشر ، ولحقه أبو عبيد بعد شهر فأقام المثنى بالحيرة خمس عشرة ليلة. وكتب رستم إلى الدهاقين للسواد

أن يثوروا المسلمين ، ودس في كل رستاق رجلاً ليثور بأهله ، فبعث جابان إلى البهقباذ الأسفل ، وبعث نرسى إلى كسکر ووعدهم يوماً وبعث جنداً لصادمة المثنى ، وبلغ المثنى ذلك فضم إليه مسالحة وخذراً . وعجل جابان فشار ونزل النهارق ، وتولوا على الخروج ، فخرج نرسى زندورد (وكلها ما بين الكوت والكوفة) وثار أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله ، وخرج المثنى في جماعة حتى ينزل حفان ، لثلا يؤتى من خلفه بشئ يكرهه ، وأقام حين قدم عليه أبو عبيد فكان أبو عبيد على الناس ، فأقام بحفان أياماً ليستجم أصحابه ، وقد اجتمع إلى جابان بشر كثير . وخرج أبو عبيد بعد ما جمَّ الناس وظهرُهم (دوا بهم) وتعباً فجعل المثنى على الخيل ، وعلى ميمنته والق بن جيدارة ، وعلى ميسره عمرو بن الهيثم بن الصلت بن حبيب السلمي . وعلى مجنبتي جابان: جشنس ماه ، ومردانشاه . فنزلوا على جابان بالنهارق فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزם الله أهل فارس وأمير جابان ، أسره مطر بن فضة التميمي ، وأمير مردان شاه ، أسره أكتيل بن شياخ العكلي ، فأما أكتيل فإنه ضرب عنق مردانشاه ، وأما مطر بن فضة فإن جابان خدعاً حتى تفلت منه بشئ فخل عنده ، فأخذده المسلمون فأتوا به أبا عبيده وأخبروه أنه الملك ، وأشاروا عليه بقتله فقال: إني أخاف الله أن أقتله ، وقد آمنه رجل مسلم ، والمسلمون في التواد والتناصر كالجسد ، ما لزم بعضهم فقد لزمه كلهم .

فقالوا له إنه الملك ! قال: وإن كان ، لا أغدر ، فتركه ... ما تروني فاعلاً معاشر ربيعة ، أيؤمنه صاحبكم وأقتله أنا ! معاذ الله من ذلك .

وقد أبْو عَبِيدُ الْغَنَائِمَ وكان فيها عَطْرٌ كَثِيرٌ وَنَفْلٌ ، وَبَعْثَةً بِالْأَحْمَاسِ ...

وقال أبو عبيد حين انهزموا وأخذوا نحو كسرى ليلجؤوا إلى نرسى ، وكان نرسى ابن خالة كسرى ، وكانت كسرى قطيعة له ، وكان النرسى يحميه لا يأكله بشر ولا يغرسه غيرهم ، أو ملك فارس إلا من أكرمهه بشئ منه ، وكان ذلك مذكوراً من فعلهم في الناس ، وأن ثمرهم هذا حمى ، فقال له رستم وبوران: إشخاص إلى قطيعتك فاحها من عدوك وعدونا وكن رجالاً ، فلما انهزم الناس يوم النهارق ، ووجهت الفالة نحو نرسى ونرسى في عسكره ، نادى أبو عبيد بالرحبيل وقال للمجردة: إتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسى ، أو تبيدوهم فيما بين النهارق إلى بارق إلى درتا...

ومضى أبو عبيدة حين ارتحل من النهارق حتى ينزل على نرسى بكسرى ، ونرسى يومئذ بأسفل كسرى ، والمشتبه في تعبيته التي قاتل فيها جابان ، ونرسى على مجنبيه ابنا خاله وهو ابنا خال كسرى: بندويه وتيرويه ابنا بسطام ، وأهل باروسما ونهر جوبر والزواي معه إلى جنده ، وقد أتى الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان ، بعثوا إلى الجالتوس ، وبلغ ذلك نرسى وأهل كسرى وباروسما ونهر جوبر والزاب ، فرجوا أن يلحق قبل الواقعة ، واعجلهم أبو عبيد فالتحقوا أسفل من كسرى بمكان يدعى السقاطية ، فاقتتلوا في صحراء ملس قتالاً شديداً ، ثم إن الله هزم فارس ، وهرب نرسى وغلب على عساكره وأرضه.

وأنحرب أبو عبيد ما كان حول معسكراهم من كسرى ، وجمع الغنائم فرأى من الأطعمة شيئاً عظيماً ، بعث فيمن يليه من العرب ، فانتقوا ما شاؤوا ، وأخذت خزانة نرسى ، فلم يكونوا بشئ مما خزن أفرج منهم بالترسيان ، لأنه كان يحميه وبإلهه عليه ملوكيهم فاقتسموه ، فجعلوا يطعمونه الفلاحين وبعثوا بخمسه إلى

عمر ، وكتبوا إليه: إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة مجرمونها ! وأحبينا أن تروها لتذكروا إنعام الله وإفضاله !

وأقام أبو عبيد وسرح المثنى إلى باروسما ، وبعث والقا إلى الزوابي ، وعاصما إلى نهر جوبر ، فهزموا من كان تجمع ، وأخرجوا وسبوا وكان مما أخرب المثنى وسبى أهل زندورد وبسرىسي ، وكان أبو زعلب من سبى زندورد .

وهرب ذلك الجندي إلى الجالنوس ، فكان من أسر عاصم أهل بيتيق من نهر جوبر ، ومن أسر والق أبو الصلت ، وخرج فروخ وفرونداذ إلى المثنى يطلبان الجزاء والذمة ، دفعاً عن أرضهم فأبلغهما أبي عبيد.. فأعطياه عن كل رأس أربعة دراهم ، فروخ عن باروسما وفرونداذ عن نهر جوبر ، ومثل ذلك لزوابي وكسكر ، وضمنا لهم الرجال عن التعجيل ، ففعلوا وصاروا صلحاء .

وجاء فروخ وفرونداذ إلى أبي عبيد بآية فيها أنواع أطعمة فارس من الألوان والأخصصة وغيرها ، فقالوا: هذه كرامة أكرمتك بها وقرى لك . قال: أكرمتم الجندي وقريتموهن مثله؟ قالوا لم يتيسر ، ونحن فاعلون ، وإنما يتربصون بهم قدوم الجالنوس وما يصنع .

فقال أبو عبيد: لا حاجة لنا فيه ، بئس المرء أبو عبيد إن صحب قوماً من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهريقوا ، فاستثار عليهم بشيء يصبيه ، لا والله لا يأكل ما أفاء الله عليهم ، إلا مثل ما يأكل أو سلطهم.. ودخل أبو عبيد باروسما ونزل هو وأصحابه قرية من قراها ، فاشتملت عليهم ، فصنع لأبي عبيد طعام فأتى به ، فلما رأه قال: ما أنا بالذى آكل هذا دون المسلمين . فقالوا له:

كل، فإنه ليس من أصحابك أحد إلا وهو يؤتى في منزله بمثل هذا ، أو أفضل . فأأكل . فلما رجعوا إليه سألهم عن طعامهم ، فأخبروه بما جاءهم » .

وفي الطبرى: ٦٣٨/٢: «كان جابان ونرسى استمدا بوران فأمدتها بالجالнос فى جند جابان ، وأمر أن يبدأ بنرسى ثم يقاتل أبا عبيد بعد ، فبادره أبو عبيد فنهض في جنده قبل أن يدنو ، فلما دنا استقبله أبو عبيد فنزل الجالнос بياقسياتا من باروسها ، فنهد إليه أبو عبيد في المسلمين وهو على تعبيته ، فالتفوا على باقسياتا فهزهم المسلمون وهرب الجالнос . وأقام أبو عبيد قد غلب على تلك البلاد». وفي تاريخ خليفة ٤٦: «وبعث أبو عبيد المثنى بن حارثة إلى زندورد فحاربوه ، فقتل وسبى » .

وروى الكلاعي في الاكتفاء: ٤٠٤/٢، عن المدائى: «وبلغ يزدجرد أن ملك العرب يسير إليه ، فشاور أهل بيته ومرآبنته ، فقالوا له: وجه إلى أطرافك ففحصها وأخرج من فيها من العرب ، فوجه جالينوس ورستم وليس بالأزدى ومردان شاه ونرسى ابن خال أبرويز ، وكل واحد في خمسة آلاف ، وأمرهم أن يتزلوا متفرقين ، ويكون بعضهم قريباً من بعض كل رجل في أصحابه ، ويمد بعضهم بعضاً إن احتاجوا إلى ذلك ، وأمرهم أن يقتلو من قدروا عليهم من العرب ، فخرجوا والمثنى بالحيرة ، فبلغه مسيرهم ، فخرج لينزل على البلاد ، فلقى على قنطرة النهرین خرزاذبه فقتله . ومضى المثنى فنزل من وراء أليس ، ونزل العجم متفرقين ، فنزل نرسى كسکر ، ونزل مردان شاه فيها بين سورا وقبين ، ونزل رستم بابل ، ونزل جالينوس بارسمى ، ووجه جالينوس جابان في ألف إلى

أليس ، ووجه أزاذبه إلى الحيرة في ألف ، وفصل أبو عبيد بن مسعود من المدينة في ألف وثمان مائة من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فيهم من ثقيف أربع مائة معهم أبو محجن ، كان مع خالد بن الوليد بالشام فلما أتتهم وفاة أبي بكر رجع إلى المدينة ، فخرج مع أبي عبيد ، وانضم إلى أبي عبيد في الطريق مائة من بنى أسد ، ومائتان من طيء ومائة من بنى ذبيان بن بغيلض ، ومائة من بنى عبس ، معهم خمسة وعشرون فرساً .

وخرج المشنى بن حارثة في ثلاثة في ثلاثة مائة وسبعين من بكر بن وائل ، وثلاث مائة من بنى تميم حنظلة وعمرو وسعد والرباب ، فتلقى أبا عبيد ثم أقبل معه حتى نزل عسکره الذي كان فيه ، ووضع عيوناً على المساحة التي بـأليس فأتوه فأعلموه فأخبر أبا عبيد ، فقال له: إن أذنت لي سرت إليهم ، فأذن له وضم إليه ابنه جبر بن أبي عبيد وقال لابنه جبر: لا تخالفه ، فسار المشنى فصبح أليس وهم آمنون فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزوا ، فأصاب المسلمين سلاحاً ومتاعاً ليس بالكثير ، ورجع إلى أبي عبيد .

ونزل جaban فيها بين الحيرة والقادسية وكتب أبو عبيد إلى عمر بخبر أليس ، فسر المسلمين ونشطوا ، وخرج قوم من المدينة إلى أبي عبيد ، وتقدم أبو عبيد فلقى جaban فيها بين الحيرة والقادسية ، وجaban في ألفين معه آزادبه ، فلم يطل القتال بينهم حتى انهزم المشركون .

أقول: هكذا سارت عمليات تحرير العراق باطراد في مصلحة المسلمين ، وكان الفضل فيها للإخلاص المشنى وأبي عبيد الثقفي وتضحياتها ، رضي الله عنها .

وكان أبو عبيد من أفضل القادة الذين بعثتهم الخلافة إلى العراق ، شجاعاً نزيهاً مخلصاً، كعباً وحذيفة والمرقال ، يعيش مع جنوده ويقاتل أمامهم ، ولا يجلس في خيمته كسعد ، ولا يغير ويقتل وينهب ويسبي كخالد ، ولا يسرق الحيوانات من أهل القرى ليطعم جيشه كجبرير وأمثاله !

وقد ختم أبو عبيد انتصاراته بخطأ ذريع بسبب غفوانه وعجلاته ، فلا عصمة إلا للمعصومين صلوات الله عليهم ، فقد خيره القائد الفارسي في معركة الجسر في العبور، فاختار أبو عبيد أن يعبر هو حتى لا يقال إنه خاف ، فعبر بجيشه إلى مكان ضيق لا يصلح للمسلمين للقتال ، فكانت معركة صعبة عليهم ، وخسروا أربعة آلاف شهيد وغريق ، واستشهد فيها أبو عبيد نفسه ، وبسبعة من خواصه الثقيفين .

معركة الجسر

١٢ . وخاض المثنى وأبو عبيد رضي الله عنهم ، معركة الجسر أو قِس الناطف ،
وتسمى أيضاً معركة المروحة ، وسماها الطبراني معركة القرقس ، وكانت في أواخر السنة الثالثة عشرة وقيل الرابعة عشرة للهجرة . ووقعت فيها أكبر خسارة على المسلمين وأقصاها بسبب إصرار أبي عبيده عليه السلام على خطئه العسكري !
قال البلاذري (٣١٣/٢): (وأقبل رستم ، وهو من أهل الري ، ويقال بل هو من أهل همدان ، فنزل برس (قرب الحلة- معجم البلدان: ١٠٣/١) ثم سار فأقام بين الحيرة والسيلحين أربعة أشهر ، لا يقدم على المسلمين ولا يقاتلهم ، والمسلمون معسكون بين العذيب والقادسية . وقدَّم رستم ذات الحاجب فكان معسراً

بطيزناباذ . (قرب الكوفة- معجم البلدان: ٤/٥٥) وكان المشركون زهاء مئة ألف وعشرين ألفاً ومعهم ثلاثون فيلاً ، ورأيتم العظمى التي تدعى درفش كابيان . وكان جميع المسلمين ما بين تسعة آلاف إلى عشرة آلاف ، فإذا احتاجوا إلى العلف والطعام أخرجوها خيولاً في البر ، فأغارت على أسفل الفرات ».

و«درفش كابيان»: إضافة إلى كابي صاحبها ، والدرفش بالفارسية القديمة الراية . وقد حللت بالذهب وأنواع الجواهر الثمينة ، وكانت لا تظهر إلا في حروب عظيمة تنشر على رأس الملك أو على عهده ، أو من يقوم مقامه ، فلم تزل معظمها عند جميع ملوكهم إلى أن وجه بها يزدجرد بن شاهريار آخر ملوك الفرس من السياسية ، مع رستم الأذري لخرب العرب ». (التبني والإشراف: ٧٦).

ويلفظ الفرس كابي «كاوه» وهو حدادًّاً أصفهاني قتل الملك الضحاك ابنه ، فأخذ حرية وعلق عليها قطعة ودعا إلى حرب الضحاك ، فأجابه الناس وقصد الضحاك فقتله ، وملك عليهم إفريزون من عقب جشيد ، فصار لكابي عندهم مقام ، وعظموا رايته وكلوها بالجواهر واللياقات ، وكان ملوكهم يستفتحون بها في الحرب المهمة حتى غنمها المسلمون في القادسية . (صبح الأعشى: ١٣/٢٩٧).

وفي الطبرى: ٢/٦٤٠: «استعمل رستم على حرب أبي عبيد بهمن جاذویه وهو ذو الحاجب ورد معه الجالنوس ومعه الفيلة فيها فيل أيضًا عليه النخل ، وأقبل في الدهم وقد استقبله أبو عبيد حتى انتهى إلى بابل ، فلما بلغه انحاز حتى جعل الفرات بينه وبينه فعسكر بالمرودحة .

ثم إن أبي عبيد ندم حين نزلوا به وقالوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر ، فحلف ليقطعن الفرات إليهم وليمحصن ما صنع ، فناشده سليمان بن قيس

ووجوه الناس وقالوا إن العرب لم تلق مثل جنود فارس مذ كانوا ، وإنهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزهاء والعدة بما لم يلتقنا به أحد منهم ، وقد نزلت متولاً لنا فيه مجال وملجاً ومرجع ، من فرة إلى كرة . فقال: لا أفعل جبنت والله ! وكان الرسول فيها بين ذي الحاجب وأبي عبيد مردانشاه الخصي ، فأخبرهم أن أهل فارس قد عيروهم ! فزاد أبو عبيد محكماً ، ورد على أصحابه الرأي وجبن سليطاً فقال سليط: أنا والله أجرأ منك نفساً وقد أشرنا عليك الرأي فستعلم».

وفي تاريخ الطبرى (٦٤١/٢): «أقبل ذو الحاجب حتى وقف على شاطئ الفرات بقس الناطف ، وأبو عبيد معسكر على شاطئ الفرات بالمرودة ، فقال: إما أن عبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم؟ فقال أبو عبيد: بل نعبر إليكم ، فعقد ابن صلوباً الجسر للفريقين جميعاً... ثم نهد بالناس فعبروا وعبروا إليهم ، وعضلت الأرض بأهلها وألهم الناس الحرب . فلما نظرت الخيول إلى الفيلة عليها النخل ، والخيل عليها التجافيف ، والفرسان عليهم الشعر ، رأت شيئاً منكراً لم تكن ترى مثله ! فجعل المسلمين إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم ، وإذا حملوا على المسلمين بالفيلة والجلالجل (الأجراس) فرقت بين كراديسهم ، لا تقوم لها الخيل إلا على نفار ، وخزاهم الفرس بالنشاب ، وغضّ المسلمين الألم ، وجعلوا لا يصلون إليهم ، فترجل أبو عبيد وترجل الناس ثم مشوا إليهم فصافحوهم بالسيوف ، فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم ، فنادى أبو عبيد: احتروا الفيلة وقطعوا بُطْنَها (أحرمتها) وأقلُّوا عنها أهلها ، وواكب هو الفيل الأبيض فتعلق بيطانة فقطعه ، ووقع الذين عليه و فعل القوم مثل ذلك ، فما تركوا فيلاً إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه ! وأهوى الفيل لأبي عبيد ففتح

مشفره بالسيف فانقاذه الفيل بيده ، وأبو عبيد يتجرثمه فأصابه بيده فوقع ، فخطبه الفيل وقام عليه ، فلما بصر الناس بأبي عبيد تحت الفيل ، خشعت أنفس بعضهم وأخذ اللواء الذي كان أمّره بعده فقاتل الفيل حتى تنهى عن أبي عبيد فاجترأه إلى المسلمين وأحرزوا شلوه (جته)... وتتابع سبعة من ثقيف كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت ، ثم أخذ اللواء المثنى وهرب الناس .

فلما رأى عبد الله بن مرثد الثقفي ما لقى أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع الناس ، بادرهم إلى الجسر فقطعه وقال: يا أيها الناس متوا على ما مات عليه أمراؤكم ، أو تظفروا . وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر وخشع ناس فتواثبوا في الفرات ففرق من لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر ، وحـا المـثنـى وفـرسـانـ منـ الـمـسـلـمـينـ الناسـ وـنـادـيـ:ـ ياـ أيـهاـ النـاسـ إـنـاـ دـونـكـمـ فـاعـبـرـواـ عـلـىـ هـيـتـكـمـ وـلـاـ تـدـهـشـوـاـ ،ـ إـنـاـ لـنـ زـايـلـ حـتـىـ نـرـاـكـمـ مـنـ ذـلـكـ الـجـابـ ،ـ وـلـاـ تـغـرـقـواـ أـنـفـسـكـمـ .

فعبروا الجسر وعبد الله بن مرثد قائم عليه يمنع الناس من العبور ، فأخذوه فأتوا به المثنى فضربه وقال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ليقاتلوا .

ونادى من عبر فجاؤوا بعلوج فضموا إلى السفينة التي قطعت سفائفها ، وعبر الناس ، وكان آخر من قتل عند الجسر سليمان بن قيس .

وعبر المثنى وحـيـ جـانـبـهـ فـاضـطـربـ عـسـكـرـهـ ،ـ وـرـامـهـمـ ذـوـ الـحـاجـبـ فـلـمـ يـقـدـرـ عليهمـ ،ـ فـلـمـ عـبـرـ المـثـنـىـ اـرـفـضـ عـنـهـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ حتـىـ لـخـقـواـ بـالـمـدـيـنـةـ ،ـ وـتـرـكـهـاـ بعضـهـمـ وـنـزـلـواـ الـبـوـادـيـ ،ـ وـبـقـىـ المـثـنـىـ فـيـ قـلـةـ...ـ هـلـكـ يـوـمـئـذـ أـرـبـعـةـ آـلـافـ بـيـنـ قـتـيلـ وـغـرـيقـ ،ـ وـهـرـبـ أـلـنـانـ وـبـقـىـ ثـلـاثـةـ آـلـافـ ،ـ وـأـتـىـ ذـاـ الـحـاجـبـ الـخـبـرـ باـخـتـالـفـ

فارس فرجع بجنه ، وكان ذلك سبباً لارفضاضهم عنه ، وجرح المثنى وأثبت فيه حلق من درعه هتكهن الرمح ».

وفي رواية خليفة بن خياط /٩١: « وبدأت المعركة واقتتلوا أعظم قتال ، فقتل أبو عبيد ، وقتل عدد كبير من المسلمين ، قيل إنه بلغ أربعة آلاف ، وبعضهم مات غرقاً ، فاضطر المثنى وحذيفة إلى الإنسحاب بالباقين ».

وجاء في رواية البلاذري: ٣٠٨/٢: « فقال سليمان بن قيس: يا أبو عبيد، قد كنت نهيتك عن قطع هذا الجسر إليهم وأشارت عليك بالإنحياز إلى بعض النواحي.. فأيّت! وقاتل سليمان حتى قتل... وقاتل عروة بن زيد الخيل يومئذ قتالاً شديداً عُدُل بقتال جماعة ، وقاتل أبو زيد الطائي الشاعر حمية للمسلمين بالعربية ، وكان أتى الحيرة في بعض أموره وكان نصراانياً. وأتى المثنى أليس فنزها ، وكتب إلى عمر بن الخطاب بالخبر مع عروة بن زيد . وكانت وقعة الجسر يوم السبت آخر شهر رمضان سنة ثلاثة عشرة».

وجاء في رواية ابن الأعثم: ١٣٤/١: «ذكر وقعة الجسر، وهي أول وقعة للمسلمين مع الفرس... وتقدمت قبيلة من الفرس ومعهم فيل لهم يقال له الأصم على ظهره قبة ديباج ، فيها قائد من قواد كسرى يقال له شهريار وهو أخو رستم. قال: فلما نظرت خيل المسلمين إلى ذلك الفيل كأنها فرعت منه ، ونظر أبو عبيد إلى ذلك الفيل فتهيا للحملة عليه.. فقال سليمان بن قيس: أيها الأمير! ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أحمل على هذا الفيل حلة وأضرب خرطومه بسيفي فأقتله إن شاء الله تعالى! قال سليمان: أيها الأمير! دع عنك هذا الفيل فلنك في غيره سعة

فقال أبو عبيد: ما أريد سواه ولا أقصد غيره ، ثم قال أبو عبيد: إقرأ على قبر محمد^{صلوات الله عليه} مني السلام ، ثم قال: يا معاشر المسلمين أنظروا إن أنا قتلت فأميركم من بعدي وهب ابني ، فإن أصيب فابني مالك ، فإن أصيب فابني جبر ، فإن أصيب فسلط بن قيس ، فإن أصيب فأبوا محجن الثقفي ، فإن أصيب فالمنى بن حارثة ، فإن أصيب فأمر بعصمكم إلى بعض . ثم تقدم راجلاً بسيفه نحو الفيل ثم همل على الفيل فضرب خرطومه ضربة قطعه ، وذهب ليولى إلى عسكره فعشر على وجهه ، ووقع عليه الفيل فحطمه رحمة الله عليه... واشتباك الحرب وكثير القتل في المسلمين ، ثم وقعت المهزيمة ..

وأفلت رجل يقال له معاذ بن حصين الأنباري ، فمرّ على وجهه يقطع البلاد حتى صار إلى المدينة ، فدخل إلى عمر بن الخطاب .. فقال: أنعى إليك أبا عبيد وأنعى إليك بنيه الثلاثة وهبًا ومالكًا وجبراً ، وأنعى إليك سليمان بن قيس الأنباري وفلاناً وفلاناً ، فلم يزل يعد وجوه المهاجرين والأنصار ، فقال له عمر: فالمنى بن حارثة الشيباني ما حاله؟ فقال: تركته جريحاً يا أمير المؤمنين . قال: فضح الناس بالبكاء والنحيب ».

وقال البلاذري: «مكث عمر بن الخطاب سنة لا يذكر العراق لمصاب أبي عبيد وسلط . وكان المنى بن حارثة مقیماً بناحية أليس يدعون العرب إلى الجهاد . ثم إن عمر ندب الناس إلى العراق فجعلوا يتحامونه ويتشاقلون عنه ، حتى هم أن يغزو بنفسه . وقدم عليه خلق من الأزد يربدون غزو الشام ، فدعاهم إلى العراق ورغبهم في غناء آل كسرى ، فردوا الإختيار إليه فأمرهم بالشخصوص .

وقدم جرير بن عبد الله من السراة في بجيلة، فسأل أن يأتي العراق على أن يعطيه وقومه ربع ما غلبوا عليه . فأجابه عمر إلى ذلك فسار نحو العراق ». .

١٣ . واصل المثنى جهاده بعد معركة الجسر مباشرة ، وأسر قائدين من الفرس !

وهذا أيضاً يضعف روایتهم بأنه أصيب في معركة الجسر ، ومات بسبب جراحه ! قال الطبرى (٦٤٣/٢): « خبر أليس الصغرى .. وخرج جابان ومردانشاه حتى أخذنا بالطريق وهم يرون أنهم (المسلمين) سيرفضون ولا يشعرون بها جاء ذا الحاجب من فرقة أهل فارس . فلما ارتفع أهل فارس وخرج ذو الحاجب في آثارهم ، وبلغ المثنى فعلة جابان ومردانشاه ، استخلف على الناس عاصم بن عمرو ، وخرج فيجريدة خيل يريدهما ، فظنوا أنه هارب فاعتراضاه ، فأخذهما أسيرين ! وخرج أهل أليس على أصحابها فأتوه بهم أسراء وعقد لهم بها ذمة . وقدمهما وقال أنتما غررتما أميرنا وكذبتما واستفزتما ، فضرب أعناقهما وضرب أعناق الأسراء ». . ونهاية الإرب: ١٩٥: ١٨٥ .

أقول: قام المثنى بعملية جريئة فذهب بمجموعة من فرسانه ، وأسر قائدين كانوا يحكمان منطقة أليس المهمة ، وبعث إلى بلددهما بالخبر ، وطلب وفداً منهم ليعقد معهم صلحًا ، وعقد الصلح ، ثم قتل القائدين والأسرى الذين كانوا معهما . واخذ المثنى بلدة أليس مقرًا لقيادته ، وواصل عملياته واستعداده للحرب ، لأن الفرس كانت تنهيأ . قال البلاذري: ٣٠٨/٢: « وآتى المثنى أليس فنزلها (بعد وقعة الجسر) وكتب إلى عمر بن الخطاب بالخبر ، مع عروة بن زيد ».

المثنى يقود معركة البويب بجدارة

١٤ . وأمَدَّ عمر المثنى بجرير سنة ١٣ بعد معركة الجسر، وقبل معركة البويب.

قال البلاذري: ٣١١ / ٢ ، وابن سلام في الأموال / ٧٩: «أخبرني الشعبي أن عمر وجه جرير بن عبد الله إلى الكوفة بعد قتل أبي عبيد أول من وجهه ، قال: هل لك في العراق وأنفلك الثالث بعد الخمس؟ قال: نعم » !

وقال ابن الأعثم: ١٣٦: «فسار جرير بن عبد الله من المدينة في سبع مائة رجل حتى صار إلى العراق فنزلها، وبلغ ذلك المثنى بن حارثة الشيباني فكتب إليه: أما بعد يا جرير فإننا نحن الذين أقدمنا المهاجرين والأنصار من بلدكم ، وأقمنا نحن في نحر العدو نكابدهم ليلاً ونهاراً ، وإنما أنت مدد لنا، فما انتظارك رحمة الله لا تصير إلينا؟ فصر إلينا وكثُرنا بأصحابك ، فإن زعمت أنك رجل من أصحاب رسول الله ﷺ لا يلي عليه إلا من كان مثلك ، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولـي أبي عبيـد بن مسعود الثقفي على المهاجرين والأنصار فلـما حضرته وفاته قد كان ولـاني ، ولو علم أي لا أقوم مقامـه ما فعل ، فرأـيك أبا عمرو فيها كـتبـتـ إليـك ، والسلام .

قال: فكتبـتـ إليه جـرـيرـ: أما بعد فقد وردـ كتابـكـ عـلـيـ فـقرـأـتهـ وـفـهـمـتـهـ ، فأـمـاـ ما ذـكـرـتـ أـنـكـ الـذـيـ قـدـمـتـ الـمـهـاـجـرـيـنـ وـالـأـنـصـارـ إـلـىـ حـرـبـ الـعـدـوـ ، فـصـدـقـتـ وـلـيـتـكـ لمـ تـفـعـلـ . وأـمـاـ قـوـلـكـ: إـنـ الـمـهـاـجـرـيـنـ وـالـأـنـصـارـ لـحـقـواـ بـلـدـهـمـ ، فـإـنـهـ لـمـ قـلـ أـمـيـرـهـمـ لـحـقـواـ بـأـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عمرـ بـنـ الـخـطـابـ . وـأـمـاـ مـاـ ذـكـرـتـ أـنـكـ أـقـمـتـ فيـ نـحـرـ الـعـدـوـ إـنـكـ أـقـمـتـ فيـ بـلـدـكـ ، وـبـلـدـكـ أـحـبـ إـلـيـكـ مـنـ غـيـرـهـ .

وأما ما سأله من المصير إليك ، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يأمرني بذلك ، فكن أنت أميراً على قومك ، وأنا أمير على قومي . والسلام .

قال: وجري بينهما اختلاف ويبلغ ذلك عمر، فجمع المهاجرين والأنصار وشاورهم في أن يصير إلى العراق بنفسه ، فكلّ أشار عليه بذلك.. وقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال .. الرأي عندي أن لا تصير إلى العراق بنفسك ».

ثم ذكر ابن الأعثم أن علياً عليه السلام أشار على عمر أن يبعث سعد بن أبي وقاص فبعثه . وهذا بعيد ، لأن رأي علي عليه السلام في سعد كان سيئاً ، وكان لا يراه شجاعاً . ومعنى قول المثنى: «إإن زعمت أنك رجل من أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وسلم لا يلي عليك إلا من كان مثلك» ، فهو تنزل من المثنى لأنه لا يعرف أن جريراً أسلم قبل وفاة النبي صلوات الله عليه وسلم بأربعين يوماً ! والمثنى صاحبي وفد على النبي صلوات الله عليه وسلم وسمع منه .

ويظهر من قول جرير: «فاما ما ذكرت أنك الذي قدمت المهاجرين والأنصار إلى حرب العدو، فصدقت وليثك لم تفعل» ! على شدة تأثير هزيمة معركة الجسر عليهم ، وأن رأي عمر أن المثنى أخطأ وورط المسلمين في فتح العراق ! وهذا يفتح الباب لأن يكون المثنى قتل غيلة ، ولم يجرح في معركة الجسر كما زعموا .

١٥ . وأدار المثنى خلافه مع جرير ، حتى شارك ومن معه في معركة البويب .

قال الطبرى: ٦٤٤ / ٢: «وبعث المثنى بعد الجسر فيمن يليه من المُدَانِين ، فتوافدوا إليه في جمع عظيم . ويبلغ رستم والفيرزان ذلك ، وأتتهم العيون به وبما يتظرون من الإمداد . واجتمعا على أن يبعثا مهران المهزاني حتى يريا من رأيهما ، فخرج مهران في الخيول ، وأمراء بالخبرة . ويبلغ المثنى الخبر وهو معسكر بمرج السياخ

بين القادسية وخفان ، في الذين أمدوه من العرب عن خبر يشير وكنانة وبشير يومئذ بالخيرة ، فاستطعن فرات بادقل وأرسل إلى جرير ومن معه:
إنا جاءنا أمر لم نستطع معه المقام حتى تقدموا علينا ، فجعلوا اللحاق بنا
وموعدكم البويب ، وكان جرير مدائلا .

وكتب إلى عصمة ومن معه وكان مدائلاً بمثل ذلك ، وإلى كل قائد أظله بمثل ذلك ، وقال: خذوا على الجوف فسلكوا القادسية والجوف ، وسلك المثنى وسط السواد فطلع على النهرين ، ثم على الحورنق . وطلع عصمة على النجف ومن سلك معه طريقه . وطلع جرير على الجوف ومن سلك معه طريقه ..

فاجتمع عسكر المسلمين على البويب ما يلي موضع الكوفة اليوم ، وعليهم المثنى وهم بازاء مهران وعسكره ، فقال المثنى لرجل من أهل السواد: ما يقال للرقعة التي فيها مهران وعسكره؟ قال: بسموسيا فقال: أكدى مهران وهلك ! نزل منزلأً هو البسوس ! وأقام بمكانه حتى كاتبه مهران ، إما أن تعبروا إلينا وإما أن تعبر إليكم ، فقال المثنى: أعبروا ، فعبر مهران فنزل على شاطئ الفرات معهم في الملطاط ، فقال المثنى لذلك الرجل: ما يقال لهذه الرقعة التي نزلها مهران وعسكره؟ قال: شوميا . وذلك في رمضان ، فنادي في الناس: إنهدوا لعدوكم فتناهدوا ، وقد كان المثنى عبى جيشه فجعل على مجنبته مذعوراً والنسير وعلى المجردة عاصماً ، وعلى الطلائع عصمة ، واصطف الفريقان وقام المثنى فيهم خطيباً فقال: إنكم صوام ، والصوم مرآة ومضعة ، وإن أرى من الرأي أن نفطروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم . قالوا: نعم ، فأفطروا .

فأبصر رجلاً يستوفر ويستتقل من الصف فقال: ما بال هذا؟ قالوا: هو من فر من الزحف يوم الجسر ، وهو يريد أن يستقتل ، فقرعه بالرمي وقال: لا أباً لك إلزم موقفك ، فإذا أتاك قرنك فأغنه عن صاحبك ، ولا تستقتل . قال: إنى بذلك لجدير ، فاستقر ولزم الصف .

وروى الطبراني (٦٥٣/٢): «فأقبلوا إلى المسلمين في صفوف ثلاثة ، مع كل صف فيل ورجلُهم أمام فيلهم ، وجاؤاً لهم زجل ، فقال المثنى للمسلمين: إن الذي تسمعون فشل ، فالزموا الصمت واتمروا همساً ، فدنوا من المسلمين وجاؤوهم من قبل نهر بنى سليم.. وكان على مجنبتي المثنى بسربن أبي رهم ، وعلى مجردته المعنى وعلى الرجل مسعود (وهما آخر المثنى) وعلى الطلائع قبل ذلك اليوم النسير ، وعلى الرداء مذعور (العجل). وكان على مجنبتي مهران: بن الآزاد به مرزبان الحيرة ، ومردانشاه .

ولما خرج المثنى طاف في صفوفه يعهد إليهم عهده ، وهو على فرسه الشموس وكان يدعى الشموس من لين عريكته وطهارته ، فكان إذا ركبه قاتل وكان لا يركبه إلا لقتال يودعه ما لم يكن قتال ، فوقف على الرايات راية يخضضهم ويأمرهم بأمره ويهزمهم بأحسن ما فيهنم تحضيضاً لهم ، ولكنهم يقول: إنني لأرجو أن لا تؤتي العرب اليوم من قبلكم ، والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرني لعامتكم ، فيجيئونه بمثل ذلك . وأنصفهم المثنى في القول والفعل وخلط الناس في المكروه والمحبوب فلم يستطع أحد منهم أن يعيّب له قوله ولا عملاً. ثم قال: إنني مكبر ثلاثة فتهيئوا ثم احملوا مع الرابعة . فلما كبر أول تكبيره

أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم فخالطوهم مع أول تكيرة ، وركدت حربهم ملياً فرأى المثنى خللاً في بعض صفوفه ، فأرسل إليهم رجلاً وقال إن الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول: لا تفصحوا المسلمين اليوم ! فقالوا: نعم واعتدلوا ، وجعلوا قبل ذلك يرونوه وهو يمد لحيته لما يرى منهم فاعتنتوا بأمر لم يجيء به أحد من المسلمين يومئذ ، فرمقوه فرأوه يضحك فرحاً وال القوم بنو عجل ، فلئن طال القتال واشتد عمد المثنى إلى أنس بن هلال فقال: يا أنس إنك امرؤ عربي ، وإن لم تكن على ديننا ، فإذا رأيتني قد حللت على مهران فاحمل معي ! وقال لابن مردى الفهر مثل ذلك فأجابه ، فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل في ميمنته ، ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفاع الغبار والمجنبات تقتل لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم ، لا المشركون ولا المسلمين ، وارتث مسعود يومئذ وقواد من قواد المسلمين ، وقد كان قال لهم إن رأيتمنا أصينا فلا تدعوا ما أنتم فيه ، فإن الجيش ينكشف ثم ينصرف ، إلزموا مصافحكم وأغزوا غناء من يليكم . وأوجع قلب المسلمين في قلب المشركين ، وقتل غلام من التغلبيين نصراً على مهران ، واستوى على فرسه فجعل المثنى سليه لصاحب خيله وكذلك إذا كان المشرك في خيل رجل فقتل وسلب فهو للذى هو أمير على من قتل ، وكان له قائدان فاقتسموا سلاحه ، أحدهما جرير ، والأخر ابن الهوير ». وفي الطبرى (٦٤٩/٢): «جلب فتية من بني تغلب أفراساً ، فلما التقى الزحفان يوم البويب قالوا: نقاتل العجم مع العرب ، فأصاب أحدهم مهران يومئذ ومهران وتقى ذلك في ترجمة جرير ..

عن أبي روق قال: والله إن كنا لنأتي البويب فنرى فيها بين موضع السكون وبين سليم عظاماً يضاً تلولاً، تلوح من هامهم وأوصاهم يعتبر بها.

عن محمد وطلحة قالا: وقف المثنى عند ارتفاع الغبار حتى أسفر الغبار وقد فني قلب المشركين والمجنبات قد هز بعضها بعضاً ، فلما رأوه وقد أزال القلب وأفني أهله قويت المجنبات مجنبات المسلمين على المشركين ، وجعلوا يردون الأعاجم على أدبارهم ، وجعل المثنى والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر ويرسل عليهم من يذمرهم ، ويقول إن المثنى يقول: عاداتكم في أمثاهم، أنصروا الله بنصركم . حتى هزموا القوم فسابقهم المثنى إلى الجسر فسبقهم ، وأخذ الأعاجم فافترقوا بشاطئ الفرات مصعدين ومصوبيين ، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلواهم ثم جعلوهم جُحَّى (بضم الجيم كومة التراب)! فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبقى رمة منها .

ولما ارثت مسعود بن حارثة يومئذ وكان صرع قبل المزيمة ، فتضعضع من معه فرأى ذلك وهو دنف قال: يا معاشر بكر بن وائل إرفعوا رايتكم ، رفعكم الله ، لا يهلكم مصرعي ! وقاتل أنس بن هلال النمري يومئذ حتى ارث ، ارثه المثنى (مَرْضِه) وضمه وضم مسعوداً إليه .

وقاتل قرط بن جماح العبدى يومئذ حتى دق قسى وقطع أسيافاً ، وقتل شهربراز من دهاقين فارس وصاحب مجردة مهران .

قال: ولما فرغوا جلس المثنى للناس من بعد الفراغ يحدّثهم ويحدثونه ، وكلما جاء رجل فتحدث قال له: أخبرني عنك ، فقال له قرط بن جماح: قلت رجلاً

فوجدت منه رائحة المسك ، فقلت مهران ورجوت أن يكون إياه ، فإذا هو

صاحب الخيل شهر براز ، فوالله ما رأيته إذ لم يكن مهران ، شيئاً !

فقال المثنى: قد قاتلت العرب العجم في الجاهلية والإسلام ، والله لمائة من

العجم في الجاهلية كانوا أشد على من ألف من العرب . ولمائة اليوم من العرب

أشد على من ألف من العجم ! إن الله أذهب مصدوقتهم وأوهن كيدهم ، فلا

يروعنكم زهاء ترونـه ، ولا سواد ولا قسى فـج ، ولا نبال طـوال ، فإنهـم إذا

أعجلوا عنـها أو فقدـوها كالـبهائم أـينـا وجـهـتمـوها اـنجـهـتـهـا !

وقال ريعي وهو يحدث المثنى: لما رأيت ركود الحرب واحتدامها قلت: ترسوا

بالمـجان ، فإـنـهم شـادـون عـلـيـكـم فـاصـبـرـو الشـدـتـين ، وـأـنـا زـعـيم لـكـم بالـظـفـرـ في

الـثـالـثـة ، فأـجـابـونـي والله فوقـ الله كـفـالـتـي .

وقال ابن ذي السهمين محدثاً: قلت لأصحابي إني سمعت الأمير يقرأ ويدرك في

قراءته الرابع، فما ذكره إلا لفضل عنده، إقتدوا برأيكم ولريحكم راجلكم

خيـلـكـم ، ثـمـ اـهـلـوا فـيـا لـقـولـ اللهـ مـنـ خـلـفـ ، فـأـنـجـزـ اللهـ هـمـ وـعـدـهـ وـكـانـ كـمـاـ

رجـوتـ . وـقـالـ عـرـفـجـةـ مـحدـثـا: حـُزـنـاـ كـتـيـةـ مـنـهـمـ الفـراتـ ، وـرـجـوتـ أـنـ يـكـونـ اللهـ

تعـالـىـ قـدـ أـذـنـ فيـ غـرـقـهـمـ وـسـلـىـ عـنـهـاـ بـهـاـ مـصـيـةـ الجـسـرـ ، فـلـمـ دـخـلـواـ فيـ حدـ

الـإـحـرـاجـ كـرـوـاـ عـلـيـنـاـ فـقـاتـلـنـاهـمـ قـتـالـاـ شـدـيـداـ حـتـىـ قـالـ بـعـضـ قـومـيـ لـوـ أـخـرـتـ

رـأـيـكـ فـقـلـتـ عـلـيـ إـقـدـامـهـاـ وـحملـتـ بـهـاـ عـلـىـ حـامـيـهـمـ فـقـتـلـتـهـ ، فـولـواـ نـحـوـ الفـراتـ

فـمـاـ بـلـغـهـ مـنـهـمـ أـحـدـ فـيـ الرـوـحـ !

وقال ربيعي بن عامر بن خالد: كنت مع أبي يوم البويب ، قال وسمى البويب يوم الأعشار: أحصى مائة رجل قتل كل رجل منهم عشرة في المعركة يومئذ ! وكان عروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة ، وغالب من بنى كنانة من أصحاب التسعة ، وعرفجة من الأزد من أصحاب التسعة .

وُقُلَّ المشركون فيها بين السكون اليوم ، إلى شاطئ الفرات ضفة البويب الشرقية ، وذلك أن المثنى بادرهم عند المزيمة الجسر فأخذوه عليهم ، فأخذوا يمنة ويسرة ، وتبعهم المسلمون إلى الليل ومن الغد إلى الليل. وندم المثنى على أخذه بالجسر وقال: لقد عجزت عجزة وقى الله شرها ، بمسابقتي إياهم إلى الجسر وقطعه حتى أخرجتهم ، فإني غير قادر فلا تعودوا ولا تقتدوا بي أيها الناس ، فإنها كانت مني زلة لا ينبغي إخراج أحد ، إلا من لا يقوى على امتناع .

ومات أناس من الجرجي من أعلام المسلمين ، منهم خالد بن هلال ومسعود بن حارثة فصل عليهم المثنى ، وقدمهم على الأسنان والقرآن وقال: والله إنه ليهون على وجدى أن شهدوا البويب ، أقدموا وصبروا ولم يجزعوا ولم ينكروا». ويدل ذلك كلام المثنى هذا على أخلاقيه ومناقبته ، فهو يعتبر أن استيلاءه على الجسر ومنعه عدوه من الفرار ، خطيبة وعمل غير أخلاقي يوصي المسلمين أن لا يرتكبوه !

وقال الطبرى (٦٤٧/٢): «وقدم أنس بن هلال النمرى معداً للمثنى ، في أناس من النمر نصارى وجلاب ، جلبوا خيلاً . وقدم ابن مردى الفهر التغلبى في أناس من بنى تغلب نصارى وجلاب جلبوا خيلاً ، وهو عبد الله بن كلوب بن خالد قالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم: نقاتل مع قومنا».

وجاء في رواية ابن كثير في النهاية: ٧/٣٥: «فَلِمَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَمْرِاءُ الْفَرْسِ، وَبَكْشَرَةُ جِيُوشِ الْمَشْنِيِّ، بَعْثُوا إِلَيْهِ جِيشًا آخَرَ مَعَ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ مَهْرَانٌ، فَتَوَافَّوْا هُمْ وَإِيَاهُمْ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْبَوِيبُ، قَرِيبٌ مِّنْ مَكَانِ الْكُوفَةِ الْيَوْمِ..»

وقال المشنى لهم: إني مكبر ثلاث تكبيرات فتهيؤوا ، فإذا كبرت الرابعة فاحملوا ، فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول ، فلما كبر أول تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى غالقوهم واقتلوها قتالاً شديداً ، ورأى المشنى في بعض صفوفه خللاً بعث إليهم رجلاً يقول: الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: لا تفضحوا العرب اليوم ! فاعتدلوا . فلما رأى ذلك منهم وهم بنو عجل أعجبه وضحك وبعث إليهم يقول: يامعاشر المسلمين عاداتكم ، أنصروا الله ينصركم.. فلما طالت مدة الحرب جمع المشنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره ، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة ، وحمل غلام من بنى تغلب نصراي فقتل مهران وركب فرسه... وهربت المجروس وركب المسلمين أكتافهم يفصلونهم فصلاً.. بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ، ومن بعد إلى الليل فيقال إنه قتل منهم يومئذ وغرق قريب من مائة ألف والله الحمد والمنة... وذلت هذه الوعرة رقاب الفرس ، وتمكن الصحابة من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات ودجلة ، فغنموا شيئاً عظيماً لا يمكن حصره... وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليروموك بالشام» .

وقال ابن خلدون في تاريخه: ٢/٩٠: «وكتب (المشنى) بالخبر إلى جرير وعصمة أن يقصد العذيب مما يلي الكوفة ، فاجتمعوا هنالك ، ومهران قبالتهم عَدُوَّةً

الفرات وتركوا له العبور فأجاز إليهم.. ثم حل المثنى على مهران فأزاله عن مركزه وأصيب مسعود أخو المثنى وخالط المثنى القلب ، ووثبت المجنبات على المجنبات قبالتهم - فانهزمت الفرس وبقيهم المثنى إلى الجسر فهربوا مصعدين ومنحدرين ، واستلهمتهم خيول المسلمين ، وقتل فيها مائة ألف أو يزيدون وأحصى مائة رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة ، وتبعهم المسلمون إلى الليل ، وأرسل المثنى في آثار الفرس بلغوا ساباط ، فغنموا وسبوا ساباط واستباحوا القرى وسخروا السواد بينهم وبين دجلة ، لا يلقون مانعاً».

١٦. بعد انتصاره في معركة البويب، بسط المثنى غاراته وتقوذه على أكثر العراق،

قال الطبرى (٦٥٢/٢): «كان أول الناس انتدب يومئذ للمثنى واتبع آثارهم المستبسيل وأصحابه ، وقد كان أراد الخروج بالأمس إلى العدو من صف المسلمين واستوفز واستقتل، فأمر المثنى أن يعقد لهم الجسر، ثم أخرجهم في آثار القوم واتبعتهم بخيله ، وخيول من المسلمين تغذى من كل فارس ، فانطلقوا في طلبهم حتى بلغوا السيب... وألقى الله الرعب في قلوب أهل فارس وكتب القواد الذين قادوا الناس في الطلب إلى المثنى ، وكتب عاصم وعصمة وجrier: إن الله عز وجل قد سلم وكفى ووجه لنا مارأيت ، وليس دون القوم شيء ، فتأذن لنا في الإقدام؟ فأذن لهم فأغاروا حتى بلغوا ساباط ، وتحصن أهل ساباط منهم . واستباحوا القرىات دونها ، ورماهم أهل الحصن ساباط عن حصنهم ، وكان أول من دخل حصنهم ثلاثة قواد عصمة وعاصم وجrier ، وقد تبعتهم أوزاع من الناس كلهم ثم انكفأوا راجعين إلى المثنى ...

وقد كان المثنى وعصمة وجرير أصابوا في أيام البوبيب على الظهر نَزْل مهران
غنمًا ودقيقاً وبقرًا ، فبعثوا بها إلى عيالات من قدم من المدينة وقد خلفوهن
بالقوادس ، وإلى عيالات أهل الأيام قبلهم وهم بالحيرة ، وكان دليل الذين
ذهبوا بنصيب العيالات الذين بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة ، فلما
رفعوا للنسوة فرأين الخيل يصايخن حسبنها غارة ، فقمن دون الصبيان بالحجارة
والعمد ! فقال عمرو : هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش ، وبشرونهن بالفتح وقالوا
هذا أوله وعلى الخيل التي أتتهم بالنزل النسر . وأقام في خيله حامية لهم ورجع
عمرو بن عبد المسيح فبات بالحيرة » .

وقال الطبرى (٦٥٣/٢) : « عن عطية بن الحارث قال : لما أهلك الله مهران استمكן
المسلمون من الغارة على السواد فيما بينهم وبين دجلة ، فمخروها لا يخافون
كيداً ولا يلقون فيها مانعاً . وانتقضت مصالح العجم فرجعت إليهم ، واعتصموا
بساباط ، وسرهم أن يتراکوا ما وراء دجلة ، وكانت وقعة البوبيب في رمضان
سنة ثلاثة عشرة ، قتل الله عليه مهران وجيشه وأفعموا جنبيتي البوبيب عظاماً
حتى استوى وما عفى عليها إلا التراب ... وكان مغيضاً للفرات أزمان الأكاسرة
يصب في الجوف . وقال الأعور العبدى الشنى :

هاجت لأعور دار الحى أحزانا	واستبدلـت بعد عبد القيس حسانا
إذ بالخيـلة قـتـلـى جـنـدـ مـهـرـانـا	وقد أرـأـناـ بـهـاـ والـشـمـلـ مجـتمـعـ
فـقـتـلـ الزـحـفـ من فـرسـ وجـيلـاتـاـ	إـذـ كـانـ سـارـ المـثـنـىـ بـالـخـيـلـ لـهـ
حتـىـ أـبـادـهـمـ مـثـنـىـ وـوـحدـانـاـ	سـهـاـ لـهـرـانـ وـالـجـيـشـ الـذـيـ مـعـهـ

وجاء في رواية في الأخبار الطوّال/ ١١٤: «وزحف الفريقيان بعضهم لبعض، ولم يزل كزجل الرعد، وحمل المثنى في أول الناس... وصدقهم العجم القتال، فجال المسلمون جولة (انهروا) فقبض المثنى على حيته وجعل ينتف ما تبعه منها، من الأسف (خاف أن تكرر معركة الجسر) ونادى: أيها الناس إلى إلى، أنا المثنى! فتاب المسلمون فحمل بالناس ثانية، وإلى جانبه مسعود بن حارثة أخوه، وكان من فرسان العرب فقتل مسعود، فنادى المثنى: يا معشر المسلمين، هكذا مصرع خياركم، إرفعوا راياتكم.

وحض عدي بن حاتم أهل الميسرة، وحضر جرير أهل القلب وذمرهم وقال لهم: يا معشر بجيلة، لا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو منكم، فإن لكم في هذه البلاد إن فتحها الله عليكم حظوة ليست لأحد من العرب، فقاتلوا لهم التهاس إحدى الحسينين. فتداعى المسلمون وتخاضوا وثاب من كان انهزم، ووقف الناس تحت راياتهم ثم زحفوا، فحمل المسلمون على العجم حلة صدقوا الله فيها، وبasher مهران الحرب بنفسه وقاتل قتالاً شديداً وكان من أبطال العجم، فقتل مهران وذكروا أن المثنى قتلته، فانهزمت العجم لما رأوا مهران صریعاً واتبعهم المسلمون، وعبد الله بن سليم الأزدي يقدمهم، واتبعه عروة بن زيد الخيل، فصار المسلمون إلى الجسر وقد جازه بعض العجم وبقي بعض، فصار من بقى منهم في أيدي المسلمين، ومضت العجم حتى لحقوا بالمدائن، وانصرف المسلمون إلى معسكرهم، فقال عروة بن زيد الخيل في ذلك.. (وذكر الآيات المتقدمة ويعدها):

ما إن رأينا أميراً بالعراق مضى مثل المثنى الذي من آل شيبان
 إن المثنى الأمير القرم لا كذب في الحرب أشجع من ليث بخفانا
 قالوا: ولما أهلك الله مهران ومن كان معه من عظيماء العجم ، استمكن
 المسلمين من الغارة في السوداد ، وانتقضت مسالح الفرس ، وتشتت أمرهم
 واجروا المسلمين عليهم ، وشنوا الغارات ما بين سورا وكسكر والصراة إلى
 الفلاليج والأستانات».

وقال الطبرى (٦٥٧/٢): «فلما رجع المثنى إلى الأنبار سرح فرات بن حيان وعتيبة
 بن النهاس ، وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب والنمر بصفين ، ثم اتبعهما
 وخلف على الناس عمرو بن أبي سلمى الهجيمي ، فلما دنوا من صفين افترق
 المثنى وفرات وعتيبة وفر أهل صفين ، وعبروا الفرات إلى الجزيرة ...
 فخرج المثنى على مقدمته في غزوته هذه بعد البويب كلها حذيفة بن محسن
 الغفارى ، وعلى مجنبته النعمان بن عوف بن النعمان مطر الشيبانيان ، فسرح في
 أدبارهم حذيفة وابعه فأدركوه بتكريت دويتها من حيث طلبوهم يخوضون
 الماء ، فأصابوا ما شاؤوا من النعم .. حتى أغاروا على صفين وبها النمر وتغلب
 متساندين فأغاروا عليهم حتى رموا بطائفة منهم في الماء !»

عمر يعزل المثنى في أوج انتصاراته !

١٧ . كان عمر لا يطيق ظهور شخص ناجح قوى ، خاصة إذا كان يوالى غيره ،
 ولذلك كان يكره المثنى ! فقد روى ابن عساكر (٢٦١/١٦) بسند صحيح عندهم عن
 ابن عباس أنه كان يقول في خلافة أبي بكر: « أما والله لئن صير الله هذا الأمر إلى ،

لأعزلن المثنى بن حارثة عن العراق ، وخالفه بن الوليد عن الشام ، حتى يعلما إنها نصر الله دينه ليس إياهما ما نصر ! وهو نص في أن المثنى هو الوالي على العراق ! وفي تاريخ خليفة/٨١: «بُويع عمر بن الخطاب فعزل خالد بن الوليد عن الشام ، والمثنى بن حارثة عن ناحية السواد سواد الكوفة !»

وفي الإصابة: ٥٦٩: «وللمثنى أخبار كثيرة في الفتوح ساقها سيف والطبرى والبلاذرى وغيرهم . وذكر ثابت في الدلائل أن عمر كان يسميه: مُؤْمِنٌ تَفْسِيه». يقصد عمر أن المثنى بادر إلى تحريز العراق دون أن يأخذ إجازة من الخليفة، لكن أبا بكر كان معجباً بعمل المثنى ، وقد اعتمد ونصبه والياً وقائداً . وقد يكون سبب كره عمر للمثنى موالة المثنى لعلي بن أبي طالب. والسبب الذي ذكره عمر غير مقنع وهو أن المثنى وخالدأ قد أعجبوا بذاته وأخذوها الغرور بها حققاً من انتصارات فيجب تأدبيها ! لكن المثنى كان يباشر الحرب بنفسه ، ولم يكن مفترراً . أما خالد فكان يستعمل الخديعة والغدر ولا يقاتل بنفسه ، بل يفر من المعركة كما بنياه في حرب طليحة وحرب اليمامة ، ثم ينسب انتصارات المسلمين إلى نفسه .

والصحيح أن عزلاهما لأسباب أخرى ، وقد ذكرروا أن السبب الحقيقي لعزل عمر خالد عدواً لهما من شبابها !

قال ابن كثير في النهاية(٧/١٣١): «اصطرع عمر وخالد وهما غلامان ، وكان خالد ابن خال عمر (نفي خالد ذلك) فكسر خالد ساق عمر فعوجلت وجبرت ، وكان ذلك سبب العداوة بينهما .» .

ويضاف اليه أن خالدأ كان يسخر من حنتمة أم عمر ويسميها أم شملة وينكر قول عمر إنها من بني مخزوم ! كما كان يسخر من عمر ويسميه الأعسر !

قال الطبرى (٦٠٨/٢) وابن حبان فى الثقات (١٨٥/٢): «فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد يأمره أن يمد أهل الشام فيمن معه من أهل القوة ، ويستخلف على بقية الناس رجالاً منهم، فلما أتاه كتاب أبي بكر قال خالد: هذا عمل الأعيسى بن أم شملة ، يعني عمر بن الخطاب ، حسدي أن يكون فتح العراق على يدي !» وفي تاريخ العقوبى: (١٣٩/٢): «وكتب عمر إلى أبي عبيدة إن أكذب خالد نفسه فيما كان قاله فله عمله ، وإلا فائز عمامته وشاطره ماله . فشاور خالد أخته فقالت: والله ما أراد ابن حتمة إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك من عملك ، فلا تفعلن ! فلم يكذب نفسه ، فقام بلا فنزع عمامته ، وشاطره أبو عبيدة ماله حتى نعله فأفرد واحدة عن الأخرى » !

أي أخذ فردة من نعله ! وحتمة أم عمر . وأم شملة: أي تلبس إزاراً واحداً !

ومهما يكن ، فقد اتفقت هذه الأسباب مع نظرية عمر في خفض رؤوس شخصيات المجتمع وإذلامهم ، وقد طبقها مع أبي سفيان ، ومع رئيس بنى تميم ، ورئيس الأنصار أبي بن كعب ، وحتى مع طفله الصغير الذي كان فرحاً بشيابه ، فضربه حتى تذل نفسه ! «دخل ابن لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجل (تشط) ولبس ثياباً فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه فقالت له حفصة: لم ضربته؟ قال:رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه»! (كتب العمال: ١٢ / ٦٦٨).

واعترف عمر بأنه عزل المثنى ثم خالداً بسبب بروزهما ! فقال كما في الطبرى (٩٨/٣): «إني لم أعز لها عن ريبة ، ولكن الناس عظموها ، فخشيت أن يوكلاوا إليهما» .

١٨. لكن المثنى لم ينزعز عزلاً عمر إيه، فقد سلم المناصب والأموال لخلفه ،
وهو عتبة بن غزوان في البصرة ، وجرير البجلي في الكوفة ، لكنه واصل جهاده
بحكم إسلامه ، وبحكم أن العراق بلده ، وهو الذي بني فيه الوجود القوي
للمسلمين . ثم لا ننسى مكانته في قبيلته وقبائل العرب .

١٩. جاءت موجة فارسية مقدمةً لمعركة القادسية ، فاستعاد الفرس المسالح
فقد استمر تفوق المسلمين العسكري على الفرس سنة وأكثر ، وجعل المثنى فيها
مقر قيادته في أليس في وسط العراق ، ووصلت غاراته إلى البصرة جنوباً ، وإلى
صفين وسوريا غرباً ، وكانت هزيمة الفرس في معركة البويب قاسية عليهم ،
فأخذوا يستعدون لمعركة فاصلة بقوات أكبر .

قال خليفة/٩٢: «وعاد جيش المسلمين إلى ما كان عليه قبل يوم الجسر من
الإغارة على القرى الواقعة تحت سلطان الفرس».

ثم بدأت موجة الفرس بإعادة مسالحهم وتقويتها، فكتب المثنى إلى عمر يخبره
بالوضع ، ففاجأه عمر بأمره أن يسحب المسلمين إلى أطراف العراق !

قال الطبرى: ٣/٣: «كتب المثنى إلى عمر باجتماع فارس على يزدجرد ويعوّثهم
وبحال أهل الذمة ، فكتب إليه عمر أن تَنْهَى إلى البرّ وادع من يليك ، وأقم منهم
قريباً على حدود أرضك وأرضهم ، حتى يأتيك أمرى !

وعاجلتهم الأعاجم فراحتهم الزحوف وثار بهم أهل الذمة ، فخرج المثنى
بالي الناس حتى ينزل العراق ففرقهم فيه من أوله إلى آخره ، فأقاموا ما بين غضى
إلى القحطانة مسالحة ، وعادت مسالح كسرى وثوره واستقر أمر فارس ،

وهم في ذلك هابئون مشفقون والملمون متذفقون ، قد ضرروا بهم كالأسد
ينازع فريسته ، ثم يعاود الكر . وأمراؤهم يفكفونهم لكتاب عمر ».

أقول: معناه أن أمر عمر بسحب المسلمين إلى أطراف العراق من جهة الحجاز كان مفاجئاً للمثنى وقادة جيشه ، وثقيلاً عليهم على كل المسلمين !
ولا أرى له سبباً إلا الخوف أو الإنقاص من المثنى ! وقد فرح الفرس بذلك فحرعوا عليهم الفلاحين وأهل الدساكر ، فنقض أكثرهم عهود صلحهم مع المسلمين !

المثنى يموت فجأة بعد أن غضب عليه عمر !

٢٠ . وفي أوج انتصارات المثنى وقبول جرير بقيادته ، جاء سعد بن أبي وقاص
و جاء معه أمر عمر المسلمين بالإنسحاب من العراق إلى حدود الحجاز ، فلم يرتض ذلك المثنى ، فمات المثنى فجأة بسبب غير مقنع ، كما مات العلاء الحضرمي وعتبة بن غزوان ، عندما غضب عليهما عمر !

وتحرك سعد بن أبي وقاص بجيشه من المدينة ، وقطع ثلث الطريق إلى الكوفة ، وخيم في نجد على أبواب العراق في شراف أو زرود ، وأرسل إلى المثنى أن ينسحب من العراق ويأتيه ، ويظهر أن المثنى امتنع أولاً ، ثم ذهب إليه وأبقى معسكره عند ذي قار !
قال ابن الأعثم: ١٣٧/١: «فالتأمت العساكر إلى سعد في جمع عظيم ، وهو نازل بشرف ، وقد هجم عليه الشتاء وأكبت عليه الأمطار ، والفرس في جمع عظيم ..
فكان سعد بن أبي وقاص مقيناً بشرف يتظاهر أن ينحرس عنه الشتاء ».

وقال الطبرى: ٣/٧: «وأمّا عمر سعداً بعد خروجه بألفي بهانى ، وألفي نجدى من غطفان وسائر قيس ، فقدم سعد زرود فى أول الشتاء فنزلها ، وتفرقن الجنود فيها حوطاً من أمواه بنى تميم وأسد ، وانتظر اجتماع الناس وأمر عمر ، وانتخب من بنى تميم والرباب أربعة آلاف ثلاثة آلاف تميمي ، وألف ربي ، وانتخب من بنى أسد ثلاثة آلاف ، وأمرهم أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبساطة ، فأقاموا هنالك بين سعد بن أبي وقاص وبين المثنى بن حارثة . وكان المثنى في ثانية آلاف من ربعة: ستة آلاف من بكر بن وائل وألفان من سائر ربعة ، أربعة آلاف من كان انتخب بعد فصول خالد ، وأربعة آلاف كانوا معه من بقى يوم الجسر . وكان معه من أهل اليمن ألفان من بجيلة وألفان من قضاعة وطبي ، من انتخبا إلى ما كان قبل ذلك. على طبع عدي بن حاتم ، وعلى قضاعة عمرو بن وبرة ، وعلى بجيلة جرير بن عبد الله .

فيبنا الناس كذلك سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد ، مات المثنى من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر ، انتقضت به ، فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية ، وسعد يومئذ بزرود ، ومع بشير يومئذ وجوه أهل العراق ، ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر ، منهم فرات بن حيان العجلي ، وعتيبة ، فردهم مع سعد».

وقال الطبرى (٢/٣٧٦) إن المثنى وجريراً جاءا إلى سعد: «وكتب إلى المثنى وحرير بن عبد الله أن يجتمعوا إلى سعد بن أبي وقاص ، وأمّر سعداً عليهما ، فسار سعد حتى

نزل شُرَاف ، وسَارَ المُثْنَى وَجَرِيرَ حَتَّى نَزَلا عَلَيْهِ ، فَشَتَّى بَهَا سَعْدٌ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ . وَمَاتَ المُثْنَى بْنُ حَارِثَةَ .

وَقَالَ الْبَلَادْرِيُّ : « وَكَانَ المُثْنَى بْنُ حَارِثَةَ مَرِيضًا ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ (عَلَى سَعْدٍ) بِأَنْ يَخَارِبَ الْعَدُوَّ بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ وَالْعَذِيبِ ، ثُمَّ اشْتَدَ وَجْعُهُ ، فَحُمِّلَ إِلَى قَوْمِهِ فَمَاتَ فِيهِمْ . وَتَرَوَّجَ سَعْدٌ أَمْرَأَهُ » .

٢١- ملاحظات على روایات موت المثنى

أ. قطع سعد بجيشه نحو نصف الطريق من المدينة إلى الكوفة ، وأقام في زرود على طرف الصحراء الحجازية ، ولم يدخل عملياً إلى العراق !

وهذه استراتيجية أصر عليها عمر ، لأنها كان يرى أنه بذلك يجبر الفرس على طرف الصحراء من جهة الحجاز ويحاربهم هناك ، فإذا انهزم المسلمون انهزموا في الصحراء التي يعرفونها ولا يعرفها الفرس ، وقد صرخ في كلامه بذلك .

لكن المثنى وال المسلمين عامة ، لم ينفذوا أمره بالإنسحاب من العراق ، لأنه صعب عملياً ويفسره الفرس بأنه هزيمة ، كما أن الماء في زرود وشُرَاف وأمثالها من عيون الماء وآباره في الصحراء ، لا تكفي لهم ولا لعشرة آلاف جندي وأكثر جاء بهم سعد ، ولذلك اضطر أن يرسل قسماً من جيشه إلى هنا ، وقسماً إلى هناك .

وقد دافعت رواية الطبرى (٦٥٩/٢) عن عمر دفاعاً شديداً ، وجعلت نقض أهل السواد لعهود الصلح قبل وصول أمره !

قالت: «وبلغ ذلك من أمرهم واجتمعهم على بزجرد المثنى وال المسلمين ، فكتبوا إلى عمر بما يتظرون من بين ظهارائهم ، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر

أهل السواد من كان له منهم عهد ومن لم يكن له منهم عهد ، فخرج المثنى على حاميته حتى نزل بذى قار، وتنزل الناس بالطف في عسکر واحد ، حتى جاءهم كتاب عمر: أما بعد فاخرجوا من بين ظهري الأعاجم ، وتفرقوا في المياه التي تلى الأعاجم ، على حدود أرضكم وأرضهم !

والصحيح أن نشاط الفرس كان متواصلاً ، وأنهم زادوا فعالبتهم مع قرى العراق ودساكره ، واستطاعوا أن يقتعوا عدداً منها بتنقض عهودهم مع المسلمين . وأن عمر أرسل أمره بانسحاب المسلمين بعد انتصار المثنى في معركة البويب ، وربما قبل ذلك ، ففرح به الفرس وطمعوا بغلبة المسلمين ، وسارعوا بتحشيد قواتهم للقادسية !

ب. اقترح المثنى على عمر وسعد أن تكون ساحة الحرب بينهم وبين الفرس قرب الكوفة كي نصت رواية البلاذري: (فأشار عليه بأن يحارب العدو بين القادسية والعذيب) . وهذا ما حدث أخيراً لأنه واقع عملي .

ج. لا يمكن الأخذ برواية الطبرى التي تقول إن المثنى زار سعداً في زرود ، فقد نصت رواية أخرى على أنه وسعد كان يتظاهر أحدهما الآخر . (فيينا الناس كذلك سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد ، مات المثنى من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر ، انتقضت به ، فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية ، وسعد يومئذ بزرود) . فقد كان المثنى في ذي قار قرب الناصرية وبينها وبين زرود مسافة كبيرة .

د. طالت إقامة سعد على مشارف العراق ستة أشهر ، فالروايات تقول إنه انتظر حتى ينقضي الشتاء ، وتقول إن المثنى في هذه المدة توفي وتزوج سعد بزوجته لما جاءته وبينى

بها في زرود . فلا بد أنها أمضت عدتها بعد وفاته أربعة أشهر وعشرة أيام ، مما يعني أن المثنى توفي في أوائل نزول سعد في زرود .

وقد ذكرت الروايات أن أخاه المعنى تأخر حتى حضر مع زوجة أخيه إلى سعد ، فقد اشغله بترتيب وضع الحبرة ، إعداداً لمعركة القادسية .

هـ. توفي المثنى في ذي قار ، ولا توجد رواية عن مدة مرضه إلا قوله إن جراحه يوم الجسر انتقضت عليه فمات ، وأن جراحه كانت في وجهه من حلق الدرع ! وكل ما قالوه عن سبب وفاته رضي الله عنه غير مقنع .

قال الطبرى: «مات المثنى من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر انتقضت به ، فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاچية . وسعد يومئذ بزرود ومع بشير يومئذ وجوه أهل العراق ، ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر ، منهم فرات بن حيان العجلي وعتيبة ، فردهم مع سعد» .

وفرات العجلي هذا من سكان مكة ، حليف لبني سهم ، وكان جاسوساً لقريش على النبي ﷺ فأسرته سرية ، فادعى أنه مسلم فتركه النبي ﷺ ! وعتيبة بن النهاس عجلي أيضاً ، وكانت من قادة المثنى ، ويبدو أنها كانا جاسوسين لعمر على المثنى ، أو كانوا وفداً يشكرون المثنى لعمر ، لأنهما يحسدانه !

وقال الطبرى: «وأثبتت فيه حلق من درعه هتكهن الرمح» وكذا نهاية الإرب (١٨٤/١٩) لكن المثنى قام بعد معركة الجسر بنفسه بعمليات عسكرية ، فقد أسر قائدين من الفرس هما جابان ومردان شاه ، ثم قاد معركة بحجم معركة البرمسوك وخاض معاركها بنفسه ، ثم قام بعمليات واسعة بنفسه عبر في بعضها حدود العراق

إلى صفين داخل سوريا ، ولم يظهر عليه أي شكابية ! وهذا يوجب الشك في أن يكون سبب وفاته جرح من حلق الدرع ، كما زعموا .

ويظهر أن سلامه المثنى وفعاليته بعد معركة الجسر جعلت رواة السلطة يكذبون علينا ! ففي رواية خليفة /٩١ : «لكن المثنى أصيب بجراح عميق فاضطر للإنسحاب بمن تبقى معه ، وأوغل بقومه بكر بن وائل وبني شيبان إلى أعماق الصحراء ، خشية أن يفتاك بهم الفرس ، فأدركته المنية فمات في بعض الطريق » !

تقول هذه الرواية إنه هرب من معركة الجسر بقومه ، فمات في الطريق ! وهو كذب صريح ، لأنه بعد معركة الجسر قام بعمليات بطولية بنفسه ، وأعد لحرب البوبيب وقادها وخاض قاتلها بنفسه ، ثم قام بعمليات واسعة بنفسه ، لا لاحظ أحد منه شكابية أو أثراً في وجهه !

و. وما يؤكد الشك في موت المثنى تأكيد الرواية على أنه لم يختلف عمره أبداً ، وأنه أوصى وصية مؤكدة ولم يكتبهما إلى عمر على عادته ، بل أوصى أخيه المعنى وزوجته سلمى (الطبرى: ٩/٣) بأن يسرعا بها إلى سعد ، فانتشغل المعنى بمعالجة وضع ملك الحيرة الذي أخذ الفرس يستميلونه ، ثم ذهب إلى زرود مع أرملة أخيه سلمى ، وأوصلها الوصبة إلى سعد ، بموافقة المثنى على رأي عمر أن لا يقاتل الفرس داخل العراق : « وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم ، فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ، وإن يكن الأخرى فاوا إلى فتنة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرا علىهم . فليما انتهى إلى سعد رأى المثنى ووصيته ترحم عليه ، وأمر المعنى على عمله ، وأوصى بأهل بيته خيراً وخطب سلمى فنزوجها ، وبني بها » .

وهذا يدلّك على أن الغرض من وصية المثنى المزعومة تسكيت الذين اعترضوا على قرار عمر بسحب المسلمين ، وما سببَه من جرأة المزارعين ومَلِك الحيرة على نقض عهودهم مع المسلمين ، وانضمّاهم إلى الفرس !

ويدلّك على أن السلطة واجهت إهاماً من القاعدة الشعبية للمثنى بأن السلطة قتلتـه ، فدبّرت السلطة أخاه وزوجته ليقولوا إن علاقـة بـسعد وعمر كانت على أفضل ما يرام وإن خطـة عمر حـكـيـمة ، وقد وافقـتـهاـ علىـ المـثنـىـ وأوصـيـتـهاـ بـهـاـ عـنـدـ موـتـهـ ، وأـمـرـ أـخـاهـ وزوجـهـ أنـ يـسـرعـواـ وـيـبـلـغـوـهـاـ إـلـىـ عـمـرـ !

وبقيـ عليهمـ أنـ يـقـولـواـ إـنـ المـثـنـىـ كـانـ مـعـجـباـ بـسـعـدـ ، وـقـدـ أـوـصـىـ زـوـجـهـ أـنـ تـزـوـجـ سـعـداـ وـلـاـ تـزـوـجـ أـحـدـ إـخـوـتـهـ الـذـينـ هـمـ أـجـلـ مـنـ سـعـدـ ، فـقـدـ كـانـ سـعـدـ أـسـمـرـ أـفـطـسـ بـيـنـهـ عـرـفـ المـثـنـىـ وـإـخـوـتـهـ بـكـمالـ الـأـجـسـامـ ، وـقـدـ اـخـتـارـوـاـ الـعـنـىـ فـيـ الـوـفـدـ إـلـىـ يـزـدـجـرـدـ وـقـالـوـاـ (ـوـأـمـاـ مـنـ هـمـ مـنـ نـظـرـ لـأـجـسـامـهـمـ وـعـلـيـهـمـ مـهـاـيـةـ وـلـهـمـ آـرـاءـ ، فـعـطـارـدـ بـنـ حـاجـبـ ، وـالـأشـعـثـ بـنـ قـيسـ ، وـالـخـارـثـ بـنـ حـسـانـ ، وـعـاصـمـ بـنـ عـمـرـ ، وـعـمـرـوـ بـنـ مـعـديـ كـرـبـ ، وـالـمـغـيرـةـ بـنـ شـعـبـةـ ، وـالـعـنـىـ بـنـ حـارـثـةـ ، فـبـعـثـهـمـ دـعـاـةـ إـلـىـ الـمـلـكـ)ـ .ـ (ـ الطـبـرـيـ:ـ ١٤ـ /ـ ٣ـ)

زـ.ـ إـذـ لـاحـظـنـاـ عـهـدـ عمرـ عـلـىـ نـفـسـهـ مـنـ زـمـنـ أـبـيـ بـكـرـ أـنـ يـعـزـلـ المـثـنـىـ ، وـأـنـهـ كـانـ يـسـمـيهـ مـؤـمـرـ نـفـسـهـ !ـ فـقـيـ الإـصـابـةـ:ـ ٥ـ٦ـ٩ـ /ـ ٥ـ:ـ «ـ وـذـكـرـ ثـابـتـ فـيـ الدـلـائـلـ أـنـ عـمـرـ كـانـ يـسـمـيهـ مـؤـمـرـ نـفـسـهـ»ـ .ـ مـعـ أـبـيـ بـكـرـ أـمـرـ المـثـنـىـ عـلـىـ الـعـرـاقـ ، وـمـاتـ وـهـوـ يـوـصـيـ عـمـرـ بـهـ فـاضـطـرـ عـمـرـ أـنـ يـمـدـهـ بـجـيـشـ ، وـيـتـبـنىـ جـهـادـهـ لـفـتـحـ الـعـرـاقـ وـإـيـرانـ ، لـكـنـ لـفـتـرـةـ !ـ ثـمـ عـزـلـهـ عـمـرـ فـلـمـ يـنـعـزـلـ ، بـلـ فـرـضـ المـثـنـىـ قـيـادـتـهـ حـتـىـ عـلـىـ جـرـيرـ وـكـلـ الصـحـابـةـ الـذـينـ بـعـثـهـمـ عـمـرـ إـلـىـ الـعـرـاقـ .ـ ثـمـ رـآـهـ عـمـرـ يـتـقـدـ سـيـاسـتـهـ عـنـدـمـاـ قـرـرـ سـحـبـ الـسـلـمـلـينـ إـلـىـ أـطـرـافـ الـعـرـاقـ الصـحـراـوـيـةـ ، وـيـتـرـكـ الـعـرـاقـ عـمـلـيـاـ لـلـفـرـسـ !ـ

فقد يكون عمر دعا على المثنى فهات ، كما دعا سعد عبادة فقتلته الجن ، أو دعا على عتبة بن غزوان عندما اعترض على تأميره سعداً عليه ، فهات في محطة في طريقه الى العراق ! (تاريخ بغداد: ١٦٨/١).

أو كما دعا على العلاء الحضرمي عندما خالفه وغزا جنوب إيران فهات في نفس المحطة في طريقه الى العراق ! «كتب عمر بن الخطاب إلى العلاء بن الحضرمي وهو بالبحرين أن سر إلى عتبة بن غزوان فقد وليتك عمله.. وقد وليت قبلك رجلاً فهات قبل أن يصل، فإن يرد الله أن تلي وليت» ! (الطبقات: ٤: ٢٦٠).

أو كما دعا على بلال وجاءته ، وكانتا نحو ثلاثين صحابيًّا في الشام فاعترضوا على عمر لتوقيته معاوية المتهتك ، فدعاه عليهم دعوة واحدة ، فهاتوا واحداً بعد الآخر ، فلم تئُر عليهم السنة حتى ماتوا جميعاً. (سن البيهقي: ٩/١٣٨).

فقد يكون دعا على المثنى دعوة واحدة ، فاستجاب الله له ، ومات المثنى !

هاشم المرقال نقىض أبيه وعكس عمه

١. هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال الزهرى رضى الله عنه، صحابي جليل،
ونخطيب مُفَرَّهٌ وبطل شجاع ، وشيعيٌّ صلب .

كان ضخماً الجثة بطلًا ، قائداً في معركة أجنادين في فتح فلسطين ، ومعركة اليرموك ، وقد سارع بعدها بجيش وشارك في معركة القادسية ، ثم قاد فتح المدائن ، وفتح جلواء ، وفتح حلوان ، وعدة مناطق من إيران .

وقلنا إنه نقىض أبيه ، لأنه صاحب إيمان وتقوى ، بينما أبوه عتبة بن أبي وقاص من عتاة قريش ، وقد بقي على شركه وعداؤته للنبي ﷺ حتى مات .

وقلنا إنه على عكس عمّه سعد بن أبي وقاص ، لأنّه من أبطال الإسلام وال التاريخ ، وعمّه سعداً بشهادة لم يبرّز يوماً لفارس ، ولا شارك بجديّة في حملة أبداً ! وإذا حضر المعركة يحفظ نفسه في الخط الخلفي في مكان آمن . وقد كان قائداً معركة القادسية ، فوكل بها رجلاً وقعد في قصر العذيب مدعياً أنّ في فخذه دُمّلاً ، حتى عيرته زوجته المسلمين ووصفوه بالجبن !

وسمّي المرقال لأنّه يرقل برأيته في الحرب ، أي يهروّل فيها هروّلة خاصة . وفي العبقات (٣٩/٣) عن القرطبي أنّ النبي ﷺ قال له: أرقـل يا ميمون ! وكان عمّه سعد واليأ على الكوفة ، فاستفاد هاشم من ذلك ، فكان يقود جيش المسلمين في المعارك ، وكانت علاقته بعمّه جيدة ، وهذا من ذكاء هاشم ، فهو شيعي ورأيه بعمّه سعى لكنه كان يداريه ، وقد تزوج ابنته أم إسحاق .

(المحبر/٦٩) وكان سعد يفتخـر بـأبيه ، لأنّه قائد بـطل ، رغم أنه شيعي ! وقد انتصر له سـعد عندما أهـانه سـعيد بن العاص ، وكان واليأ على الكوفة فـسأل حـضـارـه: «من رأـيـ الـهـلـالـ منـكـمـ؟ وـذـلـكـ فيـ فـطـرـ رـمـضـانـ». فـقالـ القـومـ: ما رـأـيـنـاهـ ، فـقالـ هـاشـمـ بنـ عـتـبةـ بنـ أـبـيـ وـقـاصـ: أـنـ رـأـيـهـ . فـقالـ لـهـ سـعيدـ: بـعـينـكـ هـذـهـ الـعـورـاءـ رـأـيـهـ مـنـ بـيـنـ الـقـومـ؟ فـقالـ هـاشـمـ: تـعـيـنـيـ بـعـيـنيـ وـإـنـماـ فـقـيـثـتـ فـيـ سـيـلـ اللهـ ! وـكـانـ عـيـنـهـ أـصـيـبـتـ يـوـمـ الـيـرـموـكـ .

ثم أصبح هاشم في داره مفطرًا وغدا الناس عنده ، فبلغ ذلك سعيد بن العاص فأرسل إليه فضربه وحرق داره ، فخرجت أم الحكم بنت عتبة بن أبي وقاص وكانت من المهاجرات ، ونافع بن عتبة بن أبي وقاص من الكوفة ، حتى قدما المدينة فذكر لسعد بن أبي وقاص ما صنع سعيد بهاشم ، فأتي سعد عثيـانـ فـذـكـرـ

له ذلك ، فقال عثمان: سعيد لكم بهاشم ، إضربوه بضربيه ، ودار سعيد لكم بدار هاشم ، فأحرقوها كما حرق داره . فخرج عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وهو يومئذ غلام يسعى ، حتى أشعل النار في دار سعيد بالمدينة ، فبلغ الخبر عائشة فأرسلت إلى سعد بن أبي وقاص تطلب إليه وتسأله أن يكف فعله . ورحل من الكوفة ». (تاريخ دمشق: ٢١/ ١١٤)

٢. مدح علماء السنة وأئمتهم هاشم المرقال وروى عنه الستة ، ووثقه ابن معين

والنسائي، وأحمد والبزار . وحدث عن ابن المسمى وعامر وعائشة ابنة سعد بن مالك ، وإسحاق بن عبد الله ، وغيرهم . وعنده موسى بن يعقوب الزمعي ، ومالك وأبوأسامة وابن نمير ومردان بن معاوية وشجاع بن الوليد وأبو ضمرة وجماعة . (تذيب التهذيب: ١١/ ٢٠) . وعقدوا المناقب أباياً كالحاكم في المستدرك (٣٩٥ / ٣) .

وقال في الإستيعاب (٤/١٥٤٦): «كان من الفضلاء الخيار، وكان من الأبطال البُهْمُ، فُقِتِّلت عينه يوم اليرموك، ثم أرسله عمر من اليرموك مع خيل العراق إلى سعد كتب إليه بذلك ، فشهاد القادسية وأبلَّ بها بلاء حسناً، وقام منه في ذلك ما لم يقم من أحد، وكان سبب الفتح على المسلمين . وكان بهمة من البُهْم فاضلاً خيراً. وهو الذي افتتح جلولاً فقد له سعد لواء وجهه، وفتح الله عليه جلولاً ولم يشهدها سعد ». والبهمة الفارس الشديد البأس . (الصحاح: ٥/١٨٧٥).

وروى المقال أحاديث النبي ﷺ في فضائل أهل البيت عليه السلام كحديث الغدير،
وحديثاً صحيحاً الحاكم والذهبي بشرط الشيخين (٤/٣٩٨): «عن أم سلمة أن رسول
الله أضطجع ذات يوم فاستيقظ وهو خاتم النفس ، وفي يده تربة حمراء فقلت: ما

هذه التربة يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبريل أن هذا يقتل بأرض العراق للحسين ، فقلت لجبريل: أرني تربة الأرض التي يقتل بها ، فهذه تربتها ». .

وقال ابن حجر في الإصابة: ٦/٤٠٤: «هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بن أهيب بن زهرة بن عبد مناف الزهري ، الشجاع المشهور ، المعروف بالمرقال ، بن أخي سعد بن أبي وقاص . قال الدو لا بي: لقب بالمرقال لأنَّه كان يرقل في الحرب أبي يسوع ، من الإرقال وهو ضرب من العَدُو... قال الهيثم بن عدي: عقد له عمَّه سعد على الجيش الذي جهزه إلى قتال يزد جرد ملك الفرس ، فكانت وقعة جلولاء.. كانت راية علي يوم صفين مع هاشم بن عتبة .

قال المرزباني: لما جاء قتل عثمان إلى أهل الكوفة ، قال هاشم لأبي موسى الأشعري: تعال يا أبو موسى بابع لخير هذه الأمة علي ! فقال: لا تعجل . فوضع هاشم يده على الأخرى فقال: هذه لعلي وهذه لي، وقد بابعت علياً عليها السلام، وأنشد:

أبَيْعَ غَيْرَ مَكْتُرِثٍ عَلَيَا وَلَا خَشِيَ أَمِيرًا أَشْعُرِيَا
أَبَيْعَهُ وَأَعْلَمُ أَنْ سَارِضِي بِذَكَرِ اللَّهِ حَقًا وَالنَّبِيَا».

وذكر ابن الأعثم (٤٣٨/٢) أن موقف هاشم في قصر الإمارة كان مطلب أهل الكوفة بعد بيعة علي عليها السلام في المدينة ، فهو يدل على تخلف أبي موسى عن البيعة حتى ضغط عليه المسلمون: «فقمت الناس إلى أميرهم أبي موسى الأشعري فقالوا: أيها الرجل! لم لا تباع عليناً وتدع الناس إلى بيته ، فقد بابعه المهاجرون والأنصار؟ فقال أبو موسى: حتى أنظر ما يكون ، وما يصنع الناس بعد هذا !

٣. مدحه علماء الشيعة ، فوصفوه بأنه صاحبٌ جليل ، حَيْرٌ فاضلٌ رضي الله عنه

من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، شهد معه حرب الجمل ، وكان حامل لواء الأعظم يوم صفين ، واستشهد فيها هو وعمار بن ياسر فصل عليها على عليه السلام ودفنها بشياهها ولم يُغسلها ، وأعطي لواء لابنه عبد الله ، وكان زعيماً في البصرة ورئيس الشيعة فيها . (معجم السيد الخوئي: ٢٤١ / ١٥ ، والمستدركات: ١٣٣ / ٨) .

وفي الطبقات (٣٦٢ و ٢٥٨ / ٣): «لما كان اليوم الذي قتل فيه عمار والراية بحملها هاشم بن عتبة ، وقد قتل أصحاب عليٍّ ذلك اليوم حتى كانت العصر ، ثم تقرب عمار من وراء هاشم يقدمه ، وقد جنحت الشمس للغرروب ، ومع عمار ضياع من لبن ، فكان وجوب الشمس أن يفطر ، فقال حين وجبت الشمس وشرب الضياع: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: آخر زادك من الدنيا ضياع من لبن ! قال: ثم اقترب فقاتل حتى قتل ، وهو يومئذ ابن أربع وتسعين سنة !

عن أبي إسحاق أن علياً عليه السلام صلى على عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة رضي الله تعالى عنهم ، فجعل عمار ما يليه وهاشم أمام ذلك ، وبكر عليهما تكريباً واحداً ، خمساً أو ستة أو سبعة ، والشك في ذلك من أشعث» .

وكانت الأنصار عامتها مع أمير المؤمنين عليه السلام ، وقريش عامتها مع معاوية ، ولم يكن مع علي عليه السلام إلا خمسة ، ولكنهم شخصيات .

ففي رجال الكشي (١ / ٢٨١) ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من قريش خمسة نفر ، وكانت ثلاثة عشر قبيلة مع معاوية . فأما الخمسة فمحمد بن أبي بكر رحمة الله عليه ، وأنه النجابة من قبل أمه أسماء بنت عميس .

وكان معه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المقال . وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي ، وكان أمير المؤمنين عليهما السلام خاله وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك . فقال له جعدة: لو كان خالك مثل خالي لنسيت أباك . و محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، والخامس سلفُ أمير المؤمنين ابن أبي العاص بن ربيعة ، وهو صهر النبي عليهما السلام أبو الربيع ».

٤. فضلهُ أمير المؤمنين عليهما السلام على محمد بن أبي بكر مع حبه لمحمد ، رضي الله عنهمَا ،

ففي نوح البلاحة (١١٦/١): «من كلام له لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكـت عليهـ ، فـقتلـ: وقد أردـتـ تولـية مصر هـاشـمـ بن عـتبـةـ ، ولوـ ولـيـتـ إـيـاـهاـ لـماـ خـلـ هـمـ العـرـصـةـ وـلـأـنـهـمـ الفـرـصـةـ. بلاـ ذـ لـمـ حـمـدـ بنـ أـبـيـ بـكـرـ ، فـلـقـدـ كـانـ إـلـيـ حـبـيـاـ وـكـانـ لـيـ رـبـيـاـ». «رحم الله مـحمدـاـ ، كـانـ غـلامـاـ حـدـثـاـ. أـمـاـ وـالـهـ لـقـدـ كـنـتـ أـرـدـتـ أـنـ أـوـلـيـ الـمـرـاقـالـ هـاشـمـ بنـ عـتبـةـ بنـ أـبـيـ وـقـاصـ مصرـ. وـالـلـهـ لـوـ أـنـهـ لـوـلـيـهـ لـمـ خـلـ لـعـمـرـوـ بنـ العـاصـ وـأـعـوـانـهـ العـرـصـةـ ، وـلـاـ قـتـلـ إـلـاـ وـسـيـفـهـ فـيـ يـدـهـ بلاـ ذـ لـمـ حـمـدـ بنـ أـبـيـ بـكـرـ ، فـلـقـدـ أـجـهـدـ نـفـسـهـ وـقـضـىـ ماـ عـلـيـهـ. فـقـيلـ لـعـلـيـ عليهـ: لـقـدـ جـزـعـتـ عـلـىـ مـحـمـدـ بنـ أـبـيـ بـكـرـ جـزـعـاـ شـدـيدـاـ يـاـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ !ـ قـالـ: وـمـاـ يـمـنـعـنـيـ ؟ـ إـنـهـ كـانـ لـيـ رـبـيـاـ وـكـانـ لـبـنـيـ أـخـاـ ، وـكـنـتـ لـهـ وـالـدـاـ ، أـعـدـهـ وـلـدـاـ». (الغارات للثقفي: ٣٠٠/١).

٥. بـقـىـ هـاشـمـ فـيـ الـكـوـفـةـ بـعـدـ أـنـ تـرـكـهـاـ عـمـهـ سـعـدـ ، ثـمـ جـاءـ مـعـ عـلـىـ عليهـ الـبـصـرةـ ،

وـأـرـسـلـهـ الـإـلـامـ عليهـ منـ ذـيـ قـارـ بـرـسـالـةـ إـلـىـ عـالـمـهـ عـلـىـ الـكـوـفـةـ أـبـيـ مـوسـىـ الـأـشـعـريـ .
ليـسـتـهـضـ المـسـلـمـينـ لـمـوـافـاتـهـ فـيـ ذـيـ قـارـ .

قالـ فـيـ فـحـجـ الـبـارـيـ (٤٨/١٣): «كـانـ عـلـيـ أـفـرـ أـبـاـ مـوسـىـ عـلـىـ إـمـرـةـ الـكـوـفـةـ ، فـلـمـ خـرـجـ منـ الـمـدـيـنـةـ أـرـسـلـ هـاشـمـ بنـ عـتبـةـ بنـ أـبـيـ وـقـاصـ إـلـيـهـ أـنـ أـنـهـضـ منـ قـبـلـكـ منـ

ال المسلمين ، وكن من أعوناني على الحق ، فاستشار أبو موسى السائب بن مالك الأشعري فقال: إتبع ما أمرك به . قال: إنني لا أرى ذلك ! وأخذ في تخذيل الناس عن النهوض ! فكتب هاشم إلى علي بذلك وبعث بكتابه مع محل بن خليفة الطائي ، فبعث على عمار بن ياسر والحسن بن علي ، يستنفران الناس » .

ورواه في شرح النهج (٩/١٤) ، وفيه: « فأبى ذلك ، وحبس الكتاب وبعث إلى هاشم يتوعده ويغوفه . قال السائب: فأتيت هاشمًا فأخبرته برأي أبي موسى ، فكتب إلى علي عليهما السلام: لعبد الله على أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة أما بعد يا أمير المؤمنين فإني قدّمت بكتابك على امرئ مشاق بعيد الود ، ظاهر الغل والشنان ، فتهددني بالسجن وخوفي بالقتل ، وقد كتبت إليك هذا الكتاب مع المحل بن خليفة أخي طه ، وهو من شيعتك وأنصارك ، وعنده علم ما قبلنا فاسأله عما بدا لك ، واكتب إلى برأيك . والسلام... فقال علي عليهما السلام: والله ما كان عندي بمؤمن ولا ناصح ، ولقد أردت عزله ، فأتاني الأشتراط فسألني أن أقره ، وذكر أن أهل الكوفة به راضون ، فأقررته » .

وروى الطبراني (٥٠١/٣) أن الأشتراط ذهب إلى الكوفة بعد عمار والإمام الحسن عليهما السلام « فأقبل الأشتراط حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس في المسجد الأعظم ، فجعل لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم ويقول: إتبعوني إلى القصر ، فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس ، فاقتصرم القصر فدخله وأبو موسى قائم في المسجد يخطب الناس ويشطبهم ، يقول: أيها الناس إن هذه فتنة عمياء صماء تطاً خطامها . النائم فيها خير من القاعد ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي ، والسايعي

فيها خير من الراكب . إنها فتنـة باقرة كداء البطن ، أتـكم من قبل مـأنـكم تـدعـ
الـحـلـيمـ فيـهـاـ حـيـرـانـ كـابـنـ أـمـسـ ، إـنـاـ مـعـاـشـ أـصـحـابـ مـحـمـدـ أـعـلـمـ بـالـفـتـنـةـ ، إـنـهاـ إـذـاـ
أـقـبـلـتـ شـبـهـتـ وـإـذـاـ أـدـبـرـتـ أـسـفـرـتـ !

وعـهـارـ يـخـاطـبـهـ ، وـالـحـسـنـ يـقـوـلـ لـهـ: اـعـتـزـلـ عـمـلـنـاـ لـأـمـ لـكـ ، وـتـنـحـ عنـ مـبـرـنـاـ .
وـقـالـ لـهـ عـهـارـ: أـنـتـ سـمـعـتـ هـذـاـ مـنـ رـسـوـلـ اللـهـ ؟ـ فـقـالـ أـبـوـسـىـ: هـذـهـ يـدـيـ بـاـ
قـلـتـ .ـ فـقـالـ لـهـ عـهـارـ: إـنـاـ قـالـ لـكـ رـسـوـلـ اللـهـ هـذـاـ خـاصـةـ ،ـ فـقـالـ: أـنـتـ فـيـهـاـ
قـاعـدـاـ خـيـرـ مـنـكـ قـائـمـاـ !ـ ثـمـ قـالـ عـهـارـ: غـلـبـ اللـهـ مـنـ غالـبـهـ ،ـ وـجـاحـدـهـ !ـ

عـنـ أـبـيـ مـرـيـمـ الثـقـفـيـ قـالـ: وـالـلـهـ إـنـيـ لـفـيـ الـمـسـجـدـ يـوـمـئـذـ وـعـهـارـ يـخـاطـبـ أـبـاـ مـوـسـىـ
وـيـقـوـلـ لـهـ ذـلـكـ القـوـلـ ،ـ إـذـ خـرـجـ عـلـيـنـاـ غـلـمـانـ لـأـبـيـ مـوـسـىـ يـشـتـدـونـ ،ـ يـنـادـونـ يـاـ أـبـاـ
مـوـسـىـ هـذـاـ الأـشـتـرـ قـدـ دـخـلـ الـقـصـرـ فـضـرـبـنـاـ وـأـخـرـجـنـاـ .ـ فـتـزـلـ أـبـوـ مـوـسـىـ فـدـخـلـ
الـقـصـرـ ،ـ فـصـاحـ بـهـ الأـشـتـرـ: أـخـرـجـ مـنـ قـصـرـنـاـ لـأـمـ لـكـ ،ـ أـخـرـجـ اللـهـ نـفـسـكـ ،ـ فـوـالـلـهـ
إـنـكـ لـمـ مـنـ الـمـنـافـقـينـ قـدـيـمـاـ !ـ قـالـ: أـجـلـنـيـ هـذـهـ الـعـشـيـةـ .ـ فـقـالـ: هـيـ لـكـ ،ـ وـلـاـ تـبـيـنـ فـيـ
الـقـصـرـ الـلـيـلـةـ .ـ وـدـخـلـ النـاسـ يـتـهـبـونـ مـتـاعـ أـبـيـ مـوـسـىـ فـمـنـعـهـمـ الأـشـتـرـ ،ـ
وـأـخـرـجـهـمـ مـنـ الـقـصـرـ وـقـالـ: إـنـيـ قـدـ أـخـرـجـتـهـ .ـ فـكـفـ النـاسـ عـنـهـ »ـ .ـ

أـقـولـ: وـافـيـ أـلـوـفـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ الـكـوـفـةـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ بـنـ يـعـيـشـ بـذـيـ قـارـ ،ـ وـسـارـوـاـ مـعـهـ إـلـىـ
الـبـصـرـةـ .ـ وـلـمـ يـؤـثـرـ فـيـهـمـ تـبـيـطـ أـبـيـ مـوـسـىـ ،ـ فـقـدـ وـاجـهـهـ عـهـارـ بـالـتـكـذـيـبـ وـفـضـحـهـ بـأـنـهـ مـنـ
أـصـحـابـ الـعـقـبـةـ الـذـيـنـ أـرـادـواـ قـتـلـ النـبـيـ ؓـ فـلـعـنـهـ لـيـلـتـهـ !ـ فـلـمـ يـنـكـرـ ذـلـكـ أـبـوـ مـوـسـىـ ،ـ
بـلـ قـالـ لـعـهـارـ: إـنـ النـبـيـ ؓـ اـسـتـغـفـرـ لـهـ بـعـدـ ذـلـكـ !ـ فـأـجـابـهـ عـهـارـ: لـقـدـ شـهـدـتـ اللـعـنـ ،ـ وـلـمـ
أـشـهـدـ إـلـيـسـتـفـارـ !ـ ثـمـ وـاجـهـهـ الأـشـتـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ بـقـوـتـهـ وـتـأـيـرـهـ فـيـ الـكـوـفـةـ .ـ

أما هاشم المرقال «فجبره معه من بنيه من كان منهم قد أثبت ، وخرج بهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذي قار ، فكان أول من قدم عليه ». (أخبار الشعراء للمرزباني / ٣٨).

٦. وكان هاشم بصيراً بمعاوية والقرشيين المخالفين لعلى عليه السلام ويري أنهم طلاب دنيا
 فقد روى نصر بن مزاحم في وقعة صفين / ٩٢: «لما أراد علي عليه السلام المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال: أما بعد فإنكم ميامين الرأي ، مراجيح الحلم ، مقاويل بالحق ، مباركو الفعل والأمر . وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم ، فأشروا علينا برأيكم . فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين فأنا بالقوم جد خبير ، هم لك ولا شيء عليك أعداء ، وهم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء ، وهم مقاتلوك ومجاهدوك لا يقونون جهداً ، مشاحة على الدنيا ، وضناً بما في أيديهم منها . وليس لهم إربة غيرها إلا ما يخدعون به الجهال من الطلب بدم عثمان بن عفان . كذبوا ليسوا بدمه يتآرون ولكن الدنيا يطّلبون . فسر بنا إليهم فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال . وإن أبويا إلا الشقاقي بذلك الظن بهم . والله ما أرアهم يبايعون وفيهم أحد من يطاع إذا نهى ويسمع إذا أمر»^٦.

٧. كان هاشم المرقال صاحب راية على عليه السلام في حرب صفين ، أبي القائد العام لجيشه
 ففي وقعة صفين / ٣٢٦: «دفع على الراية إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وكانت عليه درعان ، فقال له على كهيئة المازح: أيا هاشم ، أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً؟ قال: ستعلم يا أمير المؤمنين . والله لأنّي بين جاجم القوم

لَفَّ رَجُلٌ يُنوي الْآخِرَةَ . فَأَحْذَرَ حَمَّاً فَهَزَهُ فَانْكَسَرَ ، ثُمَّ آخَرُ فَوْجَهُ جَاسِيًّا فَأَلْقَاهُ
ثُمَّ دَعَا بِرَمْحٍ لِّينٍ فَشَدَّ بِهِ لَوَاءَهُ » .

٨. وقاتل هاشم في أيام صفين قتال الأبطال ، حتى استشهد هو وعمار في يوم واحد !

ففي وقعة صفين/٣٥٣: «عن أبي سلمة ، أن هاشم بن عتبة دعا في الناس عند المساء: ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فليقبل . فأقبل إليه ناسٌ فشد في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً ، فقاتل قتالاً شديداً ثم قال لأصحابه: لا يهولنكم ماترون من صبرهم ، فوالله ما ترون منهم إلا حية العرب وصبرها تحت راياتها وعند مراكزها ، وإنهم لعلى الضلال وإنكم لعلى الحق .

يا قوم إصبروا وصابروا واجتمعوا ، وامشو بنا إلى عدونا على تؤده رويداً واذكروا الله ، ولا يسلمن رجل أخاه ، ولا تکثروا الإلتفات ، وجالدوهم محتسين حتى يحكم الله بیننا وبينهم وهو خير الحاكمين . قال أبو سلمة: فبینا هو وعصابة من القراء يجالدون أهل الشام ، إذ خرج عليهم فتى شاب يقول:

أَنَا بْنُ أَرْبَابِ الْمَلُوكِ غَسَانٌ وَالدَّائِنُ الْيَوْمَ بْدِينِ عَثَمَانَ

أَنْبَأَنَا أَقْوَامَنَا بِمَا كَانَ أَنْ عَلِيًّا قُتِلَ ابْنُ عَفَانَ

ثم شد فلا يثنى بضرب بيشه ثم يلعن علياً ويشتمه ويسبه في ذمه ! فقال له هاشم بن عتبة: إن هذا الكلام بعده الخصم ، وإن هذا القتال بعده الحساب .

فَاتَّقُ اللَّهَ فَإِنَّكَ رَاجِعٌ إِلَى رَبِّكَ فَسَأِلُوكَ عَنْ هَذَا الْمَوْقِفِ وَمَا أَرْدَتَ بِهِ .

قال: فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلني كما ذكر لي ، وأنكم لا تصلون .
وأقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرقوه على قتله .

فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان؟ إنما قتله أصحاب محمد وقراء الناس، حين أحدث أحداً وخالف حكم الكتاب، وأصحاب محمد هم أصحاب الدين، وأولى بالنظر في أمور المسلمين. وما أظن أن أمر هذه الأمة ولا أمر هذا الدين عنك طرفة عين قط !

قال الفتى: أجل أجل ، والله لا أكذب ، فإن الكذب يضر ولا ينفع ، ويشين ولا يزين . فقال له هاشم: إن هذا الأمر لا علم لك به ، فخله وأهل العلم به . قال: أظنك والله قد نصحتني . وقال له هاشم: وأما قولك إن صاحبنا لا يصلى فهو أول من صلى مع رسول الله ﷺ ، وأفقهه في دين الله ، وأولاًه برسول الله . وأما من ترى معه فكلاهم قارئ الكتاب ، لا ينامون الليل تهجدأ . فلا يغرك عن دينك الأشقياء المغرورون !

قال الفتى: يا عبد الله إني لأظنك امراً صالحاً وأظنك مخطئاً آثماً ، أخبرني هل تجد لي من توبة؟ قال: نعم ، تب إلى الله يتوب عليك ، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، ويحب التوابين ويحب المتطهرين .

قال: فذهب الفتى بين الناس راجعاً ، فقال له رجل من أهل الشام: خدعوك العراقي! قال: لا ، ولكن نصحني العراقي » .

«ولما دفع على الرأبة إلى هاشم قال له رجل من بكر بن وائل من أصحاب هاشم: أقدم هاشم ، يكررها ، ثم قال: مالك يا هاشم قد انفتح سحرك ، أغوراً وجُنباً؟ قال: من هذا؟ قالوا: فلان . قال: أهلها وخير منها ، إذا رأيتني قد ضُرِعْتُ فخذها . ثم قال لأصحابه: شدوا شسوع نعالكم وشدوا أزركم ، فإذا

رأيتمني قد هزرت الرأبة ثلاثة ، فاعلموا أن أحداً منكم لا يسبقني إليها... ثم نظر هاشم إلى عسکر معاوية فرأى جمعاً عظيماً فقال: من أولئك؟ قيل أصحاب ذي الكلاع.. قال: من عند هذه القبة البيضاء؟ قيل معاوية وجنده . قال فإني أرى دونهم أسوده ؟ قالوا: ذاك عمرو بن العاص وابنه ومواليه . وأخذ الرأبة فهزها فقال له رجل من أصحابه: أمكث قليلاً ، ولا تعجل . فقال هاشم:

إني شربت النفس ، لن اعتلا	قد أكثر والومي وما أقلأ
لابد أن يفل أو يفلا	أعور يبغى نفسه محلا
أشدُّهم بذى الكعب شلا	قد عالج الحياة حتى ملا
فيه الرسول بالهدى استهلا	مع ابن عم أحد المعلى
أولُ من صدقه وصلى	فعجاد الكفار حتى أبلى».

وقال عليه السلام: أيها الناس، إني رجل ضخم فلا يهونكم مسقطي إن أنا سقطت ، فإنه لا يفرغ مني أقل من نحر جزور حتى يفرغ الجزار من جزرها ». (صفين/٣٥٣).

وفي الأخبار الطوال/١٨٣: «فلياً أصبح علىٰ غادي أهل الشام القتال ، ودفع رايته العظمى إلى هاشم بن عتبة فقاتل بها نهاره كله ، فلما كان العشي انكشف أصحابه انكشف ، وثبت هاشم في أهل الحفاظ منهم والنجد ، فحمل عليهم الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه طعنة جائفة ، فلم ينته عن القتال. ووافاه رسول علىٰ يأمره أن يقدم رايته ، فقال للرسول: أنظر إلى ما ي ، فنظر إلى بطنه فرأه منشقاً ! فرجع إلى عليٰ فأخبره ، ولم يلبث هاشم أن سقط ، وجال أصحابه عنه وتركوه بين القتلى ، فلم يلبث أن مات .

وحال الليل بين الناس وبين القتال ، فلما أصبح على ^{عَلَسْ} بالصلوة ، وزحف بج逐ه نحو القوم على التعبية الأولى ، ودفع الراية إلى ابنه عبد الله بن هاشم بن عتبة ، وتزاحف الفريقان فاقتتلوا . فروي عن العقّاع الظفري أنه قال: لقد سمعت في ذلك اليوم من أصوات السيف ما الرعد القاصف دونه . وعلى رضي الله عنه واقف ينظر إلى ذلك ويقول: لا حول ولا قوّة إلا بالله ، والله المستعان ، ربنا افتح بيتنا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين .

ثم حل علي نفسه على أهل الشام حتى غاب فيهم ، فانصرف مختبئاً بالدماء ،
فلم يزالوا كذلك يومهم كله والليل حتى مضى ثلثه ، وجرح علي عليه السلام خمس
جراحات ، ثلث في رأسه وأثنان في وجهه .

وقاتل هاشم هو وأصحابه قتالاً شديداً حتى أتت كتبية لتخرّج ، فشدوا على الناس فقاتلهم وهو يقول: أعور يبغى أهله ملأ.. الخ. حتى قتل تسعة نفر أو عشرة ، وحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط ». (صفين / ١٥٥). وفي أسد الثابة (٤٩ / ٥): «فقطعت رجله يومئذ ، وجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول: الفحل يحمي شوله معقول . وقيل فيه يقول أبو الطفيلي عامر بن وائلة: يا هاشم الخير جزيت الجنة... قاتلت في الله عدو السنة ».

وفي وقعة صفين / ٣٥٩، وفتح ابن الأعمش: «وفي قتل هاشم بن عتبة يقول أبو الطفيلي عامر بن وائلة وهو من الصحابة، وقيل إنه آخر من بقي من صحاب رسول الله ﷺ وشهد مع علي عليهما السلام صفين، وكان من مخلصي الشيعة: يا هاشم الخير جزيت الجنة فاتلت في الله عدوَّ السنه وأنتاركِ الحق وأهل الظنه أعظم بما فزت به من منه»

صيري الدهر كأني شنه ياليت أهلي قد علوفي رنه
من حَوْسَةٍ وعَمَّةٍ وَكِنَّهُ

«ولما قتل هاشم جزع الناس عليه جزعاً شديداً، وأصيب معه عصابة من أسلم من القراء، فمرّ عليهم على طريقهم وهم قتلوا حول أصحابه الذين قتلوا معه، فقال:

جزى الله خيراً عصبةٌ أسلاميةٌ صباح الوجه صرّعوا حول هاشم
يزيدٌ وعبد الله بشرٌ وعبّادٌ وسفيانٌ وابنا هاشم ذي المكارم
وعروة لا يبعد ثناه وذكره إذا اخترطت يوماً خفاف الصوارم

ثم قام عبد الله بن هاشم ، وأخذ الراية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس ، إن هاشمـ كان عبداً من عباد الله ، الذين قدر أرزاقهم ، وكتب آثارهم ، وأحصى أعمالهم ، وقضى آجالهم ، فدعاه ربـ الذي لا يعصي فأجابـه ، وسلم لأمر الله ، وجاهـد في طاعة ابن عم رسول الله ص وأول من آمن به ، وأفـقهـمـ في دين الله ، المخالفـ لأعداء الله المستـحلـينـ ما حرمـ الله ، الذين عملـواـ فيـ البلادـ بالـجـورـ والـفسـادـ ، واستـحوـذـ عليهمـ الشـيطـانـ ، فـزـينـ لهمـ الإـثـمـ والـعـدوـانـ ، فـحقـ عـلـيـكمـ جـهـادـ منـ خـالـفـ سـنةـ رـسـولـ اللهـ ص ، وـعـطـلـ حدـودـ اللهـ ، وـخـالـفـ أولـيـاءـ اللهـ .

فـجـوـدـواـ بـمـهـجـ أـنـفـسـكـمـ فـيـ طـاعـةـ اللهـ فـيـ هـذـهـ الدـنـيـاـ ، تـصـبـيـوـاـ الآـخـرـةـ وـالـنـزـلـ الأـعـلـىـ ، وـالـمـلـكـ الـذـيـ لـاـ يـبـلـىـ . فـلـوـ لمـ يـكـنـ ثـوـابـ وـلـاـ عـقـابـ وـلـاـ جـنـةـ وـلـاـ نـارـ ، لـكـانـ القـتـالـ مـعـ عـلـيـ أـفـضـلـ مـنـ القـتـالـ مـعـ مـعـاوـيـةـ ، اـبـنـ أـكـبـادـ . فـكـيـفـ وـأـنـتـ تـرـجـونـ مـاـ لـاـ يـرـجـونـ » . (وـقـعـةـ صـفـينـ /ـ ٣٥٦ـ) .

٩. كان هاشم من خاصة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان يازحه ، وأخبره

بيوم شهادته ، وبشره بأنه سيأكل هذا اليوم من طعام الجنة .

قال نصر /٣٤٦: «ثم إن علياً دعا في هذا اليوم هاشم بن عتبة ومعه لواؤه، وكان أعور، فقال له: يا هاشم ، حتى متى تأكل الخبز وتشرب الماء؟! فقال هاشم: لأجهدنا على ألا أرجع إليك أبداً ! قال علي عليهما السلام: إن بيازاك ذا الكلاع وعنده الموت الأخر. فتقدم هاشم ، فلما أقبل قال معاوية: من هذا الم قبل؟ فقيل هاشم المقال . فقال: أعوربني زهرة قاتله الله . فأقبل هاشم وهو يقول:

أغورُ ينفي نفسه خلاصا	مثل الفنيق لا يأساً لخلاصا
قد جرب الحرب ولا أناصا	لاديةَ بخشى ولا تصاصا
ليس برى من موته مناصا	كل امرئ وإن كبا وحاضا

وحمل صاحب لواء ذي الكلاع وهو رجل من عذرة ، وهاشم حاسر وهو يقول:

يا أغور العين وما بي من عوز	أثبت فإني لست من فرعى مضر
نحن اليانون وما فينا خور	كيف ترى وقع غلام من عذر
بنعي ابن عفان ويلحقى من غدر	سيان عندي من سعى ومن أمر

فاختلطا طعنين فطعنه هاشم فقتله ، وكثرت القتلى وحمل ذو الكلاع فاجتلى الناس ، فقتلها جميعاً . وأخذ ابن هاشم اللواء ، وهو يقول:

أهاشم بن عتبة بن مالك	أعزز بشيخ من قريش هالك
تخطبه الحيلات بالستانباتك	في أسود من نعمهن حالك
أبشر بعور العين في الأرائك	والروح والريحان عند ذلك».

١٠. وصفوا شجاعته في الفتوحات وصفين ، ومن ذلك ما في الأخبار الطوال /١٧٤:

«وخرج يوماً آخر المقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في خيل ، فخرج إليه أبو الأعور السلمي في مثل ذلك ، فاقتتلوا بين الصفين جل النهار . فلم يفر أحد».

«فحمل يومئذ يرقل إرقاً.. فجعل عمرو بن العاص يقول: إنّ لأرى لصاحب الراية السوداء عملاً لشن دام على هذا لتفنين العرب اليوم.. والتقوى الزحفان فاقتتل الناس قتالاً شديداً لم يسمع الناس بمثله.. عن أبي السفر قال: لما التقينا بالقوم في ذلك اليوم وجدناهم خمسة صنوف قد قيدوا أنفسهم بالعائم، فقتلنا صفاً صفاً حتى قتلنا ثلاثة صنوف، وخلصنا إلى الصنف الرابع، ما على الأرض شامي، ولا عراقي يولي ذيروه». (وقعة صفين/ ٣٢٧).

وقال نصر في وقعة صفين/ ٣٢٦: (ودفع على الراية إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وكانت عليه ذلك اليوم درعان، فقال له على كهيئة المازح: أيا هاشم، أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً؟ قال: ستعلم يا أمير المؤمنين ، والله لأنَّ بين جماجم القوم لفَّ رجل يبني الآخرة .).

وفي الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/ ٤٢٢: «قال المؤيد الخوارزمي: كان عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة وعبد الله بن بديل فرسان العراق ، ومerde الحرب ، ورجال المعارك ، وسيوف الأقران ، وأمراء الأخيار ، وأمراء أمير المؤمنين عليه السلام وقد أوقعوا بأهل الشام ما بقى ذكره على مرّ الأحقاب حتى احتلوا لقتلهم . وفيهم يقول الأشت ذاكراً لهم متأسفاً عليهم:

أبعد عمار وبعد هاشم
وابن بديل فارس الملاحم
أرجو البقاء ضلّ حلم العالم

وفي فتوح ابن الأعثم/ ٤٣: (وخرج عمرو بن العاص فجعل يقول:
لا عيش إن لم ألق يوماً هاشماً ذاك الذي أحجمني المجاشما
ذاك الذي يشتم عرضي ظالماً ذاك الذي أقام فينا المائما

**ذاك الذي إن ينفع مني سالماً
يكن شجى حتى المهاه لازماً**
قال: فما لبث عمرو أن خرج إليه هاشم المرقال وهو يرتجز ويقول:

لا عيش إن لم ألق يومي عمراً	ذاك الذي نذرت فيه النذرا
ذاك الذي أعزرت فيه العذرا	ذاك الذي ما زال ينوي الغدرا
أو يحدث الله لأمر أمراً	لأنجعني يا نفس صبراً صبراً
ضرباً إذا شئت وطعننا شزراً	يا ليت ما تختفي يكون قبراً

قال: ثم حل هاشم على عمرو بن العاص واختلفا بطعمتين ، فطعنه هاشم طعنة جرحه منها جراحة منكرة، فرجع عمرو إلى معاوية وجراحته تشخب دمًا» «وقد كان قال معاوية لعمرو: ويحيث ، إن اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة ، وقد كان من قبل يرقى به إرقالاً ، وإنه إن زحف به اليوم زحفاً ، إنه لليوم الأطول لأهل الشام ، وإن زحف في عنق من أصحابه إني لأطمع أن تقطّع . فلم يزل به عمار حتى حل ، فبصر به معاوية فوجه إليه حمّة أصحابه ومن يزن بالباس والنجدة منهم في ناحيته ، وكان في ذلك الجموع عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومعه يومئذ سيفان ، قد تقلد واحداً وهو يضرب بالآخر ، وأطافت به خيل علي عليه السلام فقال عمرو: يا الله ، يا رحمن ، إبني إبني ! قال: ويقول معاوية: صبراً صبراً فإنه لا يأس عليه . قال عمرو: ولو كان يزيد بن معاوية ، إذاً لصبرت ! ولم يزل حمّة أهل الشام يذبون عنه حتى نجا هارباً على فرسه ومن معه ، وأصيب هاشم في المعركة ». (وقعة صفين / ٣٤٠).

١١. خاض هاشم المرقال رضي الله عنه معارك الجهاد ، وقادها ، لمدة ربع قرن ،

في فتوح فلسطين ، والشام ، ومصر ، والعراق ، وإيران ، ثم في حروب علي عليه السلام وهي مدة طويلة ، والأهم من بطولاته: إيهانه وإخلاصه صلواته عليه!

فقد أرسله أبو بكر قائداً في فتح فلسطين والشام، قال ابن الأعثم: ٨٥ / ١، ملخصاً: «دعا أبو بكر بهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وهو ابن أخي سعيد بن أبي وقاص فقال: يا هاشم إن من سعادة جدك ووفاء حظك أنك أصبحت من تستعين به الأمة على جهاد عدوها، ومن يشق الولي بوفائه وصدقه ونصحه وبأسه وشجاعته. وقد بعث أبو عبيدة بن الجراح المسلمين يخبرونني باجتماع الكفار عليهم، فاخرج فعسكر حتى أندب إليك الناس.. قال هاشم: أفعل ذلك إن شاء الله. فعندما قام أبو بكر في الناس خطيباً فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن إخوانكم من المسلمين الذين أغزيناهم إلى الشام إلى جهاد عدوهم معافون، مدفوع عنهم مصنوع لهم، قد ألقى الله الرعب في قلوب أعدائهم، وقد جاءني كتاب أبي عبيدة يخبرني ب Herb هرقل ملك الروم من بين أيديهم ونزلوه مدينة أنطاكية، وقد اجتمع عليه خلق كثير من النصرانية. وقدرأيت أن أمد إخوانكم بجندهم فبشر الله عز وجل بكم ظهورهم، ويكبرت بكم أعداءهم ويلقي الرعب في قلوبهم، فانتدبوا رحمة الله مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، واحتسروا في ذلك الأجر العظيم فإنكم إن قاتلتم ونصرتم فهو الفلاح والغنية، وإن هلكتم فهو الشهادة والسعادة. قال: فانتدب لأبي بكر خلق كثير من همدان وأسلم وغفار ومزينة ومراد والأزد، وجميع القبائل».

وقال ابن الأعثم: ٩٥ / ١: «ثم سار هاشم بن عتبة في ثلاثة آلاف مجهر ، حتى قدم على أبي عبيدة بن الجراح ، قال: فَسَرَّ أَبُو عَبِيدَةَ وَجْهُ الْمُسْلِمِينَ بِقَدْوَمِ هَاشِمٍ بْنِ عَتَبَةَ وَمَنْ مَعَهُ سَرْوَرًا شَدِيدًا» .

وكانت أول مشاركة هاشم في معركة أجنادين ، وهي المعركة الفاصلة التي فتحت على أثرها فلسطين ، وقادها هاشم مع خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنها ، فكان هو قائد الميسرة في معارك فتح فلسطين والشام: أجنادين ومرج الصفر وفي حل واليرموك ، وكان خالد بن سعيد قائد الخيل كلها ، في المارك الأربع .

ففي تاريخ دمشق: ٦٦ / ٦: «عن سهل بن سعد الأنباري قال: كانت وقعة أجنادين وقعة عظيمة ، كانت بالشام وكانت في سنة ثلاث عشرة في جمادى الأولى ، فذكر بعض أمرها ، ثم ذكر إغاثة الروم لأهل دمشق حين حصارها ، قال: فتركوا مرج الصفر ، فقصد المسلمين صددهم ، وخرج إليهم أهل القوة من أهل دمشق وصحبهم ناس كثير من أهل حمص ، فالقوم نحو من خمسة عشر ألفاً . فلما نظر إليهم خالد عبا لهم كتبة يوم أجنادين ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسره هاشم بن عتبة ، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن نفيل ، وترك أبا عبيدة في الرجال ، وزحف إليهم ..». وقد صاحب ابن عساكر إسم سعيد بن زيد بخالد بن سعيد ، وهو الصحيح ، كما يأنـى .

وفي تاريخ اليعقوبي: ١٤٠ / ٢: «وقد كان الروم لما بلغهم إقبال أبي عبيدة تحولوا إلى فحل ، فعجاً أبو عبيدة المسلمين فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسره هاشم بن عتبة ، وعلى الرجال سعد بن زيد ، وعلى الخيل خالد بن الوليد (بن سعيد) وأقبلت الروم فكان أول من لقيهم خالد (بن سعيد لأنـه في جيش

شريحيل) فهزم الله الروم وطلبووا الصلح ، على أن يؤدوا الجزية ، فأجاههم أبو عبيدة إلى ذلك وانصرف ، وخلف عمرو بن العاص على باقي الأردن ».

وقال بن الأعثم: ١٥١/١: «ثم حل خالد بن الوليد وحمل معه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، في زهاء ألف رجل من أهل الصبر واليقين ، فنفقوها تعبية الكفار وكسروا صفوفهم بعضها على بعض ». وخالد هنا هو ابن سعيد كما يأبى:

وقال البلاذري: ١٦٠/١: «وذهب يوم اليرموك عين الأشعث بن قيس ، وعين هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، وهو المرقال ، وعين قيس بن مكتشو . واستشهد عامر بن أبي وقاص الزهري ، وهو الذي كان قدم الشام بكتاب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بولايته الشام ».

١٢. وبعد اليرموك مباشرة سارع هاشم في نخبة من جيش المسلمين من الشام إلى العراق ، للمشاركة في معركة القادسية .

ففي تاريخ اليعقوبي: ١٤٤/٢: «ثم أصبحوا من غيد فوافاهم ستة آلاف من جيش أبي عبيدة بن الجراح ، وهم الذين كانوا مع خالد بن الوليد: خمسة آلاف من مصر وربعة ، وألف من أثناء المسلمين ، عليهم المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وكان فتح الشام قبل القادسية بشهر ، فأصبحوا في اليوم الثالث على مواقفهم ، وأخرج رستم الفيلة فلما نظرت إليها الكتائب كادت أن تفرق ، ثم حمل المسلمون عليها ففقأوا أعينها وقطعوا مشافرها .

وزحف المسلمون وأصبحوا في اليوم الرابع وللمسلمين العلو ، وقتل رستم ، وقع عليه عدل كان على بغل فقتله ، وكان الذي طرح عليه العدل هلال بن علفة ، وصعد على سريره وصاح: قلت رستم ورب الكعبة ، إلى إلّي ! وقيل

قتله زهير بن عبد شمس بن أخي جرير بن عبد الله ، وقتل منهم مقتلة عظيمة وانكشفوا مدبرين ، وجمعت الأموال والأسلاط وبيع سلب رستم فبلغ سهم الرجل لكل فارس أربعة عشر ألفاً ، وسهم الرجل سبعة آلاف ومائة ، ورضخ لعيال الشهداء من صلب الفئ ، ورضخ للنساء من صلب الفئ ، فأما العبيد فإنهم عفواً ، وأوفد سعد إلى عمر وفداً فأجازهم عمر ثمانين ديناراً ثمانين ديناراً.

وكان بالقادسية من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر سبعون رجلاً ، ومن أهل بيعة الرضوان ومن شهد الفتح مائة وعشرون ، ومن أصحاب رسول الله مائة . ونفرت جميع الفرس إلى المدائن منهزمين ، لا يلوون على شيء ، ويزدجرد الملك بها ، فاتبعهم سعد (أي هاشم) بال المسلمين فحاصرهم شهرًا وخمسة عشر يوماً ثم خرج الفرس هاربين ، وفتحت المدائن ، وقيل إن ذلك كان في سنة ١٦.

وفي الطبرى: ٦٢٧/٢: «قدم على أبي عبيدة كتاب عمر بأن اصرف جند العراق إلى العراق وأمُّرُهم بالخت ، إلى سعد بن مالك . فأمَّرَ على جند العراق هاشم بن عتبة ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، وعلى مجنبتيه عمر بن مالك الزهرى وربعي بن عامر ، وضربوا بعد دمشق نحو سعد ، فخرج هاشم نحو العراق في جند أهل العراق ، وخرج القواد نحو فحل ، وأصحاب هاشم عشرة آلاف ، إلا من أصيب منهم ، فأتمواه بأناس من لم يكن منهم ، منهم قيس والأشر». يقصد أن الأشر وقيساً ولعله قيس بن سعد بن عبادة ، كانوا جريحين فبقيا في الشام ، ولم يشاركا في القادسية ، لكن الأشر كان يطارد جيش الروم ، حتى وصل بهم إلى جبال اللكام في تركيا ، كما سيأتي في محله .

وفي تاريخ الطبرى: ٦٠/٣: «قدم هاشم في أهل العراق من الشام ، فتعجل في أناس ليس معه أحد من غيرهم إلا نفر ، منهم ابن المكشوح ، فلما دنا تعجل في ثلاثة مائة ، فوافق الناس وهم على مواقفهم فدخلوا مع الناس في صفوفهم . قدم هاشم بن عتبة القادسية يوم عيام ، فكان لا يقاتل إلا على فرسن أثني لا يقاتل على ذكر ، فلما وقف في الناس رمى بسهم فأصاب أذن فرسه ، فقال: واسوأاته من هذه ، أين ترون سهمي كان بالغا ولم يصب أذن الفرس؟ قالوا: كذا وكذا . فأجال فنزل وترك فرسه ، ثم خرج يضر بهم حتى بلغ حيث قالوا». وفي تاريخ دمشق: ٤٩٦/٤٩: «وأمدhem يعني أبا عبيدة بن الجراح لأهل القادسية بتسعة عشر رجلاً من شهد اليرموك ، منهم عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، وطليحة بن خويلد الأسدى ، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهرى ، والأشعث بن قيس الكندى ، وقيس بن مكشوح المرادي ». .

وفي تاريخ الطبرى: ٥٩/٣: فلما ذر قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل وطلعت نوافصها كبار وكبار الناس وقالوا جاء المدد ، وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها ، فجاؤوا من قبل خفان فتقىدم الفرسان وتكتبت الكتائب ، فاختلفوا الضرب والطعن ومددهم متتابع ، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم وقد طلعوا في سبع مائة ، فأخبروه برأي القعقاع وما صنع في يوميه ، فعبأ أصحابه سبعين سبعين فلما جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه ، فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث ، ولم يكن من أهل الأيام إنما أتى من اليمن اليرموك فانتدب مع هاشم ، فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب كبار ، كبار المسلمين وقد أخذوا مصافهم ..

وقد بات المشركون في علاج تراييبيهم حتى أعادوا وأصيروا على مواقفهم ، وأقبلت الفيلة معها الرجال يحملونها أن تقطع وُضُنْهَا ، ومع الرجال فرسان يحملونهم ، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه لينفروا بهم خيلهم ، فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس ، لأن الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش ، وإذا أطافوا به كان آنس ، فكان القتال كذلك حتى عدل النهار ، وكان يوم عباس من أوله إلى آخره شديداً، العرب والعمجم فيه على السواء ، ولا يكون بينهم نقطة إلا تعاورها الرجال بالأصوات (كالبريد) حتى تبلغ يزدجرد ، فيبعث إليهم أهل النجدات ، من يبقى عنده فيقرون بهم ، وأصبحت عنده للذى لقى بالأمس الإمداد على البرد ، فلو لا الذي صنع الله لل المسلمين بالذى ألم القعقاع في اليومين ، وأناح لهم بهاشم لكسر ذلك المسلمين».

وفي تاريخ الطبرى: «قدم هاشم بن عتبة من قبل الشام معه قيس بن المكشوح المرادي في سبع مائة بعد فتح اليرموك ودمشق ، فتعجل في سبعين فيهم سعيد بن نمران الهمداني . قال مجالد: وكان قيس بن أبي حازم مع القعقاع في مقدمة هاشم.. فتعجل في أنس ليس معه أحد من غيرهم إلا نفر ، منهم ابن المكشوح ، فلما دنا تعجل في ثلاثة فوائق الناس وهم على مواقفهم فدخلوا مع الناس في صفوفهم .. كان اليوم الثالث يوم عباس ولم يكن في أيام القادسية مثله ، خرج الناس منه على السواء كلهم على ما أصابه كان صابراً».

وفي تاريخ الطبرى: «فأنهزموا حتى انتهوا إلى الصراة ، فطلبناهم فانهزموا حتى انتهوا إلى المدائن ، فكان المسلمين بكوثى وكان مسلحة المشركين بدير المسلاح ، فأناهم المسلمين فالتقوا فهزهم المشركون حتى نزلوا بشاطئ دجلة ،

فمنهم من عبر من كلواذى ومنهم من عبر من أسفل المدائن.. وعلى مقدمة سعد هاشم بن عتبة ». .

حصار المسلمين للمدائن

١٣ . وحاصر المسلمون المدائن شهوراً، وقيل تسعه أشهر ، وقيل أكثر من ذلك

وكانوا يترامونهم بالمجنيق والسهام . قال في معجم البلدان: ١/٥١٥: «بهر سير.. إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن.. كان معناه خير مدينة أردشير ، وهي في غرب دجلة ، وقد خربت مدائن كسرى ولم يبق ما فيه عمارة غيرها ، وهي تجاه الإيوان ، لأن الإيوان في شرق دجلة وهي في غريبه.. وفي كتاب الفتوح: لما فرغ سعد بن أبي وقاص من القادسية سار حتى نزل بهر سير ففتحها وأقام عليها تسعه أشهر وقيل ثانية ، حتى أكلوا الرطب مرتين ، ثم عبر دجلة فهرب منهم يزدجرد ، وذلك في سنة خمس عشرة وست عشرة ». .

وفي فتوح البلاذري: ٢/٣٣٨: «لما فرغ سعد بن أبي وقاص من وقعة القادسية ، وجه إلى المدائن فصالح أهل الرومية وبهر سير ، ثم افتتح المدائن وأخذ أسبابنر وكر دينداذ عنوة ، فأنزلها جنده فاحتوروها ». .

وفي تاريخ الطبرى: ٣/١١٧: «نزل المسلمون على بهر سير وعليها خنادقها وحرسها وعدة الحروب فرمواهم بالمجانيق والعرادات ، فاستصنت سعد شيرزاد المجانيق فنصب على أهل بهر سير عشرين من مجنيقاً ، فشغلوهم بها». .

وفي فتوح الواقدي: ١٩٧/٢: «فلما نظر سعد إلى ذلك دعا سرزاد وقال له: إن أهل هذا البلد لم يتركوا للصلح موضعًا ، وأريد منكم أن تصنعوا لنا مجانيق ففعل سرزاد وعمل مجانيق ، فما مضت ثلاثة أيام حتى صنع له ذلك ونصب له ذلك على نهمشير ، أكثر من عشرين منجنيناً فأشغلوهم بها عن قتال المسلمين ، والعرب فرحت بذلك ، فلما طال على البلد الحصار خرجوا يقاتلون المسلمين وتباعوا على الصبر ، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً ، وترامت الفرس بنشابها والعرب بنباها».

وهنا ظهرت شجاعة هاشم وبطوله ، مقتدياً بإمامه ومولاه أمير المؤمنين عليه السلام: قال الواقدي: ١٩٧/٢: «فلما تربت الصفوف كان أول من برع واشتهر وسما وافتخر فيروز ورطن بالفارسية وقال: يا هؤلاء العرب لقد أطعمتم أنفسكم فيها لا تصلون اليه ، وسأط ظنونكم وزعمتم أنكم تملكون العراق وتأخذونه من أيدي الأكاسرة ، وهذا ظن لا يصير أبداً ! ونحن كتيبة كسرى أولوا الشدة والباس والقوة والراس ، وأنا مقدمهم والرئيس فيهم ، فليبرز إلى مقدمكم وي فعل مثل ما فعلت أنا من بين قومي . قال فما استلم كلامه حتى خرج اليه هاشم بن المرقان يجر قناته من ورائه ، وحمل عليه وحصل بينهما حرب يشيب منها الطفل ، ثم إن هاشماً طعنه في صدره فأطلع السنان من ظهره ! قال: فلما قتل هاشم ورجع إلى المسلمين قبّله سعد بين عينيه .. فكتب سعد إلى أمير المؤمنين .. وإننا نزلنا على نهمشير بعد ما لقينا فيما بين القادسية ونهمشير عسكراً مع قرط بن فيروز ، وظفرنا الله به وبمن معه ، وإن فيروز قتل هاشم ، وانهزم

من بقي معه ، ونزلنا بعد ذلك على نهمشير ، وبثنا عساكرنا فأصابوا من الفلاحين ألف نفر فما رأيك فيهم؟».

ثم ذكر الواقدي أن المسلمين حاصروا المدينة شهرين ، حتى هرب يزدجرد ، فدخلوها بدون مقاومة .

وقال الواقدي في فتح الشام: ٢٠٩: «لما انهزمت الفرس من المدائن واستولى عليها سعد بن أبي وقاص .. وأنشد عاصم بن عمر في ذلك:

شهدنا بعون الله أفضل مشهد	بأكم من يقوى على كل موكب
ركبنا على الجرد الجياد سوابحاً	بكل قناة بل بكل مقضب
وكننا بعون الله لا نرعوى إذا	تبادر طعن كالغمام المشطب
وكان جهاداً قد ملكنا بأمره	من الملك مستعلى البناء المذهب
ترانا وإننا في الحروب أسودها	لنا العزم لا يخفى لكل مجرب
نجول ونحمي والرماح شوارع	ونطعن يوم الحرب كل خبيب
قدمنا على كسرى بشدة حربنا	وما حربنا في النابات بمختببي».

٤ . وبعد قيادته فتح المدائن ، قصد هاشم تجمّع الفرس في جلولاء وحائقين ،

ففي تاريخ الطبرى: ٧٩/٣: «ثم إن الفرس هربت من ديرقرة إلى المدائن يريدون نهاوند ، واحتملوا معهم الذهب والفضة والديباج والفرند والحرير والسلاح وثياب كسرى وبناته ، وخلوا ما سوى ذلك ، وأتبعهم سعد الطلب من المسلمين ، فبعث خالد بن عرفة حليف بنى أمية ، ووجه معه عياض بن غنم في أصحابه ، وجعل على مقدمة الناس هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى

ميمتهم جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى مسیرتهم زهرة بن حوية التميمي ، وتخلف سعد لما به من الوجع ، فلما أفرق سعد من وجده ذلك اتبع الناس بمن بقى معه من المسلمين حتى أدركهم دون دجلة على بحر سير .

فلما وضعوا على دجلة العسكر والأنقال طلبو المخاضة فلم يهتدوا لها حتى أتى سعداً علّج من أهل المدائن فقال: أدلّكم على طريق تدركونهم قبل أن يمعنوا في السير، فخرج بهم على مخاضة بقطربيل فكان أول من خاض المخاض هاشم بن عتبة في رجله فلما جاز اتبعته خيله ، ثم أجاز خالد بن عرفطة بخيله ، ثم أجاز عياض بن غنم بخيله ، ثم تابع الناس فخاضوا حتى أجازوا ، فزعموا أنه لم يهتد لتلك المخاضة بعد .

ثم ساروا حتى انتهوا إلى مظلم ساپاط فأشفق الناس أن يكون به كمين للعدو فتردد الناس وجيروا عنه ، فكان أول من دخله بجيشه هاشم بن عتبة ، فلما أجاز اللاح للناس بسيفه ، فعرف الناس أن ليس به شيء تخافونه ، فأجاز بهم خالد بن عرفطة ، ثم لحق سعد بالناس حتى انتهوا إلى جلواء وبها جماعة من الفرس فكانت وقعة جلواء بها فهزم الله الفرس ، وأصاب المسلمين بها من الفسق أفضل ما أصابوا بالقادسية ، وأصيب ابنه لكرى يقال لها منتجانة ، ويقال بل ابنه ابنه ». وال الصحيح أن سعداً لم يكن في الجيش الذي قصد جلواء .

وفي تاريخ الطبرى: ١١٣/٣: « ثم إن سعداً أرتحل بعد الفراغ من أمر القادسية كله .. ثم أتبعهم هاشم بن عتبة وقد ولاد خلافته عمل خالد بن عرفطة ، وجعل

خالداً على الساقية ، ثم أتبعهم وكل المسلمين فارس مؤدٌ ، قد نقل الله إليهم ما كان في عسكر فارس من سلاح وكراع ومال ، لأيام يقين من شوال ..».

وفي تاريخ الطبرى: ١١٦/٣: «ثم إن سعداً قدم زهرة إلى بهرسir (المدائن) فمضى زهرة من كوثي في المقدمات حتى ينزل بهرسir ، وقد تلقاه شيرزاد بساباط بالصلح وتأدبة الجزاء ، فأمضاه إلى سعد ، فأقبل معه وتبعته الجنبات : وخرج هاشم وخرج سعد في أثره ، وقد فلَّ زهرة كتيبة كسرى بوران حول المظلوم ، وانتهى هاشم إلى مظلوم ساباط (الاتفاق) ووقف لسعد حتى لحق به ، فوافق ذلك رجوع المُقرَط أسدٌ كان لكسرى قد ألهه وتخيره من أسود المظلوم (أسود حالية النفق) وكانت به كتائب كسرى التي تدعى بوران ، وكانوا محلفون بالله كل يوم لا يزول ملك فارس ما عشنا . فبادر المقرط الناس حين انتهى إليهم سعد ، فنزل إليه هاشم فقتله ، فقتل سعد رأس هاشم».

«وقيل نظر هاشم إلى الناس قد أحجموا ووقفوا فقال: ما لهم؟ فقيل له: أسد قد منعهم ، ففرح هاشم الناس وقصد له فثاورة الأسد وضربه هاشم فقطع وصليه كأنها احتمم غضباً ، ووقيعت الضربة في خاصرته». (الروض المعطار/ ٢٩٧).

أقول: الذي فلَّ كتيبة كسرى أو كتيبة بوران بقتل قائدها هو هاشم رضي الله عنه ، وليس زهرة بن حوية ، كما نصت الروايات .

١٥. وقاد هاشم المقال جيش المسلمين في معركة جلواء الكبرى ، وبعدها ،

في تاريخ الطبرى: ١٣٤/٣، عن محفَّز قال: «إني لفي أوائل الجمهور مدخلهم ساباط ومظلمها ، وإنني لفي أوائل الجمهور حين عبروا دجلة ودخلوا المدائن ، ولقد

أصبت بها تمثالاً لو قسم في بكر بن وائل لسد منهم مسداً، عليه جوهر فأديته،
فما لبتنا بالمداين إلا قليلاً حتى بلغنا أن الأعاجم قد جمعت لنا بجلولاء جمعاً
عظيماً، وقدمو عبادتهم إلى الجبال، وحبسو الأموال».

أقول: تقع جلولاء في شمال شرق بغداد قرب الحدود العراقية الإيرانية ، وتبعد عن
بغداد ١٨٠ كيلو متراً ، وقد اخنذها الفرس مركزاً لتجتمع القوات الآتية من أنحاء
إيران لنجدتها يزدجرد في المداين . وعندما انهزم يزدجرد في المداين هرب إلى خانقين مع
من بقي من جيشه ، ثم هرب في مجموعة قليلة إلى حلوان ، ثم إلى أصفهان .

ونجع في جلولاء جيش الفرس في مئة ألف كما روي ، وجاءهم جيش المسلمين
وكان اثنى عشر ألفاً بقيادة هاشم المرقال ، وروي أربع وعشرون ألفاً.

وفي الطبراني: «فَفَصَلَ هاشمُ بْنُ عَتَّبٍ النَّاصِيُّ الْمَدَائِنِيُّ فِي صَفَرِ سَنَةِ سَتِّ
عَشَرَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ آلَفَّاً، مِنْهُمْ وجوهُ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَعْلَامِ الْعَرَبِ، مِنْ
أَرْتَدِ وَمَنْ لَمْ يَرْتَدْ، فَسَارَ مِنَ الْمَدَائِنِ إِلَى جَلْوَلَاءَ أَرْبِيعاً، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ وَاحْاطَ
بِهِمْ، فَحَاصِرُهُمْ وَطَاوِلُهُمْ أَهْلُ فَارِسَ، وَجَعَلُوا لَا يَخْرُجُونَ عَلَيْهِمْ إِلَّا إِذَا أَرَادُوا
وَزَاحَفُوهُمْ بِجَلْوَلَاءَ ثَانِيَنِ زَحْفًا، كُلُّ ذَلِكَ يَعْطِي اللَّهَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ
الظُّفَرَ، وَغَلَبُوا الْمُشْرِكِينَ عَلَى حَسْكِ الْخَشْبِ، فَاخْتَذَلُوا حَسْكَ الْحَدِيدِ».

والحسك ، قطع مستنة من حديد أو خشب ترمي على الأرض لتدعوها الخيل فتعقر
أقدامها أو تصاب .

٦. وانشغل سعد بخزائن كسرى في المداين ، وكتب له هاشم والمسلمون
يطلبون حضوره إليهم فحضر على مضمض ، ورجع ولم يذهب معهم إلى حلوان!

قال ابن الأعثم في الفتوح (٢١٦/١): «ورحل المسلمون من جلواء إلى خانقين فنزلوها يومهم ذلك ، ثم رحلوا منها إلى قصر شيرين فنزلوها ، وكتبوا إلى سعد بن أبي وقاص يستأذنوه في التقدم إلى حلوان ، ويحيثونه على المصير إليهم ليكون لهم ملجاً وسندًا يلتجؤون إليه ويساوروه في أمورهم ، وقد كان سعد علياً فتباطأ عنهم ولم يصر إليهم ، وكتب إليهم يأمرهم بالتقدم إلى حلوان ! قال: فغضب المسلمون لقعود سعد عنهم وإبطائه عن نصرتهم ، ثم أنشأ إبراهيم بن حارثة الشيباني يقول في ذلك:

أما بال سعد خام عن نصر جيشه
وأقسم با الله العلي مكانه
لو ان المثنى كان جيأ لأصحرا
وقاتل فيها جاهداً غير عاجز
كشاداته يوم البجيلة معلماً
بريد بما يبلي الشواب الموفرا
وضارب بالسيف الحسام مقدماً
ولكن سعداً لم يرد أجر يومه

قال: فبلغت سعداً هذه الآيات فكانه تحرك للمسير على عنته ، ثم دعا سليمان الفارسي فاستخلفه على المدائن ، وأوصاه بحفظ الغنائم ، وصار فيمن معه من أصحابه حتى لحق بال المسلمين ، وهو يومئذ نزول بقصر شيرين فنزل معهم يومهم ذلك . فلما كان من غدنادي في الناس بالرحيل إلى حلوان ، فرحل ورحل الناس معه ، وبلغ ذلك منوشهر بن هرمزان المقيم بحلوان ، فخرج عن حلوان هارباً حتى لحق بيزدرجرد وهو في جمع أصحابه . وأقبل سعد بن أبي وقاص وعلى مقدمته جرير بن عبد الله البجلي ، حتى دخل حلوان ، فأنشأ عبد الله بن قيس الأزدي يقول:

فأبلغ أبا حفص بأن خيولنا
بحلوان أضحت بالكماء كجمجم
ونحن دهناها صباحاً بفليق
جرير علينا في الكتبية معلم
ونحن أبدنا الفرس في كل موطن
بجمع كمثل الليل والليل مظلوم
نقاتل حتى أنزل الله نصره
وسعد بياب القادسية مُغصّم
فأبنا وقد أئمَّت نساءً كثيرةً
ونسوة سعد ليس فيهن آيُّم
أولئك قومي إن سمعت بمعشرى
وموقع أيسارى إذا نيل مغنمٌ».

أقول: لاحظ أن إبراهيم بن المثنى رضي الله عنهما كان في جلولاء ، وأنه كان من هجا
سعداً لعدم مشاركته المسلمين في الحرب ، وعيَّره أبيه المثنى ، فتحرّك سعد !

وقال البلاذري: «فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على الميمنة ، وعمرو
بن معدى كرب على الخيل ، وطليحة بن خويلد على الرجال ، وعلى الأعاجم
يومئذ خرزاد أخو رستم . فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ، رميَا بالنبال
وطعنَا بالرماح حتى تقصفت ، وتجالدوا بالسيوف حتى انشت .

ثم إن المسلمين حملوا حملة واحدة قلعوا بها الأعاجم عن موقفهم وهزموهم ،
فولوا هاربين ، وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً حتى حال الظلام
بينهم ، ثم انصرفوا إلى معسكرهم .

وجعل هاشم بن عتبة جرير بن عبد الله بجلولاء في خيل كثيفة ليكون بين
المسلمين وبين عدوهم . فارتخل بزجاجد من حلوان ، وأقبل المسلمون بغيرون
في نواحي السواد ، من جانب دجلة الشرقي ، فأتوا مهروذ ، فصالح دهقاتها
هاشماً على جريب من دراهم ».

١٧ . بقي هاشم المرقال القائد العام لجيش المسلمين من القادسية إلى نهاوند ،
 فقد جعله عمه سعد خليفة والقائد العام لجيش الفتح ، بدل خالد بن عرفة ،
 قال الطبرى: «ثم إن سعداً ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسية كله وبعد
 تقدم زهرة بن الحوية في المقدمات إلى اللسان ، ثم أتبعه عبد الله بن المعتم ، ثم
 أتبع عبد الله شرحبيل بن السمط ، ثم أتبعهم هاشم بن عتبة ، وقد ولأه خلافته
 عمل خالد بن عرفة ، وجعل خالداً على الساقية ، ثم أتبعهم ». .

فقد كان سعد والي العراق ، لكنه لا يباشر الحرب بنفسه ، بل اعتمد على خالد بن
 عرفة العذري وهو كالمراسل عنده فجعله خليفته في معركة القادسية . ولما جاء ابن
 أخيه هاشم من البرموك جعله خليفته بدل ابن عرفة .
 ثم ذهب سعد إلى المدائن ، لكن بعد فتحها أو بعد أن حاصرها المسلمون شهوراً ،
 وظهرت علامات فتحها .

ثم أرسل سعد هاشم الجيش بقيادة المرقال إلى جلواء ، فكانت معركة شديدة انتصر
 فيها المسلمون ، وألحوا على سعد بالحضور فحضر . ثم أرسل الجيش إلى حلوان ،
 ورجع هو إلى المدائن ، وقسم الغنائم ورجع إلى الكوفة .
 وكان هاشم يباشر المعركة بنفسه ويديرها ، واستمر في منصبه القيادي حتى بعد أن
 عزل عمر سعداً عن ولاية الكوفة ، وولى عمار بن ياسر ، فقد اعتمد عمار على هاشم
 أيضاً في الإعداد لمعركة نهاوند .

١٨ . كان الإعداد لمعركة نهاوند على عاتق عمار وهاشم ، ثم النعيمان وحذيفة ،
 فقد كان فتح المدائن ضربة موجعة للفرس هرب بسببها ملكهم يزدجرد ،
 واستطاع المسلمون أن يحتلوا بقية العراق ، وينتصروا على بقية جيشه في جلواء

و خانقين و حلوان . هذا من جهة بغداد والكوفة ، أما من جهة البصرة فقد فتحوا أكثر الأهواز ، فاتصلت فتوحاتهم من الجانبين .

لكن الفرس رغم ذلك استعادوا المبادرة ، و جمعوا قوات كبيرة في نهاوند بلغت مائة و خمسين ألفاً ، واستعادوا كثيراً من المناطق التي فتحها المسلمون داخل إيران و كتب عمار بن ياسر إلى الكوفة إلى عمر بن الخطاب ، كما في فتوح ابن الأعمش: ٢٩١/٢: «قد اجتمعوا بأرض نهاوند في خمسين و مائة ألف ، من فارس و راجل من الكفار ، وقد كانوا أمرروا عليهم أربعة من ملوك الأعاجم ، منهم ذو الحاجب خرزاد بن هرمز ، و ستفاد بن حشروا ، و خهانيل بن فيروز ، و شروميان بن إسفنديار ، وإنهم قد تعااهدوا و تعاقدوا و تحالفوا و تکاتبوا و توافقوا و توافدوا على أنهم يخروننا من أرضنا و يأتونكم من بعدينا . و هم جمع عتيد و يأس شديد و دواب فره و سلاح شاك ، و يد الله فوق أيديهم . فإني أخبرك يا أمير المؤمنين أنهم قد قتلوا كل من كان منا في مدنهم ، وقد تقاربوا بما كنا فتحناه من أرضهم ، وقد عزموا أن يقصدوا المدائن و يصيروا منها إلى الكوفة ، وقد والله هالتا ذلك وما أتنا من أمرهم و خبرهم .».

وفي الأخبار الطوال/ ١٣٣ : «ثم كانت وقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين ، و ذلك أن العجم لما قتلوا بجلولاء ، و هرب يزدجرد فصار بقم ، و وجه رسle في البلدان يستجيشه ، فغضب له أهل مملكته ، فتحلبت إليه الأعاجم من أقطار البلاد ، فأناه أهل قومس و طبرستان و جرجان و دنباؤند والري وأصبهان و هذان والماهين ، و اجتمعت عنده جموع عظيمة ، فول أمرهم مردان شاه بن هرمز ،

ووجههم إلى نهاوند . وكتب عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فخرج عمر بن الخطاب ، وبيده الكتاب حتى صعد المنبر .. ». وقد ذكرنا جانبًا من أدوار هؤلاء الشيعة الأربعية في معركة نهاوند رضوان الله عليهم.

١٩ . وذكر الواقدي أن هاشم المرقال شارك بعد القادسية في فتوح الشام ومصر

قال الواقدي في فتوح الشام: ١٤٧: «وقسم الأمير أبو عبيدة عسكر المسلمين أربع فرق ، فبعث فرقة مع المسيب بن نجدة الفزارى ، فنزل بهم على باب الجبل مما يلي باب الصغير ، وبعث فرقة أخرى مع المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، فنزل بهم على باب الرستق ، وبعث فرقة أخرى مع يزيد بن أبي سفيان ، فنزل على باب الصغير . وزحف المسلمون إليهم من كل مكان وقاتلواهم بقية يومهم هذا ، وسهام الروم تصل إليهم فيتلقونها بالحجف ، ونبال العرب تصل إليهم وإلى من بأعلى السور فأثرت لأجل ذلك .. ».

وفي فتوح الشام: ١٥١: «قال الواقدي: عن ثابت بن قيس بن علقة قال: كنت من حضر عند أبي عبيدة ، فعند ذلك دعا أهل الرأي والمشورة من أصحاب رسول الله ﷺ وقال لهم: إن هذا حصن شديد منيع ليس لنا إلى فتحه سبيل إلا بالحيلة والخداعة ، وأريد أن أجعل منكم عشرين رجلاً في عشرين صندوقاً ، وتكون الأفقال عندهم من باطنها ، فإذا صاروا في المدينة فنثروا على اسم الله تعالى ، فإنكم تنصرون على من فيها من المشركين . فقال خالد بن الوليد فإذا عزمت على ذلك فلتكن الاقفال ظاهرة ويكون أسفل الصناديق أنشى في ذكر من غير شيء يمسكها ، فإذا حل أصحابنا في حصن من هؤلاء القوم يخرجون جملة

واحدة ويكتبون فإن النصر مقرون بالتكبير ، فأصحابه أبو عبيدة إلى ذلك ، وأخذ صناديق الطعام المختبأة عند الروم ، ففضن أسافلها وجعلوها ذكرًا في أنشى فأول من دخل في الصناديق ضرار بن الأزور ، والمسيب ابن نجية ، ذو الكلاع الحميري ، وعمرو بن معد يكرب الزيدي ، والمرقال هاشم بن عتبة ، وقيس بن هبيرة ، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، ومالك بن الأشتر ، وعوف بن سالم وصابر بن كلكل ، ومازن بن عامر ، والأصيد بن سلمة ، وربيعة بن عامر وعكرمة بن أبي جهل ، وعتبة بن العاص ، ودارم بن فياض العبسي ، وسلمة بن حبيب ، والفازع بن حرملة ، ونوفل بن جرعل ، وجندب بن سيف ، وعبد الله بن جعفر الطيار ، وجعله أميرًا عليهم ، وسلموا الصناديق إلى الروم . فلما حطت الصناديق في الرستن ألقاها نقيطاس في قصر إمارته ، وارتحل الأمير أبو عبيدة ، وسار حتى نزل في قرية يقال لها السودية ، فلما أظلم الليل بعث خالد بن الوليد بجيشه الرمح إلى الرستن ينظر ما يكون من أصحابه ، وما فعلت الصحابة ، فسار خالد بن الوليد برجاته حتى وصل القنطرة وإذا بالصباح قد علا والتهليل والتكبير من داخل مدينة الرستن .

قال الواقدي: كان من أمر الصحابة أنه لما رکهم نقيطاس في دار إمارته ركب إلى البيعة مع بطريقته وأهل مدنته ليصلوا صلة الشكر ، لأجل رحيل المسلمين منهم ، وارتقت أصواتهم بقراءة الإنجيل وسمع أصواتهم أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخرجو من الصناديق وشدوا على أنفسهم وشهروا سلاحهم ، وقضوا على امرأة نقيطاس وحريمه ، وقالوا نريد مفاتيح الأبواب فسلمتها إليهم ، فلما حصلت المفاتيح في أيديهم رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلة والسلام

على البشير النذير ، وكبس القوم على أبواب مديتها فلم يجروا عليهم لأنهم بدون عدة وسلاح ، وبعث عبد الله بن جعفر الطيار ربيعة بن عامر والأصيد بن سلمة وعكرمة بن أبي جهل وعتبة بن العاص والفارع بن حرملة ، وسلم إليهم المفاتيح وقال: إفتحوا الأبواب وارفعوا أصواتكم بالتهليل وإخوانكم المسلمين من حول المدينة كاملون ، فتبارد الخمسة إلى الباب القبلي ، وهو باب حصن وفتحوه ، ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة ، وإذا هم بعسكر الرزحف وعلى المقدمة خالد بن الوليد ، فأجابوهם بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة ، وسمع أهل الرستن أصوات أصحاب رسول الله ﷺ فعلموا أنهم في قبضتهم ، وأن مديتها قد أخذت من أيديهم فاستسلموا جميعاً..».

وقال الواقدي: ٢٣٠ / ١: «ثم دعا بالمرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وضم إليه خمسة آلاف فارس مع جمع من المسلمين ، وسرحه على أثر شرجيل بن حسنة ، وقال له: إنزل على حصنها (بيت المقدس) وأنت منعزل عن أصحابك».»

وقال الواقدي: ٢٢٢ / ٢: «وكان الصحابة لما فتحت مصر والوجه البحري قد تفرقوا ، فمنهم في الإسكندرية وأمسوس ودمياط ورشيد وبلبيس ، وكان أكثرهم بوسط البحيرة في المكان المعروف بالمتزللة ، مثل القعقاع بن عمرو التميمي ، وهاشم بن المرقال ، وميسرة بن مسروق العبسي ، والمسيب بن نجمة».»

أقول: الرستن هو نهر العاصي ، وهذه المدينة التي قال الواقدي إنهم فتحوها بهذه الحيلة ، هي مدينة العاصي قرب حمص ، ولا نعرف وجود مدينة بهذا الإسم هناك ، وأكبر ظني أن القصة من الموضوعات !

وينبغى التنبيه الى أمثال هذه القصة في فتوح العراق والشام ومصر، والمرجع أنها موضوعة لإثبات بطولة المسلمين وذكر المعجزات التي رافقت الفتوحات ، أو البطولات الخارقة لبعض القادة والفرسان ، وقد يكون الواحد منهم ميناً قبل تلك القصة المدعاة بسنين كضرار بن الأزور ! وقد تتضمن القصة أو الأسطورة خللاً تاريخياً أو جغرافياً واضحاً فاضحاً !

لذلك لا يمكننا قبول معركة الرستن ولا معركة فتح دمشق والقدس، لأن كل هذه المدن سقطت بهزيمة الروم في اليرموك ، وتوديع هرقل لسوريا ، وانسحابه منها الى القسطنطينية . وكذلك انسحب الروم من مصر فكان فتحها صلحآ بدون قتال . أما معركة ذات الصواري فكانت بعد فتح مصر ببضع عشرة سنة ، وقد وقعت مع الروم وليس مع الأقباط .

والقاعدة العامة لفهم واقع الفتوحات: أن ننطلق من الأحداث والمعارك القطعية وهي في العراق غارات المتنى على الحاميات الفارسية والمحلية ، ومعركة بابل والجسر والبويب والقادسية وجلواء ونهاوند .

وفي فلسطين: معركة أجنادين ومرج الصفر وفحول واليرموك .

٢٠. كان هاشم المقال إخوة قادة ، وكان أبناؤه أكثر شبهآ به و كانوا شيعة مثله
 ومن إخوته حزة بن عتبة ، وكان مع علي عليهما السلام في صفين واستشهد فيها. كافي وقعة صفين، وذكر الحاكم نافع بن عتبة: ٣: ٤٣٠، وذكره ابن حبان في ثقاته: ٣: ٤١٢،
 وذكر أن له صحبة ورواية ، وأنه هو الذي استشهد في صفين .

وذكر البخاري في تاريخه الصغير: ٧٢، ابنه هاشم بن هاشم ، وذكره ابن حبان في ثقاته: ٣٤٢ ، والذهبي في سيره: ٦/٦٠ . وذكر خليفة/ ١٨٥ ، ابنه إسحاق بن هاشم . وذكر ابن حجر في الإصابة: ٢٠١ ، ابنه سليمان ، وفي تقريب التهذيب: ٢٢٩ ، ابنه حفصاً . كما ذكروا له ابنتين استشهدتا معه في صفين ، وأنها المقصودان بقول أمير المؤمنين عليهما السلام في رثائهما: «وابنا هاشم ذي المكارم . لكن في رواية شرح النهج: ٨/٣٤: وابنا عبد ذي المكارم . وذكر له في تاريخ دمشق: ٣٤٧ / ٣٣: ثلاثة أولاد ، قال: (عبد الرحمن وعبد الله وعبد الملك ، وأمهن أمية بنت عوف .. من الأزد) . وذكر الإصابة: ٤/٦٠ ، ابنته درة . لكن أشهر أبنائه عبد الله ، الذي نص ابن مازام وغيره من المؤرخين على أن أمير المؤمنين عليهما السلام أعطاه الرأبة في صفين بعد شهادة أبيه فخطب خطبة بلية سجلها الرواة . واشتهر في أجوبته المفحة لمعاوية وعمرو بن العاص ، لما قبض عليه بعد صفين .

ففي شرح النهج: ٣٢، ومروج الذهب: ٨/٣، عن أبي عبد الله المرزباني قال: إن معاوية لما تم له الأمر بعد وفاة علي عليهما السلام بعث زياداً على البصرة ونادي منادى معاوية: أمن الأسود والأحر بأمان الله ، إلا عبد الله بن هاشم بن عتبة ! فمكث معاوية يطلبه أشد الطلب ولا يعرف له خبراً ، حتى قدم عليه رجل من أهل البصرة فقال له: أنا أذلكك على عبد الله بن هاشم بن عتبة ، أكتب إلى زياد فإنه عند فلانة المخزومية ! فدعا كاتبه فكتب: من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان ، أما بعد ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعمد إلى حي بني مخزوم فقتشه داراً داراً حتى تأتى إلى دار فلانة المخزومية ، فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها ، فاحلق رأسه وألبسه جبة شعر وقيده وغل يده إلى عنقه وأحمله على قتب بغير وطاء ولا غطاء ، وانفذ به إلى ... فاقتحم الدار

واستخرج عبد الله منها ، فأنقذه إلى معاوية ، فوصل إليه يوم الجمعة وقد لاقى
نصباً كثيراً ، ومن المثير ما غير جسمه ، وكان معاوية يأمر بطعم ، فيتخد في
كل جمعة لأشراف قريش ولأشراف الشام ووفود العراق .

فلم يشعر معاوية إلا وعبد الله بين يديه وقد ذيل وسَهْمَ وجهه فعرفه ولم يعرفه
عمرو بن العاص ، فقال معاوية: يا أبا عبد الله ، أتعرف هذا الفتى؟ قال لا ،
قال: هذا ابن الذي كان يقول في صفين:

إِنِّي شَرَيْتُ النَّفْسَ لِمَا أَعْتَلَ
وَأَكْثَرَ اللَّسُومَ وَمَا أَقْلَ
أَعُورُ بِيغِيْ أَهْلَهُ مَحَلَّاً
قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَّا
أَشْلَهُمْ بَذِي الْكَعْبَ شَلَّا
لَا بَدَأْنَ يُفْلِّ أَوْ يُقْلَا
لَا خَيْرٌ عِنْدِيْ فِي كَرِيمٍ وَلَّ

فقال عمرو متمثلاً:

وَقَدْ يَبْنَتُ الْمَرْعَى عَلَى دَمْنِ التَّرَى وَتَبْقَى حَزَارَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَا
دُونَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الضَّبِّ الضَّبِّ ، فَاشْخَبَ أَوْدَاجَهُ عَلَى أَسْبَاجِهِ ، وَلَا
تَرَدَّهُ إِلَى أَهْلِ الْعَرَاقِ ، فَانْهَ لَا يَصْبِرُ عَلَى النَّفَاقِ ، وَهُمْ أَهْلُ غَدْرٍ وَشَقَاقِ ،
وَحَزْبُ إِبْلِيسِ لِيَوْمِ هِيجَاءِ ، وَأَنَّ لَهُ هُوَ سِيرَدِيهِ ، وَرَأِيَا سِيَطَغِيهِ ، وَبِطَانَةَ
سِقْرَوِيهِ ، وَجَزَاءَ سِيَّئَةِ مِثْلِهِ .

فقال عبد الله: يا عمرو إن أُقتل فرجلٌ أسلمه قومه وأدركه يومه ، أفلًا كان هذا
منك إذ تجند عن القتال ، ونحن ندعوك إلى التزال ، وأنت تلوذ بسمال النطاف ،
وعقائق الرصاص ، كالآلة السوداء ، والتعجة القوداء ، لا تدفع يد لامس !

فقال عمرو: أما والله لقد وقعت في هاذم شَدْقُم للأقران ذي لبد ، ولا أحسبك
منفلتاً من مخالib أمير المؤمنين.

فقال عبد الله: أما والله يا ابن العاص إنك لبطر في الرخاء ، جبان عند اللقاء ،
غشوم إذا وليت ، هيبة إذا لقيت ، تهدر كما يهدى العَوْد المنكوس المقيد ، بين
مجرى الشول لا يستعجل في المدة ، ولا يرتجى في الشدة ، أفالا كان هذا منك إذا
غمرك أقوام لم يعنفوا صغراً ، ولم يمزقوا كباراً ، لهم أيد شداد ، وألسنة حداد ،
يدعمون العوج ، ويذهبون الخرج ، يكثرون القليل ، ويشفون الغليل ، ويعزون
الذليل ، ويذهبون الخرج ، يكثرون القليل ، ويشفون الغليل ، ويعزون الذليل !
فقال عمرو: أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه ، وتبق أمعاؤه ،
وتضطرب أطلاوه ، كأنها انطبق عليه صمد .

فقال عبد الله: يا عمرو ، إننا قد بلوناك ومقاتلك فوجدنا لسانك كذوباً غادراً ،
خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجند لا يسامونك ، ولو رمت المنطق في غير أهل
الشام لحظ عليك عقلك ، ولتلجلج لسانك ، ولا ضطراب فخذاك اضطراب
القَعْود الذي أثقله حلمه . فقال معاوية: إيهَا عنكما ، وأمر باطلاق عبد الله ، فقال
عمرو لمعاوية: أمرُكْ أمرًا حازماً فعصيتك ، وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه يا معاوية الذي أعاد علياً يوم حزَّ الغَلَاصِم فلم يثنى حتى جرت
من دمائنا بصفين أمثال البحور الخضار ، وهذا ابنه والمرءُ يُشبَه شيخه ويوشك
أن تقع به سن نادم ! فقال عبد الله يحييه:

معاويَ إن المرء عمرًا أبْتُ له ضغينةً صدرَ غُشْها غير نائم
يرى لك قتلي يا ابن هند وإنما يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجم

على أنهم لا يقتلون أسيرون
إذا منعت عنهم عهود المسلمين
وقد كان منا يوم صفين نفرة
عليك جنابها هاشم وابن هاشم
قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى
ولا ما جرى إلا كأضفاف حالم
فإن تعف عنني تعف عن ذي قربة
فإن تَسْرَ قتلي تستحل محارمي

فتقال معاوية:

أرأى العفو عن علباً قريش وسيلة
إلى الله في يوم العصيّب القهاطر
ولست أرأى قتلي الغدّة ابن هاشم
بإدراك ثأري في لؤي وعامر
بل العفو عنه بعدما بان مجرمه
وزلت به إحدى الحدود العوائـر
فكان أبوه يوم صفين جرة
 علينا فأردته رمـاح نـابـر .

أقول: كان معاوية يتحالـم ، لأنـه لا يريد أن يفتح معركة مع بنـي زـهرـة ، فـيكون لهم ثـأـرـعـنـدـهـ بـقـتـلـ ابنـ المـرقـالـ . أـمـاـ عمـروـ العـاصـ فـلاـ يـعـرـفـ الـخـلـمـ وـلـاـ التـحـالـمـ .

سلمان الفارسي المحمدي رضي الله عنه

١. نشأ سلمان في أصفهان على المحوسبة، ثم أعجبته المسيحية فهاجر إلى الشام،

وعاش مع كبير علماء النصارى ، ثم ذهب إلى العراق ، ثم إلى تركيا ، حيث كان كبير علمائهم ، فأخبره بأنه سيظهر نبي في بلاد العرب ، فجاء سلمان إلى أرض العرب يتظاهر ظهوره ، فوجد جماعة من اليهود يتظرونوه أيضاً.

ففي كمال الدين / ١٦١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (كان بين عيسى وبين محمد صلوات الله عليه وآله وسلام خمس مائة عام ، منها مائتان وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر . قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا متمسكون بدين عيسى عليه السلام . قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا مؤمنين . ثم قال: ولا تكون الأرض إلا وفيها عالم . وكان من ضرب في الأرض طلب الحجة سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فلما يزل ينتقل من عالم إلى عالم ومن فقيه إلى فقيه ، ويبحث عن الأسرار ويستدل بالأخبار ، متظراً لقيام القائم سيد الأولين والآخرين محمد صلوات الله عليه وآله وسلام أربع مائة سنة ، حتى يبشر بولادته فلما أيقن بالفرج خرج يريد تهامة فسبى ». أي أخذ على أنه عبد وباعوه .

ووجد سلمان في المدينة امرأة فارسية جاءت قبله تتضرر النبي الموعود صلوات الله عليه وآله وسلام ! (قال سلمان: لما قدمت المدينة رأيت امرأة إصبهانية كانت قد أسلمت قبله ، فسألتها عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلام فهي التي دلتني على رسول الله ». (طبقات المحدثين بأصبهان لابن حبان: ١/ ١٢٣ ، والإصابة لابن حجر: ٨/ ٢٩ ، وأخبار إصبهان: ١/ ٤٤) .

وفي إعلام الورى: ٦٠ / ١: «وكان آخر من أتى أبي ، فمكث عنده ما شاء الله ، فلما

ظهر النبي ﷺ قال أبي: يا سليمان إن صاحبك الذي تطلبه بمكة قد ظهر ، فتوجه إليه سليمان ». أي آخر عالم نصراني عاش معه سليمان إسمه أبي .

وقال له الراهب: «أي بني والله ما أعلم بقي أحد على مثل ما كنا عليه . ولكنه قد أظل ذلك زمان نبي يبعث من الحرم ، مهاجره بين حرثين إلى أرض سبخة ذات نخل . وإن فيه علامات لا تخفي: بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل المدية ولا يأكل الصدقة . فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل ، فإنه قد أظل ذلك زمانه . فلما واريناه أقمت على خير حتى مر بي رجال من تجار العرب من كلب ، فقالت لهم: تحملوني معكم حتى تقدموني أرض العرب وأعطيكم غنمتى هذه وبقراتي؟ قالوا: نعم ، فأعطيتهم إياها وحملوني حتى إذا جاءوا بي وادي القرى ظلموني فباعوني عبداً من رجل من يهود بوادي القرى .^٤

ثم باعه مالكه إلى بني قريطة في المدينة ، وبقي نحو سنتين حتى هاجر النبي ﷺ: «فواه الله إني لفني رأس عذق إذ جاء ابن عم له فقال: قاتل الله بنى قيناء ، والله إنهم الآن لفني قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنهنبي ! فواه الله ما هو إلا أن سمعتها فأخذتني العرواء يقول الرعدة حتى ظنت لأسقطن على صاحبي ، ونزلت أقول: ما هذا الخبر وما هو؟ فرفع مولاي فلكلمني لكمة شديدة وقال: ما لك وهذا ، أقبل قبل عملك ! فقلت: لاشيء ، إنما سمعت خبراً وأحيبت أعلمه فلما أمسكت وكان عندي شيء من طعام فحملته وذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بقبا فقلت: إنه بلغني أنك رجل صالح وأن معلمك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندي شيء للصدقة فرأيتمكم أحق من بهذه البلاد به فها هو هذا فكل منه ، فأمسك رسول الله ﷺ يده وقال لأصحابه: كلوا ولم يأكل ، فقلت في نفسي: هذه

خلة مما وصف لي صاحبي .. فاستدرت لأنظر إلى الخاتم في ظهره فلما رأي رسول الله ﷺ استدير عرف أني أستثبت من شئ قد وصف لي ، فوضع رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كفيه كما وصف لي صاحبي ، فأكبت عليه أقبله وأبكي ! فقال: تحول يا سليمان هاكني ، فتحولت فجلست بين يديه ، وأحب أن يسمع أصحابه حديثي فحدثته». (سيرة ابن إسحاق: ٦٨ / ٥ وأحمد: ٤٤٣).

وقال سليمان: «فكت أسفقي كما يسفى البعير ، حتى دَبَرَ ظهري وصدرني (جُرح) من ذلك ، ولا أجد أحداً يفقه كلامي ، حتى جاءت عجوز فارسية تستفي فكلمتها ففهمت كلامي ، فقلت لها: أين هذا الرجل الذي خرج دليني عليه؟ قالت: سيمير بك بكرة إذا صلي الصبح». (أخبار أصبهان: ١ / ٧٦).

٢. كان سليمان رضي الله عنه في أعلى درجات الإيمان ، بعد المعصومين

ففي الحصال / ٤٤٧ ، عن عبد العزيز القراطسي قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عبد العزيز، إن الإيمان عشر درجات ، بمنزلة السلم ، يُصعد منه مِرْقَأةً بعد مِرْقَأةً ، فلا يقولون صاحب الواحدة لصاحب الاثنين لست على شئ . حتى تنتهي إلى العاشرة . ولا تسقط من هو دونك فيسقطك الذي هو فوقك . وإذا رأيت من هو أسفل منك فارفعه إليك برفق ، ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره ، فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره . وكان المقداد في الثامنة ، وأبو ذر في التاسعة ، وسلامان في العاشرة».

وقال الإمام الصادق ع: «أدرك سليمان العلم الأول والعلم الآخر ، وهو بحر لا يُنْزَح ، وهو من أهل البيت .. وكان عنده الإسم الأعظم». (الكتبي: ١ / ٥٢ و ٥٦).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «كان سليمان مُحدَّثاً. قال قلت: فما آية المحدث؟ قال: يأته مَلَكٌ فينكت في قلبه كيت وكيت». (بصائر الدرجات / ٣٤٢).

٣. لم يرو المسلمون لأحد بعد النبي صلوات الله عليه وسلم من المعجزات والكرامات ، كما رووا لأهل البيت المعصومين عليهم السلام. ولم يرووا لأحد من الصحابة معجزات وكرامات كما رووا لسليمان الفارسي رضوان الله عليه . فشخصيته شبيهة بشخصيات الأنبياء عليهم السلام في علمه ، ومنطقه ، وسيرته ، وبقية ملامح شخصيته .

فقد أعده الله تعالى من شبابه ونشأته ليكون من آيات رسوله صلوات الله عليه وسلم ، وعاش عمرًا طويلاً ، ليكون شاهداً على وراثة النبي صلوات الله عليه وسلم لعيسى المسيح عليه السلام ورسالته . وأعطاه من العلم والأسرار ما يعجز عن حمله أكثر الناس . ومن العقلانية والحكمة والصبر ما جعل النبي صلوات الله عليه وسلم يشترط على أبي ذر عندما آخر بينهما ، أن يطيعه ولا يعصيه ، وكان حذيفة وأمثاله تلاميذ بين يديه !

وأعطاه من قوة الإرادة والأعصاب أنه كان يحمل الإسم الأعظم ، فلا تردد له دعوه ، لكنه لا يدعو لأغراضه الشخصية ، بل لتبلیغ الدين وهدایة الناس ! وجعل معه ملكاً يحدثه ويوجهه كيف يتصرف ، فيقول له: إعمل كذا ، ولا تعمل كذا ، وقل كذا ، أو لا تقل ! وجعل الملائكة يسمعون كلامه ويطيعونه ! ففي أمالی الطوسي / ١٢٨: «مرض رجل من أصحاب سليمان فافتقده فقال: أين صاحبكم؟ فقالوا: مريض. قال: إمشوا بنا نحوه فقاموا معه ، فلما دخلوا على الرجل إذا هو يجود بنفسه ، فقال سليمان: يا ملك الموت إرفق بولي الله . قال ملك

الموت بكلام يسمعه من حضر: يا أبا عبد الله ، إني أرفق بالمؤمنين ، ولو ظهرت لأحد لظهرت لك ! »

وقد تبلغ كرامات سليمان ومعجزاته رضي الله عنه مئات معجزة ، من إخباره بغيض ، إلى رده السهام بقراءة آية عندما كان يفاؤض الرماة من أبراج قصر كسرى ، إلى تكليمه الظباء ومجيئها إليه طائعة ، إلى تسخيره الكلاب لحراسة المدائن ودفع السراق .. الخ.

٤ . كان سليمان أبيض اللون ، بهي الطلعة والشيبة ، قوي البنية ، عاش طويلاً ،
وروي أنه عاش نحو ٥٠٠ سنة ، وأدرك حواريي المسيح عليه السلام ، وقيل ٣٦٠ سنة ، وأقل قول في عمره ٢٥٠ سنة . وروي أنه اسمه روز به (الواقدي: ٢٠٤ / ٢) أي النهار الحسن ، وفي ذكر أخبار إصبهان: ١/٤٨ ، إسمه ماهويه بن بدخشان بن آذر جشنس ، من ولد منوشهر الملك . وقد آمن بالنبي عليه السلام عند هجرته ، واشترأه النبي عليه السلام من مالكه وأعتقه ، فهو مولى رسول الله عليه السلام .

ففي مسند أحمد: ٥/٣٥٤: (وكان لليهود فاشتراه رسول الله عليه السلام بكلذا وكذا درهماً ، على أن يغرس نخلاً فيعمل سليمان فيها حتى تطعم . قال: فغرس رسول الله عليه السلام النخل إلا نخلة واحدة غرسها عمر ، فحملت النخل من عامها ولم تحمل النخلة ، فقال رسول الله عليه السلام: ما شأن هذه؟ قال عمر: أنا غرستها يا رسول الله . قال فنزعها رسول الله عليه السلام ثم غرسها فحملت من عامها) .
واكتمل تحرير سليمان رضي الله عنه بعد حرب أحد ، فشهد حروب النبي عليه السلام بعدها ، وكان من خواص أصحابه وحواريه .

٥. كان سليمان يعمل في حفر الخندق بقدر عشرة رجال فأصابوه بالعين فعالجه

النبي ﷺ ! ففي الإمتناع (١/٢٢٦) وسبل الهدى (٤/٣٦٥): «وجعل لسلامان خمس أذرع طولاً وخمساً في الأرض ففَرَغَها وحده ، وهو يقول: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة.. وكان سليمان يعمل عمل عشرة رجال حتى عانه قيس بن أبي صعصعة ، فلُبِطَ به (أصحابه بالعين فصرع) فقال رسول الله ﷺ: مروه فليتوصل له وليرغسل به سليمان ، وليكتفى الإناء خلفه ، ففعلا فكأنها حُلَّ من عقال».

ولُبِطَ به الأرض: «صرع من عين أو حمى أو أمر يغشاه شبه مفاجأة». (العين: ٧/٤٣).
ومروه فليتوصل له: أي يصل الذبي أصحابه بالعين بيديه في طشت أو إناء ، فيصبه سليمان على بدنـه ، ويلقـي ما باقـي منه خلفـه . ففعلـوا ذلك فصحـ سليمان ونهضـ .

وروى البيهقي بمعنىـه (٩/٥١) أنـ عامـرـ بـنـ رـبيـعـةـ مـرـأـةـ عـلـىـ سـهـلـ بـنـ حـنـيفـ وـهـوـ يـغـتـسـلـ فـقـالـ: لـمـ أـرـ كـالـيـوـمـ وـلـاـ جـلـدـ مـخـبـأـةـ (أـيـ لـاـ تـصـلـ إـلـىـ جـاهـةـ الـجـارـيـةـ الـمـخـدـرـةـ)ـ !ـ فـإـنـاـ لـمـ لـمـ لـبـطـ بـهـ ،ـ فـأـتـيـ النـبـيـ ﷺـ فـقـيلـ لـهـ: أـدـرـكـ سـهـلـاـ صـرـبـعـاـ ،ـ فـقـالـ:ـ مـنـ تـهـمـونـ بـهـ؟ـ قـالـواـ عـامـرـ بـنـ رـبيـعـةـ ،ـ فـقـالـ عـلـىـ مـ يـقـتـلـ أـحـدـكـمـ أـخـاهـ !ـ إـذـاـ رـأـيـ مـاـ يـعـجـبـهـ فـلـيـدـعـ بـالـبـرـكـةـ .ـ وـأـمـرـهـ أـنـ يـتـوـضـأـ وـيـغـسـلـ وـجـهـ وـيـدـيـهـ إـلـىـ مـرـفـقـيـهـ وـرـكـبـيـهـ دـاخـلـةـ إـزارـهـ ،ـ وـيـصـبـ المـاءـ عـلـيـهـ .ـ قـالـ مـعـمـرـ قـالـ الزـهـرـيـ:ـ وـيـكـفـيـ الإنـاءـ مـنـ خـلـفـهـ).

وفي المناقب: ٧٥: «وكان الناس يخرون الخندق وينشدون ، سوى سليمان، فقال النبي ﷺ: اللهم أطلق لسان سليمان ولو على بيته من الشعر، فأنشأ سليمان:

على عدوي وعدو الظهرا محمد المختار حاز الفخراء

حتى أتال في الجنان قصرها مع كل حوراء تحاكي البدراء

فضح المسلمين وجعلت كل قبيلة تقول: سليمان منا، فقال النبي ﷺ: سليمان من أهل البيت).

٦. اشتهر تشيع سليمان رضي الله عنه بموافقه واحتجاجه عند وفاة النبي ﷺ،

وقد رویت عنه أحاديث كثيرة احتاج بها على أهل السقية ، واستنكر إقصاءهم
لعلي عليه السلام وبيتهم لأبي بكر ، وقال: كردید ونکردید ، حق علي را بردید ! أي
 فعلتم وما فعلتم ، حق علي عليه السلام عصبتم !

وقال: « أما والله لقد فعلتم فعلةً أطمعتم فيها الطلاقاء ولعناء رسول الله صلوات الله عليه وسلم !
ولو بايتم علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم .

قال ابن عمر: فلما سمعت سليمان يقول ذلك أبغضته وقلت: لم يقل هذا إلا
بغضاً منه لأبي بكر . فأبقياني الله حتى رأيت مروان بن الحكم يخطب على منبر
رسول الله صلوات الله عليه وسلم فقلت: رحم الله أبا عبد الله ، لقد قال ما قال بعلم كان عنده».
(أنساب الأشراف للبلذري: ١/٥٩١، ٥٩١، والثاقب في المناقب/ ١٢٩، والإياضح/ ٤٥٧).

وفي الاحتجاج: ١/١٥١، عن الإمام الصادق عليه السلام: « خطب سليمان الفارسي بعد أن
دفن النبي صلوات الله عليه وسلم ثلاثة أيام فقال: ألا يا أيها الناس: إسمعوا عني حديثي ثم
اعقلوه عنى ، ألا وإنني أوتيت علمًا كثيراً ، فلو حدثكم بكل ما أعلم من فضائل
أمير المؤمنين عليه السلام لقالت طائفة منكم هو مجتون ، وقالت طائفة أخرى: اللهم
اغفر لقاتل سليمان ! ألا إذ لكم منياباً تتبعها بلايا ، ألا وإن عند علي عليه السلام علم
المنايا والبلايا وميراث الوصايا ، وفصل الخطاب ، وأصل الأنساب ، على

منهاج هارون بن عمران من موسى إذ يقول له رسول الله ﷺ: أنت وصيي في
أهل بيتي وخليفي في أمتي ، وأنت مني بمتزلة هارون من موسى !
ولكنكمأخذتم سنةبني إسرائيل ، فأخطأتهم الحق ، فأنتم تعلمون ولا تعلمون !
أما والله لتركبنا طبقاً عن طبق ، حذوا النعل بالنعل ، والقذة بالقذة !
أما والذى نفس سليمان بيده لو وليتموها علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت
أقدامكم ، ولو دعوتم الطير لأجابتكم في جو السماء ، ولو دعوتم الحيتان من
البحار لأنتم ، وما عال ولـي الله ، ولا طاش لكم سهم من فراغـنـ الله ، ولا
اختـلـفـ اثـنـانـ في حـكـمـ الله .

ولـكـنـ أـبـيـتـ فـوـلـيـتـمـوـهـاـ غـيـرـهـ ، فـأـبـشـرـوـاـ بـالـبـلـاـيـاـ ، وـاقـطـوـاـ مـنـ الرـخـاءـ ، وـقـدـ
نـابـذـتـكـمـ عـلـىـ سـوـاءـ ، فـانـقـطـعـتـ الـعـصـمـةـ فـيـمـاـ بـيـنـيـ وـبـيـنـكـمـ مـنـ الـوـلـاءـ !
عـلـيـكـمـ بـآلـ مـحـمـدـ فـإـنـهـ الـقـادـةـ إـلـىـ الـجـنـةـ ، وـالـدـعـةـ إـلـيـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ .
عـلـيـكـمـ بـأـمـيرـ المـؤـمـنـينـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ ، فـوـالـلـهـ لـقـدـ سـلـمـنـاـ عـلـيـهـ بـالـوـلـاـيـةـ وـإـمـرـةـ
المـؤـمـنـينـ مـرـأـجـةـ مـعـ نـبـيـنـاـ ، كـلـ ذـلـكـ يـأـمـرـنـاـ بـهـ وـيـؤـكـدـهـ عـلـيـنـاـ !ـ فـمـاـ بـالـقـوـمـ
عـرـفـوـاـ فـضـلـهـ فـحـسـدـوـهـ ، وـقـدـ حـسـدـ هـاـيـلـ قـاـيـلـ فـقـتـلـهـ !ـ وـكـفـارـ أـقـدـ اـرـتـدـتـ أـمـةـ
مـوـسـىـ بـنـ عـمـرـانـ ، فـأـمـرـ هـذـهـ أـمـةـ كـأـمـرـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ ، فـأـيـنـ يـذـهـبـ بـكـمـ !

أـيـهـاـ النـاسـ : وـيـحـكـمـ مـاـ لـنـاـ وـأـبـوـ فـلـانـ وـفـلـانـ ؟ـ أـجـهـلـتـمـ أـمـ تـجـاهـلـتـمـ ؟ـ أـمـ حـسـدـتـمـ
أـمـ تـحـاـسـدـتـمـ ؟ـ وـالـلـهـ لـتـرـتـدـنـ كـفـارـأـ يـضـرـبـ بـعـضـكـمـ رـقـابـ بـعـضـ بـالـسـيـفـ ، يـشـهـدـ
الـشـاهـدـ عـلـىـ النـاجـيـ بـالـهـلـكـةـ ، وـيـشـهـدـ الشـاهـدـ عـلـىـ الكـافـرـ بـالـجـاهـةـ !

أـلـاـ وـإـنـ أـظـهـرـتـ أـمـرـيـ وـسـلـمـتـ لـنـبـيـ ﷺـ ، وـاتـبـعـتـ مـوـلـايـ وـمـوـلـيـ كـلـ مـؤـمـنـ
وـمـؤـمـنةـ عـلـيـأـمـيـرـ المـؤـمـنـينـ ، وـسـيـدـ الـوـصـيـنـ ، وـقـائـدـ الغـرـ المـحـجـلـينـ ، وـإـمـامـ

الصديقين ، والشهداء والصالحين ».

أقول: ركز سليمان في احتجاجه على أهل السقيةة على علم علي عليهما السلام، وأن الذين يريدون عزله ليس عندهم علم الكتاب ولا علوم رسول الله عليهما السلام .
ثم ركز على الرخاء والرفاهية والتائج المادية التي سيتحققونها لو ولوا علينا عليهما السلام .

٧. شهد سليمان رضي الله عنه جميع حروب النبي ﷺ بعد أن تحرر من العبودية
ثم شارك في فتوحات العراق وإيران والشام ومصر ، وكان في فتح العراق وإيران داعية المسلمين ورائهم ، أي المفاوض عنهم ، وكان وجوده مؤثراً في إقناع بعض قادة الفرس بالتسليم وعدم الحرب ، وإقناع بعضهم بالإسلام .
قال الطبرى في تاريخه: ٩/٣: «بعث عمر الأطبة ، وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباھلی ذا النور ، وجعل إليه الأقباض وقسمة الفئ ، وجعل داعييهم ورائهم سليمان الفارسي » .

وفي تاريخ الطبرى: ١٢٤/٣: «عن عطية بن الحارث وعطاء بن السائب ، عن أبي البختري قال: كان رائد المسلمين سليمان الفارسي ، وكان المسلمون قد جعلوه داعية أهل فارس . قال عطية: وقد كانوا أمروه بدعاء أهل بهرسير . وأمروه يوم القصر الأبيض فدعاهم ثلاثة . قال عطية وعطاء: وكان دعاؤه إياهم أن يقول: إني منكم في الأصل ، وأنا أرق لكم ، ولكم في ثلاث أدعوكم إليها ، ما يصلحكم: أن تسلمو ، فإن خواننا لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإنما فالجزية ، وإنما نابذنكم على سواء ، إن الله لا يحب الخائن . قال عطية: فلما كان اليوم الثالث في بهرسير أبوا أن يحييوا إلى شيء ، فقاتلهم المسلمون حين أبوا . ولما كان

اليوم الثالث في المدائن ، قبل أهل القصر الأبيض وخرجوا ، ونزل سعد القصر الأبيض ، واتخذ الإيوان مصلى ، وإن فيه لتماثيل جص فيها حركها ».

وفي سنن الترمذى: ٥٢/٣، وذكر أخبار إصبهان: ٥٥: «عن أبي البحترى: أن جيشاً من جيوش المسلمين كان أميرهم سليمان الفارسى، فحاصرهوا قصراً من قصور فارس فقيل: يا أبا عبد الله ألا تهـدـ إلىهم؟ قال: دعوني أدعـوـهم كما سمعت رسول الله ﷺ يـدعـوـهم. قال: فأتاـهـمـ سـليمـانـ فـقالـ لهمـ: إنـماـ أناـ رـجـلـ منـكـمـ فـارـسـيـ تـرـوـنـ العـرـبـ تـطـيعـنـيـ، فـإـنـ أـسـلـمـتـمـ فـلـكـمـ مـثـلـ الـذـيـ لـنـاـ وـعـلـيـكـمـ مـثـلـ الـذـيـ عـلـيـنـاـ وـإـنـ أـبـيـتـ إـلـاـ دـيـنـكـمـ تـرـكـنـاـكـمـ عـلـيـهـ، وـأـعـطـيـتـمـوـنـاـ الـجـزـيـةـ عـنـ يـدـ وـأـنـتـمـ صـاغـرـونـ، وـأـنـتـمـ غـيرـ مـحـمـودـينـ. وـإـنـ أـبـيـتـ نـابـذـنـاـكـمـ عـلـىـ سـوـاءـ. قال: فـرـطـنـ لـهـمـ بالـفـارـسـيـةـ. رـوـاهـ زـائـدـةـ عـنـ عـطـاءـ فـيـهـ فـقـالـوـاـ: وـمـاـ الـجـزـيـةـ قـالـ: درـمـ وـخـاـكـتـ بـسـرـ».

ومعناه: أن تعطي المال وأنت ذليل . وهذا يدل على أن سليمان كان قائداً في الفتح، مضافاً إلى أنه داعية المسلمين ورائدتهم . ونستطيع أن نقدر له أدواراً غير معروفة ، ونرجح أن يكون ساعد في إقناع الفرس بعدم المقاومة ، وفي دخول شخصيات منهم في الإسلام ، وربما كان منهم الهرمزان الذي هو خال شiroوية ابن كسرى ، وكان حاكماً للأهواز وقائداً في معركة القادسية وغيرها ، ثم استأثر للمسلمين في معركة تستر ، وأخذه عمار بن ياسر إلى المدينة ، وأمنه عمر ، وأسلم على يد علي فصار مولى علي عليه السلام.

٨. ألقن سليمان العربية فكان يتكلّم بها وقد ينظم الشعر، لكن بقيت عنده لكتةٌ
فارسية ، ولذلك كان يقدم أحد الصحابة الفصحاء ليخطب الجمعة ويصلّي

باليهود ، ففي طبقات ابن سعد: ١٢٤/٦، عن أبي قادمة: «أنه كان في جيش عليهم سليمان الفارسي ، فكان يؤمهم زيد بن صوحان ، يأمره بذلك سليمان ». .

وفي مصنف ابن أبي شيبة: ١٧/٨: «كان سليمان أمير المدائن ، فإذا كان يوم الجمعة قال لزيد: قم فذكر قومك ». .

أقول: هذا من فقه سليمان رضي الله عنه وتقواه ، فهو يقدم من هو أفعى منه ، للخطبة والصلوة . وفي قوله لزيد: ذكر قومك ، إلفاتُ الْحَسْنِ كون القارئ والخطيب من نفس القوم الذين يذكرونهم ، كما قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِّلْمَسَاجِدِ يَوْمَ وَلَيْلَةً هُمْ ، وقال تعالى: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلَقَوْمَكَ . .

لكن سليمان رضي الله عنه كان يعرف دقائق القرآن وأحكامه أفضل من زيد . .

ففي مصنف ابن أبي شيبة: ١٥٢/٧: «عن خليل العصري قال: لما قدم علينا سليمان أتيناها ليستقررتنا القرآن فقال: القرآن عربي فاستقرر عليه رجالاً عربياً ، فاستقرر أنا زيد بن صوحان ، فكان إذا أخطأ أخذ عليه سليمان ، فإذا أصاب قال: أيم الله ». .

وفي تاريخ دمشق: ٤٣٩/١٩: «كان يقرؤنا زيد بن صوحان ، ويأخذ عليه سليمان ، فإذا أخطأ رد عليه سليمان . هذا لفظ المحامي ، وقال الجروي: فإذا أخطأ غير علته ، فإذا أصاب قال: إيه والله ». .

أقول: خليل بن حسان العصري ، من كبار التابعين ، وهو شيخ قنادة المفسر ، وبنو عصر بطن من عبد القيس ، وكان خليل في البصرة وسكن بخارى (تاريخ دمشق: ٤٧/١٠٤ ، وتاريخ النهبي: ١٦٨/١٠) فمعنى قوله: لما قدم علينا سليمان ، أي إلى البصرة . ولعل ذلك في فتح الأهواز ، لما استأسر الهرمزان ، وفتحت تستر . .

٩. ورووا «أن قوماً من الفرس سأله أن يكتب لهم شيئاً من القرآن، فكتب لهم

فاتحة الكتاب بالفارسية». (مجموع التوسي: ٣٨٠ / ٣، و منهال العرفان: ١١٥ / ٢).

ولعله ترجم لهم كل القرآن ، أو قسماً منه ، فهو أول مترجم للقرآن إلى غير العربية ، ولا بد أن يكون لذلك تأثير كبير في إقبال الفرس على الإسلام .

وروى ابن سعد (٤/٨٤) أن سليمان رضي الله عنه سكن الكوفة في زمان عمر ، وكانت الكوفة مقصد الفرس الذين يريدون أن يتعلموا الإسلام .

١٠. أخفى رواة السلطة دور سليمان في الفتوحات والماواضي مع الفرس !

وتعجب عندما تقرأ في معركة القادسية وفتح المدائن وغيرها أن الملك يزدجرد أو رستم طلبوا من المسلمين أن يرسلوا لهم مثلاً ليتفاوض معه ، فأرسلوا المغيرة بن شعبة ، أو وفداً من فلان وفلان وبعضهم حديثوا الإسلام ، ووصفوا لباسهم وذهابهم وحديثهم مع يزدجرد ورستم ، ورجوعهم ، ولم يذكروا سليمان مع أنه كان «رائد المسلمين وداعيهم» الرسمي بمرسوم الخليفة عمر ، وقد تقدمت رواية وفدهم في معركة القادسية !

وغاية ما ذكروه أن قالوا: «كان رائد المسلمين سليمان الفارسي ، وكان المسلمين قد جعلوه داعية أهل فارس . وقد كانوا أمروه بدعاوة أهل بهرسير . وأمروه يوم القصر الأبيض فدعاهم ثلاثة». (الطبرى: ١٢٤ / ٣).

قال الطبرى (١٢١ / ٣): «فانتهينا إلى القصر الأبيض وفيه قوم قد تحصنوا ، فأشرف بعضهم فكلمنا ، فدعوناهم وعرضنا عليهم فقلنا: ثلاثة تختارون منهن

أيتها شتمن. قالوا: وما هن؟ قلنا: الإسلام فإن أسلتم فلهم ما لنا وعليكم ما علينا. وإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم فمناجزتكم حتى يمحكم الله بيننا وبينكم . فأجابنا مجبيهم: لا حاجة لنا في الأولى ولا في الآخرة ولكن الوسطى .. عن عطية بمثله قال: والسفير سليمان ». .

لاحظ أن الرواية ذكرت مفاوضة المسلمين مع حامية قصر كسرى ، ولم تذكر سليمان الفارسي ، بينما ذكرته رواية عطية ، وهذا يدل على سياسة الحكومات في كتابة الفتوحات ، وتعدهم طمس دور سليمان وأمثاله من شعبة علي عليه السلام !

١١. ورووا معجزةً لسعد بن أبي وقاص وسليمان رضي الله عنه في فتح المدائن ،
وذلك لما حاصرواها ، وكان نهر دجلة يفصلهم عنها ، فقالوا إن سعداً أمر الناس بالعبور وكان معه سليمان ، فعبرت خيولهم الماء .

قال الطبرى: «فلم استروا على الفراض هم وجميع كتبية الأحوال (كتيبة عمرو بن معدىكرب) بأسرهم ، أقحم سعد الناس ، وكان الذي يساير سعداً في الماء سليمان الفارسي ، فعامت بهم الخيل وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله ينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه ، وليهزمن الله عدوه ، إن لم يكن في الجيش بغيٌ أو ذنب تغلب الحسنات . فقال له سليمان: الإسلام جديد ، ذُللتْ لهم والله البحور كما ذُللتْ لهم البر . أما الذي نفس سليمان بيده ليخرجون منه أفواجاً . فطبقوا الماء حتى ما يرى الماء من الشاطئ ، ولهـم فيه أكثر حديثاً منهم في البر لو كانوا فيه ، فخرجوـا منه كما قال سليمان لم يفقدوا شيئاً ، ولم يغرقـوا منهم أحد ». .

أقول: دلت روايات فتح المدائن على أنه لم تقع معركة فيه إلا مع كتيبة كسرى الخاصة التي كانت في موقع يدعى «مظلوم ساباط» قبل المدائن ، فخرج قائلها وطلب المبارزة ، فبرز له هاشم المرقال رضي الله عنه وقتله ، فانهزمت الكتيبة ، وتقدم المسلمون نحو المدينة الرومية ، ثم إلى قصر كسرى في المدائن .

وروي أن بعض فرسان المسلمين كحجر بن عدي رضي الله عنه ، عبر بفرسه: «فتقدم حِجْرٌ وَقَرَأَ: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا يَلِدُنَ اللَّهُ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدُ تَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدُ تَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَبْعِزِي الشَّاكِرِينَ». وأفحى فرسه وهو يقول: باسم الله ، فعبر وعبر المسلمين على أثره ! فلما رأهم العدو قالوا: ديوان ديوان (جمع ديوان: الغول) يعني شياطين شياطين ! فهربوا فدخلنا عسكركم». (تفسير ابن كثير: ٤١٩).

وروي أن عامر بن مالك الأشعري (تاریخ قم/ ٢٦٨، وأسد الغابة: ٢٨٢/ ٤) أول من عبر بفرسه نهر دجلة إلى المدائن ، وقال في ذلك مرتजأً:

إمضوا على البحر إن البحر مأمور	وال الأول القاطع منكم مأجور
قد خاب كسرى وأبوه سابور	ما صنعنون والحديث مأثور

وروروا أن شخصاً دلَّ المسلمين على معبر ، فعبروا منه . فأين معجزة سعد ؟ كما رووا أن سعد بن أبي وقاص لم يكن في الجيش الذي توجه إلى المدائن ، بل كان بقيادة خالد بن عرفة ، وهاشم المرقال .

قال البلاذري (٣٢٣/ ٢): «وجه سعد بن أبي وقاص خالد بن عرفة على مقدمته ، فلم يَرِد سعد حتى فتح خالد ساباط . ثم قدم فأقام على الرومية حتى صالح أهلها على أن يجعلو من أحب منهم ويقيم من أقام على الطاعة والمناصحة ، وأداء

الخرج ، ودلالة المسلمين ، ولا ينطروا لهم على غش . ولم يجد معابر فدؤل على مخاضة عند قرية الصيادين فأخاضوها الخيل ، فجعل الفرس يرمونهم فسلموا غير رجل من طبع يقال له سليم بن يزيد بن مالك السنبسي ، لم يصب يومئذ غيره » .

ورواية البلاذري هذه مقدمة على رواية الطبرى التي تقول إن سعداً أمرهم بالعبور بدوا بهم وأنقاذهم فعبروا سالمين . لأنها ت يريد إثبات معجزة لسعد ، وقد استعانت سليمان رضي الله عنه لأجل تصديقها .

كما أنها لاتفاق رواية البلاذري بعبور بعضهم سباحة بخيولهم ، كحجر بن عدي وعامر بن مالك . وشاهدنا حضور سليمان رضي الله عنه في فتح المدائن ، حضوراً مميزاً .

١٢ . رروا نموذجاً من عمل سليمان ، وأنه أقنع كتيبة المرازبة باعتناق الإسلام !

قال الواقدي في فتوح الشام: «خر جنا بعد فتح القصر الأبيض وكان قد تحصن به رجال من المرازبة ، وكانوا أشد جلداً وأقوى عزيزية من جميع الفرس ، وتحالفوا أنهم لا يسلّمون أبداً ، والذين حصلوا وتولوا حصارهم كتيبة الأهواج وهي كتيبة القعقاع ، فلما رأينا عزمهم على الموت بعُدُّنا عن تَشَابِهِمْ وحجارة مجانيقهم ، وطال علينا ذلك وشكّونا ذلك إلى سعد وقلنا له: قد حرمنا الجهاد بحصارنا لهؤلاء الأعلاج . فقال سعد لسليمان: تقدم إليهم ودبّر شيئاً فيه مصلحة المسلمين وأمنهم . فتقدم إليهم سليمان رضي الله عنه وكلمهم بالفارسية فأمسكوا عن رميهم وقالوا له: من أنت؟ فقال: أنا رسول من المسلمين ، إعلموا أن الرجل يقاتل عن نفسه وماله ولده إذا رجا الخلاص ، وما أرى لكم من خلاص قط

وهذا الملك قد انهزم وأخذنا مملكته وخزائنه ، وما بقي في المدائن أحد غيركم فاتقوا الله في أنفسكم ولا تهلكوها ، وسلموا لنا هذا الحصن ، ولهم الأمان إلى أي جهة توجهتم ، لا يعارضكم منا أحد .

قال: فلما سمعوا قوله قالوا: لا نسلم حتى نهلك عن آخرنا ، ثم رموا سليمان بالنشاب فقرأ: وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِنْدِهِمْ لَمْ يَنْأُوا أَعْزِيزًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَيْسَارَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ، وأشار إلى النشاب بيده فذهب السهام يميناً وشمالاً ولم يصبه منها شيء ! قال: فلما رأوا ذلك قالوا: زنهار (ابنته وأمسك) فبحق ما تشير إليه من أنت؟ قال: أنا روزبه ، وقد عمرت أربع مائة سنة ولحقت آخر أيام عيسى بن مريم ، وطفت الأرض حتى لحت ببني هذه الأمة ، فلما أتيته أكرمني وخدمته ، فعظمني حتى أنه جعلني من أهل بيته فقال: سليمان منا أهل البيت . فلما سمعوا قوله وتحققوا معرفته ، علموا أنه كان من عظامه أهل دينهم ، قال: فقصعوا له ، وقالوا: والله ما نخفي عليك شيئاً من أمرنا ، وسبب قتالنا ليس بسبب مال ولا متعاع ، وإنما الملك قد مضى يريد نهاوند ، ولم يقدر على أخذ ابنته معه ، وهي مريضة ، وقد سلمها إليها ، فلزمها من أمرها مالزم . فإن كنت تعطون الأمان عليها سلمتنا لكم ، وإلا نموت يداً واحدة !

فلما سمع سليمان منهم ذلك قال: دعوا هذا الأمر حتى أشاور الأمير ، ثم عاد وحدث سعداً بها سمعه فقال: يا أبا عبد الله إن المسلمين قد انتشروا في العراق ونخاف أن يقع بهم أحد فلا يُقْبَل عليهم . ولكن قل لهم: لكم علينا أن نذب عنكم وتكونوا في ذمامنا حتى تجاوزوا أي جهة تريدونها ، وبعد ذلك لا نضمن

لهم ما يأتي عليهم . قال: فحدثهم سليمان بما قاله الأمير ، فقال العقلاة منهم: لو لا أن العرب على حق ما نصروا علينا ، ومن الرأي أن نرجع إلى دين هؤلاء العرب ونعيش في ظلهم ، وإن القوم لا يريدون ملكاً ، وقد رأيت هذا الرجل وما ظهر لكم من كرامته .

قال: ففتحوا باب السر وخرجوا إلى العسكر ، وأتوا إلى سليمان فأتى بهم إلى سعد ، وأسلموا على يديه . فلما جرى ذلك بكى سعد وقال: اللهم انصر الإسلام ، وقرأ قوله تعالى: **وَتَلَكَ الْأَيَامُ نُدَاوِهَا بَيْنَ النَّاسِ** .

وبعث إلى صاحب الأقباض فأخذ جميع ما في القصر الأبيض من الأموال وخرزانة الملك ، فلما قسم الغنائم على المسلمين ، أعطى أولئك أوفى نصيب ، وأنزلهم منازل كسرى ، وسائر دور المدائن «.

أقول: تلاحظ أن روایة الواقعی عن المتصدین في القصر ، هي نفس روایة الطبری التي طمسوا فيها دور سليمان رضی الله عنه . وأن سليمان بیانه حول هؤلاء المرازبة (كتيبة حراس الحدود) وهم من كبار الموظفين ، من أعداء مقاتلين إلى مسلمين مؤمنين . أما حضور سعد يومها فقد يكون صحيحاً لأن حصارهم للمدائن طال شهوراً ، وقد يكون سعد حضر في آخر الحصار .

١٣ . جعوا أموال قصور كسرى وبيوت المدائن ، وجعلوها بيد سليمان الفارسي ،

فهي تاریخ الطبری: ١٢٥/٣: «ووكل بالأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن ، وأمره بجمع ما في القصر والإيوان والدور وإحصاء ما يأتيه به الطلب ، وقد كان أهل المدائن تناهباً عند المزيمة غارة ، ثم طاروا في كل وجه فما أفلت أحد منهم

بشع لم يكن في عسكر مهران بالنهر وان ولا بخيط ، ألح عليهم الطلب فتنفذوا ما في أيديهم ورجعوا بما أصابوا من الأقباض فضموه إلى ما قد جمع ، وكان أول شيء جمع يومئذ ما في القصر الأبيض ، ومنازل كسرى ، وسائر دور المدائن».

وفي الإصابة: ١٩٢/٣: «عن غلام سليمان يقال له سعيد وأثنى عليه خيراً، قال: لما فتحت المدائن أصببت سلة ، فقال سليمان: هل عندك شيء؟ قلت: سلة ، قال: هاتها فإن كان طعاماً أكلناه ، أو مالاً رفعناه إلى هؤلاء . قال: ففتحناها فإذا أرغفة حواري وجبنه ، فكان أول ما رأيت العرب الحواري ».

وقد تقدم في ترجمة هاشم أن سعداً بقي في المدائن ، ولم يذهب إلى جلواء إلا بعد أن هجاه المسلمون ، ومنهم إبراهيم بن المثنى بن حارثة ، فذهب على مضض ، ثم رجع من هناك ، ولم يذهب مع جيشه إلى حلوان !

١٤ . وصار الفارسي المشرد حاكماً لعاصمة كسرى، ون沫ذاً للحاكم المسلمين

قال ابن الأعثم: ٢٢٠/١: «كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يولي سليمان الفارسي المدائن وما والاها ، ويرجع هو إلى الكوفة».

وروى في تاريخ دمشق: ٤٣٥/٢١ ، أنه كتب إلى عمر يعتذر عن توسيع المدائن فلم يقبل منه ، فقد قال لمن سأله لماذا قبلت الولاية: «إن عمر أكرهني ، فكتبت إليه فأبى مرتين ، وكتبت إليه فأوعذني » !

واستقبله الناس ومهدوا له قصر الإمارة ، فقال: إستأجرولي حانوتاً في السوق أحكم بين الناس ، فاستمر على هذا الحال حتى فاضت دجلة وخربت أكثر المنازل ». (نفس الرحمن في فضائل سليمان/ ٥٥١).

وفي تاريخ دمشق: ٤٣٦ / ٢١: « قال حذيفة سليمان: ألا نبني لك مسكنًا يا أبا عبد الله؟ قال: لم تجعلني ملِكًا ، أو تجعلُ لي بيتاً مثل دارك التي بالمدائن؟ قال: لا، ولكن نبني لك بيتاً من قصب ونسقنه بالبردي ، إذا قمت كاد أن يصيّب رأسك وإذا نمت كاد أن يمس طرفيك ! قال: فكأنك كنت في نفسِي ! »

وفي الطبقات: ٩٠ / ٤: « كان سليمان يقول لنفسه: سليمان بمير . يقول: مُتْ ! وكان لا يأكل إلا من عمل يده ، فكان يتصدق براته أو عطائه ، وكان أربعة آلاف درهم في السنة (البلاذري: ٥٥٩ / ٣) أو ستهة آلاف درهم (ابن أبي شيبة: ٦١٦ / ٧). ويصنع من الخوص حصاراً وزنابيل ، ويقول: « أشتري خُوصاً بدرهم فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم ، فأعيد درهماً فيه ، وأنفق درهماً على عيالي ، وأتصدق بدرهم . ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عنه ما انتهيت ». (الطبقات: ٤ / ٨٩).

و« كان إذا سجَّدَت له العجم طأطاً رأسه وقال: خشعت لله ». (الطبقات: ٤ / ٨٨). وكان لا يتميز عن فقراء المسلمين بلباسه ، وقد حسّبه بعضهم فقيراً أو حملاً ففي الطبقات: ٨٨ / ٤: « كان سليمان أميراً على المدائن ، فجاء رجل من أهل الشام من بني تيم الله ، معه حمل تين وعلى سليمان أندورود (سروال) وعباءة ، فقال سليمان: تعال إحمل ، وهو لا يعرف سليمان ، فحمل سليمان فرأه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير ! قال: لم أعرفك .. !

وعن شيخ من بني عبس: «أتيت السوق فاشترىت علفاً بدرهم ، فرأيت سليمان ولا أعرفه فسخرته فحملت عليه العلف ، فمر بقوم فقالوا: نحمل عنك يا أبا عبد الله . فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا سليمان صاحب رسول الله ﷺ . قلت: لم أعرفك ضعه عافاك الله ، فأبى حتى أتى متزلي ، فقال: قد نويت فيه نية فلا أضعه حتى أبلغ بيتك ». .

و قبل له: «ما يكرهك الإمارة؟ قال: حلاوة رضاعها ، و مرارة فطامها». (الطبقات: ٤/٨٨). أي أكره الإمارة لمرارة عاقبتها ، و حساب الإنسان عليها .

وروى أن سُراق المداين استهانوا به ، فسلط عليهم الكلاب ! «لما أرسل سليمان إلى المداين والياً على أهلها جلس في مسج ، وجعل يسفُّ الخوص بيده لأجل قوته فلما علم به الرعية إن مثل هذا حاكم عليهم ، لم يبعذوا به ، وكثرت السرقة والفساد فيهم ، فخرج من المسجد فرأى كلباً فأومى إليه فجاء الكلب فتكلم معه ، فرجع الكلب مسرعاً وصعد على مرتفع وعوى بصوت مرتفع ، فاجتمعت عليه كلاب البلاد فساراًها ، ثم تفرقت في البلاد ، ثم إن سليمان أرسل رجلاً ينادي في البلاد: من خرج بعد ساعة كذا من الليل فإنه يقتل ، فخرجت اللصوص ولم يبالوا بأمر حاكمهم ، فمزقتهم الكلاب ، ولم تبق منهم أحداً . (نفس الرحمن في فضائل سليمان/ ٣٥٨).

١٥ . اختار سليمان مكان الكوفة منزلًا ومصرًا للمسلمين ، بما عنده من علم

فقد ذكرت بعض مصادر الحكومات أن الذي اختار مكان الكوفة للمسلمين

سعد بن أبي وقاص أو عمر ، والصحيح أن الذي اختارها سلمان رضي الله عنه بما عنده من علم رسول الله ﷺ وتوجيهات أمير المؤمنين علية .

فقد روى الكشي (١/٧٣) عن المسيب بن نعجة الفزاروي قال: «ما أتانا سلمان الفارسي قادماً تلقيته فيمن تلقاه ، فسار حتى انتهى إلى كربلاء فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا: كربلاء ، فقال: هذه مصارع إخواني ، هذا موضع رحالم ، وهذا مناخ ركابهم ، وهذا مهراق دمائهم ، قُتل بها خير الأولين ، ويقتل بها خير الآخرين! ثم سار حتى انتهى إلى حروراء فقال: ما تسمون هذه الأرض؟ قالوا: حروراء فقال: حروراء خرج بها شر الأولين وينتزع بها شر الآخرين . ثم سار حتى انتهى إلى بانقيا وبها جسر الكوفة الأول فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا: بانقيا . ثم سار حتى انتهى إلى الكوفة قال: هذه الكوفة؟ قالوا: نعم . قال: قبة الإسلام!»

أقول: لم أعرف المقصود بخير الأولين الذي قتل في كربلاء . وكذا شر الأولين ، الذين خرجوا في حروراء . ويجترئ أن يكون خير الأولين هابيل عليه .

وقد ذكرنا في سلسلة القبائل العربية أن الكوفة كانت معروفة للنبي وأهل بيته عليه وأن إبراهيم عليه كما أسس القدس وجدد الكعبة لذرته ، أسس القادسية وهي النجف والكوفة والسهلة والنخلة لولده المهدى عليه ، واسترى أرض كربلاء لولده الحسين عليه .

وبهذا العلم اختار سلمان رضي الله عنه الكوفة متزلاً ومدينة للمسلمين .

روى في كامل الزيارات / ٧٨، عن النبي ﷺ قال: «عُرِجَّ بِي إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَإِنِّي هَبَطْتُ إِلَى الْأَرْضِ فَأَهْبَطْتُ إِلَى مسجد أبي نوح عليهما السلام وأبي إبراهيم وهو مسجد الكوفة ، فصليت فيه ركعتين » .

وفي تاريخ الطبرى: ١٤٥/٣: «كتب عمر إلى سعد: أتبئني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم؟ فكتب إليه: إن العرب خددتهم وكفأوا ألوانهم وخومة المداشن ودجلة فكتب إليه إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إيلها من البلدان ، فابعث سليمان رائداً وحذيفة ، وكانت رائدة الجيش ليرتادا منزلأً برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر ، ولم يكن بقى من أمر الجيش شئ إلا وقد أستنه إلى رجال فبعث سعد حذيفة وسلام فخرج سليمان حتى يأتى الأنبار ، فسار في غربى الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة . وخرج حذيفة في شرقى الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة .

والكوفة على حصباء وكل رملة حمراء ، يقال لها سهلة ، وكل حصباء ورمل هكذا متخلطين فهو كوفة ، فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة: دير حرقة ودير أم عمرو ودير سلسلة وخاصص خلال ذلك ، فأعجبتها البقعة فنزل لا فصلياً وقال كل واحد منها: اللهم رب السماء وما أظلمت ، ورب الأرض وما أقتلت ، والريح وما ذرت ، والنجم وما هوت ، والبحار وما جرت ، والشياطين وما أضلتك ، والخصاص وما أجننت ، بارك لنا في هذه الكوفة ، واجعله منزل ثبات وكتب إلى سعد بالخبر » .

وفي فتح البلاذري (٢٥٤/٢) أن سليمان رضي الله عنه قال: «الكوفة قبة الإسلام ، يأتي على الناس زمان لا يقى مؤمن إلا وهو بها ، أو يهوي قلبه إليها».

وفي تاريخ دمشق: ١٥/٣٧: «عن عبد الملك بن أبي ذر الغفارى ، قال: أمرني أبي بصحبة سليمان الفارسي ، فصحبته إلى الشام فرابطنا بها ، حتى إذا انقضى رباطنا أقبلنا نريد الكوفة ، فلما أتينا إلى النجف قال لي سليمان: أهي هي؟ قال: قلت لا ، وكانت أبيات الحيرة . قال: فسرنا حتى بدت لنا أبيات الكوفة فقال لي: أهي هي؟ قال: قلت نعم . قال: واما لك أرض البلية ، وأرض التقة ! والذى نفس سليمان بيده إني لأعلم أن لك زمانا لا يقى تحت أديم السماء مؤمن إلا وهو فيك أو يحن إليك . والذى نفس سليمان بيده كأني أنظر إلى البلاء يصب عليك صباً ، ثم يكشفه عنك قاصم الجبارين . والذى نفس سليمان بيده ما أعلم أنه تحت أديم السماء أبيات يدفع الله عنها من البلاء والحزن إلا دون ما يدفع عنك ، إلا أبياتاً أحاطت ببيت الله الحرام أو بقبر نبى عليه السلام. والذى نفس سليمان بيده كأني أنظر إلى المهدي قد خرج منك في أثني عشر ألف عنان لا يرفع له راية إلا أكبها الله لوجهها ، حتى يفتح مدينة القدسية».

أقول: يذكر هذا النص سفر سليمان إلى الشام وبيروت والصرفندة ، لمشاركة المرابطين على ثغور الدولة الإسلامية ، مقابل الروم والفرنجة ، وتبشيرهم بأبيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ ، وقد روينا عنه أحاديث هناك .

كما يدل كلامه عن الكوفة على أن مروره عليها كان قبل مجئه هو وحذيفة لاختيارها مركزاً للمسلمين ومقصراً لها .

أما كلامه عن المهدى عليه السلام وأن الكوفة عاصمته فهو من أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا بد أن يكون معنى قوله إنه يفتح القسطنطينية أنه يفتح بلاد الروم . ولعله قال يفتح الروم كما في بعض الأحاديث ، فطبقها الراوي على القسطنطينية .

١٦ . قدم سليمان نموذج الحاكم المسلم الذي ينبغي أن يقتدي به كل الحكام ،
فقد كان يتصدق بمحضاته من بيت المال ، ويصرف من كسب يده ، ويعيش كأدنى مستوى في الذين يحكمهم ، في مأكله وملبسه ومسكنه ، فكان له بيت متواضع ، وقطعة أرض صغيرة يزرع فيها الخضروات ، وتوفيت زوجته الكندية فتزوج أمّة له: « وتزوج مولاة له يقال لها بَقِيرَةٌ ... فأتاه يطلبها فأخبره أنه في مقلة له ، فتوجه إليه فلقه معه زبيل فيه بقل ، قد أدخل عصاه في عروة الزبيل وهو على عاتقه ، فقال: يا أبا عبد الله... ». (مسند أحمد: ٤٣٩).

« كان يأكل من عمل يده ويطحون مع الخادمة ، ويعجن عنها إذا أرسلها في حاجة ويقول: لا تجتمع عليها عاملين . وكان يعمل من الخوص قفافاً، فيبيع ذلك بثلاثة دراهم فيرد درهماً في الخوص وينفق على عياله درهماً ويتصدق بدرهم ، وكان لا يأكل من صدقات الناس ويقول: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: سليمان من أهل البيت ». (الدرجات الرفيعة/ ٢٦١).

وفي الطبقات: ٤/ ٩٠: «أن رجلاً دخل على سليمان وهو يعجن قال فقال: أين الخادم؟ قال: بعثناها حاجة فكرهنا أن نجمع عليها عاملين . قال: إن فلاناً يقرؤك السلام . فقال له سليمان: متذكراً قدمت؟ قال: منذ ثلاثة أيام . قال: أما إنك لو لم تؤدها لكان أمانة لم تؤديها».

١٧ . وكان وهو والي على المدائن يخرج الى الجهاد والغزو قائداً ويرجع الى المدائن

ففي تاريخ دمشق: ٤٢٩ / ٢١: «أن سليمان الفارسي مر بجسر المدائن غازياً وهو أمير الجيش ، وهو ردد رجل من كندة على بغل موكوف ، فقال أصحابه: أعطنا اللواء أيها الأمير نحمله عنك فيأبى ويقول: أنا أحق من حله ، حتى قضى غزاته ورجع وهو ردد ذلك الرجل الكندي ، على ذلك البغل الموكوف» !

وستأتي مشاركته في غزو بلنجر سنة ٢٢ أي بعد ٤ سنوات من حكمه المدائن.

وفي الطبقات: ٤ / ٨٧: «عن رجل من عبد القيس قال: كنت مع سليمان الفارسي وهو أمير على سرية ، فمرّ بفتیان من فتیان الجند فضحكوا وقالوا: هذا أمیرکم ! فقلت: يا أبا عبد الله ، ألا ترى هؤلاء ما يقولون؟ قال: دعهم ، فإنما الخير والشر فيما بعد هذا اليوم» !

١٨ . وشارك سليمان رضي الله عنه في فتح إرمينا والقفقاز في سنة ٢٢ هجرية ،

قال ابن الأثير في الكامل: ٤ / ٤: «وكان زهير بن القين البجلي قد حجَّ ، وكان عثمانياً ، فلما عاد جمعها الطريق وكان يساير الحسين عليهما السلام من مكة ، إلا أنه لا ينزل معه ، فاستدعاه يوماً الحسين فشق عليه ذلك ، ثم أجابه على كره ، فلما عاد من عنده نقل ثقله إلى ثقل الحسين عليهما السلام ، ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإنما آخر العهد ، وأصحابكم حدثاً: غزونا بلنجر ففتح علينا وأصبنا غنائم ففرحنا ، وكان معنا سليمان الفارسي فقال لنا: إذا أدركتم سيد شباب أهل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه بما أصبتكم اليوم من الغنائم !

فاما أنا فأستودعكم الله ، ثم طلق زوجته وقال: لها الحق في أهلك ، فإني لا أحب أن يصييك في سببي إلا خير ، ولزم الحسين عليه السلام حتى قتل معه» .

وروى نحوه الحميري في الروض المطار /٩٤ ، والطبراني في تاريخه /٢٩٨٤ ، لكنه جعل القائل سليمان الباهلي . ومن المؤكد أن سليمان الفارسي رضي الله عنه كان في تلك الغزوة ، فقد تقدم من الطبقات (٩٢/٤) وغيرها أنه غنم فيها عطرأً ، ولم نجد أنه كان فيها جندياً أو قائداً ، أما سليمان بن ربعة الباهلي فكان فيها قائداً وقتل فيها . ولعلهم فتحوها أولأ ثم جمع لهم حاكمها جيشاً ففتحوها ثانية ، فقتل سليمان بن ربعة الباهلي في الفتح الثاني .

وقال البكري في معجمه: ١/٢٧٦: «بنجر.. مدينة ببلاد الروم ، شهد فتحها عدد من الصحابة . قال زهير بن القين البجلي: غزوت بنجر وشهدت فتحها ، فسمعت سليمان الفارسي رضي الله عنه يقول: أفرحتم بفتح الله لكم ، فإذا أدركتم شباب آل محمد ، فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم.. الخ».»

وكان فتح بنجر سنة ٢٢ هجرية ، وذكرت بعض الروايات أنها تقع في أرمينيا ، وبعضها أنها تقع في بلاد الروم . ولا توجد اليوم مدينة بهذا الإسم .

وقال بعض المؤرخين إنها كانت مكان مدينة بويناكس الفعلية ، الواقعة جنوب بحر الخزر . وقال بعضهم إنها تقع في دولة داغستان في شرق آسيا ، قرب نهر سولاك . ولا فائدة مهمة في تحقيق ذلك .

والمهم في القصة أن سليمان رضي الله عنه كان عنده من علم النبي ﷺ أن الحسين عليهما السلام
يقتل ، وأن بعض الذين كانوا معه في فتح بلنجر ، كزهير بن القين ، سيدركون
خروجه ، فدعاهم إلى الجihad معه !

وقد حدث تحول سريع في موقف زهير رضي الله عنه من العثمانية إلى ولية العترة
النبوية ، وانضم إلى الحسين عليهما السلام بيقين وشوق كأنه وجد ضالته في كلام سليمان معه قبل
ثمانية عشرة سنة ! ولا يبعد أن يكون الحسين عليهما السلام ذكره به !

ونبه إلى خطأ وقعت فيه بعض المصادر وكتب المقاتل نسبت هذا الحديث إلى سليمان
بن ربيعة البايلي ، وقد كان فعلاً في قائدًا لفتح بلنجر وقتل في أرمينية ، لكن نص
البكري وغيره على أن الحديث مع سليمان الفارسي رضي الله عنه .

١٩. كان سليمان رضي الله عنه يزور الشام ، فيستقبلونه باجلال كاستقبالهم لل الخليفة

فقد روى البخاري في التاريخ الصغير: ٩٨، وأبي عساكر في تاريخ دمشق: ١٢ / ٣٧٤ ، عن القاسم أبي عبد الرحمن قال: «زارنا سليمان وخرج الناس يتلقونه كما يتلقى الخليفة
فلقيناه وقد صلى بأصحابه العصر وهو يمشي ، فتوقفنا نسلم عليه ، فلم يبق فيها
شريف إلا عرض عليه أن ينزل به ، فقال: جعلت في نفسي مرقي هذه أن أنزل
على بشير بن سعد . فلما قدم سأله عن أبي الدرداء فقالوا هو مرابط ، فقال:
وأين مرابطكم؟ فقالوا: بيروت . قال فتوجه قبّله فقال لهم سليمان: يا أهل
بيروت ، ألا أحدثكم حديثاً يذهب الله به عنكم غرض الرباط: سمعت رسول
الله ﷺ يقول: رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطًا في سبيل
الله أجير من فتنة القبر ، وجرى له صالح ما كان يعمل إلى يوم القيمة ». .

أقول: هذا النص يدلنا على المكانة العظيمة لسلمان رضي الله عنه عند المسلمين ، ولا عجب في ذلك ، لأنهم رأوا منه معجزات وسلوكاً لم يروه من غيره من الصحابة ، فسلمان بعد المعصومين عليهم السلام أكثر الصحابة كرامات ومعجزات !

كما يدل هذا النص على أنه رضي الله عنه ذهب إلى الشام عدة مرات التي أقام فيها مدة طويلة في أول شبابه . وكان يأتي لقوي إيمان المسلمين وعقيدتهم ، ويحدثهم عن النبي ﷺ رغم منع الخلافة للتحدى وتدوين الحديث .

روى عبد الله بن المبارك في كتابه الجihad / ١٦٠ ، أن سلمان زارهم وهم محاصرون في حصن في بلاد الروم . قال شرحبيل بن السمحط الكندي: « طال رباطنا وإقامتنا على حصن ، فاعتزلت من العسكر أظرف في ثيابي لما آذاني منه ، قال فمر بـ سلمان فقال: مات تعالج يا أبا السمحط؟ فأخبرته فقال: إني لأحسبك تحب أن تكون عند أم السمحط ، فكانت تعالج هذا منك . قلت: إيه والله . قال: لا تفعل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: رباط يوم وليلة أو يوم أو ليلة كصيام شهر وقيامه ، ومن مات مرباطاً أجري عليه مثل ذلك من الأجر ، وأجري عليه الرزق ، وأمن من الفتان ، واقرروا إن شتم: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرَوُنَّهُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ قَاهِرٌ ، وإن الله لَعَلِيهِ حسنا ، وإن الله لَهُ وَحْيَ الرَّازِقِينَ . ليدخلنهم مدخلًا يرضونه وإن الله لَعَلِيهِ حليهم ». وفتح القدير: ٤٦٦، وفيه: حصن بارض الروم .

٢٠. أخي النبي ﷺ بينه وبين أبي ذر: « واشترط على أبي ذر أن لا يعصي سلمان »
(الكافي: ٨ / ١٦٢). كما أخي بينه وبين أبي الدرداء ، فسكن أبو الدرداء الشام ، وكانا يتراسان ويتزاوران: « كتب أبو الدرداء إلى سلمان: أما بعد فإني أدعوك

إلى الأرض المقدسة وأرض الجهاد ، قال فكتب إليه سليمان: أما بعد فإنك قد كتبت إلى تدعوني إلى الأرض المقدسة وأرض الجهاد ، ولعمري ما الأرض تقدس أهلها ، ولكن المرء يقدسه عمله ». (مصنف ابن أبي شيبة: ٨/١٨٢).

وكتب سليمان إلى أبي الرداء: « إنما العلم كالينابيع فينبع به الله شاء ، ومثل حكمة لا يتكلم بها كجسد لروح له ، ومثل علم لا يعمل به كمثل كنز لا يتحقق منه ، ومثل العالم كمثل رجل أضاء له مصباح في طريق ، فجعل الناس يستضيفون به وكل يدعو له بالخير ». (مصنف ابن أبي شيبة: ٨/١١٧٩).

٢١. مرأة علاقة سليمان بعمر في مراحل، من عداء إلى صداقة، ثم إلى عداء،

فقد: « دخل مجلس رسول الله ﷺ ذات يوم فعظموه وقدموه وصدروه ، إجلالاً لحقه وإعظاماً لشبيته ، فدخل عمر فنظر إليه فقال: من هذا العجمي المتصرد فيما بين العرب؟ ! فصعد رسول الله ﷺ المنبر خطيباً فقال: إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط ، لا فضل للعربي على العجمي ولا للأمر على الأسود إلا بالتقوى ، سليمان بحر لا ينزع ، وكنز لا ينفك ، سليمان من أهل البيت ، سلسل يمنع الحكمة ، ويؤتي البرهان ». (الاختصاص للمفید/ ٣٤١).

وعن الإمام البارقي عليه: « جلس عدة من أصحاب رسول الله ﷺ يتسبّبون وفيهم سليمان الفارسي ، وإن عمر سأله عن نسبة وأصله ، فقال: أنا سليمان بن عبد الله كنت ضالاً فهداني الله بمحمد ﷺ ، وكنت عائلاً فأغناي الله بمحمد ﷺ ، وكنت مملوكاً فأعتقدني الله بمحمد ﷺ . وهذا حسي ونبي . ثم خرج رسول

الله ﷺ فحدثه سليمان وشكى إليه ما لقى من القوم وما قال لهم. فقال النبي ﷺ: يا معاشر قريش، إن حسب الرجل دينه ، ومرؤته وأصله عقله ، قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُونَا وَقَبَائِلَ يَتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَسِيرٌ . يا سليمان ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله ، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل». (الكاف: ٨/١٨١).

وررووا أن سعد بن أبي وقاص هو الذي عيَّر سليمان بنبيه ، فانتصر له عمر ! ففي تاريخ دمشق: «كان بين سعد بن أبي وقاص وسليمان الفارسي شئ فقال سعد وهم في مجلس: إنتم يا فلان فانتصب ، ثم قال للآخر انتصب ، ثم قال للآخر حتى بلغ سليمان فقال: إنتم يا سليمان . فقال: ما أعرف لي أباً في الإسلام ، ولكنني سليمان بن الإسلام . فنمي ذلك إلى عمر فقال عمر لسعد ولقيه: إنتم يا سعد . فقال: أنشدكم الله يا أمير المؤمنين . قال: وكأنه عرف ، فأبى أن يدعه حتى انتصب . ثم قال للآخر ، حتى بلغ سليمان فقال: إنتم يا سليمان . فقال: أنعم الله عليَّ بالإسلام فأنا سليمان بن الإسلام . فقال عمر: قد علمت قريش أن الخطاب كان أعزهم في الجاهلية ، وأنا عمر بن الإسلام ، آخر سليمان بن الإسلام ». وذكر البلاذري (١٠/١٧) أن حذيفة هو الذي شكر سعداً.

وقد ساءت علاقة سليمان مع عمر عند وفاة النبي ﷺ وإدانته السقيفة ويعتبرهم لأبي بكر ، فقد خطب سليمان ، وما قال: «فأين يذهب بكم؟! ما أنا وفلان وأبو فلان ! ويحكم والله ما أدرى أتجهلوه أم تتجاهلون ، أم نسيتم أم تتناسون!

أنزلوا آل محمد ﷺ منكم منزلة الرأس من الجسد ، بل منزلة العينين من الرأس ، والله لترجعن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف ، يشهد الشاهد على الناجي بالهلكة ويشد الناجي على الكافر بالنجاة ، ألا أني أظهرت أمري وآمنت برب وأسلمت بنبي ، واتبعت مولاي ومولى كل مسلم ». (رجال الكثني / ٨٨).

ثم وصلت علاقته بهم إلى حد الصدام ، في آخر احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام عليهم بعد أيام : « وقام إليه سليمان الفارسي فقال : الله أكبر الله أكبر ! سمعت رسول الله ﷺ بهاتين الأذنين ولا صُمتَّا ، يقول : بینا أخي وابن عمِي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه ، إذ تكبسه جماعة من كلام أصحاب النار يريدون قتلِه وقتل من معه ، فلست أشك إلا وإنكم هم ! فهم به عمر بن الخطاب ، فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ بمجامع ثوبه ثم جلد به الأرض ، ثم قال : يا ابن صهـاك الحبـشـية ! لو لا كتاب من الله سبق وعدـهـ من رسول الله تقدم ، لأريـتكـ أيـناـ أضـعـفـ نـاصـراـ وأـقـلـ عـدـداـ ! ثم التفت إلى أصحابه فقال : إنـصـرـفـواـ رـحـمـكـمـ اللهـ ، فـوـالـلهـ لـاـ دـخـلـتـ المسـجـدـ إـلـاـ كـمـاـ دـخـلـ أـخـوـاـيـ مـوـسـىـ إنـصـرـفـواـ رـحـمـكـمـ اللهـ ، فـوـالـلهـ لـاـ دـخـلـتـ المسـجـدـ إـلـاـ كـمـاـ دـخـلـ أـخـوـاـيـ مـوـسـىـ وـهـارـونـ إـذـ قـالـ لـهـ أـصـحـابـهـ : فـأـذـهـبـ أـنـتـ وـرـبـكـ فـقـاـيـلـ إـنـاـ هـاـ هـنـاـ قـاعـدـوـنـ . وـالـلهـ لـاـ دـخـلـتـ إـلـاـ لـزـيـارـةـ رـسـوـلـ اللهـ عليه السلامـ أـوـ لـقـضـيـةـ أـقـضـيـهاـ ، فـإـنـهـ لـاـ يـجـوزـ لـحـجـةـ أـقـامـهـاـ رـسـوـلـ اللهـ عليه السلامـ أـنـ يـرـكـ النـاسـ فـيـ حـيـرـةـ !ـ وـالـاحـتـاجـ ١٠٥ـ /ـ ١ـ .ـ

وفي عهد أبي بكر وعمر خف التوتر وساعد على ذلك جلاله سليمان واحترام المسلمين له . وكان يحضر في مجلس عمر في دار الخلافة ، وكان عمر يزوره :

فقي جمع الزوائد(٨/١٧٤) عن أنس: «دخل عمر على سليمان الفارسي فألقى له وسادة فقال: ما هذا يا أبا عبد الله؟ فقال سليمان الفارسي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلم يدخل عليه أخوه المسلم فيلقى له وسادة إكراماً وإعظاماً إلا غفر الله له».»

وكان علي عليهما السلام يرسله في الأمور المهمة إلى عمر، ففي الخرائج(١١/٢٣٣) قال سليمان: «دعاني علي عليهما السلام فقال: صر إلى عمر فإنه حل إليه مال من ناحية المشرق ولم يعلم به أحد ، وقد عزم أن يختبئه فقال له: يقول لك علي: أخرج ما حمل إليك من المشرق ففرقه على من جعل لهم ، ولا تخبيه فأفضحك !

قال سليمان: وأديت إليه الرسالة فقال: حيرني أمر صاحبك فمن أين علم هو به؟ قلت: وهل يخفى عليه مثل هذا . فقال: يا سليمان إقبل مني ما أقول لك: ما على إلا ساحر ، وإنني لمشفق عليك منه ، والصواب أن تفارقه وتصير في جلتنا . قلت: بئس ما قلت ، لكن علياً قد ورث من آثار النبوة ما قد رأيت منه وما هو أكبر منه. قال: إرجع إليه فقل له: السمع والطاعة لأمرك...».

وروينا أن سليمان خطب من عمر ابنته: «فرده ، ثم ندم فعاد إليه ، فقال: إنها أردت أن أعلم ذهبت حية الجاهلية عن قلبك ، أم هي كما هي» ! (الكتبي: ١/٦٢).

وروروا في ذلك روایات مضطربة ، منها أن عمر وافق لكن ابنه عبد الله «شكاه إلى عمرو بن العاص فقال: أنا أرده عنك. فقال: إن رددته بها يكره أغضبست أمير المؤمنين ، قال: على أن أرده عنك راضياً ، فأنهى سليمان فضرب بين كتفيه بيده ثم قال: هنبا لك أبي عبد الله هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويجك ! فالتفت إليه مغضباً وقال: أبي يتواضع ! والله لا أتزوجها أبداً». (عيون الأخبار لابن قتيبة: ١/٣٨٠)

ثم رروا أن سليمان قال: «إنكم عشر العرب لا تقدمكم في صلاتكم، ولا تننكح نساءكم. إن الله فضلكم علينا بمحمد^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}». (إرواء الغليل: ٢٧٨ / ٦، وجودة).
وهم بذلك يريدون الدفاع عن عمر ، وعن رأيه في تحريم زواج العربية من غير عربي ،
لأنه بزعمه ليس كفؤاً لها !

وروى في سبل السلام (١٣٠ / ٣): «عرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على سليمان الفارسي ». وأن سليمان تزوج امرأة من كندة ! (عبد الرزاق: ١٥٣ / ٦).

لكن هذه الأحداث لم تؤثر كثيراً على علاقة سليمان بعمر ، فقد كانت مكانته وأخلاقه ولبيونته الفارسية تفرض على عمر احترامه والطمع فيه . وقد عينه والياً على المدائن ،
ولما جاء سليمان إلى المدينة خرج عمر مع المسلمين لاستقباله .

ففي شعب الإبيان للبيهقي: ٣٧٨ / ٧: «كتب عمر بن الخطاب إلى سليمان أن زرني .
قال فخرج سليمان إليه ، فلما بلغ عمر قدومه قال لأصحابه: هذا سليمان قد قدم
فانطلقوا نتلقاه . قال: فلقيه عمر فالتزمه ، وسأله ، ثم رجعا إلى المدينة ».

وكان عمر يسأل سليمان عن بعض أمور دينه ، فقد قال له: «بلغني أن رسول الله^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}
قال: ما من وال يلي شيئاً من أمور الناس إلا يأتي به يوم القيمة يده مغلولة إلى
عنقه ، فيوقف على جسر من النار يتفضض ذلك الجسر انتفاضة يزيد كل عضو
منه عن موضعه ، ثم يعاد فيحاسب ، فإن كان محسناً نجاه إحسانه ، وإن كان
مسيناً انحرف به ذلك الجسر فهو يه في النار سبعين خريفاً !

قال له: من سمعت هذا؟ قال من أبي ذر وسلام ، فأرسل إليهما عمر فسألها
فقالا: نعم سمعناه من رسول الله^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}. فقال عمر: واعمراه ، من يتولاها بها

فيها؟ فقال أبو ذر: من أرغم الله أنفه وألصق خده بالأرض! قال: فأخذ المنديل فوضعه على وجهه، ثم بكى وانتصب حتى أبكاني». (شعب الإيمان: ٦/٣٢).

وكان عند عمر سؤال بسأله دائياً: هل أنا ملك من ملوك الدنيا، أم خليفة لرسول الله ﷺ؟ فقد روى الطبرى: ٣/٢٧٩، أن عمر سأله: «أَمْلِكُ أَنَا أَمْ خَلِيفَةً؟» فقال له سليمان: إن أنت جبنت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر، ثم وضعته في غير حقه، فأنت ملك غير خليفة. فاستعبر عمر».

وفي تاريخ المدينة: ٢/٧٠٢، أن عمر سأله عندما خرج من المدينة لاستقباله: «فقال عمر لسلمان: أبا عبد الله أتراني مستحقاً لهذا الاسم؟ قال: نعم، ما لم تستأثر على الناس بتمرة، فقال عمر: الله أكبر».

٢٢. ثم ساءت علاقة سليمان بعمر في أواخر حياته، كما تدل رساله سليمان اليه،

وقد روى نصها في الاحتجاج: (١/١٨٥): «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ سَلَيْمَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا مِنْكُمْ كِتَابٌ يَا عُمَرْ تَؤْنِبِنِي وَتَعْرِيَنِي ، وَتَذَكَّرْ فِيهِ أَنْكُ بَعْثَنِي أَمِيرًا عَلَى أَهْلِ الْمَدَائِنِ ، وَأَمْرَتِنِي أَنْ أَفْصَنْ أَثْرَ حَذِيفَةَ وَأَسْتَقْصِي أَيَامَ أَعْمَالِهِ وَسِرْتَهُ ، ثُمَّ أَعْلَمَكَ قِبِيحَهَا ، وَقَدْ نَهَانِي اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ يَا عُمَرْ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حِيثُ قَالَ: يَا أَئِمَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنَبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَغْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجْعَسُوا وَلَا يَغْتَبُ بَغْضُكُمْ بَغْضًا أَكْبَرُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَبْنَا فَكَرِهُتُمُوهُ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابُ رَجِيمٌ . وَمَا كُنْتَ لَأَعْصِي اللَّهَ فِي أَثْرِ حَذِيفَةَ وَأَطِيعُكَ . وَأَمَا مَا ذَكَرْتَ أَنِّي أَقْبَلْتَ عَلَى سُفْ الخُوصِ وَأَكْلَ الشَّعِيرَ ، فَمَا هَمَا مَا يَعِيَّرُ بِهِ مُؤْمِنٌ وَيُؤْتَبُ عَلَيْهِ ، وَأَيْمَ اللَّهُ يَا عُمَرْ لِأَكْلِ الشَّعِيرِ وَسُفْ

الخوص والإستغناء به عن رفيع المطعم والمشرب ، وعن غصب مؤمن حقه
وادعاء ما ليس له بحق ، أفضل وأحب إلى الله عز وجل وأقرب للتقوى . ولقد
رأيت رسول الله ﷺ إذا أصاب الشعير أكل وفرح به ولم يسخطه .

وأما ما ذكرت من عطائي ، فإني قدمته ليوم فاقتي وحاجتي . ورب العزة يا
عمر ما أبالي إذا جاز طعامي هواي وانساغ في حلقي ، ألباب البر ومنع المعز كان
أو خشاراة الشعير .

وأما قولك: إني ضعفتُ سلطان الله ووهنتهُ وأذلت نفسي وامتهنتها ، حتى
جهل أهل المدائن إمارتي واتخذوني جسراً يمشون فوقه ، ويحملون على ثقل
حولتهم ، وزعمت أن ذلك مما يوهن سلطان الله ويدله .

فاعلم أن التذلل في طاعة الله أحب إلى من التعزز في معصيته ، وقد علمت أن
رسول الله ﷺ يتأنّى الناس ويقترب منهم ويقتربون منه في نبوته وسلطانه ،
حتى كأنه بعضهم في الدنو منهم ، وقد كان يأكل الجشب ويلبس الخشن ، وكان
الناس عنده قرشيهم وعربتهم وأبيضهم وأسودهم سواء في الدين .

وأشهد أنني سمعته يقول: من ولـي سبعة من المسلمين بعدى ثم لم يعدل فيهم ،
لقي الله وهو عليه غضبان . فليتني يا عمر أسلم من إمارة المدائن مع ما ذكرت
أني أذلت نفسي وامتهنتها ، فكيف يا عمر حال من ولـي الأمة بعد رسول الله
وإني سمعت الله يقول: تلـك الدار الآخرة تجعلها للذين لا يـرـيدـون عـلوـاً فـي الـأـرـضـ
وـلـا فـسـادـاً وـالـعـاقـيـةـ لـلـمـقـيـنـ . إعلم أنـي لـمـ أـتـوـجـهـ ، أـسـوـسـهـمـ وـأـقـيمـ حدودـ اللهـ فيـهـمـ
إـلاـ بـاـرـشـادـ دـلـيـلـ عـالـمـ ، فـنهـجـتـ فـيـهـمـ بـنـهـجـهـ ، وـسـرـتـ فـيـهـمـ بـسـيـرـتـهـ .

واعلم أن الله تبارك وتعالى لو أراد بهذه الأمة خيراً، أو أراد بهم رشداً، لولي عليهم أعلمهم وأفضلهم .

ولو كانت هذه الأمة من الله خائفين ، ولقول نبي الله مبعين ، وبالحق عالين ، ما سموك أمير المؤمنين ، فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا !
ولا تغتر بطول عفو الله عنك وتمديده ذلك ، من تعجل عقوبته . واعلم أنه سيدركك عواقب ظلمك في دنياك وآخرتك ، وسوف تسأل عما قدمت وأخرت ، والحمد لله وحده » :

أقول: لانعلم تاريخ هذه الرسالة ، لكن يظهر أنها كانت قبل وفاة سليمان ووفاة عمر بقليل . ولم أجد رواية عن ردة فعل عمر على هذه الرسالة الصريحة ، ويبدو أن عمر تحملها في الظاهر ولم يعزله ، فقد توفي سليمان رضي الله عنه وهو والي المدائن .

٢٣. تزوج سليمان امرأة من كندة ورزق منها أولاداً ذكرها منهم محمدأً وعبد الله
وعبد الرحمن . روى الكشي: ٦٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «تزوج سليمان امرأة من كندة فدخل عليها ، فإذا لها خادمة وعلى بابها عباءة ، فقال سليمان: إن في بيتك هذا لمريضاً ، أو قد تحولت الكعبة فيه؟ فقيل: المرأة أرادت أن تستر على نفسها فيه . قال: فما هذه الجارية؟ قالوا: كان لها شئ فأرادت أن تُخدم . قال: إبني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: أيها رجل كانت عنده جارية ، فلم يأتها أعلم بزوجها من يأتيها ثم فجرت ، كان عليه وزر مثلها ». .

وعاشت معه حتى توفيت في المدائن ، فكتب له أمير المؤمنين عليه السلام يعزيه: «بسم الله الرحمن الرحيم ، قد بلغني يا أبا عبد الله مصيتك بأهلك ، وأوجعني بعض ما

أو جعلك . ولعمري لمصيبة يتقدم أجرها خير من نعمة يسأل عن شكرها ولعلك لا تقوم بها ، والسلام عليك» . (تاریخ دمشق: ٢١/٤٢٩).

ورزق من زوجته الكندية أولاداً ، فقد رروا عن ابنه عبد الله ، كما في تاريخ دمشق: ٢١/٤٠٣ ، وذكر أخبار إصبهان: ٥٢/١ ، والمنفردات لمسلم / ١٠٥ . وعن ابنه عبد الرحمن ، كما في أسد الغابة: ٥/٤٤٠ ، وعن ابنه محمد ، كما في مستدركات رجال الحديث: ٧/١١٤ .

وروروا عن ابنه يحيى بن سليمان ، كما في تاريخ دمشق: ٥/٢٢٧ . وعامر بن سليمان ، كما في المنفردات لمسلم بن الحجاج / ١٠٤ . ولعله هو عمر بن سليمان كما في كشف الظنون: ٢/١٤٨٨ . رروا عن ابنه زاذان بن سليمان ، كما في الدر النظيم / ٣٢١ .

وذكر في فهرست متنجب الدين: ٥٢/٥٢ ، ذرية له من ولده محمد هو: الشيخ بدر الدين الحسن بن على بن سليمان بن أبي جعفر بن أبي الفضل ... بن محمد بن سليمان الفارسي رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ ، نزيل أشناباء السد من الري ، واعظ فصيح صالح.

وقال في مستدركات رجال الحديث: ٤٥٤/٢: (يتنهى إلى إبراهيم بن سليمان بن محمد بن سليمان الفارسي بعشرين واسطة) .

وفي نفس الرحمن في فضائل سليمان / ٥٦١: «قيل إنه (سليمان) عاد إلى إصفahan في زمان عمر ، وقيل: كان له أخ بشيراز له نسل ظمّ ، وبنت بإصفahan لها نسل ، وبستان بمصر ، وقيل كان له ابن يقال له: كثير» .

٢٤ . علم سليمان بوفاته ، وجاء على ~~ليلة~~ من المدينة وصلى عليه ورجع من يومه ،

روى الكشي (١/٦٦) بسنده عن ابن أبي عمر عن عمر بن يزيد ، قال: «قال سليمان: قال لي رسول الله ﷺ: إذا حضرك أو أخذك الموت ، حضر أقوام يجدون الريح

ولا يأكلون الطعام ، ثم أخرج صرة من مسک فقال: هبْهْ أعطانيها رسول الله ﷺ ، قال: ثم بلهما ونضحها حوله ، ثم قال لامرأته: قومي أجيفي الباب ، فقامت وأجافت الباب ، فرجعت وقد قُبض رضي الله عنه !

وفي رواية الطبقات: ٩٢/٤: «أصاب سليمان صرّة مسک يوم فتحت جلواء فاستودعها امرأته ، فلما حضرته الوفاة قال: هاتي هذه المسکة فمرسها في ماء ، ثم قال: إنضحيها حولي فإنه يأتيني زوار الآخر . قال فعلت ، فلم يمكث بعد ذلك إلا قليلاً حتى قبض ». وفي رواية: أصاب مسکاً عند فتح مدينة بلنجر في أرمانيا ، وهي اليوم في داغستان . فكان الرواة استكثروا عليه هدية النبي ﷺ فجعلوا المسک من مناطق شارك في فتحها ، لكن مع وجود العطر من النبي ﷺ فلا يفضل سليمان ولا الملائكة عليه عطراً آخر . والأمر المهم في الموضوع أن سليمان رضي الله عنه يعرف وقت وفاته ، ويستقبل ملائكة الموت بالعطر !

وفي الطبقات: ٩٢/٤: «لما حضرته الوفاة دعاني وهو في عليلة له لها أربعة أبواب فقال: إفتحي هذه الأبواب يا بقيرة ، فإن لي اليوم زواراً لا أدرى من أي هذه الأبواب يدخلون عليّ ، ثم دعا بمسک له فقال أديفيه في تور فعلت ، ثم قال: إنضحيه حول فراشي ، ثم انزلي فاماكيثي ، فسوف تطلعين فتريني على فراشي . فاطلعت فإذا هو قد أخذت روحه ، فكانها هو نائم على فراشه ».

وفي رواية: يحضرني خلق من خلق الله يجدون الريح ولا يأكلون الطعام ، ثم اجفثي على الباب وانزلي . قالت: فعلت وجلست هنئها فسمعت هسهسة . قالت: ثم صعدت فإذا هو قد مات ».

وقد توفي سليمان في خلافة عمر ، وقيل في خلافة عثمان . (الطبقات: ٤/٩٣).

وروى في الخراج (٥٦٢/٢) «أن علياً دخل المسجد بالمدينة غداة يوم وقال:رأيت في التوم رسول الله ﷺ البارحة ، وقال لي: إن سليمان توفي ، ووصاني بعسله وتكتفيه والصلاحة عليه ودفنه ، وهو أنا خارج إلى المدائن لذلك .

فقال عمر: خذ الكفن من بيت المال . فقال علي عليه السلام: ذاك مكفيٌّ مفروغٌ منه . فخرج الناس معه إلى ظاهر المدينة ، ثم خرج وانصرف الناس ، فلما كان قبل الظهرة رجع وقال: دفته . وكان أكثر الناس لم يصدقوه ، حتى كان بعد مدة ووصل من المدائن مكتوب: إن سليمان توفي ليلة كذا ، ودخل علينا أعرابي فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه ، ثم انصرف ! فتعجبوا كلهم ».

وفي الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة /٢١٩، أن جابر بن عبد الله الأنصاري وغلامه قبر ذهبا مع علي عليه السلام إلى المدائن لتسغيل سليمان ، فدخل على عليه السلام وكشف الرداء عن وجهه فبسم سليمان وهم أن مجلس ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: عذر على موتك . فلما صلى عليه كنا نسمع تكبيراً شديداً، وكانت رأيت معه رجلين فسألته عنهما، فقال: أحدهما أخي جعفر والآخر الخضر ، ومع كل واحد منها سبعون صفاً من الملائكة . وقد أشار إلى هذه الحكاية أبو الفضل اليمني في قوله:

سمعت مني يسيراً من عجائبه	وكل أمرٍ علىٰ مِيزَلْ عجباً
درَّيْتَ عن ليلَةٍ سارَ الوصيُّ بها	إِلَى الْمَدَائِنِ لِمَا أَنْ هَسَ طَلَباً
عراصٌ يثربُ والإِصْبَاحُ مَا قَرَباً	فَأَلْهَدَ الطَّهَرَ سَلَيْماناً وَعَادَ إِلَى
بُرْعَشٍ بِلْقَيْسٍ وَافِي بَحْرِ الْحَجَباً	كَاصِفٍ قَبْلَ رَدَ الْطَّرْفَ مِنْ سَبَا
بِحِيدَرٍ أَنَا غَالٌ أَوْرُدُ الْكَنْبَا !	أَرَاكَ فِي آصَفٍ لَمْ تَنْقُلْ فِيهِ بَلَى
خَيْرَ الْوَصِيْبِينَ أَوْ كُلَّ الْحَدِيثِ هَبَا).	إِنْ كَانَ أَحَدُ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ فَذَا

حجر بن عدي الكندي رضي الله عنه

١. حجر بن عدي الكندي رضي الله عنه ، صاحبٌ جليل ، وفارسٌ من كبار

قادة الفتوحات ، كان كثير العبادة ، حتى وصفوه براهيب الصحابة .

قال الحاكم في المستدرك: ٤٦٨/٣: «ذكر مناقب حجر بن عدي رضي الله عنه ، وهو

راهيب أصحاب محمد ﷺ» .

وكان بارأً بأمه عبّادها: فكان يرتب لها مكان نومها بيده ، ثم ينام فيه ليطمئن أنه
مهد ! (تاريخ دمشق: ١٢/٢١٢ ، ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا/٧٦).

٢. كان فارساً قائداً في فتح العراق وإيران والشام ، فكان في معركة القادسية

قائد الميسرة . وفي معركة فتح المدائن ، ومعركة جلواء أو خانقين . وشارك في
فتح الشام ، وهو الذي فتح مرج عذراء ، الذي حبسه فيه معاوية وقتله فيه !

(المحبر: ٢٩٢ والطيري: ١٣٥/٢، وابن الأعثم: ٢١١/٦، والطبقات: ٢١٧/٦، والغارات: ٨١٢/٢).

وفي مذيل الطبري /١٤٩: «وفد إلى النبي ﷺ مع أخيه هاني بن عدي ، وشهد
القادسية . وهو الذي افتح مرج عذراء» .

وكان قائداً للميمنة في معركة جلواء . قال البلاذري: ٣٢٤/٢: (فقال المسلمون:
ينبغى أن نعاجلهم قبل أن تكثر أمدادهم فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على
الميمنة) . والأخبار الطوال/ ١٢٧ .

وفي فتح حلوان: «عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قالت: لما قاتل معاوية
حجر بن عدي الكندي ، قال أبي: لو رأى معاوية ما كان من حجر في قنطرة
حلوان ، لعرف أن له عَنَاءً عظيماً عن الإسلام». (فتح البلاذري: ٣٧٠/٢).

وجاء في معركة جلواء الكبرى (البلاذري: ٢/ ٣٢٤): «فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على الميمنة، وعمرو بن معدى كرب على الخيل، وطلحة بن خويلد على الرجال وعلى الأعاجم يومئذ خرزاد أخوه رستم . فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ، رميأ بالبنبل وطعنأ بالرماح حتى تتصفّت ، وتجالدوا بالسيوف حتى انشت . ثم إن المسلمين حملوا حملة واحدة قلعوا بها الأعاجم عن موقفهم وهزموهم فولوا هاربين ، وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً.. وكانت وقعة جلواء في آخر سنة ست عشرة ». .

٣. كان شجاعاً نقباً ، وظهرت له كرامات في حربه وشهادته ، وكان أول من افحم بفرسه نهر دجلة العريض في فتح المدائن ، فقد طال اصطدام المسلمين والفرس ، وكان الفرس على الصفة الأخرى لدجلة ، فتقدم حجر وقرأ: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ كِتَابًا مُؤْجَلًا وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَبَّغَ زِيَّ الشَّاكِرِينَ . وأقحم فرسه وهو يقول باسم الله ، عبر وعبر المسلمين على أثره ! فلما رأهم العدو قالوا: ديوان ديوان ! يعني شياطين شياطين (ديوان: جمع ديو: النول) فهربوا فدخلنا عسكراهم». (كرامات الأولياء اللالكاني / ١٥٢ ، وتفسير ابن كثير / ٤١٩: ١)

٤. كان حجر من كبار أصحاب علي عليهما السلام ، وأراد أن يوليه رئاسة كندة ، ويعزل الأشعث بن قيس ، وكلاهما من ولد الحارث بن عمرو آكل المرار ، فأبى حجر بن عدي أن يتولى الأمر والأشعث حبي . (الأخبار الطوال: / ٢٢٤).

وكان يكتب الحديث عن علي عليهما السلام ولا يطبع أمر تحريم تدوين السنة ! «قال: ناولني الصحيفة من الكوة ، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما سمعت علي بن أبي

طالب يذكر: إن الطهور نصف الإيمان». (الغارات: ٨١٢/٢).

وكان في صفين قائد ميمنته على عليه السلام: (تاريخ الطبرى: ٦٣/٤). وقائد قوات كندة (تاريخ خليفة ١٤٦، والغارات: ٥١/١).

وهو أول من خرج لرد غارات معاوية على مسالح العراق: «وطارد الضحاك بن قيس فللحقة في تدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحابه رجالان، وحال بينهم الليل فهرب الضحاك وأصحابه». (تاريخ الطبرى: ١٠٤/٤).

٥. كان مع بعض أصحابه يشتمون أهل الشام ، فنهاهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال حجر: يا أمير المؤمنين نقبل عذتك ، ونتأدبك .

ففي بحار الأنوار: ٣٩٩/٣٢: «روى نصر عن عبد الله بن شريك قال: خرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يُظهران البراءة من أهل الشام، فأرسل على عليه السلام إليهم أن كُفَّاً عما يبلغني عنكم، فأتياه فقال: يا أمير المؤمنين ألسنا محقين؟ قال: بلى . قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا الغانين شتامين تشتمون وتبُرُّون ، ولكن لو وصفتم مساوىً لأعماهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا ومن أعماهم كذا وكذا ، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر . وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم أحقن دماءهم ودماءنا ، وأصلاح ذات بينهم وبيننا ، واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق منهم من جهله ، ويرعوي عن الغي والعدوان منهم من لج به ، لكان أحب إلى وخيراً لكم . فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عذتك ونتأدبك ».

٦. وجُنْدُر هو الذي فضح تامر الأشعث رئيس كندة في قتل أمير المؤمنين عليه السلام.
ففي مقاتل الطالبيين/ ٢٠: «والأشعث في بعض نواحي المسجد ، فسمع حجر بن

عدي الأشعث يقول لابن ملجم: النجاء النجاء حاجتك ، فقد فضحك الصبح
، فقال له حجر: قتلته يا أعزور ، وخرج مبادراً إلى علي عليهما السلام .

٧. وكان حجر معتمداً الإمام الحسن عليهما السلام: «تحرك الحسن عليهما السلام وبعث حجر بن عدي فأمر العمال بالمسير ، واستنفر الناس للجهاد فتباقلوا عنه ، ثم خفَّ معه أخلاقُ الناس» . (الإرشاد: ٢/ ١٠ ، ومقاتل الطالبيين/ ٣٩) .

٨. وقتلها معاوية بدون أي حجة إلا تشيعه لعلي عليهما السلام ، وبعد أن وقَّع في صلحه مع الإمام الحسن عليهما السلام لأن لا يتعقب أحداً من شيعة علي عليهما السلام .
واعترف بجريمه وقال: «ما قتلت أحداً إلا وأنا أعرف فيما قتله وما أردت به ! ما خلا حجر بن عدي ، فإني لا أعرف فيما قتله». (تاریخ دمشق: ١٢/ ٢٣١)
وكان قتله في صفر سنة إحدى وخمسين هجرية: (الطبری: ٤/ ١٨٧ ، وتاریخ خلیفة بن خیاط: ٦٠ ، ومستدرک الحاکم: ٣/ ٤٦٨ ، ومعارف ابن قتیبة: ١٧٨) .

٩. وغضب الإمام الحسن عليهما السلام لقتل حجر ، وعائشة والصحابة وأخيار الأمة .
ففي الإحتجاج: ١٩/ ٢: «عن صالح بن كيسان قال: لما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه حج ذلك العام فلقي الحسين بن علي عليهما السلام فقال: يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟ فقال عليهما السلام: وما صنعت بهم؟ قال: قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم! ففضحك الحسين عليهما السلام ثم قال: حَصَمَكَ الْقَوْمَ يَا مَعَاوِيَةَ، لَكُنْتَ لَوْ قَتَلْنَا شَيْعَتَكَ مَا كَفَنَاهُمْ وَلَا صَلَيَنَا عَلَيْهِمْ وَلَا قَبَرَنَاهُمْ! وَلَقَدْ بَلَغْنِي وَقِيَعَتِكَ فِي عَلَيْ وَقِيَامَكَ بِعِصْمَنَا ، وَاعْتَرَاضَكَ بَنِي هاشم بالعيوب ، فإذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك ثم سلها الحق عليها ولها ،

فإن لم تجدها أعظم عيّباً فما أصغر عيّبك فيك، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توتّرن
غير قوسك ولا ترمي غير غرضك ، ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب ، فإنك
والله لقد أطعـتـنـاـ فـيـنـاـ رـجـلـاـ مـاـ قـدـمـ إـسـلـامـهـ وـلـاحـدـثـ نـفـاقـهـ وـلـانـظـرـ لـكـ !ـ فـاـنـظـرـ
لـنـفـسـكـ أـوـ دـعـ ».ـ يـقـصـدـ عـمـروـ الـعـاصـمـ ،ـ الـذـيـ لـهـ دـورـ أـسـاسـيـ فـيـ خـطـطـ مـعـاوـيـةـ !ـ

وقالت له عائشة: «ياماً خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟ قال: لست
أنا قتلتـهـ ،ـ إـنـاـ قـتـلـتـهـ مـنـ شـهـدـ عـلـيـهـمـ» !ـ (الطـبـرـيـ:ـ ٤ـ،ـ ٢٠٨ـ،ـ وـالـإـسـتـيـعـابـ:ـ ١ـ،ـ ١ـ،ـ ٣ـ٣ـ١ـ)
وـأـنـسـابـ الـأـشـرـافـ:ـ ٥ـ،ـ ١٢ـ٦ـ٥ـ .ـ وـفـيـ الطـبـقـاتـ:ـ ٦ـ،ـ ٢١ـ٩ـ،ـ أـنـ عـائـشـةـ بـعـثـتـ رسـالـةـ إـلـىـ مـعـاوـيـةـ وـأـنـهاـ
وـصـلـتـ بـعـدـ قـتـلـهـ !ـ وـالـرـوـضـ الـأـنـفـ:ـ ٣ـ٦ـ٦ـ،ـ وـفـيـهـ (ـفـقـالـ أـنـاـ ؟ـ إـنـاـ قـتـلـتـهـ مـنـ شـهـدـ عـلـيـهـمـ)ـ !ـ
يـقـصـدـ بـذـلـكـ شـهـدـواـ عـلـيـهـمـ بـأـنـهـمـ طـمـنـواـ فـيـ مـعـاوـيـةـ وـخـرـجـواـ مـنـ بـعـتـهـ !ـ

قال ابن سيرين: «أربع خصال كنَّ في معاوية ، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانـتـ
موبةـةـ:ـ اـنـتـرـاؤـهـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـمـةـ بـالـسـيـفـ حـتـىـ أـخـذـ الـأـمـرـ مـنـ غـيرـ مـشـوـرـةـ ،ـ وـفـيـهـمـ
بـقـايـاـ الصـحـابـةـ وـذـوـوـ الـفـضـيـلـةـ !ـ وـاستـخـلـافـهـ بـعـدـ اـبـنـهـ سـكـيرـاـ خـيـرـاـ يـلـبسـ الـحـرـيرـ
وـيـضـرـبـ بـالـطـنـابـيرـ .ـ وـادـعـاؤـهـ زـيـادـاـ وـقـدـ قـالـ رـسـولـ اللـهـ ﷺـ:ـ الـوـلـدـ لـلـفـرـاشـ
وـلـلـعـاهـرـ الـحـجـرـ .ـ وـقـتـلـهـ حـجـرـ أـصـحـابـ حـجـرـ ،ـ فـيـاـ وـيـلـاـ لـهـ مـنـ حـجـرـ !ـ وـيـاـ وـيـلـاـ
لـهـ مـنـ أـصـحـابـ حـجـرـ ».ـ (ـالـطـبـرـيـ:ـ ٤ـ،ـ ٢٠٨ـ).ـ

١٠. كان الريبع بن زياد المذحجي من القادة أبطال الفتح ، وهو يشبه حجر بن

عدي الكندي رضي الله عنهاـ ،ـ وـعـنـدـمـاـ قـتـلـ حـجـرـ كـانـ حـاـكـمـ خـرـاسـانـ .ـ
قال ابن سعد في الطبقات (٦/١٥٩): «وـكـانـ عـمـرـ يـقـولـ:ـ دـلـونـيـ عـلـىـ رـجـلـ إـذـاـ كـانـ فـيـ
الـقـوـمـ وـهـوـ أـمـيرـ ،ـ فـكـانـ لـيـسـ بـأـمـيرـ ،ـ وـإـذـاـ كـانـ فـيـهـمـ وـهـوـ غـيرـ أـمـيرـ فـكـانـهـ أـمـيرـ .ـ
فـقـالـلـوـاـ:ـ مـاـ نـعـلـمـ إـلـاـ الـرـيـبعـ بـنـ زـيـادـ بـنـ أـنـسـ ،ـ وـكـانـ مـتـوـاضـعـاـ خـيـرـاـ ،ـ وـقـدـ وـلـيـ

خراسان ، وفتح عامتها ». .

وقد نزل عليه قتل حجر بن عدي كالصاعقة ، فقال: ذلت العرب بعد قتل حجر صبراً ! قال الطبرى: ٤/٢١٦: « قال: لاتزال العرب تقتل صبراً بعده ، ولو نفرتْ عند قتلها لم يقتل رجل منهم صبراً ، ولكنها أقرت فذلت ! فمكث بعد هذا الكلام جمعة ، ثم خرج في ثياب بياض فى يوم جمعة فقال: أيها الناس إني قد مللت الحياة ، وإنى داع بدعوة فأمنوا . ثم رفع يده بعد الصلاة وقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلاً ، وأمّن الناس ، فخرج فيها توارث ثيابه حتى سقط ، فحمل إلى بيته واستخلف ابنه عبد الله ، ومات من يومه ». .

١١ . وكان حجرٌ يردد عند موته الحديث النبوى: الموت في حب على شهادة !
 ففي مختصر أخبار الشعراء للمرزباني /٤٩: « لما قيَّدَ حجر عذراء قال: ما هذه القرية؟ فقيل: عذراء . فقال: الحمد لله ، أما والله إني لأول مسلم ذكر الله فيها وسجد ، وأول مسلم نبح عليه كلامها في سبيل الله ، ثم أنا اليوم أحمل إليها مصطفاً في الجديد ! ثم قال حجر للذى أمر بقتالهم: دعني أصلِّ ركتعتين خفيفتين ، فلما سلم انقتل إلى الناس فقال: لو لا أن يقولوا جزع من الموت لأحبست أن يكوننا نفس ما كانتا وأيم الله لئن لم تكن صلاتي فيها مضى تتفعني ما هاتان بنافعتي شيئاً ، ثم أخذ ثوبه فتحزَّم به ، ثم قال لمن حوله من أصحابه: لا تحلوواقيودي فإني أجمع ومعاوية على هذه المحجة ! ثم مشى إليه هدبة الأعور بالسيف ، فشخص إليه حجر فقال: ألم تقل إنك لم تجزع من الموت؟ فقال: أرى كفناً منشوراً ، وقبراً محفوراً ، وسيفاً مشهوراً ، فهالي لا أجزع ! أما والله لئن جزعت لا أقول ما يسخط الرب ! فقال له: فابراً من علي وقد أعد لك معاوية جميع ما

تريد إن فعلت ! فقال: ألم أقل إني لا أقول ما يخبط الرب ! والله لقد أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ بيومي هذا ! ثم قال: إن كنت أمرت بقتل ولدي فقدمه ، فقدمه فضربت عنقه ، فقيل له: تجلت الثكل ! فقال: خفت أن يرى هول السيف على عنقي فيرجع عن ولابة علي عليهما السلام فلا نجتمع في دار المقامات التي وعدها الله الصابرين ! ولما حل عبد الرحمن بن حسان العنزي ، وكريم بن عفيف الخثعمي ، وكانا من أصحابه ، قال العنزي: يا حجر لا تُبعد ولا يبعد ثوابك ، فنعم أخو الإسلام كنت . وقال الخثعمي: يا حجر لا تُبعد ولا تُفقد ، فلقد كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ثم ذهب بهما فأتبعهما حجر بصره ، وقال:

كفى بشفاعة القبر بعداً هالك وبالموت قطعاً لحبل القرائن

ثم التفت إلى بقية أصحابه فرأى منهم جزعاً ، فقال: قال لي حبيبي رسول الله ﷺ: يا حجر تقتل في محبة علي صبراً ، فإذا وصل رأسك إلى الأرض مادت وأنبعت عين ماء فتغسل الرأس ! فإذا شاهدتم ذلك فكونوا على بصائركم ، وقد فضربت عنقه فلما وصل رأسه إلى الأرض مادت من تحته وأنبعت عين ماء فغسلت الرأس ! قال: فجعل أصحابه يتهاقون إلى القتل فقال لهم أصحاب معاوية: يا أصحاب علي ، ما أسر عكم إلى القتل ! فقالوا: من عرف مستقره سارع إليه !

وعندما كان محبوساً في بستان في مرج عذراء أصحابه جنابة ، فقال للسجان أعطني من الماء شرابي اليوم وغداً لأنظر به ، ولا أطلب منك شيئاً . قال: أخاف أن تموت عطشاً فيقول معاوية أنت قاتله ! قال: فبني حجر حجاراً (حوضاً) ودعا الله فأسكبت سحابة فصبت من الماء ما أراد ، فظهر حجر ! فقال له بعض أصحابه: لو دعوت الله أن يخلصنا لفعل ! فقال حجر: اللهم خرّلنا ،

ثلاثًا» . (فيض القدير: ٤/١٦٦ ، والغارات: ٢/٨١٢ ، وختصر أخبار شعراء الشيعة /٤٩):

وقيل إن شجر ذلك البستان جفت من يوم شهادته ! (شرح الأخبار: ٢/١٧١).

١٢ . وُقُتِلَ مَعَ حَجْرٍ خَمْسَةً مِنْ أَصْحَابِهِ ضَرَبَتْ أَعْنَاقَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَهُمْ:

شريك بن شداد الحضرمي ، وصيفي بن فسيل الشيباني ، وقيصمة بن ضبيعة العبسي ، ومحرز بن شهاب السعدي ثم المنقري ، وكدام بن حيان العنزي . أما السابع عبد الرحمن بن حسان العنزي ، فأعاده معاوية إلى زياد بن أبيه ، وأمره أن يدفنه حيًّا في الكوفة ليرهب به الناس !

وتوسط لهم الصحابة وزعماء القبائل والشخصيات ، فلم يقبل معاوية وساطتهم إلا في سبعة فأطلقهم ، وهم: كريم بن عفيف الخثعمي ، وعبد الله بن حوية التميمي ، و العاصم بن عوف البجلي ، وورقاء بن سمي البجلي ، والأرقمن بن عبد الله الكندي ، وعتبة بن الأحسن من بني سعد بن بكر ، وسعيد بن نمران الهمداني ». (تاريخ دمشق: ٨/٢٧)

١٣ . وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ حَجْرَ بْنَ عَدَى سَيُقْتَلُ وَيَغْضِبَ اللَّهُ لَهُ

روت عائشة كما في تاريخ دمشق: ١٢/٢٢٦: «عن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملت على قتل حجر وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين أني رأيت قتلهم صلحاً للأمة وأن بقاءهم فساد للأمة! فقالت: سمعت رسول الله يقول: سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم أهل السماء». وفيض القدير: ٤/١٦٦ .

وفي تاريخ دمشق: ١٢/٢٢٧: «عن ابن زرير الغافقي عن علي عليهما السلام قال: يا أهل الكوفة ، سيقتل فيكم سبعة نفر خياركم ، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود ».

وقال حجر: «قال لي علي عليهما السلام: كيف تصنع أنت إذا ضربت وأمرت بعلعني؟ قلت له: كيف أصنع؟ قال: إلعني ولا تبرأ مني فإني على دين الله». (البحار: ٣٩/ ٣٢٤).

١٤. أرسل إليه معاوية مجرماً كثيراً فأحضره إليه ثم قتلته! «سمعت أبي داود

قال: قتل حجر بن عدي على يدي أبي الأعور السلمي». (سؤالات الأجري: ١/ ٣٢١) وفي تاريخ الطبرى: ٤/ ١٩٠: «فُسْدَ في الحديد ثم حُمل إلى معاوية ، فلما دخل عليه قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال له معاوية: أمير المؤمنين ! أما والله لا أقيلك ولا أستقilk ، أخرجوه فاضربوا عنقه ! فأخرج من عنده ، فقال حجر للذين يلون أمره: دعوني حتى أصلِّي ركعتين فقالوا: صَلَّى فصلِي ركعتين خفف فيها ، ثم قال: لو لا أن تظنوا بي غير الذي أنا عليه ، لأحببت أن تكونوا أطول مما كاتنا ، ولكن لم يكن فيها مضى من الصلاة خير فما في هاتين خير . ثم قال لمن حضره من أهله: لا تطلقوا عني حديداً ولا تغسلوا عنـي دمـاً فإني ألاقي معاوية غداً على الجادة ، ثم قدم فضربت عنقه».

معناه أن حجر قال له إبني بايعتك بأمر الإمام الحسن عليهما السلام ولم أنقض بيعتي ، وقد افترى على عاملك على الكوفة وقال إنه نقض بيعتك ! فقال له معاوية: لا أقبل منك وسأقتلك !

١٥. وأصيب معاوية بالملوسة قبل موته ، فكان يهذي باسم على عليهما السلام ، وحجر ،

وعمر وبن الحمق . قال ابن الأعثم في الفتوح: ٤/ ٣٤٤: «وجعل معاوية يبكي لما قد نزل به... وكان في مرضه يرى أشياء لا تسره ! حتى كأنه ليهزم هذيان المدنس وهو يقول: إسقوني إسقوني فكان يشرب الماء الكثير فلا يبروى ! وكان ربها عُشَّي عليه اليوم واليومين ، فإذا أفاق من غشوه ينادي بأعلى صوته: ما لي وما لك يا

حجر بن عدي ! مالي وما لك يا عمرو بن الحمق ! مالي ومالك يا ابن أبي طالب !
وقال الطبرى فى تاريخه: ١٩١ / ٤: «قال ابن سيرين: بلغنا أنه لما حضرته الوفاة جعل
يغرغر بالموت وهو يقول: يومي بك ياحجر يوم طويل». ونهاية الإرب: ٤٤٥٩ .

١٦ . وقد حاول معاوية واليه أن يلعن حجرًا عليه ~~علياً~~ ويتبرأ منه فلم يفعل،
ففي شرح النهج: ٥٨ / ٤: «وأمر المغيرة بن شعبة وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل
معاوية ، حجر بن عدي أن يقوم في الناس فليلعن علياً ! فأبى ذلك فتوعده فقام
فقال: أيها الناس ، إن أميركم أمرني أن ألعن علياً فالعنوه ! فقال أهل الكوفة:
لعنه الله ، وأعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد ». .

وفي رجال الكشي: ٢١٩ / ١، أنه قال مثل ذلك عندما طلب منه حاكم اليمن أن
يلعن علياً ~~بشكراً~~ في صناعه ! وفي الغدير: ١١٩ / ٩: «قاموا إليهم فقالوا: تبرؤون من
هذا الرجل ؟ قالوا: بل نولاه ونتبرأ من تبراً منه . فأخذ كل رجل منهم رجلاً
وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً، حتى قتلوا ستة». (الطبرى: ٦ / ٤١، والنهاية: ٧ / ٤٩).

١٧ . وأوصى حجر أن يدفنه بشابه ودمائه ، ليخاصم معاوية وهو مضرج بدمه
ففي مصنف ابن أبي شيبة: ١٣٩ / ٣: «قال حجر بن عدي لمن حضره من أهل بيته: لا
تعسلوا عنى دماً ، ولا تطلعوا عنى حديداً ، وادفوني في ثيابي ، فإني ألتقي أنا
ومعاوية على الجادة غداً !». (ونحوه في تاريخ دمشق: ١٢ / ٢٢٥ ، والطبقات: ٦ / ٢١٩).
وبعد أن قتل معاوية حجراً ، أمر عامله فهدم داره بالكوفة ! (الطبرى: ٤ / ٥٣٦).

١٨ . كان حجر رئيس قبائل كندة ، أو في مرتبة رئيسها ، وقد تحمل الإضطهاد
أو القتل معه عدد من أصحابه من رؤساء القبائل وشخصيات الإسلام

وفرسانه ، الذين فتحوا العراق والشام ، فمنهم مثلاً: «سعید بن نمران الهمداني الناعطي ، كان كاتباً لعلى عليه السلام وأدرك من حياة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أعوااماً وشهد اليرموك ، وسار إلى العراق مددأً لأهل القادسية ، وكان من أصحاب حجر بن عدي ، وسيّره زيد مع حجر إلى الشام ، فأراد معاوية قتله مع حجر ، فشفع فيه حزة بن مالك الهمداني فخل سبيله». (اسد الغابة: ٢/٣٦).

وكفى بذلك دليلاً على اضطهاد قادة الفتح وفرسانه بيد الحكام السياسيين والإداريين ، فالمسكريون يضخون ويتحققون النصر لل المسلمين ويفتحون البلاد ، ويسلمونها إلى الخليفة ، فيسلمها إلى أناس يختارهم لإدارتها ، وهم عادة من أجبن الناس وأبعدهم عن الجهاد والفروسية وأخلاقها ، فيصادرون جهود غيرهم ، ويضطهدونهم ، ثم يزعمون أنهم هم الذين جاهدوا وفتحوا !

وقد كان لاعتقال حجر وسجنه ثم قتله تأثير كبير على المجتمع الإسلامي آنذاك ، رغم سيطرة معاوية . وقد روى الطبرى: ٤/١٩١، والبلذري في أنساب الأشراف/ ١٢٥٦ ، وغيرهما موافق حجر مع حاكم الكوفة المغيرة بن شعبة ، ومع ابن زياد ، وتفاصيل حملة اعتقاله وأصحابه ، وتسفيرهم إلى الشام ، وما كذبوا عليهم .

وقال الشعراء كثيراً في رثاء حجر الشهيد رضي الله عنه ، ورووا قصائد عديدة في أمهات المصادر كالطبرى وابن عساكر . وقال ابن سعد: ٦/٢٢٠: «وقد كانت هند بنت زيد الأنبارية ، وكانت شيعية ، قالت حين سير بحجر إلى معاوية:

ترفع أنها القمر المنير	لقتله كما زعم الخبر	تبشير إلى معاوية بن حرب	وطاب لها الخورنق والسدير	وأصبحت البلاد له محولاً
يسير إلى معاوية بن حرب	كأن لم يحيها يوماً مطير.. الخ.	تجبرت الجبار بعد حجر		

حديفة بن اليمان أمين سر رسول الله ﷺ

١. عُرِفَ حذيفة رضي الله عنه بأنه صاحب بَرَّ النبي ﷺ عَلِمَه بعض المغيبات

وأسماء المنافقين، خاصة الصحابة الذين حاولوا اغتياله عَلِمَه ليلة العقبة في طريق رجوعه من تبوك . وقد سئل أمير المؤمنين عَلِمَه عن حذيفة كمَا في الإحتجاج (١)، ف قال: «ذاك امرؤٌ عُلِمَ أسماء المنافقين ، إن تسأله عن حدود الله تجدوه بها عالماً». وفي تاريخ دمشق: «امرؤٌ عُلِمَ بالمغيبات».

وأضاف فيه في تاريخ دمشق: «١٢ / ٤٢٢، و ٢٧٥ / ٢١: «وسأله عن المغيبات حين عُفل عنها، فإن تسأله تجدوه بها عالماً . قالوا: فحدثنا عن سليمان؟ قال: من لكم بمثل لقمان الحكيم ! ذاك امرؤٌ منا وإلينا أهل البيت ، أدرك العلم الأول وعلم الآخر ، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر ، بحر لا ينفر ». .

وفي أمالى الطوسي / ٢٢٢، قال حذيفة: «إن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكانت أساليه عن الشر ، فأنكر ذلك القوم عليه فقال: سأحدثكم بما أنكرتم: إنه جاء أمر الإسلام ، فجاء أمر ليس كأمر الجاهلية ، وكانت أعطيت من القرآن فقهها ، وكانوا يجيئون فيسألون النبي ﷺ فقلت أنا: يا رسول الله ، أيكون بعد هذا الخير شر؟ قال: نعم . قلت: فما العصمة منه . قال: السيف . قال: قلت: وهل بعد السيف بقية؟ قال: نعم ، تكون إماراة على إقذاء وهدنة على دخن . قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم تفسو دعاة الضلاله ، فإن رأيت يومئذ خليفة عدل فالزمه ، وإنلا فمت عاصماً على جذل شجرة» .

وفي صحيح البخاري: ٤/١٧٨ و ٨/٩٣، قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير و كنت أسئلته عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية و شر ، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم . قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم ، وفيه دُخْن . قلت: وما دُخْنُه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر . قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم ، دعاء إلى أبواب جهنم من أحابهم إليها قذفوه فيها ! قلت: يا رسول الله صفهم لنا . فقال: هم من جلدتنا و يتكلمون بالستنا » !

وفي كتاب الفتنة لابن حادث: ١٧: «قلت: وما دُخْنُه؟ قال قوم يستنون بغير سنتي ، ويهتدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر ». .

٢. وكان عمر بن الخطاب لا يصلى على صحابي مات إلا إذا صلى عليه حذيفة ،
ففي سنن البيهقي: ٨/٢٠٠: «كان عمر بن الخطاب في خلافة إذا مات رجل يظن أنه من أولئك الرهط ، أخذ بيده حذيفة فاقتاده إلى الصلاة عليه ، فإن مشى معه حذيفة صلى عليه ، وإن انتزع حذيفة يده فأبى أن يمشي معه ، انصرف عمر معه فأبى أن يصلى عليه ». .

وفي شذرات الذهب لابن العماد الحنفي: ١/٤٤: «كان عمر لا يصلى على ميت حتى يصلى عليه حذيفة ، يخشى أن يكون من المنافقين ». .

وذكر ابن كثير في السيرة النبوية: ٤/٣٥، أن عمر سأله حذيفة عن نفسه هل هو من المنافقين ! قال: «ورويانا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال

لخديفة: أقسمت عليك بالله أَنَا مِنْهُمْ؟ قال: لا. ولا أَبْرِي بعْدَكَ أَحَدًا . يعني حتى لا يكون مفشيًّا سر النبي ﷺ .

أقول: لقد استفاد عمر من علم حذيفة بالمنافقين والفتنة استفادةً محدودةً جداً وكذلك فعل أبو بكر وعثمان ، وهذا لا يتناسب مع عقيدتهم وإيمانهم على أن حذيفة خبير بالمنافقين وبالفتنة، وموثقٌ من النبي ﷺ ، فكان يجب عليهم الاستفادة من علمه الخطير ، وسؤاله عن المنافقين لاستبعادهم عن مناصب الدولة ، وعن الفتنة لتوقى ما يمكن توجيه منها ! فلماذا يا ترى لم يفعلوا ذلك ؟

الجواب: أنه لا يناسبهم العمل بعلمه لأن رأيه منحاز لعلي وعترة النبي ﷺ بري أنهم ورثة علم النبي ﷺ الذي لا تنجو الأمة بدونه ، وأنهم أولياء الأمة وأئمتها بأمر الله تعالى ، ولأنجاهة من المنافقين والفتنة والضلال إلا بتسليم قيادتها لهم وطاعتهم .

قال الباحث حسن بن فرحان المالكي في كتابه: نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي / ١٨٤ : « كما أنه من المعلوم أن أعلم الناس بالفتنة حذيفة بن اليمان ، وقد أوصى باتباع علي في الفتنة ، ولم يأمر بالإعتزال . فكان يقول: « عليكم بالطائفة التي تدعوا إلى أمر علي بن أبي طالب فإنها على الحق » رواه البزار وصححه الحافظ ابن حجر . وحذيفة أعلم بالفتنة من المعزلين ، بل هو أعلم الصحابة مطلقاً بأخبار الفتنة وما يجب فيها » .

٣. اشتهر حذيفة بتشييعه لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهو أحد الأركان الأربع للتشييع
الذين ثبتوها مع أمير المؤمنين عليه السلام واستعدوا للموت في مواجهة مؤامرة السفيفة .

قال العلامة في الخلاصة / ١٣١: «خذيفة بن اليمان العبسي رض عداده في الأنصار ، أحد الأركان الأربع ، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام».

وروى عنه في الكافي: ٣٢/٨، أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب بعد السقيفة خطبة بلية ، جاء فيها: «أيها الأمة التي خُدعت فانخدعت ، وعرفت خديعة من خدعها فأصرت على ما عرفت ، واتبعت أهواءها ، وضررت في عشواء غوايتها ، وقد استبان لها الحق فصدقته ، والطريق الواضح فتنكتبه ...»

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لقد علمتموني صاحبكم والذي به أمرتم ، وأني عالمكم والذي بعلمه نجاتكم ، وووصي نبيكم وخيرة ربكم ولسان توركم ، والعالم بها يصلحكم ، فمن قليل روياناً ينزل بكم ما وعدتم ، وما نزل بالأمم قبلكم ، وسيسألكم الله عز وجل عن أثمتكم ، معهم تحشرون وإلى الله عز وجل غالباً تصيرون ... قال ثم خرج من المسجد فمر بصيرة فيها نحو من ثلاثين شاة ، فقال: والله لو أن لي رجالاً ينصحون الله عز وجل ولرسوله صلوات الله عليه وآله وسليمه بعدد هذه الشياه لأزلت أبن آكلة الذبان عن ملكه . قال: فلما أمسى بايعه ثلاتمائة وستون رجلاً على الموت ، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: أغدوا بنا إلى أحجار الزيت مُحْلِقِين ، وحَلَّقَ أمير المؤمنين عليه السلام ، فما وافى من القوم مخلفاً إلا أبو ذر والمقداد وخذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر ، وجاء سليمان في آخر القوم .

فرفع يده عليه السلام إلى السماء فقال: اللهم إن القوم استضعفوني ، كما استضعفنا بنو إسرائيل هارون ، اللهم فإنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى عليك شيء في الأرض ولا في السماء ، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين .».

وأحاديث تشيع حذيفة رضي الله عنه، وتشدده في التشيع ، كثيرة تزيد على مئة حديث ، وفيها متواتر ، وقد روت مصادر الطرفين عدداً منها !

فمن ذلك ما رواه محمد بن سليمان في المناقب: ٢٢٢ / ١ ، بسنده عن ربيعة السعدي ، وروته مصادر الطرفين ، قال ربيعة: «أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله إننا نتحدث في علي وفي مناقبه فيقول لنا أهل البصرة: إنكم لنفرطون في علي وفي مناقبه ، فهل أنت تحدثني في علي بحديث؟ فقال حذيفة: يا ربيعة إنك لتسألني عن رجل والذي نفسي بيده لو وضع عمل جميع أصحاب محمد ﷺ في كفة الميزان من يوم بعث الله محمداً إلى يوم الناس هذا ، ووضع عمل علي يوماً واحداً في الكفة الأخرى ، لرجح عمله على جميع أعمالهم!»

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد ! فقال حذيفة: وكيف لا يتحمل هذا يا ملکعن (يا أحق)! أين كان أبو بكر وعمر وحذيفة ثكلتك أملك ، وجميع أصحاب محمد يوم عمرو بن عبد ودينادي للمبارزة؟ فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً فقتله الله على يديه؟! والذي نفسي بيده لعمله ذلك اليوم أعظم عند الله من جميع أعمال أمة محمد ﷺ إلى يوم القيمة ». .

ومن ذلك: فرحته قبل أن يموت لما بلغه بيعة المسلمين لأمير المؤمنين عليه السلام ، فخطب خطبة بلية صريحة ، روى منها في مروج الذهب: ٣٨٣ / ٢، فقال: «وقد كان حذيفة عليلاً بالكوفة في سنة ست وثلاثين ، فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي فقال: آخر جوبي وادعوا الصلاة جامعاً فوضع على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آله ، ثم قال:

أيها الناس، إن الناس قد بايعوا علياً فعليكم بتقوى الله وانصروا علياً ووازروه
فو الله إنه لعلى الحق آخرأ وأولاً ، وإنك خير من مضى بعد نبيكم ومن يقي إلى
يوم القيمة ، ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال: اللهم اشهد إني قد بايعت علياً ،
وقال: الحمد لله الذي أبقياني إلى هذا اليوم . وقال لابنيه صفوان وسعد: إحلاني
وكوننا معه ، فستكون له حروب كثيرة فيهملك فيها خلق من الناس ، فاجتهدا أن
تستشهادا معه ، فإنه والله على الحق ومن خالقه على الباطل . ومات حذيفة بعد
هذا اليوم بسبعة أيام ، وقيل: بأربعين يوماً .

وروى هذه الخطبة بتفصيلها الدليلمي في إرشاد القلوب: ٣٢٣ / ٢: وفيها: «صعد
النبر فحمد الله وأثنى عليه ، وصل على محمد وآل محمد ، ثم قال: الحمد لله
الذي أحيا الحق وأمات الباطل وجاء بالعدل ودحض الجور وركبت الظالمين .
أيها الناس إنما وليكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقاً حقاً ، وخير من نعلمه بعد
نبينا رسول الله ﷺ ، وأولي الناس بالناس ، وأحقهم بالأمر ، وأقربهم إلى
الصدق وأرشدتهم إلى العدل ، وأهداهم سبيلاً ، وأدناهم إلى الله وسيلة وأقربهم
برسول الله ﷺ رحمة . أبیوا إلى طاعة أول الناس سلماً ، وأكثرهم على إيمان ،
وأصدقهم طريقة ، وأسبقهم إيماناً ، وأحسنهم يقيناً ، وأكثرهم معروفاً ،
وأقدمهم جهاداً ، وأعزهم مقاماً...»

فقام الناس بأجمعهم فبايعوا أمير المؤمنين عـ بأحسن بيعة وأجمعها .
فلما استتمت البيعة ، قام إليه فتى من أبناء العجم وولاة الأنصار لمحمد بن
عماره بن التيهان أخي أبي الهيثم بن التيهان ، يقال له مسلم متقدلاً سيفاً ، فناداه

من أقصى الناس: أيها الأمير ، إننا سمعناك تقول في أول كلامك إنما وليكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقاً حقاً ، تعريضاً بمن كان قبله من الخلفاء أنهم لم يكونوا أمراء المؤمنين حقاً ، فعمرّفنا ذلك أيها الأمير رحمك الله ، ولا تكتمنا ، فإنك من شهد وغينا ، ونحن مقلدون ذلك في أعناقكم ، والله شاهد عليكم فيما تأتون به من النصيحة لأمتكم ، وصدق الخبر عن نبيكم ﷺ.

قال حذيفة: أيها الرجل ، أما إذا سألت وفحصت هكذا فاسمع وافهم ما أخبرك به . أما من تقدم من الخلفاء قبل علي بن أبي طالب من تسمى بأمير المؤمنين ، فإنهم تسموا بذلك ، وسماهم الناس به .

وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإن جرائيل سماه بهذا الإسم عن الله تعالى وشهد له الرسول ﷺ عن جرائيل بإمرة المؤمنين ، وكان أصحاب رسول الله يدعونه في حياة رسول الله بأمير المؤمنين . قال الفتى: أخبرنا كيف كان ذلك ، يرحمك الله . قال حذيفة... وذكر حديث النبي ﷺ في ذلك وهو طويل وفيه موقف أبي بكر وعمر وأبي عبيدة من أمر النبي ﷺ .. وقال للفتى: هذه أنباء ما سألتني عنه .

فقال الفتى: لا جزى الله الذين شاهدوا رسول الله ﷺ وسمعوا يقول هذا القول في علي ، خيراً ، فقد خانوا الله ورسوله وأزالوا الأمر عن رضي به الله وأفروه فيمن لم يره الله ولارسوله لذلك أهلاً ، لا جرم والله لن يفلحوا بعدها أبداً ! ونزل حذيفة عن منبره فقال: يا أخا الأنصار إن الأمر كان أعظم مما تظن ! إنه عزب والله البصر ، وذهب اليقين ، وكثير المخالف ، وقل الناصر لأهل الحق !

فقال له الفتى: فهلا انتضيتم أسيافكم ووضعتموها على رقابكم ، وضررتم بها الزائلين عن الحق قدمأً قدماً حتى تموتوا ، أو تدركوا الأمر الذي تحبونه من طاعة الله عز وجل ، وطاعة رسوله ﷺ؟

فقال له: أيها الفتى إنه أخذ والله بأساعنا وأبصارنا وكرهنا الموت ، وزينت عندنا الحيرة وسبق علم الله بإمرة الظالمين ، ونحن نسأل الله الصفح لذنبنا ، والعصمة فيها بقي من آجالنا ، فإنه مالك رحيم .
ثم انصرف حذيفة إلى منزله وتفرق الناس .

ثم قال الرواи و هو عبد الله بن سلامة: فيينا أنا ذات يوم عند حذيفة أعوده في مرضه الذي مات فيه وقد كان يوم قدمت فيه من الكوفة وذلك من قبل قدومه على عشيقة إلى العراق ، فيينا أنا عنده إذ جاء الفتى الأنباري فدخل على حذيفة فرحب به.. ثم ذكر حديث حذيفة مع الفتى الأنباري ، وهو طويل وفيه حقاتن كثيرة عن إخبار النبي ﷺ بما يجري بعده على علي والعترة عليهم السلام ، وإنماه الحجة على المخالفين لهم .

٤. وكان حذيفة رضي الله عنه يستعمل أسلوب المداراة والتقية ، مع الحاكم ،
روى عنه ذلك المؤalon والمخالفون ، قال الذهبي في سيره: ٢ / ٣٦١: « حذيفة بن اليمان ، من نجاء أصحاب محمد ، وهو صاحب السر ... كان يقول: ما أدرك هذا الأمر أحد من الصحابة إلا قد اشتري بعض دينه ببعض ! قالوا: وأنت ؟ قال: وأنا والله » ! إني لأدخل على أحدهم وليس أحد إلا فيه محاسن ومساوئ

فأذكر من محسنه ، وأعرض عما سوى ذلك ، وربما دعاني أحدهم إلى الغداء فأقول: إني صائم ، ولست بصائم».

ومعنى شراء بعض دينه ببعض: أنه كان يكتسم أحاديث النبي ﷺ ويكتسم رأيه في الحاكم الذي يعتقد بنفاقه ، حتى لا يعاديه ويمنعه من خدمة الإسلام وأمته ، وقيادة معارك الفتوحات ! وبدل قوله ع إنه صائم وليس بصائم، على أنه يرى جواز الكذب للتخلص من أكل الحرام أو المشبوه .

قال السرخي في المسوط ٤٦/٢٤: «وقد كان حذيفة رضي الله عنه ممن يستعمل التقية على ما روى أنه يداري رجالاً فقيل له إنك منافق ! فقال: لا ، ولكنني أشتري ديني ببعضه ببعض ، خافة أن يذهب كله ». .

وقال السرخي: ٣٠/٢١٤: «عن النزال بن سيدة قال: جعل حذيفة يخلف لعثمان رضي الله عنه على أشياء بالله ما قالها ، وقد سمعناه يقولها ، فقلنا له: يا أبا عبد الله سمعناك تخلف لعثمان على أشياء ما قلتها ، وقد سمعناك قلتها ! فقال: إنني أشتري ديني ببعضه ببعض ، خافة أن يذهب كله . وإن حذيفة رضي الله عنه من كبار الصحابة ، وكان بينه وبين عثمان رضي الله عنه بعض المداراة ، فكان يستعمل معارض الكلام فيما يخبره به ويختلف له عليه ، فلما أشكل على السامع سأله عن ذلك فقال: إني أشتري ديني ببعضه ببعض ، يعني أستعمل معارض الكلام على سبيل المداراة ، أو كأنه كان يخلف ما قالها ويعنى ما قالها في هذا المكان ، أو في شهر كذا.. فهذا ونحوه من باب استعمال المعارض ». .

ومعنى المعارض: التورية تقية وتخلاصاً من الكذب ، لكن الظاهر من كلام حذيفة أنه يستحل الكذب للضرورة ، وأن الضرورة عنده واسعة ، فهذا تشمل التعايش مع الحاكم ومدحه لأغراض دينية .

ومع أن علاقة حذيفة مع الخلفاء كانت جيدة ، وكانوا يحترمونه احتراماً خاصاً ، فقد كان بعضهم يتتجسس عليه لينم عليه عند الخليفة .

روى الترمذى: « عن همام بن الحارث قال: مر رجل على حذيفة بن اليمان فقيل له هذا يبلغ الأمراء الحديث عن الناس ، فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل الجنة قتّان ». أي جاسوس نهام.

وقد وصف حذيفة سلطن المنافقين بعد وفاة النبي ﷺ .

قال البخاري في صحيحه: « عن حذيفة بن اليمان قال: إن المنافقين اليوم شرٌّ منهم على عهد النبي ﷺ ، كانوا يومئذ يُسْرُون ، واليوم يُجْهَرون » !

وفي صحيح البخاري: « أبتلينا حتى أن الرجل ليصلِّي وحده وهو خائف ». .

وفي صحيح مسلم: « فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلِّي إلا سراً ». .

وقال ابن حجر في شرحه في فتح الباري: « وأما قول حذيفة: فلقد رأيتنا أبتلينا إلى آخره ، فيشبه أن يكون أشار بذلك إلى ما وقع في أواخر خلافة عثمان من ولادة بعض أمراء الكوفة كالوليد بن عقبة ، حيث كان يؤخر الصلاة أو لا يقيمها على وجهها ، وكان بعض الورعين يصلِّي وحده سراً ثم يصلِّي معه خشية من وقوع الفتنة . وقيل كان ذلك حين أتم عثمان الصلاة في السفر وأكان بعضهم يقصر سراً وحده أخمشية الإنكار ». .

أقول: يدل قول حذيفة على أن تحريف الحكام وصل في عهده إلى الوضوء والصلوة !
ولأنس أن حذيفة من كبار الفقهاء ، فقد اختصم جيرانٌ في ملكية جدار قصب
بينهم بعثه النبي ﷺ ليقضي بينهم ، فقضى أن معانق القصب من جهة أحدهم أمانة
على ملكيته ، فأمضى ذلك النبي ﷺ وصار قاعدة في أمارات اليد والملكية . (العروة
الونقى: ٦٤٩ / ٦ ، ومغنى ابن قدامة: ٥/ ٤٣)

٥. قال حذيفة إن النبي ﷺ حَلَّرَ من اثني عشر إماماً ، وبَثَّرَ باثنى عشر إماماً !
روى ابن حماد في كتاب الفتنة/ ١٥ ، عن حذيفة قال: «ما من صاحب فتنة يبلغون
ثلاث مائة إنسان إلا ولو شئت أن أسميه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم
القيمة ، كل ذلك مما علمته رسول الله ﷺ».»

وقال كما في صحيح مسلم: ٨/ ١٢٢ ، قال النبي ﷺ: «في أصحابي اثنا عشر رجلاً
منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلتحم في سُمِّ الْخِيَاطِ».»

وفي كفاية الأثر/ ١٣٦ ، قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ ثم أقبل بوجهه الكريم
 علينا فقال: معاشر أصحابي أو صيكم بتقوى الله والعمل بطاعته ، فمن عمل بها
فاز وغنم ، ومن تركها حلت به الندامة ، فالتمسوا بالتقوى السلام من أهواك
يوم القيمة ، فكأنني أدعى فأجيب ، وإن تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي
أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بها لن تضلوا ، ومن تمسك بعترتي من بعدي كان من
الفائزين ، ومن تخلف عنهم كان من الهالكين . فقلت: يا رسول الله على من
تخلفنا؟ قال: على من خلف موسى بن عمران قومه؟ قلت: على وصيه يوشع بن

نون . قال: فلان وصي وخليفي من بعدي علي بن أبي طالب ، قائد البررة وقاتل الكفارة ، منصور من نصره مخذول من خذله .

قلت: يا رسول الله فكم يكون الأئمة من بعدي؟ قال: عدد نقباء بني إسرائيل تسعه من صلب الحسين ، أعطاهم الله علمي وفهمي... ثم رفع رسول الله ﷺ يده إلى السماء ودعا بدعوات فسمعته فيما يقول: اللهم اجعل العلم والفقه في عقيبي وعقب عقيبي ، وفي زرعني وزرع زرعني» .

٦. كان حذيفة رض يخرب المسلمين بغرائب ستحدث ، فيذهبون ويتحيرون ،

فقد روى ابن حماد بسنده صحيح عندهم في كتابه الفتنة / ٤٥ ، أن حذيفة قال: «لو حدثتكم أن أمكم تغزوكم أتصدقونني؟ قالوا أو حق ذلك؟ قال حق!»

وفي إرشاد القلوب / ٣٣٧: عن حذيفة قال: «أمر رسول الله ﷺ خادمة لأم سلمة فقال: إجعى لي هؤلاء يعني نساءه ، فجمعتهن له في منزل أم سلمة ، فقال لهن: إسمعن ما أقول لكن ، وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب ، فقال لهن: هذا أخي ووصي ووارثي ، والقائم فيك وفي الأمة من بعدي ، فأطعنه فيما يأمرك به ، ولا تعصيه فتهلكن لعصيتك . ثم قال: يا علي أوصيك بهن ، فأمسكهن ما أطعن الله وأطعنك ، وأنفق عليهن من مالك ، وأمرهن بأمرك ، وانههن عما يرسيك ، وخل سبيلهن إن عصينك . فقال علي رض: يا رسول الله إنهن نساء وفيهن الوهن وضعف الرأي . فقال رض: إرفق بهن ما كان الرفق أمثل ، فمن عصاك منهن فطلقاها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها . قال: كل نساء النبي ﷺ قد صمتن بها يقلن شيئاً ، فتكلمت عائشة فقالت: يا رسول الله ما كنا نتأمرنا بشيء فخالفه

إلى ما سواه ! فقال لها: بلى قد خالفت أمرى أشد خلاف ! وأيسم الله لتخالفين
قولي هذا ولتعصينه بعدى ، ولتخرجين من البيت الذى خلفتك فيه متبرجة فيه ،
قد حف بك فتام من الناس ، فتخالفينه ظالمه له عاصية لربك ولتبخنك في
طريقك كلام الحواب . ألا أن ذلك كائن ! ثم قال: قمن فانصرفن إلى منازلكن .
فقممن فانصرفن » !

وفي أمالى المفيد / ٥٨ : « سمعت حذيفة بن اليمان قبل أن يقتل عثمان بن عفان بستة
وهو يقول: كأني بأمكم الحميراء قد سارت ، يساق بها على جمل وأنتم آخذون
بالشوى والذنب ، معها الأزد أدخلهم الله النار ، وأنصارها بنوضبة جذ الله
أقدامهم ! قال: فلما كان يوم الجمل وبرز الناس بعضهم لبعض نادى منادي
أمير المؤمنين صلوات الله عليه: لا يبدأ أحد منكم بقتال حتى أمركم . قال:
فرموا فيما فقلنا: يا أمير المؤمنين قد رمينا ، فقال: كفوا ، ثم رمونا فقتلوا منا ،
قلنا يا أمير المؤمنين قد قتلتنا ، فقال: إحملوا على بركة الله . قال: فحملنا عليهم
فأنشب بعضنا في بعض الرماح حتى لو مشى ماش لمشي عليها ، ثم نادى منادي
علي: عليكم بالسيوف فجعلنا نضرب بها البيض فتنبوا لنا ، فنادى منادي أمير
المؤمنين: عليكم بالأقدام . قال: فما رأينا يوماً كان أكثر قطع أقدام منه .

قال: فذكرت حدث حذيفة أنصارها بنوضبة جذ الله أقدامهم فعلمـت أنها
دعوة مستجابة . ثم نادى منادي أمير المؤمنين عليه: عليكم بالبعير فإنه شيطان .
قال: فعقره رجل برمـه . وقطع إحدى يديه رجل آخر فبرك ورغا ، وصاحت
عائشة صيحة شديدة ، فولى الناس منهزمـين ، فنادى منادي أمير المؤمنين عليه: لا

تحيزوا على جريح ، ولا تتبعوا مدبراً ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ». .

٧. رروا عنه مدحياً لبعض الخلفاء ، فإن صح فلابد أن يكون من باب التقية

كالذى رواه الذهبي في سيره: ٤٧٨ / ١: «عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار ، وتمسكون بعهد ابن أم عبد ». .

والذى رواه البخاري: ١٣٣ / ١: «سمعت حذيفة قال: كنا جلوساً عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت.. ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ، إن بينك وبينها باباً مغلقاً . قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر . قال إذاً لا يغلق أبداً. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما أن دون الغد الليلة . إنى حدثه بحديث ليس بالأغالط ، فهبنا أن نسأل حذيفة ، فأمرنا مسروقاً فسأله فقال: الباب عمر». على أن هذا إخبار عما سيحدث أكثر منه مدحراً.

٨. شارك في حرب أحد وما بعدها ، واستشهد فيها أبوه جليلة وكان شيخاً كبيراً !

في معجم الطبراني الكبير: ١٦٢ / ٣: «عن عامر بن سعد أنه أقبل حذيفة وأبوه يوم بدر فلقاهم أبو جهل وأصحابه ، فقالوا لهم: لعلكم تريдан حمداً ، قالا قلنا: لا . قال: فأخذ علينا أن لا نعين عليهم . فلما أتتنا النبي ﷺ ذكرنا ذلك له وقلنا: يا نبي الله إن القوم قد أخذوا علينا ، وإن أمرتنا أن نقاتل معك فعلنا . فقال: بل نستعين الله ونفي لهم». ونحوه الحاكم: ٣ / ٢٠١ .

وقال ابن هشام في السيرة النبوية: ٦٠٤ / ٣: «لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد، رفع حسيل بن جابر وهو البهان أبو حذيفة بن البهان ، وثابت بن وقش ، في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك ما تنتظر! فوالله ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار إنما نحن هامة اليوم أو غد ، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ؟ فأخذنا أسيافهما ثم خرجا ، حتى دخلا في الناس ولم يعلم بهما . فاما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر فاختلت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة: أبي ! فقالوا: والله إن عرفناه ، وصدقوا . قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله ﷺ أن يذيه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله خيراً .»

وفي أنساب الأشراف: ١/ ٣٢٢: «والتَّفَتَ سِيُوفُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَبِي حَذِيفَةَ بْنَ الْبَهَانَ وَهُوَ حَسِيلُ بْنِ جَابِرٍ قُتُلَ، وَحَذِيفَةَ يَقُولُ: أَبِي أَبِي ! ثُمَّ قَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . وَيَقُولُ إِنَّ الَّذِي أَصَابَهُ عَتَبَةَ بْنَ مُسْعُودَ، فَوَهَبَ حَذِيفَةَ دَمَهُ لِلْمُسْلِمِينَ .. وَأَظْهَرَ الْمُسْلِمُونَ الشَّعَارَ بَعْدَ .»

وكان حذيفة أدوار تصريحية في معارك النبي ﷺ، منها: أن النبي ﷺ اختره يوم الخندق ، وأمره أن يذهب ليلاً ، ويدخل إلى معسكر المشركين ويأتيه بخبرهم !

قال الإمام الصادق عليه السلام، كما في الكافي: ٢٧٧ / ٨: «قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على التل الذي عليه مسجد الفتح في غزوة الأحزاب ، في ليلة ظلماء قرّة (باردة) فقال: من يذهب فتأتينا بخبرهم وله الجنة؟ فلم يقم أحد ، ثم أعادها فلم يقم أحد ! فقال أبو عبد الله بيده: وما أراد القوم ، أرادوا أفضل من الجنة !»

ثم قال: من هذا؟ فقال: حذيفة ، فقال: أما تسمع كلامي منذ الليلة ولا تكلم ! أقيرت؟! فقام حذيفة وهو يقول: القرآن والضرر جعلني الله فداك منعني أن أجيبك فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنطلق حتى تسمع كلامهم وتأتيني بخبرهم ، فلما ذهب قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماليه حتى ترده . وقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا حذيفة لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ، فأخذ سيفه وقوسه وحجفته . قال حذيفة: فخررت وما بي من ضر ولا قر ، فمررت على باب الخندق وقد اعتراه المؤمنون والكافار . (تواتر دعا عليه).

فلما توجه حذيفة قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونادى: يا صريخ المكروبين ، ويا مجيب المصطرين ، إكشف هي وغمي وكربي ، قد ترى حال أصحابي .

فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله إن الله عز ذكره قد سمع مقالتك ودعاءك ، وقد أجابك وكفاك هول عدوك . فجئه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ركبتيه وبسط يديه وأرسل عينيه ، ثم قال: شكرأ شكرأ كما رحنتي ورحمت أصحابي . ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد بعث الله عز وجل عليهم ريحأ من السماء الدنيا فيها حصى ، وريحأ من السماء الرابعة فيها جندل .

قال حذيفة: فخر جت فإذا أنا بنيران القوم ، وأقبل جند الله الأول ريحُ فيها حصى ، فما تركت لهم ناراً إلا أذرتها ، ولا خباء إلا طرحته ، ولا رحماً إلا ألقته حتى جعلوا يتربسون من الحصى ، فجعلنا نسمع وقع الحصى في الأترسة ، فجلس حذيفة بين رجلين من المشركين ، فقام إبليس في صورة رجل مطاع في المشركين ، فقال: أيها الناس إنكم قد نزلتم بساحة هذا الساحر الكذاب ، ألا وإنه لن يفوتكم من أمره شيء ، فإنه ليس سنته مقام ، قد هلك أخف والحافر فارجعوا ، ولينظر كل رجل منكم من جليسه ، قال حذيفة: فنظرت عن يميني فضررت بيدي فقلت: من أنت؟ فقال: معاوية . فقلت للذي عن يسارى: من أنت؟ فقال سهيل بن عمرو !

قال حذيفة: وأقبل جند الله الأعظم ، فقام أبو سفيان إلى راحلته ثم صاح في قريش: النجاء النجاء ! وقال طلحة الأزدي: لقد زادكم محمد بشر ! ثم قام إلى راحلته وصاح في بني أشجع: النجاء النجاء ! وفعل عيينة بن حصن مثلها ، ثم فعل الحيث بن عوف المزنبي مثلها ، ثم فعل الأعرج بن حابس مثلها ، وذهب الأحزاب ، ورجع حذيفة إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر . قال أبو عبد الله عاشور: إنه كان ليشبه يوم القيمة » .

وفي رواية الواقدي: ٤٨٨ / ١: «فكان حذيفة بن اليمان يقول: لقد رأينا في الخندق مع رسول الله ﷺ في ليلة شديدة البرد ، قد اجتمع علينا البرد والجوع والخوف ، فقال رسول الله ﷺ: من رجل ينظر لنا ما فعل القوم جعله الله رفيقي في الجنة . فقال حذيفة: يشرط له رسول الله ﷺ الجنة والرجوع فما قام منا رجل ! ثم عاد

يقول ذلك ثلاث مرات ، وما قام رجُلٌ واحدٌ من شدة الجوع والقر والخوف . فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك لا يقوم أحد دعاني فقال: يا حذيفة ! قال: فلم أجد بدأً من القيام حين فَوَّهَ باسمِي ، فجثته ولقلبي وَجَانَ في صدرِي ، فقال: تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم ! فقلت: لا والذِي بعثك بالحق إن قدرت على ما بي من الجوع والبرد . فقال: إذهب فانتظر ما فعل القوم ولا ترمين بسهم ولا بحجر ولا تطعن برمح ولا تضر بنسيف حتى ترجع إلي . فقلت: يا رسول الله ما بي يقتلوني ، ولكنني أخاف أن يمثلا بي . قال رسول الله ﷺ: ليس عليك بأس ! فعرفت أنه لا بأس علي.. فأقبلت فجلست على نار مع قوم ، فقام أبو سفيان فقال: إحدروا الجوايس والعيون ، ولینظر كل رجل جليسه . قال فالتفت إلى عمرو بن العاص فقلت: من أنت وهو عن يميني . فقال: عمرو بن العاص . والتفت إلى معاوية بن أبي سفيان فقلت: من أنت فقال: معاوية بن أبي سفيان . ثم قال أبو سفيان: إنكم والله لستم بدار مقام ، لقد هلك الخف والكراع وأجدب الجناب ، وأخلفتنا بنو قريطة وبلغنا عنهم الذي نكره ، وقد لقينا من الريح ما ترون ! والله ما يثبت لنا بناء ، ولا تطمئن لنا قدر ، فارتحلوا فإني مرتحل..الخ..».

ومنها: مشاهدته الصحابة المنافقين الذين شاركوا في مؤامرة اغتيال النبي ﷺ، فقد روی مسلم في صحيحه: ١٢٣/٨، عن أبي الطفيل قال: «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس ، فقال: أشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم: أخبره إذ سألك ! قال: كنا نُخْبِرُ أئمَّةِ أربعةِ عشر ،

إإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر ! وأشهد بالله أن اثنى عشر منهم حربَ الله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ! وعذر ثلاثة قالوا : ما سمعناه منادي رسول الله ﷺ ولا علمنا بها أراد القوم ! وقد كان في حَرَّة فمشى فقال : إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد ، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ». يقصد الرواوي أن النبي ﷺ عذر ثلاثة منافقين كانوا في أعلى الجبل مع الذين كُمنوا لقتله ، وقبل قوفهم إنهم لم يسمعوا منادي النبي ﷺ في جيش تبوك بأن يمروا من خلف الجبل ولا يمر أحد من طريق العقبة ، الذي أراد أن يسلكه !

أما قصة الذين سبقو النبي ﷺ إلى الماء وشربوا فلعنهم ، فهي حادثة منفصلة عن مؤامرة العقبة في المكان والزمان ، وقد شرب منه بعض أصحاب العقبة ، فلعنهم النبي ﷺ ثانيةً ، بعد لعنة العقبة !

وقد أنزل الله في مؤامرة العقبة : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَأْهَمُهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسِّرْ الْمُصِيرُ . يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ مَا قَاتَلُوا وَلَقَدْ قَاتَلُوا كَلِمَةَ الْكُفَّرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمُّوا إِيمَانَهُمْ لَمْ يَتَأْلُمُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَنْهَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ..

واتفق الرواة على أن غزوة تبوك كانت في الصيف ، وكانوا يسرون ليلاً اتقاء الحر ، وكان أمامهم طريق مختصر من العقبة لا يصلح لجيش من ثلاثين ألفاً فسلك الجيش طريق الوادي ، وقرر النبي ﷺ أن يسلك طريق العقبة ، وأحس بشيء ، فنادي مناديه أن لا يسلك أحد العقبة .

فبادر المتأمرون وصعدوا الجبل ليذحر جوا صخوراً كبيرة عليه فقتله ، أو تنفر ناقته فتسقط في الوادي ، وكان مسلكاً ضيقاً يتسع في نقطة منه لجمل واحد ، وكان واديه عميقاً ، روي أنه مقدار ألف رمح ! (البحار: ٨٢/٢٦٧).

ومعنى رواية صحيح مسلم الرسمية أن المتأمرين كانوا بعد وفاة النبي ﷺ بين المسلمين ، وكان حذيفة وعمار يعرفانهم . وقد أمر الله نبيه ﷺ أن لا يعاقبهم وأن يكت أسماءهم ، لأن قتلهم يسبب ارتداد قريش وبعض العرب !

قال الواقدي: ١٠٤٢/٢: «فَلِمَا أَصْبَحَ قَالَ لِهِ أَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ... يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ وَنَزَلُوا، فَمُؤْكِلُ بَطْنِيْ أَنْ يَقْتَلَ الرَّجُلَ الَّذِي هُمْ بِهِذَا فِي كُونِ الرَّجُلِ مِنْ عَشِيرَتِهِ هُوَ الَّذِي يَقْتَلُهُ . إِنْ أَحَبَبْتَ وَالَّذِي بَعْثَكَ بِالْحَقِّ فَبَنْتَنِي بِهِمْ فَلَا تَبْرُحْ حَتَّى آتِيَكُمْ بِرُؤُسِهِمْ، إِنْ كَانُوا فِي الْبَيْتِ فَكَفِيَّكُمْهُمْ، وَأَمْرَتْ سَيِّدَ الْخَرْجِ فَكَفَاكَ مِنْ فِي نَاحِيَتِهِ، إِنَّ مَثْلَ هُؤُلَاءِ لَا يَتَرَكُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! حَتَّى مَتِّي نَدَاهُنَّهُمْ وَقَدْ صَارُوا يَوْمًا فِي الْقَلْمَةِ وَالذَّلَّةِ، وَضَرَبَ الْإِسْلَامَ بِجَرَانِهِ، فَمَا تَسْبِقُ مِنْ هُؤُلَاءِ؟! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَسِيدُ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّ مُحَمَّدًا لَمَا انْفَضَتِ الْحَرْبُ بَيْنِهِ وَبَيْنِ الْمُشْرِكِينَ، وَضَعَ يَدَهُ فِي قَتْلِ أَصْحَابِهِ! قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَهُؤُلَاءِ لَيْسُوا بِأَصْحَابِ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَيْسَ يَظْهَرُونَ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: بَلْ وَلَا شَهَادَةَ لَهُمْ! قَالَ: أَلَيْسَ يَظْهَرُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلْ وَلَا شَهَادَةَ لَهُمْ! قَالَ: فَقَدْ نَهَيْتُ عَنْ قَتْلِ أُولَئِكَ». وفي تاريخ دمشق: ٩٣/٣٢، عن حكيم قال: «كنت جالساً مع عمار فجاء أبو موسى فقال: مالي ولك ألمست أحاك؟ قال: ما أدرني ، إلا أنني سمعت رسول الله ﷺ يلعنك ليلة الجبل ! قال: إنه قد استغفر لي ! قال عمار: قد شهدت اللعن ، ولم أشهد الاستغفار !

٩. شارك حذيفة في فتوح الشام ، وجاء ببشاره النصر في اليرموك ، إلى عمر ،

ففي أسد الغابة: ٢٩١/١: « شهد حذيفة فتح الجزيرة ، ونزل نصبيين وتزوج بها ». .

وقال الواقدي في فتوح الشام: ١٦٥/٢: (وأرسل العثمان بن معرف إلى أهل أنكل

فأسلموا ، وسميت باليمان لأنها فتحت على يد حذيفة بن اليمان ». .

وفي تاريخ البغوي: ١٤١/٢: « وأوفد أبو عبيدة إلى عمر وفداً ، فيهم حذيفة بن

اليمان ، وقد كان عمر أرق عدة ليال واشتد تطلعه إلى الخبر ، فلما ورد عليه الخبر

خرّ ساجداً وقال: الحمد لله الذي فتح على أبي عبيدة ، فوالله لو لم يفتح لقال

قائل: لو كان خالد بن الوليد ». .

وقال الواقدي في فتوح الشام: ١/٢٢٧: « ودعا (أبو عبيدة) بحذيفة بن اليمان ودفع

الكتاب إليه ، وضم إليه عشرة من المهاجرين والأنصار وقال لهم: سيروا بكتاب

الفتح والبشرى إلى أمير المؤمنين وبشروه بذلك وأجركم على الله ، فأخذ حذيفة

الكتاب وسار هو والعشرة من وقتهم و ساعتهم ، يجذون السير ليلاً ونهاراً ». .

١٠. سكن حذيفة في الكوفة وشارك في فتح المدائن ومعركة جلولاء وخانقين

ففي أعيان الشيعة: ٤/٥٩٥: « وأقطع (سعد في الكوفة) حذيفة بن اليمان مع جماعة من

عبس نصف الآري ، وهو فضاء كانت فيه خيل المسلمين . وكان تنصير الكوفة

سنة ١٥ من الهجرة ، وكان حذيفة في الجيش الذي فتح العراق ، فلما أقطعه سعد

الآري ابنتي داراً وسكنه مع عشيرته ». .

وقد ذكرنا في ترجمة سليمان أنه استطاع هو وحذيفة رضي الله عنهم الأماكن في العراق ، فاختارا الكوفة متزلاً للمسلمين فمضّرواها.

وقال الطبرى: ١٤٥/٣: «كتب حذيفة إلى عمر: إن العرب قد أترفت بطونها وخفت أعضادها وتغيرت ألوانها ، وحذيفة يومئذ مع سعد.. كتب عمر إلى سعد.. فابعث سليمان رائداً وحذيفة، وكانا رائدي الجيش ليرتادا منزلاً برياً بحرياً ، ليس يبني وبينكم فيه بحر ولا جسر ». .

وقال ابن حجر في الإصابة: ٤٠/٢: «وفي الصحيحين أن أبا الدرداء قال لعلقمة: أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة . وفيهما عن عمر أنه سأله حذيفة عن الفتنة . وشهد حذيفة فتوح العراق وله بها آثار شهيرة ». ثم ذهب حذيفة إلى الشام وشارك في معركة اليرموك ، وجاء بخبر النصر فيها إلى المدينة ، ثم رجع إلى الشام ثم إلى العراق ، فشارك في فتح المدائن وما بعدها .

قال الطبرى: ١٦/٣، في فتح المدائن: «وعلى مقدمة سعد هاشم بن عتبة... فبعث عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان على أهل الكوفة ..».

قال البلاذري: ٣٣٤/٢: «أن عمر بعث حذيفة وابن حنيف إلى خانقين ، وكانت من أول ما افتحوا ، ففتحتا أعناق أهل الذمة ، ثم قبضا الخراج» .

١١. ثم توغل جيش المسلمين داخل إيران ، فشارك حذيفة في معركة تستر

قال ابن الأعثم: ٢٧٧/٢: «وعزم المسلمين على حرب أهل تستر ، فوثب أبو موسى يعيى أصحابه، فكان على ميمنته جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى ميسرهه النعمان بن مقرن المزني ، وعلى الجناح البراء بن عازب ، وعلى أعنجهة الخليل عمار بن

ياسر ، وعلى رجاله حذيفة بن اليمان . ثم إنه زحف بخيله ورجله نحو تستر ، ورجل من المسلمين يقرأ هذه الآية: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَعْجَةً وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَنَظَّرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا . قال: وخرج الهرمزدان صاحب تستر إلى حرب المسلمين في الأسواره والمراzie، وبين يديه قواد الأعاجم ، وكذلك عن يمينه وشماله ، فقال رجل من المسلمين: اللهم تعلم أني أحب لقاءك وأبغض أعداءك ، فانصرنا عليهم ، واقبضني إليك يا رب ، إنك على كل شيء قادر ، قال: ثم إنه حمل على أهل تستر فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة ، ثم وقف في ميدان الحرب ، قال: ثم حمل ثانية على أهل تستر ، فلم يزل يقاتل حتى قتل رحمة الله عليه .

قال: واشتباك الحرب بين الفريقين فاقتتلوا ساعة من النهار ، وحمل رجل من الفرس يقال له مراد شاه في زهاء ألف فارس من أبطال الفرس على ميسرة أهل الكوفة ، وفيهم يومئذ بنو بكر بن وائل وجماعة من كندة ، قال: وانكشف الكوفيون بين يدي الفرس كشفة أطمعوهم في أنفسهم ، ثم رجعوا عليهم فطردوهم بين أيديهم طرداً وكدوهم بحملتهم عليهم كذا ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، قال: ثم وقعت المفزيمة على أهل تستر ، فانهزموا والسيف يأخذهم حتى دخلوا مدينتهم . فلما كان من غد ، عبا أبو موسى أصحابه كما عباهم بالأمس ، ثم زحف بهم نحو باب تستر .

قال: وخرج الهرمزدان صاحب تستر إلى قتال المسلمين ، وقد عبا أصحابه تعبيه خلاف تعبيته بالأمس ، وعلى ميمنته رجل من قواد يزدجرد يقال له

مهريار في نيف من عشرة آلاف من الأسوار ، وعلى مسيرته رجل من الري يقال له شировاهات في أربعة آلاف من الفرس ، وبين يديه ملك من ملك الأهاواز يقال له خرشيد بن بهرام في نيف عن عشرة آلاف فارس ، ما يبين منهم شيء سوى حوافر الخيل من كثرة السلاح والتجانيف ، والهرمزدان يومئذ في القلب في جاهير الأعاجم ، عليه جوشن مذهب وبيضة مذهبة وسيف محلى بالذهب ، وقد التحف بدرقة مذهبة ، وفي يده طبرزين مذهب ، وكل ذلك مما أخلفه به يزدجرد حين قاتل معه يوم جلواء». إلى آخر ما ورد في وصف معركة تستر.

١٢. ثم قاد حذيفة معركة نهاوند، أكبر معارك فتح فارس، وحقق فيها النصر،

فقد كانت معارك المسلمين المهمة مع الفرس خمسة: معركة الجسر ، والبُرُّوب ، والقادسية ، وجلواء ، ونهاوند . وأكبرها نهاوند ، وسميت فتح الفتوح . فقد جمع الفرس فيها قواتهم من أنحاء البلاد وقيل بلغت مئة وخمسين ألف مقاتل ، ونعوا أن يقصدوا المدينة المنورة لاستتصال أصل دين العرب بزعمهم ! فكتب عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان والي الكوفة إلى بخبرهم إلى عمر ، فخاف عمر وجع الصحابة .

قال ابن الأعثم (٢/٢٩١): «فلم يورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقرأه وفهم ما فيه ، وقعت عليه الرعدة والنفحة حتى سمع المسلمون أطيط أضراسه . ثم قام عن موضعه حتى دخل المسجد ، وجعل ينادي: أين المهاجرون والأنصار ! ألا فاجتمعوا رحمة الله ، وأعينوني أعانكם الله».

فأشاروا عليه بآراء مختلفة ، فقال له علي عليهما السلام: «أقم بالمدينة ولا تبرحها ، فإنه أهيب لك في عدوك ، وأربع لقلوبيم ، فإنك متى غزوت الأعاجم بنفسك يقول بعضهم لبعض: إن ملك العرب قد غزاها بنفسه لقلة أتباعه وأنصاره ، فيكون ذلك أشد لكتلهم عليك وعلى المسلمين ، فأقم بمكانتك الذي أنت فيه وابعث من يكفيك هذا الأمر والسلام .

قال فقال عمر رضي الله عنه: يا أبا الحسن ! فما الحيلة في ذلك ، وقد اجتمعت الأعاجم عن بكرة أبيها بنهاؤندي في حسين ومائة ألف يريدون استئصال المسلمين؟ فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الحيلة أن تبعث إليهم رجالاً جرباً قد عرفه بالأس والشدة ، فإنك أبصر بجندك وأعرف برجالك ، واستعن بالله وتوكل عليه واستنصره للمسلمين ، فإن استنصره لهم خير من فئة عظيمة تمدهم بها ، فإن أطفر الله المسلمين فذلك الذي تحب وتريد ، وإن يكن الأخرى وأعوذ بالله من ذلك، تكون ردة للمسلمين وكهفاً يلجؤون إليه، وفتنة ينحازون إليها . قال فقال له عمر: نعمً ما قلت يا أبا الحسن ...

فلما سمع عمر مقالة علي كرم الله وجهه ومشورته ، أقبل على الناس وقال: ويحكم عجزتم كلكم عن آخركم أن تقولوا كما قال أبو الحسن ! والله لقد كانرأيه رأيي الذي رأيته في نفسي . ثم أقبل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أبا الحسن ! فأشر علي الآن برجل ترضيه ويرتضيه المسلمون أجعله أميراً ، أستكفيه من هؤلاء الفرس فقال علي رضي الله عنه: قد أصبته . قال عمر: ومن هو ؟ قال: النعمان بن مقرن المزنبي ، فقال عمر وجميع المسلمين:

أصبت يا أبا الحسن ! وما لها من سواه . قال: ثم نزل عمر رضي الله عنه عن المنبر
ودعا بالسائب بن الأقرع بن عوف ..

وقال الطبرى (٤/١٢٢): «وكتب (عمر) إلى النعمان و كان بالبصرة ، أن يسير بمن
هناك من الجنود إلى نهاوند ، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه ، والأمير
على الناس كلهم النعمان بن مقرن ، فإذا قتل حذيفة بن اليمان ، فإن قتل فجرير
بن عبد الله ، فإن قتل فقيس بن مكشوح ، فإن قتل قيس ففلان ثم فلان ، حتى
عد سبعة أحدهم المغيرة بن شعبة . وقيل لم يُسم منهم ، والله أعلم ».

كما روى الطبرى (٣/٢٠٣) أن النعمان بن مقرن: «عَبَّاً كَتَابَهُ وَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: إِن
أَصْبَتْ فَعْلِيكُمْ حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ ، وَإِنْ أَصْبَبْتُ فَعْلِيكُمْ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِنْ
أَصْبَبْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَعْلِيكُمْ قَيسَ بْنَ مَكْشُوحَ».

وقال الطبرى: ٣/٢٠٧: «ثُمَّ هَزَ اللَّوَاءُ الثَّالِثُ ، فَحَمَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنْ
الْعُدُوِّ ، قَالَ: فَوَاهُ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدًا يَوْمَئِذٍ بِرِيدٍ أَنْ يُرْجَعَ إِلَى أَهْلِهِ
حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يَظْفَرُ فَحَمَلَنَا حَمَلَةً وَاحِدَةً ، وَثَبَّتُوا لَنَا فِيمَا كَانَ نَسْمَعُ إِلَّا وَقَعَ الْحَدِيدُ
عَلَى الْحَدِيدِ حَتَّى أَصْبَبَ الْمُسْلِمُونَ بِمَصَابِعِ عَظِيمَةٍ ، فَلَمَّا رَأَوْا صَبَرْنَا وَأَنَا لَا
نَبَرُ الْعَرْصَةِ اهْزَمْنَا فَجَعَلَ يَقْعُدُ الْوَاحِدَ فَيَقْعُدُ عَلَيْهِ سَبْعَةَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي
قِيَادٍ (سَلْسَلَةً) فَيَقْتَلُونَ جَيْعَانًا وَجَعَلَ يَعْرِهِمْ حَسْكَ الْحَدِيدِ الَّذِي وَضَعُوا خَلْفَهُمْ.
فَقَالَ النَّعْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدَّمُوا اللَّوَاءَ فَجَعَلُنَا نَقْدِمُ اللَّوَاءَ وَنَقْتَلُهُمْ وَنَهْزِمُهُمْ
فَلَمَّا رَأَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَسْتَجَابَ لِهِ وَرَأَى الْفَتْحَ ، جَاءَهُ نَشَابَةً فَأَصَابَتْ خَاصِرَتَهُ
فَقُتِلَتْهُ . قَالَ: فَجَاءَ أَخُوهُ مَعْقُلٌ فَسَجَى عَلَيْهِ ثُوَبًاً وَأَخْذَ اللَّوَاءَ فَقَاتَلَ ، ثُمَّ قَالَ:

تقدموا نقتلهم ونهزهم ، فلما اجتمع الناس قالوا: أين أميرنا؟ قال معقل: هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح ، وختم له بالشهادة . قال: فبایع الناس حذيفة ».

وقال ابن الأشم: «وتقدم أخوهما الأصغر واسمها سويد بن مقرن ، قال: وجعل سويد بن مقرن يقاتل حتى أثخن بالجراحات ولم يقتل ، فرجع بالراية فدفعها إلى حذيفة بن اليمان ، قال: فأخذها حذيفة فرفعها لل المسلمين ، ثم قال: إني حامل ، وحمل حذيفة وحمل الناس معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ذلك ، إلى أن جاء الليل فحجز بينهم ، ورجع الفريقيان بعضهم عن بعض .

قال: فلما أصبح القوم زحف بعضهم إلى بعض ، وتقدم رجل من الأسوار على فرس له لا ينال من طوله حتى وقف بين الجمعين ، ثم نادى: يا عشر العرب ! أنا بوذان بن أرديه فهلموا إلى البراز ! قال: فلما سمعه الناس وهو يتكلم بالعربية كأنهم هابوه فلم يخرج إليه أحد ، قال: ونظر الفارسي أنه ليس يخرج إليه أحد فحمل على المسلمين حلة فشق الصوف وخرج من الجانب الآخر ، ثم كر راجعاً على المسلمين فخالطهم واستلب منهم رجلاً عن فرسه فجعل يركض به والرجل معلق بيده حتى صار به إلى أصحابه فرمى به إليهم فقتل الرجل !

ثم أقبل بوذان حتى صار إلى الموضع الذي كان فيه بدرياً . قال: فاغتم المسلمون بذلك وجعل عمرو بن معد يكرب يرتجز ، ثم حل بوذان على المسلمين ليفعل ك فعلته الأولى ، وحمل عليه عمرو بن معد يكرب من ورائه فضربه بالصمصامة ضربة على بيضته وأهلكه ، ومرت الصمصامة تهوي حتى صارت

إلى جوف بوذان فسقط قتيلاً ، فنزل إليه عمرو فسلبه ما كان عليه ، فيقال إنه كان في وسط بوذان منطقة قوّمت بسبعة آلاف دينار .

قال: ودنت الفرس حتى تقارب من صنوف المسلمين في خلق عظيم ، فجعلوا يرمون بالنشاب حتى جرحا جماعة ، وهم المسلمون بالحملة عليهم فقال حذيفة: لا تعجلوا حتى آذن لكم ، قال: فصبر المسلمون ساعة والفرس في خلال ذلك لا يفترون من الرمي ، وما يسقط منهم نشابة إلا في رجل من المسلمين ، فلما رأوا ذلك وإن الجراحات قد فشت فيهم تركوا وصية حذيفة ، ثم كبروا وحملوا على الفرس فكشفوهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ثم رجعوا إلى مراكزهم . قال: ورجعت إليهم الفرس كأنهم السباع الضاربة في جموع لم يروا مثلها قبل ذلك ، فصاح عمرو بن معد يكرب: يا معاشر العرب والموالي ! وبما أهل الإسلام والدين والقرآن ! إنه لا ينبغي لكم أن يكون هؤلاء الأعاجم أصبر منكم على الحرب ، ولا أحرص منكم على الموت ، فتناسو الأولاد والأزواج ، ولا تخذعوا من القتل فإنه موت الكرام ومنايا الشهداء .

قال: ثم نزل عمرو عن فرسه ونزل معه أبطالبني عمه ، قال: والأعاجم في الآلة والأسلحة ، وبين أيديهم ثلاثة فيلاً ، على كل فيل منهم جماعة من أسورة الفرس ، قال: ونظر عامة المسلمين إلى عمرو بن معد يكرب وأصحابه وقد ترجلوا ، فنزل الناس وترجلوا ، ثم تقدموا نحو الخيل والفيلة ، فلم يكن إلا ساعة من أول النهار حتى إحررت الأرض من دماء الفرس ، وقتلت الفيلة بأجمعها ، فما أفلت منها واحد . قال: فتراجعوا الفرس إلى ورائها ، وإذا بفيلة

آخرى من الفرس قد أقبلت في قريب من عشرة آلاف بمطاردها وأعلامها ، وبين أيديهم رجال من قواد كسرى يقال له لرداد بن ادركرد ، وكان من أهل قاشان ، قال فتقدم على فيل له مزين وعلى رأسه تاج له يلمع بالجلوهر ، وعن يمينه خسفة فيلة وعن يساره كذلك ، على كل فيل منها جماعة من أسابوره الفرس . قال: ونظر إليهم قيس بن هبيرة المرادي فلم يكذب أن حمل على ذلك الفيل المزين ، فضرب خرطومه ضربة وقطعه ، ثم تأخر عنه وطعنه في عينه طعنة فإذا الفيل تقهقر إلى ورائه حتى أنه مر بساقيه فيها ماء فعشر بها وسقط عنه لرداد بن ادركرد . قال: وتقدم قائد من قواد نهاوند يقال له هرمزد بن داران في نيف على خسفة آلاف فارس من نخبة الأعاجم حتى وقف بين الجماعين ، فأقبل حذيفة بن اليهان على الناس فقال: أيها المسلمون ! إن هؤلاء الأعاجم ليست معهم نصفة أن يخرج منهم رجل إلى رجل ، وذلك أنه إذا خرج منهم قائد لم يجد بدأ من أن يخرج معه كل أصحابه ، وهذا عسكر لجب قد بُرِزَ إليكم في مثل هذه التعبية من الخيل والجند والفيلة ، فشقوا بربكم وقاتلوا عن دينكم وصلوا على نبيكم . قال: فكان أول من خرج إلى هرمزد وأصحابه رجالان من قيس عيلان منبني مصر يقال لأحدهما بكيٰر والآخر مالك ، فخرجا على فرسين لهما ثم أقبل أحدهما على الآخر فقال له: يا أخي إعلم أنني حامل على هذا الجيش ولست أطلب منهم إلا عميدهم وكبيرهم هرمزد بن داران ، فما الذي ترى ؟ فقال آخره: أرى أنني معلم أحمل إذا حللت ، ومعك أقتل إن قتلت ، ومعك أرجع إن رجعت . قال: فخرجا جيئا نحو هرمزد وأصحابه فطعنا في الخيل

ساعة حتى فروا هائمين يمنة ويسرة ، ثم إنها حلا على هرمزد بن داران ، هذا عن يمينه وهذا عن يساره فطعناه فسقط إلى الأرض قتيلاً!

قال: وتكاثرت الفرس من كل ناحية على هذين الفتين بكر ومالك ، فقتلا جميعاً ، رحمة الله عليهما..». إلى آخر وصف المعركة ، وقد واصلها حذيفة حتى كتب الله لهم النصر المبين ، وسميت فتح الفتوح ، لما ترتب عليها من انتصار قوة الفرس ، وهرب ملكهم يزجرد ، وافتتاح الطريق أمام المسلمين لاستكمال فتح إيران .

قال البلاذري: ٢٧٤ / ٢: (سمى ذلك الفتح فتح الفتوح . وكان فتح نهاوند في سنة تسع عشرة يوم الأربعاء . ويقال في سنة عشرين».

وفي معجم البلدان: ٣١٤ / ٥: «وذلك أول سنة ١٩ ، لسبعين سنين من خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل: كانت سنة ٢٠ ، والأول أثبت».

وقال في الأخبار الطوال: ١٣٣: «كانت وقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين».

١٣. ثم قاد حذيفة أغلب معارك فتح إيران ، من الشرق والغرب والوسط ،
من نهاوند إلى همدان وأصفهان والري وخراسان وجرجان ، ثم إلى بلاد آسيا
التي خلف إيران ! ويكفي أن نقرأ قول خليفة بن خياط ١٠٧: «مضى حذيفة بن
اليهان بعد نهاوند ، إلى مدينة نهاوند فصالحه دينار على ثمانين مائة ألف درهم في
كل سنة . ثم غزا حذيفة بن اليهان مدينة الدينور فافتتحها عنوة ، وقد كانت
فتحت لسعد فانتقضت . ثم غزا حذيفة ماسيدان فافتتحها عنوة ، وقد كانت

فتحت لسعد فانتقضت ، وقد قيل في ماه غير هذا ، ويقال أبو موسى افتح ماه دينار ، ويقال السائب بن الأقرع افتح ماه دينار ..

عن طارق بن شهاب قال: غزا أهل البصرة ماه ، فأمدتهم أهل الكوفة وعليهم عمار، فأرادوا أن يشتركون في الغنائم فأبى أهل البصرة ، فكتبو إلى عمر فكتب عمر: إن الغنيمة بين من شهد الواقعة .

قال أبو عبيدة: غزا حذيفة همدان فافتتحها عنوة ولم تكن فتحت قبل ذلك . ثم غزا الري فافتتحها عنوة ولم تكن فتحت قبل ذلك ، وإليها انتهت فتوح حذيفة .
قال أبو عبيدة: فتوح حذيفة هذه كلها في سنة اثنتين وعشرين».

ويقصد ابن خياط أن فتوح حذيفة في تلك السنة انتهت، وإن فقد واصل جهاده .
وقال الحافظ الأصفهاني في أخبار إصبهان: ٦٣/١: «لما قتل النعمان بنهاوند وولى حذيفة فتح الله على يده الجبل ، بعث (عبد الله بن) بديل بن ورقاء ومجاشع بن مسعود فتوجها نحو إصبهان ، فعدلا عن مديتها فأخذ بديل إلى الطبسين وفتحها ، ثم خرج يزيد قهستان من أرض خراسان .

وأقبل مجاشع إلى قاسان ففتح القاسانين ، وأتى حصن أبروز فحاصر من فيه فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وكان أبو موسى أمير البصرة فخرج أبو موسى يزيد ما يليه من الأرض ، فراف أبو موسى من قبل الأهواز يزيد إصبهان ».

وقال الطبرى: ٣٢١/٣: «أمر عمر جيوش العراق بطلب جيوش فارس حيث كانت ، وأمر بعض من كان بالبصرة من جنود المسلمين وحواليها بالمسير إلى أرض فارس وكerman وأصبهان ، وبعض من كان منهم بناحية الكوفة وماهاتها

إلى أصبهان وأذربيجان والري ، وكان بعضهم يقول إنها كان ذلك من فعل عمر في سنة ثمان عشرة ».

أقول: كان رأي عمر أن لا يتسع المسلمون داخل إيران ، وأن يحصنوا حدود العراق مع الفرس ، فأقتعنه على ~~بيته~~ غير رأيه .

وروى ابن الأعثم في الفتوح (٧٨/٢): أن علياً ~~عليه~~ حدث عمر عن خراسان ومدنه، فقال عمر: «يا أبو الحسن لقد رغبتي في فتح خراسان ، قال علي ~~عليه~~: قد ذكرت لك ما علمت منها مما لا شك فيه».

وروى الطبرى (٢٤٦/٣) «عن أبي الجنوب اليشكري عن علي بن أبي طالب قال: لما قدم على عمر فتح خراسان ، قال لوددت أن بيننا وبينها بحراً من نار ، فقال علي: وما يشتد عليك من فتحها ، فإن ذلك لموضع سرور» !

وفي الطبرى: «بذا له (عمر) أن يأذن في الإنسياح... لما رأى عمر أن يزدجرد يبعث عليه في كل عام حرباً ، وقيل له لا يزال هذا الدأب حتى يخرج من مملكته . أذن الناس في الإنسياح في أرض العجم حتى يغلبوا يزدجرد على ما كان في يدي كسرى . فوجه الأمراء من أهل البصرة بعد فتح نهاوند ، ووجه الأمراء من أهل الكوفة بعد فتح نهاوند... وولى عمار بن ياسر .. وقدمت الأولية من عند عمر إلى نفر بالكوفة زمان زياد بن حنظلة فقدم لواء منها على نعيم بن مقرن.. إلى خراسان . وبعث عتبة بن فرقان وبكير بن عبد الله وعقد لها على آذربيجان.. وجعل مكانها حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف حذيفة على ما سقط دجلة وما وراءها وعثمان على ما سقى الفرات من السوادين جيئاً...»

وكتب إلى أهل الكوفة إنني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وجعلت عبد الله بن مسعود معلماً وزيراً، ووليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها، ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى».

وقال الطبرى: ٣٠٨/٣: «ثم إن الوليد (بن عقبة والي عثمان على الكوفة) صالح أهل آذربجان على ثمان مائة ألف درهم ، وذلك هو الصلح الذى كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة الثنين وعشرين بعد وقعة نهاوند بستة . ثم إنهم حبسوها عند وفاة عمر ، فلما ولى عثمان وولى الوليد بن عقبة الكوفة سار حتى وطأهم بالجيش ، فلما رأوا ذلك انقادوا له وطلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك الصلح ، ففعل فقبض منهم المال وبث فيمن حولهم من أعداء المسلمين الغارات».

وقال الطبرى في تاريخه: ٣٢٤/٣، عن فتح خراسان وشمال إيران: «غزا سعيد بن العاص (والى الكوفة) من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ، ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير ..

وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيداً (بن العاص) ونزل أبرشهر ، وبلغ نزوله أبرشهر سعيداً فنزل سعيد قومه ، وهي صلح صالحهم حذيفة بعد نهاوند ، فأتى جرجان فصالحوه على مائتي ألف .

ثم أتى طميسة وهي كلها من طبرستان متاخمة جرجان ، وهي مدينة على ساحل البحر وهي في تخوم جرجان ، فقاتلها أهلها حتى صلى صلاة الخوف ، فقال حذيفة: كيف صلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فصلى بها سعيد صلاة الخوف

وهم يقتلون ، وضرب يومئذ سعيد رجلاً من المشركين على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه ، وحاصرهم فسألوا الأمان ، فأعطياهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ، ففتحوا الحصن فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً ، وحوى ما كان في الحصن»!

أقوال: ذكرنا في فصل تأصيل الفتوحات ، عدم صحة مشاركة الحسن والحسين عليهما السلام في الفتوحات ، فلا يمكن قبول هذه الفقرة من الرواية .

وقال البلاذري: «إن المغيرة بن شعبة قدم الكوفة واليَا من قبل عمر بن الخطاب ، ومعه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولاية آذربيجان ، فألقنه إليه وهو بنهاوند أو بقربيها ، فسار حتى أتى أردبيل ، وهي مدينة آذربيجان وبها مرزبانها وإليه جبابة خراجها ، وكان المرزبان قد جمع إليه المقاتلة من أهل باجروان وميمد والزرير وسراة والشيز والميانج وغيرهم . فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أيامما ، ثم إن المرزبان صالح حذيفة عن جميع أهل آذربيجان على ثمان مئة ألف درهم وزن ثمانية ، على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسبيه ولا يهدم بيت نار ، ولا يعرض لأكراد البلاسجان وسبلان وساترودان ، ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزفين في أعيادهم ، وإظهار ما كانوا يظهرون عليه . ثم إنه غزا موغان وجيلان ، فأوقع بهم وصالحهم على أتاوة».

ثم ولاه عمر آذربيجان فعقد صلحًا مع أهل أردبيل وجيلان ، ففي فتوح البلاذري: «أن المغيرة بن شعبة قدم الكوفة واليَا من قبل عمر بن الخطاب ، ومعه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولاية آذربيجان ، فألقنه إليه وهو بنهاوند أو بقربيها ،

فسار حتى أتى أردبيل ، وهي مدينة أذربيجان وبها مربانها ، وإليه جابية خراجها . وكان المربان قد جمع إليه المقاتلة من أهل باجروان وميمذ والنمير وسراة والشيز والميانج وغيرهم ، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أياماً ، ثم إن المربان صالح حذيفة عن جميع أهل أذربيجان على ثمان مئة ألف درهم وزن ثمانية ، على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسبيه ولا يهدم بيت نار ، ولا يعرض لأكراد البلاسجان وبستان وساترودان ، ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزفن في أعيادهم وإظهار ما كانوا يظهرون به . ثم أنه غزا موغان وجilan ، فأوقع بهم وصالحهم على أتاوة» .

وفي تاريخ جرجان للشهيسي /٤٦ : «باب ذكر من دخل جرجان من أصحاب النبي ﷺ : منهم أبو عبد الله الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وحذيفة بن اليمان وسعيد بن العاص ، وسويد بن مقرن ، وعبد الله بن أبي أوف وأبو هريرة ، وعبد الله بن الزبير ، ويقال الحسن بن علي ، وسوداد بن قطبة ويقال سوداد بن قطبة ، وسماك بن محرمة ، وهند بن عمرو ، وعتبية بن نهاس ... عن سليم بن عبد قال : كنا مع سعيد بن العاص بطرستان ومعه حذيفة بن اليمان وأصحاب محمد ﷺ فقال : من سمع من رسول الله ﷺ في صلاة الخوف؟ فقال حذيفة : أنا سمعت رسول الله ﷺ قال : صُفَّ صُفَّاً مَا يلِيكْ وصُفَّاً مَا يلِي العدو فصل بمن يلِيكْ ركعة وسجدتين ، ثم ينطلق هؤلاء يصلون معك ركعة وسجدتين ، ثم سلم». وتقدم نفي مشاركة انسين ﷺ بنفسيهما في الفتوح .

وقال الطبرى: ٣٣٣/٣: «صرف (عثمان) حذيفة عن غزو الباب مدةً لعبد الرحمن بن ربيعة ، وخرج معه سعيد بن العاص ، فبلغ معه آذربیجان وكذلك كانوا يصنعون ، يجعلون للناس رداء ، فاقام حتى قفل حذيفة ثم رجعاً».

وقال في: ٣٧٥/٣: «ورجع العمال إلى أعمالهم ومضى حذيفة إلى الباب».

وقال الطبرى: ٣٥٣/٣: «استعمل (والى الكوفة) على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان ، وكان على ذلك الفرج (أرميما وما حاذها) قبل ذلك عبد الرحمن بن ربيعة وأمدهم عثمان في سنة عشر بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة القرشي ... فأراد حبيب أن يتأمر على صاحب الباب كما كان يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة ، فلما أحس حذيفة أقر وأقرروا ، فغزاها حذيفة بن اليمان ثلاث غزوات ، فقتل عثمان في الثالثة ، ولقيهم مقتل عثمان».

وفي صحيح بخاري: ٩٩/٦: «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام في فتح أرميña وآذربیجان مع أهل العراق ، فأفرج حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى».

وسيأتي دور حذيفة رضي الله عنه في توحيد نسخة القرآن الكريم .

والنتيجة: أن حذيفة رضي الله عنه قاد جيش المسلمين بعد نهاوند في الفتوحات سنين متباولة، حتى أنه عندما قتل عثمان كان يفتح مناطق جديدة في آسيا الوسطى .

وقد كان دوره وافراً في معارك فتح إيران: ففي معركة جلواء التي كان قائدها وبطليها هاشم المرقال ، كان حذيفة فيها قائداً . ثم قاد حذيفة معركة حلوان وقتها . ثم كان في معركة تستر قائداً .

١٤ . شارك حذيفة في فتح أرمينيا وكان والياً عليها لفترة ، في زمن عمر وعثمان

ذكر ابن الأعثم ٢/٣٤٦ ، أن عثمان عزل حبيب بن مسلمة عن أرمينية وولى عليها حذيفة بن اليمان ، فدعا حذيفة برجل منبني عمه يقال له صلة بن زفر العبسي ، فوجه به إلى بلاد أرمينية وجعله خليفة لها بها ، وأقام حذيفة بالمدينة ، وأقبل صلة بن زفر العبسي إلى بلاد أرمينية فأقام بها حولاً كاماً ، وجعل بذلك ملوكها بغاية الذل والهوان ، حتى أذعنوا له بالسمع والطاعة .

ثم عزل عثمان حذيفة من أرمينية وولى عليها المغيرة بن شعبة مع آذربيجان ، ثم عزله عثمان وولى مكانه الأشعث بن قيس ، فكان بها إلى أن قتل عثمان بن عفان ، فكان الأشعث على أرمينية وأذربيجان يجبي خراجها ويحمله إلى عثمان . بينما قال الطبرى (٣/٥٣): «فغزاها حذيفة بن اليمان ثلاث غزوات ، فقتل عثمان في الثالثة ، ولقيهم مقتل عثمان » .

والجمع بين هاتين الروايتين بأن الأشعث كان والياً على الخراج ، وكان حذيفة يتولى غزو المناطق الباقية . وإن أرمينية يشمل في روايات الفتوحات عدة دول في آسيا الشرقية ، فقد ورد أن بلنجر مدينة في أرمينية ، وهي الآن مدينة في منطقة داغستان .

١٥ . وكان حذيفة والي المدائن مع سليمان رضي الله عنهما ، ومسح أرض العراق

في الطبرى: (٣/٢٢٢): «وكتب (عمر) إلى أهل الكوفة إني بعثت إليكم عمار بن ياسر

أميرًا ، وجعلت عبد الله بن مسعود معلماً وزيراً ، ووليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها ، ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى».

وفي تاريخ اليعقوبي: ١٥٢/٢: «ووجه (عمر) عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان، فمسحا السواد ، وأمرهما أن لا يحملوا أحداً فوق طاقته ، فاجتبى خراج السواد ثانية ألف ألف درهم ، وأجرى على عثمان بن حنيف خمسة دراهم في كل يوم وجواباً من دقيق ، وأمره أن لا يمسح تلأً ولا أ杰ةً ولا مستنقع ماء ولا ما لا يبلغه الماء . وأن يمسح بالذراع السوداء وهو ذراع وبضة وأقام إيهامه فوق القبضة شيئاً يسيراً ، فمسح عثمان كل شيء دون جبل حلوان إلى أرض العرب وهو أسفل الفرات ، فكتب إلى عمر: إني وجدت كل شيء بلغه الماء من عامر وغير عامر ، بلغه الماء ، عمله صاحبه أو لم يعمله درهماً وقفيزاً وعلى الكرم عشرة دراهم ، وعلى الرطاب خمسة دراهم . وفرض على رقباهem: على الموسر ثانية وأربعين ، وعلى من دون ذلك أربعة وعشرين ، وعلى من لا يجد اثني عشر درهماً، وقال: درهم في الشهر لا يعوز رجلاً ! فحمل من خراج السواد ، في أول سنة ، ثمانون ألف ألف درهم، وحل من قابل عشرون ومائة ألف ألف درهم». وقال البلاذري: ٣٣٣/٢: «مسح حذيفة سقى دجلة ، ومات بالمداين . وقنطر حذيفة نسبت إليه وذلك أنه نزل عندها ويقال جددها».

وروي أن حذيفة كان في تلك الفترة يتتردد على الكوفة وعلى المدينة ، وفي تاريخ دمشق: ٢٩٤/١٢: «سمعت أبا إسحاق يقول: كان حذيفة يجيء كل جمعة من المداين إلى الكوفة . قال أبو بكر: فقلت له يستطيع أن يجيء من المداين إلى الكوفة؟ قال: نعم

كانت له بغلة فارهة». والمسافة بين الكوفة والمدائن نحو مئة كيلو متر، لكن الفرس أو البغالة السريعة يمكن أن تقطعها في بضع ساعات.

وفي تاريخ الطبرى: ٨٨/٣: «عن سعيد بن جبير قال: بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعد ما ولاد المدائن وكثير المسلمين أنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها . فكتب إليه: لا أفعل حتى تخبرني أحلال أم حرام ، وما أردت بذلك؟ فكتب إليه: لا بل حلال ، ولكن في نساء الأعاجم خلابة ، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم ، فقال الآن . فطلقها».

١٦ . ومضافاً إلى بطولات حذيفة في الفتوحات ، كان بطل توحيد نسخة القرآن

فعدنما كان قائداً لجيش المسلمين في فتح أرمينيا ، وقع اختلاف بين جند الشام وجند العراق في ألفاظ في قراءة القرآن ، فكان بعضهم يقول إن ما تقرأه لم ينزله الله تعالى وليس قرآنًا ، ويحببه الآخر كذلك ، فكادت تقع بينهم حرب ! فهدأهم حذيفة وقصد إلى المدينة يطلب من عثمان توحيد نسخة القرآن ، فكلفه أن يجمع نسخة أبي بن كعب التي عند ابنه محمد ، ونسخة عمر التي عند حفصة ونسخة أبي موسى الأشعري من البصرة ، ونسخة عبد الله بن مسعود في الكوفة فنهض حذيفة بذلك .

وكلف عثمان سعيد بن العاص وزيد بن ثابت أن يكتبوا النسخة المعتمدة ، فكتبا كثيراً منها عن نسخة علي رضي الله عنه ، ثم أرسلها عثمان إلى الأمصار . وسبب ما وقع من خلاف في ألفاظ القرآن أن النبي ﷺ كان يصحح للمسلمين قراءتهم للقرآن ، لأنه نزل بصيغة واحدة لا تقبل التغيير ولا التعدد .

ويعد وفاته توفي كان الناس يراجعون الخليفة فقول لهم عمر: إقرؤوا كيما شئتم ، فالقرآن كله صواب ! ثم سمع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال إن القرآن نزل على سبعة أحرف ، أي أقسام: أمر وجزر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص، فاتخذها عمر حجة للتوسيع في نص القرآن ، وقال إن القرآن نزل على سبعة أحرف أي يتسع لسبة أنواع من القراءة ! ففتح عن ذلك التفاوت في القراءات حتى انفجر ذلك بين المسلمين في فتح أرمينيا ! (تدوين القرآن للمؤلف / ١٩٢).

روى عمر بن شبه في تاريخ المدينة: « عن ابن شهاب قال: حدثني أنس بن مالك ، أنه اجتمع لغزوة أرمينية وأذربيجان أهل الشام وأهل العراق ، فنذكروا القرآن ، فاختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة ، فركب حذيفة بن اليمان إلى عثمان لما رأى من اختلافهم في القرآن ، فقال: إن الناس قد اختلفوا في القرآن حتى والله إني لأخشى أن يصيبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الإختلاف ! ففرغ لذلك عثمان فزعًا شديداً... فإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود ، ويأتون بما لم يسمع أهل الشام ، ويقرأ أهل الشام بقراءة أبي بن كعب ويأتون بما لم يسمع أهل العراق ، فيكفرونهم أهل العراق.. أن ناساً كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية ، فإذا قرأها قال: فإني أكره بهذه ! »

ووصف ابن شبة مصادرة حذيفة مصحف أبي موسى الأشعري بما فيه من زيادات ! فقال في تاريخ المدينة: « استأذن رجل على ابن مسعود فقال الأذن: إن القوم والأشعري (جالسين معه) وإذا حذيفة يقول لهم: أما إنكم إنا شئتما أقمنا هذا الكتاب على حرف واحد، فإني قد خشيت أن يتهون الناس فيه تهون أهل

الكتاب ، أما أنت يا أبو موسى فيطיעك أهل اليمن ، وأما أنت يا ابن مسعود فيطيعك الناس . قال ابن مسعود: لو أني أعلم أن أحداً من الناس أحفظ مني لشدت رحلي براحتي حتى أتيخ عليه . قال: فكان الناس يرون أن حذيفة رضي الله عنه من عمل فيه حتى أتى على حرف واحد.. أتيت دار أبي موسى الأشعري فإذا حذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري فوق إجار (دكة) فقلت: هؤلاء والله الذين أريد ، فأخذت أرتقي لهم فإذا غلام على الدرجة فمنعني أن أرتقي إليهم فنمازعته حتى التفت إلى بعضهم فأتيتهم حتى جلست إليهم ، فإذا عندهم مصحف أرسل به عثمان فأمرهم أن يقيموا مصاحفهم عليه ، فقال أبو موسى: ما وجدتم في مصحي هذا من زيادة فلا تنقصوها ، وما وجدتم من نقصان فاكتبوه فيه ! فقال حذيفة: فكيف بها صنعوا ، والله ما أحد من أهل هذا البلد يرغب عن قراءة هذا الشيخ يعني ابن مسعود ، ولا أحد من أهل اليمن يرغب عن قراءة هذا الآخر يعني أبي موسى . وكان حذيفة هو الذي أشار على عثمان أن يجمع المصاحف على مصحف أحد». انتهى .
 (راجع تفصيل ذلك في كتاب تدوين القرآن/١٧٧، وكتاب قرآن علي للمؤلف).

١٧. ذكر بعضهم أن حذيفة كان عامل النبي ﷺ على دُبَا وهي عاصمة قديمة

لعمان ، لأنهم أزديون وحذيفة عبسى وعبسى من الأزد .

قال ابن سعد في الطبقات: ٥٢٧/٥: «قبض رسول الله ﷺ وعامله على دُبَا حذيفة بن اليمان ». وال الصحيح أنه حذيفة آخر ، وقد ورد اسمه في بعض الروايات: حذيفة بن محصن البارقي . (البلذري: ٩٢/١).

وقال في الطبقات: ١٠١/٧: «وَدُبَاءٌ فِيْمَا بَيْنَ عَمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ، وَقَدْ كَانُوا أَسْلَمُوا وَقَدْ وَفَدُوهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى مُقْرِّبِينَ بِالْإِسْلَامِ، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ مَصْدِقًا مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ حَذِيفَةُ بْنُ الْبَيَانِ الْأَزْدِيُّ مِنْ أَهْلِ دَبَاءِ، وَكَتَبَ لَهُ فَرَائِضَ الصَّدَقَاتِ، فَكَانَ يَأْخُذُ صَدَقَاتَ أَمْوَالِهِمْ وَيَرْدِهَا عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى ارْتَدُوا وَمَنَعُوا الصَّدَقَةَ فَكَتَبَ حَذِيفَةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِذَلِكَ، فَوَجَهَ أَبُو بَكْرٍ عَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهَلٍ إِلَيْهِمْ فَالْتَّقَوْا فَاقْتَلُوا، ثُمَّ رَزَقَ اللَّهُ عَكْرَمَةُ عَلَيْهِمُ الظَّفَرَ فَهُزِمُوهُمْ اللَّهُ وَأَكْثَرُهُمْ قُتُلُوا، وَمَضَى فَلَهُمْ إِلَى حَصْنِ دَبَاءِ فَتَحَصَّنُوا فِيهِ، وَحَصَرُوهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي حَصْنِهِمْ ثُمَّ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ حَذِيفَةَ بْنِ الْبَيَانِ الْأَزْدِيِّ فَقُتِلَ مَائَةً مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَسَبْيَ ذَرَارِهِمْ، وَبَعَثَ بَعْدَهُمْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ وَفِيهِمْ أَبُو صَفْرَةُ غَلَامٌ لَمْ يَلْغُ يَوْمَئِذٍ».

أقول: نصت الرواية على أن حذيفة هذا من أهل دبا ، وحذيفة بن اليمان عبي أبي أزدي لكنه من عبس في الحجاز ، وليس من عمان .

١٨. من صفات حذيفة: أن النبي ﷺ خيره بين أن يكون مهاجرًا أو أنصاريًا
 فاختار أن يكون أنصاريًا ، لأن عبي أبي أسلم وهاجر ، ولأن أباه تركبني عبس
 لصراع بينهم وقد قتل منهم رجالاً وهرب إلى المدينة ، وتحالف مع الأنصار
 وسيمي اليماني لأنه حالف الأنصار اليمانيين ، (الطبقات: ٤٤١/٣، والإصابة: ٢/٣٩)
 وتقدم ذكر أبيه واستشهاده في أحد ، وأمه أنصارية هي الرياب بنت كعب بن
 عدي بن عبد الأشهل . وقال ابن سعد: ولدت للبيان حذيفة وسعداً وصفوان
 ومدحجاً وليل . (الإصابة: ٨/١٣١).

وأولاده: صفوان وسعيد ، فازا بالشهادة بين يدي أمير المؤمنين عليهما رضي الله عنهم . وعمران بن حذيفة ، كان من مقدمي أصحاب المختار في ثورته لأخذ ثأر الحسين عليهما وقتلها مصعب بن الزبير بعد قتل المختار . (الكامل: ٤ / ٢٨٠).

وله ابن آخر هو ربيعة ، نسب اليه: إبراهيم بن مسلم الحذيفي ، وهو ابن مسلم بن عثمان ، بن مسلم ، بن مسعود ، بن مسلم ، بن ربيعة ، بن حذيفة بن اليمان العبسي ، بغدادي سكن همدان . (الباب لابن الأثير: ١ / ٣٥١ ، وتاريخ بغداد: ٦ / ١٨٤). وذكر ابن سعد بنته أم موسى بنت حذيفة (٦ / ٢٩٧) وبنته أم سلمة وأنها روت عن أبيها (٨ / ٤٧٧) وذكر زوجته جمانة بنت المسيب بن نجدة الفزارى (٨ / ٤٨٢).

○ ○

الأحنف بن قيس رائد فتح خراسان

١- إسمه الضحاك ، بن قيس ، بن معاوية ، بن الحصين « مقاعس » بن عبادة ،

بن التزال، بن مرأة بن عبيد، بن الحارث بن كعب، بن سعد بن زيد منة بن عميم . أدرك النبي ﷺ ولم يره (أسد الغابة: ١/٥٥) وروي أن النبي ﷺ بعث رجلاً يدعوه بني سعد إلى الإسلام وكان الأحنف فيهم ، فجعل يعرض عليهم الإسلام فقال الأحنف: والله إنه يدعو إلى خير ويأمر بالخير ، وما أسمع إلا حسناً ، وإنه ليدعو إلى مكارم الأخلاق ، وينهى عن ملائتها ، فذكر الرجل ذلك للنبي ﷺ فقال: اللهم إغفر للأحنف ». .

٢- وفد إلى المدينة على عهد عمر بن الخطاب مع أبي موسى الأشعري ، الذي

كان والياً على البصرة آنذاك، ليرفعوا إليه بعض حوائج أهل البصرة ، فلم يتكلم أحد سوى الأحنف ، وكان مما قال: « وإنما أنس بين سبحة وبين بحر أجاج ، لا يأتينا طعامنا إلا في مثل حلقوم النعامة ، فأعد لنا قفيزنا ودرهمنا ، فأعجب منه ذلك عمر ، لكنه أعرض عنه لحداثة سنّه ، فقال له أجلس يا أحنف فغلب لقبه على إسمه ». (تاریخ دمشق: ٢٤/٣١٢).

قال الأحنف بن قيس: « قدمت على عمر بن الخطاب فاحتبسني حولاً ، فقال: يا أحنف ، إني قد بلوتك وخبرتك وخبرت علانيتك ، فلم أر إلا خيراً ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، وإنما كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم ، فإذا أنت مؤمن عليم اللسان ». (هذیب الکمال: ٢/٢٨٥).

أقول: لا وجه لحبس عمر للأحنف مدة سنة إلا مزاج عمر ، وقد أثبتت بصبره أنه فهم مزاج عمر ، وأثبتت أنه صاحب عقل وافر . وقد سماه عمر الأحنف ، فغلب عليه هذا الإسم ، والأحنف: الذي في مشط قدمه مثيل أو تشوه . (الصحاح: ٤/١٣٧٤).

٣- يضرب به المثل في الحلم والحكمة والنبل فيقال: أحلم من الأحنف بن قيس
وله في ذلك أخبار مأثورة . (الغارات: ٢: ٧٥٤). واشتهر بالحكمة ، ورويت عنه حكم كثيرة ، منها أنه قال: الكامل من عدت هفواته . (ربيع الأبرار: ٢: ١٠٠).
وقال: جنبو مجلسنا ذكر النساء والطعام ، فإني أبغض الرجل يكون وصفاً
لبطنه وفرجه ». (ربيع الأبرار: ٢: ٢٥٢).

وقال: إني لأجالس الأحق ساعة ، فأتبين ذلك في عقلي . (ربيع الأبرار: ٢: ٤٠).
وقال: لا صديق للمول ، ولا وفاء لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا مروءة
لبخيل ، ولا سؤدد لسيئ الخلق ». (عيون الأخبار لابن قتيبة: ٢: ١٣).

وقال: «أربع من كن فيه كان كاملاً، ومن تعلق بخصلة منها كان صالحاً: دين
يرشده، أو عقل يسدده، أو حسب يصونه، أو حياء يمحجزه». (معدن الجواهر
للكراجكي: ٤٥). وقال: وجدت الحلم أنصري من الرجال . (ربيع الأبرار: ٢: ٢١٥).
وقال: لقد مرت على مائة هنة كلها أطأطئ لها رأسى فتجوزنى ، ولو نصبت
لإداهن لاصطلمنى . (ربيع الأبرار: ٢: ٢٢٦).

وقال: لست حلبياً وإنما أنا صبور . (ربيع الأبرار: ٣: ٩٦).
وقيل لشيخ: علّمني الحلم، قال: هو يا ابن أخي، الذي أفتصر عليه!

وقال الأحنف: ما يسرني بنصبي من الذل حر النعم! فقال له رجل: أنت أعز العرب فقال: إن الناس يرون الحلم ذلاً. (عيون الأخبار لابن قتيبة: ٤٠٧).

وقال الحسن البصري: ما رأيت شريف قوم أفضل من الأحنف. وقال سفيان: ما وزن عقل الأحنف بعقل إلا وزنه. (تاريخ دمشق: ٣١٦/٤).

وفي ربيع الأبرار: ١٣٥/٢: «قيل لرجل: بم سادكم الأحنف فوالله ما كان أكبركم سنًا ولا بأكثركم شيئاً؟ قال: بقوه سلطانه على نفسه».

وفي مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا/ ١٠٩: « صعد الأحنف بن قيس فوق بيته فأشرف على جاره ، فقال: سوءة سوءة ! دخلت على جاري بغير إذن ! لا صعدت فوق هذا البيت أبداً ». وبقي الأحنف سيداً لتميم أربعين سنة .

وتوفي الأحنف في الكوفة سنة سبع وستين ، ودفن في الثوية. (الغارات: ٢/٧٥٤).

وفي معجم البلدان: ١/٥٥: « قال المدائني: إن الأحنف لم يكن له ولد إلا بحر ، وبه كان يكتنى ، وبينت ، فولد بحر ولدأ ذكرأ ودرج ولم يعقب ، وانقرض عقبه من ابنته أيضاً ».

٤ - وعندما وصلت عائشة إلى البصرة دعوه لنصرتها ، وأرسلت إليه أن يأتيها مرتين فأبى ! « فكتب إلينه: يا أحنف ما عذرك في ترك جهاد قتلة أمير المؤمنين ، أمن قلة عدد أو أنك لانطاع في العشيرة؟ فكتب إليها: إنه والله ما طال العهد بي ، ولا نسيت عهدي في العام الأول ، وأنت تحرضين على جهاده ، وتذكري أن جهاده أفضل من جهاد فارس والروم ! (شرح الأخبار: ١/٣٨١).

٥- كان الأحنف من شيعة أمير المؤمنين عليهما السلام، وروى عن أبي ذر قال: «كنا

ذات يوم عند رسول الله ﷺ في مسجد قبا، ونحن نَقْرُرُ من أصحابه فقال: معاشر أصحابي يدخل عليكم من هذا الباب رجل هو أمير المؤمنين، وإمام المسلمين، قال فنظروا وكنت فيمن نظر ، فإذا نحن بعلي بن أبي طالب قد طلع ، فقام عليهما السلام فاستقبله وعانقه وقبل ما بين عينيه ، وجاء به حتى أجلسه إلى جانبه ، ثم أقبل علينا بوجهه الكريم فقال: هذا إمامكم بعدي ، طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي وطاعتي طاعة الله ، ومعصيتي معصية الله عز وجل ». (أمال الصدوق / ٦٣٤).

٦- كان أول من أجاب دعوة أمير المؤمنين عليهما السلام حينما دعا أهل البصرة لقتال

معاوية ، فلما وصل كتاب أمير المؤمنين إلى ابن عباس في البصرة ، قرأه للناس وقال: «أيها الناس استعدوا للشخصوص إلى إمامكم ، وانفروا أخفافاً وثقلاءً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم .. فلما أتَمَ كلامه ، قام الأحنف فقال: نعم والله لنجييك ، ونخرج معك على العسر واليسر ، والرضا والكره ، نحتسب في ذلك الأجر ، ونأمل به من الله الثواب العظيم». (شرح النهج: ٣/ ١٨٧).

وجاء الأحنف مع وجوه قومه وأشراف البصرة من القبائل الأخرى إلى الإمام عليهما السلام في الكوفة فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين إن تك سعد لم تنصرك يوم الجمل فإنهما لم تنصر عليك ، وقد عجبوا أمس من نصرك وعجبوا اليوم من خذلك ، لأنهم شكوا في طلحة والزبير ، ولم يشكوا في معاوية ، وعشيرتنا بالبصرة ، فلو بعثتنا إليهم فقدموا إلينا فقاتلنا بهم العدو وانتصينا بهم ، وأدركوا اليوم ما فاتهم

بالأمس.. فقال عليهما السلام: أكتب إلى قومك من بنى سعد، فكتب الأحنف إلىبني سعد: «أما بعد ، فإنه لم يبق أحد من بنى تميم إلا وقد شقوا برأي سيدهم غيركم عصمكم الله برأيي حتى نلتزم ما رجوتكم ، وأتمتم ما خفتم ، وأصبحتم منقطعين من أهل البلاء ، لاحقين بأهل العافية ، وإنني أخبركم بأننا قدمنا على تميم الكوفة فأخذدوا علينا بفضلهم مرتين ، بمسيرهم إلينا مع علي ، وإجابتهم إلى المسير إلى الشام ، فأقبلوا إلينا ، ولا تتكلوا عليهم». (أعيان الشيعة: ١ / ٤٦٦).

٧- اقترح الأحنف على أمير المؤمنين أن يكون مندوبيه للتحكيم بعد صفين ،
 مقابل ابن العاص فقال: «يا أمير المؤمنين: إنك رُميت بحجر الأرض ، ومن حارب الله ورسوله أنت الإسلام ، وإنني قد عجمت هذا الرجل ، يعني أبا موسى ، وحلبت شطره فوجده كليل الشفرة قريب القعر ، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم ، ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم ، فإن شئت أن تجعلني حكماً فاجعلني ، وإن شئت فاجعلني ثانياً أو ثالثاً ، فإن عمراً لا يعقد عقدة إلا حلتها ، ولا يحمل عقدة إلا عقدت لك أشد منها ، فعرض الإمام ذلك على الناس فأبواه! وقالوا لا يكون إلا أبو موسى» (شرح النهج: ٢ / ٢٣٠).

ولما رأى الأحنف إصرار أهل الكوفة على تحكيم أبي موسى ، نصح أبا موسى عندما وَدَعَه قاتلاً: «يا أبا موسى! عِرْفَ خَطْبَ هَذَا الْأَمْرَ ، وَاعْلَمَ إِنَّ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، وَإِنَّكَ إِنْ أَضْعَتَ الْعَرَاقَ فَلَا عَرَاقَ ، إِنْقَ اللهُ إِنَّهَا تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ ، وَإِذَا لَقِيتَ غَدَّاً عَمْراً فَلَا تَبْدَأْ بِالسَّلَامِ ، فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ سَنَةً إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ

بأهلها، ولا تعطه يدك فإنها أمانة ، وإياك أن يتعذرك على صدر الفراش ، فإنها خدعة ، ولا تلقه إلا وحده ، وأحذر أن يكلمك في بيت فيه مخدع ، تحبأ لك فيه الرجال والشهدود ». (شرح النهج: ٢٤٩/٢).

٨- قال له معاوية: «أنت الساعي على أمير المؤمنين عثمان ، وخاذل أم المؤمنين عائشة ، والوارد الماء على عليٍّ بصفين؟! فقال الأحنف: من ذاك ما أعرف ومنه ما أنكر ، أما أمير المؤمنين فأنتم معاشر قريش حضرتوه بالمدينة ، والدار منا عنه نازحة ، وقد حضره المهاجرون والأنصار وكتم بين خاذل وقاتل ، أما عائشة فإني خذلتها في طول باع ورحب سرب ، وذلك أني لم أجده في كتاب الله إلا أن تقرًّ في بيتها . أما ورودي الماء بصفين ، فإني وردت حين أردت أن تقطع رقابنا عطشاً ! فقام معاوية وأمر له بخمسين ألف درهم ». (شرح الأخبار: ٧٤٥/١).

٩- خطب شاميٌ في مجلس معاوية: «فكان آخر كلامه أن لعن علياً

فأطرق الناس! وتكلم الأحنف فقال لمعاوية: إن هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المسلمين للعنهم ، فاتق الله ودع عنك علياً ، فقد لقي ربه وأفرد في قبره وخلا بعمله ، وكان والله المبرز بسيقه ، الطاهر خلقه ، الميمون نقبيته ، والعظيم مصبيته . فقال معاوية: يا أحنف لقد أغضبت العين على القذى ، وقلت بغير ما ترى ، وأيم الله لتصعدنَّ المنبر فلتلعنه طوعاً أو كرهاً !

قال له الأحنف: إن تعفني فهو خير لك ، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجري به شفتاي أبداً . قال: فاصعد المنبر ! قال الأحنف: أما والله لأنصفك في القول والفعل . قال: وما أنت قائل يا أحنف؟ قال: أصعد المنبر فأحمد الله بما هو

أهله ، وأصلي على نبيه ﷺ ثم أقول: أهلا الناس إن معاوية أمرني أن ألعن علياً ، وإن علياً ومعاوية إختلفا واقتلا واحداً على كل واحد منها أنه بغي على فته ، فإذا دعوت فأمّنا رحمة الله ، ثم أقول: اللهم ألعن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجمع خلقك الباغي منها على صاحبه ، وألعن الفتنة الباغية ، اللهم العنة لعنًا كثيراً ! يا معاوية: لا أزيد على هذا ولا أنقص حرفًا ، ولو كان فيه ذهاب نفسي ، فسكت معاوية وأعفاه عن ذلك ». (مواقف الشيعة: ١/٢٤٤).

«عن الحسن البصري قال: جلسوا عند معاوية فتكلّموا وصمت الأحنف ، فقال معاوية: يا أبا بحر ، مالك لا تتكلّم ؟ قال: أخافكم إن صدقتم ، وأخاف الله إن كذبتم ». (عيون الأخبار لابن قتيبة: ٢/١٩٥).

وفي ربيع الأول للزمخشري: ٦١: «خطب معاوية فقال: إن الله يقول: إِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَرَائِثُهُ وَمَا تُنْزَلُ إِلَّا يَقْدِرُ مَعْلُومٌ ، فعلام يلوموني إذا قصرت في عطياتكم؟ فقال الأحنف: إنما الله لا نلومك على ما في خزانة الله ، ولكن على ما أنزله من خزانته فجعلته أنت في خزانتك ، وحُلْتَ بيننا وبينه» !

١٠. قال الأحنف: دخلت على معاوية فقدم إلى من الحلو والخامض ما كثر

تعجبني منه ، ثم قدم لونا ما أدرى ما هو فقلت: ما هذا ؟ قال: مصارين البط محسنة بالمخ (بخاخ العصافير) ، قد قليت بهن الفستق ، وذر عليه الطبرزد . فبكيت فقال: ما يبكيك؟ قلت: ذكرت علياً ، بينما أنا عنده فحضر وقت إفطاره ، فسألني المقام إذ دعا بجراب مختوم ، قلت: ما في الجراب ؟ قال: سويق شعير . قلت: خفت عليه أن يؤخذ أو بخلت به ؟ قال: لا ولا أحدهما ، ولكنني خفت

أن يَلْتَهِ الحسن والحسين بسمن أو زيت . قلت: حرم هو يا أمير المؤمنين ؟ قال: لا ، ولكن يجب على أئمة الحق أن يعتدوا أنفسهم من ضعفة الناس ، لثلا يطغى بالفقر فقره ! قال معاوية: ذكرت من لا ينكر فضله ». (الذكرة الحمدونية/٦٩).

١١ - كان شجاعاً قائداً، فقد جعله أمير المؤمنين أميراً على تميم البصرة

كلها في معركة صفين. (شرح نهج البلاغة: ٤/٢٧) كما كان له دور قيادي في الفتوحات ، فكان أول من توجه إلى فتح خراسان ، وطارد يزدجرد وقاتلته وهزمها ، وكان فتح مرو الروذ وغيرها على يديه . (تاريخ دمشق: ٢٤/٢١٣). وكان على مقدمة الجيش في فتح هرات ، وطخارستان ، وطالقان ، والجوزجان وغيرها . (شرح النهج: ٤/٢٧) . راجع ما كتبناه عنه في فتح إيران .

وفي عيون الأخبار لابن قتيبة: ١/٣٣٠: «كتب معاوية إلى زياد: أنظر رجلاً يصلح لشغر الهند فوله ، فكتب إليه إنّ قبلـي رجلين يصلحان لذلك: الأحنف بن قيس ، وسنان بن سلمة الهنـلي . فكتب إلىـه معاـويـة: بأـي يـومـي الأـحنـفـ نـكـافـيـ؟ أـبـخـذـلـانـهـ أـمـ الـمـؤـمـنـينـ ،ـ أـمـ بـسـعـيـهـ عـلـيـنـاـ يـوـمـ صـفـيـنـ؟ـ فـوـجـهـ سـنـانـاـ.

فـكـتـبـ إـلـيـهـ زـيـادـ:ـ إـنـ الـأـحـنـفـ قـدـ بـلـغـ مـنـ الشـرـفـ وـالـحـلـمـ وـالـسـوـدـدـ ،ـ مـاـ لـاـ تـنـفـعـهـ الـوـلـاـيـةـ ،ـ وـلـاـ يـضـرـهـ العـزـلـ» !

خالد بن سعيد بن العاص بطل فتح فلسطين

١. شاء الله عز وجل أن يجعل من أبناء الفرعون أبي أحبيحة ، مسلمين مؤمنين!

أبو أحبيحة هو سعيد بن العاص الأموي ، من كبار أثرياء قريش ، ومعنى الأحبيحة الضغينة في الصدر، وروي أن ابنه أحبيحة قتل في حرب الفجراء . والمعروف من أبنائه ابنه العاص الذي شهد بدرًا مع المشركين فقتله على يديه ، وخالد ، وعمرو ، وأبان ، والحكم ، وسعيد ، وقد أسلموا وختم الله لهم بالشهادة ، وأفضلهم خالد . وانحصرت ذرية أبي أحبيحة بحفيدته سعيد بن العاص ، وقيل إن خالدًا له عقب ولم يثبت ذلك .

«كان أبو أحبيحة إذا اعتَمَ بمكة لا يعتم أحد بلون عمانته إعظاماً له، وكان يقال له: ذو التاج. وكان شديداً على المسلمين، وكان أعز من بمكة ، فعرض فقال: لئن الله رفعني من مرضي هذا ، لا يعبد إله ابن أبي كبشة بمكة ! فقال ابنه خالد عند ذلك: اللهم لا ترفعه . فتوفي في مرضه ذلك». (أنس العابدة: ٢٢ / ٨٢).

٢. أكرم الله خالدًا برأبدين كانتا سبب هدايته قبل أن يصدع النبي ﷺ بدعوته!

ففي الاستيعاب: ٤٢٢ / ٢: «عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: كان إسلام خالد بن سعيد قدرياً ، وكان أول إخوته إسلاماً ، وكان بده إسلامه أنه رأى في النوم أنه وقف به على شفير النار ، فذكر من سمعتها ما الله أعلم به ، وكان أباه يدفعه فيها ، ورأى رسول الله ﷺ آخذناً بحقويه لا يقع فيها ، ففرز وقال: أحلف بالله إنها لرؤيا حق».

وفي الطبقات: ١/٦٦، و تاريخ دمشق: ٦٧/٦٧، قالت ابنته أم خالد المولودة في الحبشة: «لما كان قبيل مبعث النبي ﷺ بینا خالد بن سعيد ذات ليلة نائم، قال: رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يضر أمرؤ كفه، فيبينا هو كذلك إذ خرج نور من زمم ثم علا في السماء فأضاء في البيت، ثم أضاء مكة كلها، ثم إلى نجد، ثم إلى يثرب فأضاءها حتى أني لأنظر إلى البُسر (الرطب) في التخل! قال: فاستيقظت فقصصتها على أخي عمرو بن سعيد، وكان جزيل الرأي (راجع الرأي) فقال: يا أخي إن هذا الأمر يكون فيبني عبد المطلب! ألا ترى أنه خرج من حفيرة أبيهم (زمزم) قال خالد: فإنه لم يهداني الله به للإسلام .

قالت أم خالد: فأول من أسلم أبي ، وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله ﷺ فقال: يا خالد أنا والله ذلك النور ، وأنا رسول الله ، فقصص عليه ما بعثه الله به ، فأسلم خالد ، وأسلم عمرو ». والمنقى / ٢٩٢ ، وكنز الغواند / ٩٣ .

وفي طبقات ابن سعد (٤/٩٤ و ٩٥): «فلقي رسول الله ﷺ وهو بأجياد فقال يا محمد إلى ما تدعوه قال: أدعوا إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يضر ولا ينفع ، ولا يدرى من عبده من لم يعبده ! قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله . فسُرَّ رسول الله بإسلامه ... وتغيب خالد ، وعلم أبوه بإسلامه فأرسل بطلبه من بقي من ولده من لم يسلم ، ورافعاً مولاه فوجدوه ، فأتوا به إلى أبيه أبي أحبيحة ، فأتبه وبكَّه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه ،

ثم قال: أتبعت محمداً وأنت ترى خلافه قومه ، وما جاء به من عيب آهتهم ،
وعيب من مضى من آبائهم ! فقال خالد: قد صدق والله واتبعته .
فضضب أبو أحيحة ونال من ابنه وشتمه ، ثم قال: إذهب يا لکع حيث شئت
فوالله لأمنعك القوت ! فقال خالد: إن منعوني فإن الله يرزقني ما أعيش به .
فأخرجه وقال لبنيه: لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ، فانصرف
خالد إلى رسول الله ﷺ فكان يلزمهم ويكون معه» والحاکم: ٢٤٨ / ٣ .

وفي الأحاديث الأخرى: «وكان جميلاً، وسيماً، قُتل وهو ابن نحو خمسين» .

٣. هرب من سجن أبيه وعاش هو وزوجته في مكة فترة، ثم هاجر إلى الحبشة.

قال ابن سعد في الطبقات: ٩٥ / ٤: «كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص ثالثاً أو رابعاً ، وكان ذلك ورسول الله ﷺ يدعو سراً.. فضربه أبو أحيحة بقراءة في يده حتى كسرها على رأسه ، ثم أمر به إلى الحبس وضيق عليه وأجاعه وأعطشه ، حتى لقد مكث في حر مكة ثلاثة مايذوق ماء ، فرأى خالد فرحة فخرج ، فتغيب عن أبيه في نواحي مكة ، حتى حضر خروج أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة في الهجرة الثانية » .

أقول: أثبتنا في السيرة النبوية من مصادر الطرفين أن النبي ﷺ بعث أولآلى بني هاشم خاصة فجمعهم لحمايته مقابل قريش ، التي أصرت على قتله ، ولم يدع الناس إلا بعد ثلاث سنوات عندما أنزل الله تعالى عليه: فَاصْدِعْ بِمَا تُؤْمِرُ وَأَغْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . وجاء جبريل عليه السلام وقال له: لقد كفاك الله إياهم ! وكانوا خمسة فراعنة فقتلهم الله في يوم واحد ، كما تقدم في ترجمة ابن الوليد .

وفي تلك السنوات الثلاث لم يؤمن إلا بعض بنى هاشم وأبو ذر بكرامة رآها ، وسعيد بن العاص بكرامة رآها . وهذا يدل على مقامها المميز رضي الله عنها . وفي الإستيعاب: ٤٢٠ / ٢: «هاجر إلى أرض الحبشة مع امرأته الخزاعية، وولد له بها ابنه سعيد بن خالد وابنته أم خالد... قالت.. وشهد أبي مع رسول الله ﷺ عمرة القضاء وفتح مكة وحنين والطائف وتبوك ، وبعثه رسول الله على صدقات اليمن ، فتوفى رسول الله ﷺ وأبي باليمين » .

أقول: لم ينقطع سعيد عن النبي ﷺ بعد هجرته ، ويظهر أنه كان مأموراً بالبقاء في الحبشة مع جعفر ، وكان يتحرك إلى الشام واليمن بأمر النبي ﷺ .

قال ابن سعد (٤/٩٩) وابن عساكر في تاريخه (١٦/٧١): «إن رسول الله ﷺ بعثه في رهط من قريش إلى ملك الحبشة فقدموا عليه.. هو وأصحابه وقد فرغ رسول الله ﷺ من وقعة بدر ، فأقبل يمشي ومعه ابنته فقال: يا رسول الله لم نشهد معك بدرأ ، فقال ﷺ: أومّا ترضى يا خالد أن يكون للناس هجرة ولكم هجرتان ثنتان؟ قال: بل يا رسول الله . قال: فذاك لكم . ثم إن خالداً قال لابنته: إذهب إلى عمك ، إذهب إلى رسول الله ﷺ فسلمي عليه ، فذهبت الجويرية حتى أتته من خلفه فأكبت عليه ، وعليها قميص أصفر فأشارت به إلى رسول الله تريه فقال رسول الله ﷺ: سنه سنه ، يعني بالحبشية: أبلٰ وأخلقي ثم أبلٰ وأخلقي» .

كما أن قول ابن عبد البر: «وبعثه رسول الله على صدقات اليمن» خطأ أو مساحة . وقد أرسله ﷺ إلى اليمن مرات ، منها في فتحها مع علي بن أبي طالب ، وآخرها والياً على صنعاء إلى أن توفي النبي ﷺ ، قال ابن عساكر (١٦/٧٧): «فاستعمل على

صنعاء خالد بن سعيد بن العاص». وفي مكاتيب النبي ﷺ للأحدى: ٣٠٣/١: «وكتب له ﷺ كتاب الفرائض».

٤. أسلم خالد وأخوه عمرو ، وأقتحما بالمراسلة أخاهما أباً ، فأسلم عند عودتهما من الهجرة وحسن إسلامه ، فولاه النبي ﷺ على البحرين ، وبقي والياً عليها حتى توفي النبي ﷺ وشارك في فتح الشام ، واستشهد مع أخيه في السنة الرابعة عشرة للهجرة . (الإصابة: ١٦٩ / ١٦٩). وسيأتي الكلام في شهادة خالد !

ويفهم من شعر أبان أن زوجة خالد الخزاعية كان لها دور في إقناعه بالإسلام ، فقد بعث لأخيه خالد وعمرو رسالة إلى الحبشة ، كما في تاريخ دمشق: ٦/١٢٩:

لما يفترى في الدين عمرو و خالد
«ألا ليت ميتاً بالظريبة شاهداً»
يعينان من أعدائنا من نكابد
أطاعنا أمر النساء فأصبحا
فأجابه أخوه خالد:
يقول إذا اشتدت عليه أموره

أخي ما أخي لا شائم أنا عرضه
فدع عنك ميتاً قد مضى لسيله
«ألا ليت ميتاً بالظريبة ينشر
وأقبل على الحي الذي هو أقفر»

ثم أسلم أبان وحسن إسلامه ، وكذا الحكم بن سعيد . قال في دمشق: ٥٧/٢٩: «استشهد الحكم بن سعيد بن العاص يوم مؤتة مع جعفر بن أبي طالب ، واستشهد مع رسول الله ﷺ يوم حصن الطائف سعيد بن سعيد بن العاص... ولد سعيد بن العاص أبو أحبيحة ثانية رجال ، لم يمت أحد منهم على فراشه ! فقتل ثلاثة من المشركين ، وخسنه مع المسلمين ! قتل أحبيحة

يوم الفجار ، وقتل العاص بن سعيد بن العاص ، وعبيدة بن سعيد بن العاص يوم بدر ، وقتل سعيد بن سعيد يوم الطائف ، وقتل الحكم بن سعيد يوم اليمامة ، وكان يعلم الحكم بالمدينة ، وقتل خالد يوم مرج الصفر ، وهو الذي يقول:

مَنْ فَارَسَ كَرِهَ الطَّعْمَانَ يَعْرِينِي رَحْمًا إِذَا نَزَلْتُ لِوَابِرْجَ الصُّفَرَ

وقتل أبان وعمرو يوم أجنادين . وقال ابن الكلبي: قتل عمرو يوم فحل... قال علي بن محمد عن أبي عشر المدى في تسمية من استشهد من المسلمين يوم اليمامة: الحكم بن سعيد بن العاص بن أمية .. وذكر أبو بكر البلاذري أن الحكم قد استشهد يوم اليمامة ، قال: ويقال إنه قتل يوم مؤتة».

٥. هاجر خالد إلى الحبشة فكان مع جعفر وكان يتردد على النبي ﷺ ويكلمه

بمهماه ، فقد أرسله إلى قيسر ، وتأثر به كبير الأساقفة . (تاريخ دمشق: ٦٧/١٦).
 وكان يتاجر إلى اليمن فجاء إلى النبي ﷺ بمنجنيق من جرش (إمارة الأسماع: ٢١/٢).
 وكان يكتب للنبي ﷺ ، وهو أول من بدأ الرسائل بكتابته البسملة في أول كتب النبي ﷺ (الدر المثور: ١١/١) وتجدد في مكاتبات النبي ﷺ بجموعة عشر كتاباً ختمت بعبارة: «وكتبه خالد بن سعيد بن العاص» منها كتابه ﷺ إلىبني عمرو من حمير (مكاسب الرسول للأحدى: ٢١٤/١) وكتابه إلى ثيف (المصدر: ٥٨/٣) وكتابه إلى بني أسد (المصدر: ٣/٢٣٩) ولبني عريض (المصدر: ٢٥٥/٣) والى بني غاديا (المصدر: ٤٢١/٤) والى بني عوف من بني سليم (المصدر: ٤٣٤/٣) والى راشد بن عبد رب السلمي (المصدر: ٤٣٦/٣) والى بني جفال بن ربيعة بن زيد الجذاميين (المصدر: ٤٤٧/٣) والى العداء بن خالد بن هوذة (المصدر: ٤٤٩/٣) والى سعيد بن

سفيان الرعلي (المصدر: ٣/٤٧٥) والى عك ذي خيوان (سنن أبي داود: ٢/٤٠) والى يهود تباء (الفاتق: ٣/٢٣١) والى بني عمرو من حمير (الطبقات: ١/٢٦٥) والى بني أسد (الطبقات: ١/٢٦٩) والى بني عريض طعمة وهم قوم من يهود (الطبقات: ١/٢٧٨).

وكان سفير النبي ﷺ والمفاوض عن لثيقيف ، وكتب عهدهم . (الدرر: ٢٤٨).
ومن حبه للنبي ﷺ صنع لنفسه في الحبطة خاتماً عليه إسمه فأعجب النبي ﷺ فأخذه منه ، وكان خاتمه الشريف .

وقال في الإستيعاب: ٤٢٢/٢: «ذكر البغوي.. أنه أتى النبي ﷺ وعليه خاتم من فضة مكتوب عليه: محمد رسول الله ، قال: فأخذه مني فلبسه وهو الذي كان في يده ﷺ». وفي الإستيعاب: ١١٧٧/٣: أنه كان خاتم أخيه عمرو بن سعيد ، وأنه بعد النبي ﷺ: «أخذ أبو بكر فكان في يده ، ثم أخذه عمر فكان في يده ، ثم أخذه عثمان فكان في يده عاملاً لخلافته ، حتى سقط منه في بئر أريس».

ورجع من الهجرة مع جعفر بن أبي طالب في سنة سبع . (الإستيعاب: ٣/١١٧٧).

٦. شارك سعيد بفعالية في حروب النبي ﷺ وأمره في فتح مكة على سرية وأرسله قائد سرية الى ذي عرنة . (التبيه والإشراف/ ٢٣٣).

وأرسله مع علي عليهما السلام لفتح اليمن فجعله علي عليهما السلام قائد مقدمته ، وبرز إلى عمرو بن معدى كرب فنهاه علي عليهما السلام ، وبرز إليه علي عليهما السلام وصاح بعمرو صبيحة علوية فهرب ! ثم جاء عمرو واستأنف ، وأعطى سيفه المشهور الصمصاصة إلى خالد .

وكان النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد في جيش إلى اليمن ، فبقي ستة أشهر ولم يستطع فعل شيء ، فأرسل عليهما فقصد جهة ، فتحرك خالد ليسبقه إليها فنهاه فلم ينته ، فبعث إليه خالد بن سعيد فأجبره على طاعة أميره . (كتف الغمة: ٢٢٩).

وقال ابن حجر في الإصابة: ٢٠٣/٢: «وثبت في ديوان عمرو بن معديكرب أنه مدح خالد بن سعيد بن العاص لما بعثه النبي ﷺ مصدقاً عليهم بقصيدة يقول فيها:

فقلت لباغي الخبر إن تأت خالداً نُسراً وترجع ناعماً البال حاماً

وقال ابن إسحاق وخليفة والزبير بن بكار: استشهد خالد يوم مرج الصفر وكذا قال إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عممه موسى بن عقبة . وقال محمد بن فليح عن موسى بن عقبة: استشهد يوم أجنادين . كما قال أبو الأسود عن عروة . وقد اختلف أهل التاريخ أيهما كان قبل».

٧. وعندما توفي النبي ﷺ جاء إلى المدينة ، وتفاجأ ببيعة أبي بكر ، ففضض ،

واستنكر عمل أهل السقيفة ، ووقف بقوته إلى جانب علي عليهما السلام وقال لبني هاشم: أنتم الظهور والبطان ، والشعار دون الدثار ، والعصا دون اللحا ، فإذا رضيتם رضينا ، وإذا أسطختم سخطنا... وبلغت أبي بكر فلم يحفل بها ، واضطغعنها عليه عمر ، فلما ولأه أبو بكر الجندي الذي استنفر إلى الشام ، قال له عمر: أتُولِي خالداً وقد حبس عليك بيته ، وقال لبني هاشم ما قال !». (شرح النهج: ٥٨/٢).

وفي أسد الغابة: ٨٤/٢: «فقال لبني هاشم: إنكم لطوال الشجر طيبوا الثمر ، ونحنتبع لكم . فلما بايع بنو هاشم أبا بكر بايعه خالد وأبان . ثم استعمل أبو بكر

خالدأ على جيش من جيوش المسلمين حين بعثهم إلى الشام ، فقتل بمرج الصفر في خلافة أبي بكر ». .

وفي الإحجاج: ٩٧/١، وال Kashāf/٤١، عن أبیان بن تغلب قال: « قلت لأبی عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله أنكر على أبی بکر فعله وجلوسه مجلس رسول الله عليه السلام؟ »

قال: نعم ، كان الذي أنكر على أبی بکر اثنى عشر رجلاً من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بنی أمیة ، وسلمان الفارسي ، وأبوبدر الغفاری ، والمقداد بن الأسود ، وعمیار بن یاسر ، وبریدة الأسلمی . ومن الأنصار: أبو الهیم بن التیهان ، وسهل وعثمان ابنا حنیف ، وخزیمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وأبی بن کعب ، وأبوبأیوب الأنصاری .. وغيرهم، فلما صعد المنبر تشاوروا بينهم في أمره فقال بعضهم: هلا نأتيه فنتزله عن منبر رسول الله عليه السلام ، وقال آخرون: إن فعلتم ذلك أعنتم على أنفسكم ، وقال الله عز وجل: **وَلَا تُنْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ** ، ولكن إمضوا بنا إلى علي بن أبی طالب نستشيره ونستطلع أمره . فأتوا عليه عليه السلام فقالوا: يا أمیر المؤمنین ضیعت نفسك وتركت حقاً أنت أولی به ، وقد أردنا أن نأتي الرجل فنتزله عن منبر رسول الله عليه السلام ، فإن الحق حقك ، وأنت أولی بالأمر منه ، فذكرهنا أن ننزله من دون مشاورتك .

فقال لهم عليه السلام: لو فعلتم ذلك ما كنتم إلا حریاً لهم ، ولا كنتم إلا كالکحول في العین أو کالملاح في الزاد ، وقد اتفقت عليه الأمة التارکة لقول نبیها والکاذبة على ربها ! ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلا السکوت ، لما تعلمون من

وغير صدور القوم ، وبغضهم الله عز وجل ولأهل بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنهم يطالبون
بشارات الجاهلية !

والله لو فعلتم ذلك لشهروا سيفهم مستعدين للحرب والقتال ، كما فعلوا
ذلك حتى قهروني وغلبني على نفسي ولبني ، وقالوا لي: بايع وإلا قتلناك ،
فلم أجد حيلة إلا أن أدفع القوم عن نفسي ! وذاك أني ذكرت قول رسول
الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا علي إن القوم نقضوا أمرك واستبدوا بها دونك وعصون فيك ،
فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر ! ألا وإنهم سيغدرون بك لامحالة ، فلا تجعل
لهم سبيلاً إلى إذلالك وسفك دمك ، فإن الأمة ستغدر بك بعدي ! كذلك
أخبرني جبرئيل عن رب تبارك وتعالى !

ولكن إنروا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا تجعلوه في الشبهة
من أمره ، ليكون ذلك أعظم للحججة عليه ، وأبلغ في عقوبته إذا أتى ربه وقد
عصى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخالف أمره !

قال: فانطلقوا حتى حفوا بمثابر رسول الله يوم جمعة فقالوا للمهاجرين: إن الله
عز وجل بدأ بكم في القرآن فقال: لَقَدْ ثَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ،
فبكم بدأ . وكان أول من بدأ وقام ، خالد بن سعيد بن العاص بادلاه ببني أمية
فقال: يا أبا بكر إن الله فقد علمت ما تقدم لعلي من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا تعلم أن
رسول الله قال لنا ونحن محتشو في يوم بني قريطة ، وقد أقبل على رجال منا
ذوي قدر فقال: يامعاشر المهاجرين والأنصار أو صيكم بوصية فاحفظوها ، وإنى
مؤد إليكم أمراً فاقبلوه ، ألا إن علياً أميركم من بعدي ، وخليقتي فيكم ،

أوصاني بذلك ربِّي . وإنكم إن لم تحفظوا وصيتي فيه وتوؤوه وتنصروه ، اختلفتم في أحکامكم ، واضطرب عليكم أمر دينكم ، وولي عليكم الأمر شراركم !
ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون أمري ، القائمون بأمر أمري ، اللهم فمن حفظ فيهم وصيتي فاحشره في زمرتي ، واجعل له من مرافقتي نصبياً يدرك به فوز الآخرة . اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فأحرمه الجنة التي عرضها السهوات والأرض !

فقال له عمر بن الخطاب : أسكنت يا خالد فلست من أهل المشورة ولا من يُرضى بقوله . فقال خالد : بل أسكنت أنت يا ابن الخطاب ، فوالله إنك لتعلم أنك تنطق بغير لسانك ، وتعتصم بغير أركانك !
والله إن قريشاً لتعلم أني أعلاها حسباً ، وأقوها أدباً ، وأجلها ذكرأ ، وأنك لأمها حسباً ، وأقلها عدداً ، وأخلها ذكرأ ، وأقلها من الله عز وجل ومن رسوله غنى . وإنك جبانٌ عند الحرب ، بخييلٌ في الجدب ، ليثمُ العنصر ، مالك في قريش مفخر ! قال : فأسكنه خالد فجلس !

ثم قام أبوذر رض فقال ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد يا معشر المهاجرين والأنصار ، لقد علمت وعلم خياركم أن رسول الله صل قال : الأمر لعلي بعدي ، ثم للحسن والحسين ، ثم في أهل بيتي من ولد الحسين ، فاطرَّحتم قول نبيكم ، وتناسيتم ما أوزع إليكم ، واتبعتم الدنيا وتركتم نعيم الآخرة الباقية التي لا يهدم بنيانها ولا يزول نعيمها ، ولا يحزن أهلها ، ولا يموت سكانها .

وكذلك الأمم التي كفرت بعد أنبيائها بدللت وغيرت ، فحاذى تموها حذو القذة بالقذة ، والنعل بالنعل ، فعما قليل تذوقون وبالأمر لكم ، وما الله بظلام للعبيد !

ثم قام سليمان الفارسي رض فقال: يا أبا بكر إلى من تستند أمرك إذا نزل بك القضاء ، وإلى من تفزع إذا سئلت عنها لا تعلم ، وفي القوم من هو أعلم منك وأكثر في الخير أعلاماً ومناقب منك ، وأقرب من رسول الله صل فرابة وقدمه ، وفي حياته قد أوعز إليكم فتركتم قوله ، وتناسيتم وصيته ، فعما قليل يصفو لكم الأمر حين تزوروا القبور ، وقد أثقلت ظهرك من الأوزار ، لو حملت إلى قبرك لقدمت على ما قدمت ، فلو راجعت إلى الحق وأنصفت أهله لكان ذلك نجاة لك يوم تحتاج إلى عملك ، وتفرد في حفرتك بذنبوك بما أنت له فاعل ، وقد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا ، فلم يردعك ذلك عنها أنت له فاعل ، فالله في نفسك ، فقد أعدل من أنذر !

ثم قام المقداد بن الأسود رض فقال: يا أبا بكر إريع على نفسك ، وقس شبرك بفترك والزم بيتك ، وابك على خطيبتك ، فإن ذلك أسلم لك في حياتك وعاتك ورُدَّ هذا الأمر إلى حيث جعله الله عز وجل ورسوله صل ولا تركن إلى الدنيا ، ولا يغرنك من قد ترى من أوغادها ، فعما قليل تض محل عنك دنياك ، ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك . وقد علمت أن هذا الأمر لعلي وهو صاحبه بعد رسول الله صل . وقد نصحتك إن قبلت نصحي .

ثم قام بريدة الأسلمي فقال: يا أبا بكر ، نسيت أم تناسيت أم خادعتك نفسك أما تذكر إذا أمرنا رسول الله صل فسلمنا على علي بإمرة المؤمنين ، ونبينا عليه

السلام بين أظهرنا ! فاتق الله ربك وأدرك نفسك قبل أن لا تدركها ، وأنقذها من هلكتها ، ودع هذا الأمر ووكله إلى من هو أحق به منك ، ولا تماي في غيرك ، وارجع وأنت تستطيع الرجوع ، فقد نصحتك نصحي ، ويدلت لك ما عندي ، فإن قبليت وقت ورشدت !

ثم قام عبد الله بن مسعود فقال: يا معشر قريش قد علمتم وعلم خياركم أن أهل بيته نبيكم أقرب إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه منكم ، وإن كنتم إنما تدعون هذا الأمر بقراة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وتقولون: إن السابقة لنا ، فأهل نبيكم أقرب إلى رسول الله منكم وأقدم سابقة منكم . وعلى بن أبي طالب صاحب هذا الأمر بعد نبيكم فأعطوه ما جعله الله له ، ولا ترتدوا على أعقابكم فتقليروا خاسرين !

ثم قام عمار بن ياسر فقال: يا أبا بكر ، لا تجعل لنفسك حقاً جعله الله عز وجل لغيرك ، ولا تكون أول من عصى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وخالفه في أهل بيته ، واردد الحق إلى أهله ، يخفّ ظهرك وتقل وزرك ، وتلقى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وهو عنك راض ، ثم تصير إلى الرحمن فيحاسبك بعملك ويسألك عما فعلت !

ثم قام خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فقال: يا أبا بكر ألمست تعلم أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري ؟ قال: نعم ، قال: فأشهد بالله أني سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل ، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم !

ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا أبا بكر أناأشهد على النبي ﷺ أنه أقام علياً فقالت الأنصار: ما أقامه إلا للخلافة ، وقال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه ولی من كان رسول الله ﷺ مولاه ، فقال ﷺ: إن أهل بيتي نجوم أهل الأرض فقدموهم ولا تقدموه .

ثم قام سهل بن حنيف فقال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ قال على المنبر: إمامكم من بعدي علي بن أبي طالب ، وهو أنسخ الناس لأمتی .

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال: إنقاوا الله في أهل بيتك ، وردوا هذا الأمر إليهم ، فقد سمعتم كما سمعنا في مقام بعد مقام ، مننبي الله ﷺ أنهم أولى به منكم . ثم قام زيد بن وهب فتكلم ، وقام جماعة من بعده ، فتكلموا بتحو هذا ..

قال الصادق ع: فأفحِمْ أبو بكر على المنبر حتى لم يحر جواباً ، ثم قال: وليتكم ولست بخيركم ، أقيلوني أقيلوني !

قال له عمر بن الخطاب: إنزل عنها يا لكع ! إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام ؟ والله لقد همت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة . قال: فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله ، وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله ﷺ ! فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل (يقصد هنا ألفاً) فقال لهم: ماجلوسكم فقد طمع فيها والله بنو هاشم ؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل ، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل ، فما زال يجتمع إليهم رجال حتى اجتمع أربعة آلاف رجل ،

فخر جوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله، فقال عمر:

والله يا أصحاب علي لعن ذهب منكم رجل يتكلم بالذى تكلم بالأمس لتأخذن الذى فيه عيناه! فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: يا ابن صهـاك الحبـشـية أـبـاسـيـافـكـمـ تـهـدـدـونـناـ ، أـمـ بـجـمـعـكـمـ تـفـزـعـونـنـاـ ، وـالـلـهـ إـنـ أـسـيـافـنـاـ أـحـدـ مـنـ أـسـيـافـكـمـ ، وـإـنـ لـأـكـثـرـ مـنـكـمـ وـإـنـ كـنـاـ قـلـلـيـنـ ، لـأـنـ حـجـةـ اللـهـ فـيـنـاـ .

والله لو لا أن أعلم أن طاعة الله ورسوله ﷺ وطاعة إمامي أولى بي ، لشهرت سيفي وجادتكم في الله إلى أن أبلی عندي ! فقام أمير المؤمنين عـلـيـهـ الـحـلـقـةـ وقال: أجلس يا خالد ، فقد عرف الله لك مقامك وشكر لك سعيك . فجلس .

وقام إليه سليمان الفارسي فقال: الله أكبر الله أكبر ! سمعت رسول الله ﷺ بهاتين الأذنين وإلا صمتا ، يقول: بينما أحـيـ وابـنـ عـمـيـ جـالـسـ فـيـ مـسـجـدـيـ معـ نـفـرـ مـنـ أـصـحـابـهـ ، إـذـ تـكـبـسـ جـمـاعـةـ مـنـ كـلـابـ أـصـحـابـ النـارـ ، يـرـيدـونـ قـتـلـهـ وـقـتـلـ مـنـ مـعـهـ ، فـلـسـتـ أـشـكـ إـلـاـ وـإـنـكـ هـمـ ! فـهـمـ بـهـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ ، فـوـثـبـ إـلـيـهـ أـمـيرـ المـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ الـحـلـقـةـ وأـخـذـ بـمـجـامـعـ ثـوـبـهـ ثـمـ جـلـدـ بـهـ الـأـرـضـ ، ثـمـ قـالـ: يـاـ اـبـنـ صـهـاكـ الـحـبـشـيةـ ! لـوـ لـكـ كـتـابـ مـنـ اللـهـ سـبـقـ وـعـهـدـ مـنـ رـسـوـلـ اللـهـ تـقـدـمـ ، لـأـرـيـتـكـ أـيـناـ أـضـعـفـ نـاصـرـاـ وـأـقـلـ عـدـداـ !

ثم التفت إلى أصحابه فقال: إنـصـرـ فـوـراـ رـحـمـكـمـ اللـهـ ، فـوـالـلـهـ لـاـ دـخـلـتـ المسـجـدـ إـلـاـ كـمـ دـخـلـ أـخـوـايـ مـوـسـىـ وـهـارـوـنـ إـذـ قـالـ لـهـ أـصـحـابـهـ: فـأـذـهـبـ أـكـثـرـ وـرـبـكـ فـقـاتـلـ إـنـاـ مـاـهـنـاـ قـائـدـُـنـ . وـالـلـهـ لـاـ دـخـلـتـ إـلـاـ لـرـزـيـارـةـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ أـوـ لـقـضـيـةـ أـقـضـيـهـاـ ، فـإـنـهـ لـاـ يـجـوزـ لـحـجـةـ أـقـامـهـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ أـنـ يـرـكـ النـاسـ فـيـ حـيـرـةـ ! والإحتجاج: ١٠٤.

وتقدم بعضه في الفصل الأول ، والفقرة الأخيرة تحدد موقف علي عليهما السلام من نظام الخلافة القرشية بدقة . وقد كان موقف خالد بن سعيد رضي الله عنه شديداً على أهل السقية، فقام علي عليهما السلام وهدأه ، وإلا لاصطدم بعمر وأهل السقية واقتتلوا !

وبينبغي الإلتفات الى أن الفقرات التي نقلتها الرواية من خطب هؤلاء المهاجرين والأنصار هي بعض خطبهم ، ولا بد أنها تضمنت حججاً أخرى منها بيعة الغدير ، وقد احتاجت بها الزهراء عليها السلام فقالت: وهل ترك أبي لأحد في غدير خم عذراً؟!

٨. ووصف علي عليهما السلام أيام السقية فقال: «فأتأتي رهط من أصحاب محمد عليهما السلام

يعرضون عليَّ النصرة ، منهم خالد وأبان ابنا سعيد بن العاص ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وسلمان الفارسي ، والزبير بن العوام ، وأبو سفيان بن حرب ، والبراء بن مالك الأنباري . فقلت لهم: إنْ عندِي من نبي الله العهد ولِه الرصبة ، وليس لي أنْ أخالفه ، ولست أجاوز أمره وما أخذَهُ عليَّ الله ! لو خزموا أنفني لأقررت سمعاً وطاعة الله عز وجل .

فيبين أنا على ذلك إذ قيل: قد انشال الناس على أبي بكر وأغفلوا عليه لي Baiعوه ، وما ظنتت أنه تختلف عن جيش أسامة ، إذ كان النبي عليهما السلام قد أمره عليه وعلى صاحبه ، وأمر أن يجهز جيش أسامة ، فلما رأيته قد تختلف وطعم في الأمارة ، ورأيت اثنين الناس عليه أمسكت يدي ... فلبشت ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس ، رجعت عن الإسلام وأظهرت ذلك ، يدعون إلى محو دين الله وتغيير ملة محمد عليهما السلام ! فخشيت إن لم أنصر الإسلام وقعدت ، أن أرى فيه ثلثاً وهدماً تكون مصيبة عليَّ أعظم من فوت ولاية أموركم ، التي إنما هي متاع أيام قلائل ، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، وينقض كما ينقشع السحاب .

ورأيت الناس قد امتنعوا بقعودي عن الخروج اليهم، فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فتألفته، ولو لا أني فعلت ذلك لباد الإسلام !

ثم نهضت في تلك الأحداث حتى انزاح الباطل وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره المشركون». (المسترشد /١١٤٤، أطعنة ٩٧، ودلائل الإمامة ١١/٨٣، من منشور من بعض صفحات كتبه كتبه ليقرأ المسلمين في بلادهم).

٩. وعرض عليه أبو بكر وعلى إخوته أن يرسلهم ولادة على بلدان ، فرفضوا ،

فقد روى في الإستيعاب: ٤٢٢: «قال خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد: أخبرني أبي أن أعمامه خالداً ، وأبانياً ، وعمراً ، بنى سعيد بن العاص رجعوا عن عمالتهم حين مات رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: ما لكم رجعتم عن عمالتكم؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ يرجعوا إلى أعمالكم . فقالوا: نحن بنو أبي أحىحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبداً . ثم مضوا إلى الشام (إلى الجihad) فقتلوا جميعاً . وكان خالد على اليمن ، وأبان على البحرين ، وعمرو على تسماء وخير وقرى عربية ، وكان الحكم يعلم الحكمة . ويقال: ما فتحت بالشام كورة إلا وجد فيها رجل من بنى سعيد بن العاص ميتاً . وكان سعيد بن سعيد بن العاص قد قتل مع رسول الله ﷺ بالطائف». ونحوه الحاكم: ٣/٢٤٩ مختصرأ .

١٠. واستشار أبو بكر عليهما السلام في غزو الروم فشجعه ، وعين خالد بن سعيد

قائداً عاماً لجيش الشام . ويظهر أنه عندما نهض على كتبه لنصرة الإسلام دفع هجوم القبائل على المدينة بعد ستين يوماً من وفاة النبي ﷺ، كان معه خالد بن سعيد وإخوته ، ولا بد أن أدوارهم كانت مميزة كعادتهم ، وأن أبو بكر رأى

بطولتهم في رد هجوم أتباع طليحة ، ورآهم رفضوا الولاية ، فعرض على خالد قيادة جيش فتح الشام ، واستشار خالد^{عليه السلام} فشجعه ، فكان أول لواء عقده أبو بكر لواء خالد ، وكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام ومعه سبعة آلاف ، ووصل إلى ذي المروءة ، وهو قرب تباءاً على بعد أربعة أيام من المدينة .

وفي تاريخ البغوي: ١٣٣/٢: «أراد أبو بكر أن يغزو الروم ، فشاور جماعة من أصحاب رسول الله ، فقدموا وأخرموا ، فاستشار علي بن أبي طالب ، فأشار أن يفعل فقال: إن فعلت ظفرت . فقال: بُشِّرْتَ بخير! فقام أبو بكر في الناس خطيباً وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم ، فسكت الناس ، فقام عمر فقال: لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً ، لانتدبتموه! فقام عمرو بن سعيد فقال: لنا ضرب أمثال المنافقين يا ابن الخطاب ، فيما يمنعك أنت ماعت علينا فيه؟

فتكلم خالد بن سعيد وأسكنت أخيه فقال: ما عندنا إلا الطاعة! فجزأه أبو بكر خيراً ، ثم نادى في الناس بالخروج وأميرهم خالد بن سعيد ، وكان خالد من عمال رسول الله باليمن ، فقدم وقد توفي رسول الله^{صلوات الله عليه وسلم} فامتنع عن اليمامة ، ومال إلىبني هاشم، فلما عهد أبو بكر لخالد قال له عمر: أتولى خالداً وقد حبس عنك بيته وقال لبني هاشم ما قد بلغك؟ فوالله ما أرى أن توجهه! فحل لواءه ودعا يزيد بن أبي سفيان ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن العاص ، فعقد لهم وقال: إذا اجتمعتم فأمير الناس أبو عبيدة».

وفي تاريخ الطبرى: ٥٨٦/٢: وشرح النهج: ٥٨/٢: «واضطغناها عليه عمر ، فلما واه أبو بكر الجند الذى استنفر إلى الشام ، قال له عمر: أتولى خالداً وقد حبس عليك بيته ، وقال لبني هاشم ما قال؟»

وروى البلاذري (١٢٨/١) عن أبي حنف: «لما عقد أبو بكر خالد بن سعيد ، كره عمر ذلك ، فكلم أبو بكر في عزله وقال: إنه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب . فعزله أبو بكر ووجه أبو أروى الدوسى لأخذ لواه ، فلقيه بذى المروءة فأخذ اللواء منه وورده على أبي بكر ، فدفعه أبو بكر إلى يزيد بن أبي سفيان ، فسار به ومعاوية أخوه يحمله بين يديه . ويقال بل سلم إليه اللواء بذى المروءة فمضى على جيش خالد وسار خالد بن سعيد محتسباً في جيش شرحبيل».

وفي تاريخ دمشق: «عن ابن عمر قال: لما عقد أبو بكر الأمراء على الشام كنت في جيش خالد بن سعيد بن العاص ، فصل بنا الصبح بذى المروءة وهو على الجيوش كلها ، فوالله إنما لعنهه إذ أتاه آت فقال قدم يزيد بن أبي سفيان ، فقال خالد بن سعيد: هذا عمل عمر بن الخطاب كلم أبو بكر في عزلي ، وولي يزيد بن أبي سفيان ! فقال ابن عمر: فأردت أن أتكلم ثم عزم لي على الصمت . قال: فتحولنا إلى يزيد بن أبي سفيان وصار خالد كرجل منهم . وقال محمد بن عمر (ابن عساكر): وهذا أثبت عندنا ما روي في عزل خالد وهو بالمدية».

أقول: ذو المروءة قرب أم القرى ، وتبعد عن المدينة مسيرة أربعة أيام وأكثر ، ومعناه أن خالداً بعد أن قطع بجيش الشام هذه المسافة وصله بريد أبي بكر ، وكان عبد الله بن عمر في جيشه ، فسلم الجيش إلى يزيد بن أبي سفيان ، وعاد هو إلى المدينة .

١١. رجع خالد بن سعيد إلى المدينة وغتب على أبي بكر ، فاعتذر منه واحترمه ،

فقد روى ابن عساكر(١٦/٨١): «عن محمد بن إسحاق أن خالد بن سعيد لما بلغه قول أبي بكر ونزعه ، ليس ثيابه وتهيأ بأحسن هيئة ، ثم أقبل نحو أبي بكر وعنده المهاجرون والأنصار أجمع ما كانوا عنده ، وقد تهيأ الناس وأمرروا بالنزول بالعسكر ، فسلم على أبي بكر ثم على المسلمين ثم جلس ، فقال لأبي بكر: أما أنت قد وليتني أمر المسلمين وأنت غير مُتّهم لي ورأيك في حسن ، حتى خوْفتَ أمراً (أي خوفه عمر أن ينقلب عليه) والله لأن أخْرَ من رأس حالي وتخطفني الطير بين السماء والأرض أحب إلي من أن يكون مني . (كان عمر اتهمه عمر بحركة انقلاب)! والله ما أنا في الإمارة براغب ، ولا أنا على البقاء في الدنيا بحرirsch ، وإنما لأشهدكم أني وإخوتي ومن خرجنا في وجهنا به من عون أو قوة في سبيل الله نقاتل به المشركين أبداً حتى يهلكوا أو نموت ، لا نزيد به سلطاناً ولا عرضاً من الدنيا . قال: فقال له الناس خيراً ودعوا له .

فقال أبو بكر: أعطاني الله في نفسي الذي أحب لك والإخوتكم ، والله إنني لأرجو أن تكون من فصحاء الله في عباده ، وإقامة كتابه واتباع سنة رسول الله . قال فخرج هو وإخوته وغلمانه ومن اتبعه ، وكان أول من عسكر ، قال: ولما تهيأ الناس للخروج وترافق الناس وانضمت المتطوعة إلى من أحبت ، نزل خالد بن سعيد تحت لواء أبي عبيدة يسير معه ، قال فقال بعض الناس لخالد بن سعيد حين تهيأ للخروج مع أبي عبيدة: لو كنت خرجت مع ابن عمك يزيد بن أبي سفيان . فقال: ابن عمي أحب إلى من هذا القرابته ، وهذا أحب إلى من ابن عمي

في دينه وقرباته . هذا كان أخي على عهد رسول الله ﷺ ولبي وناصري قبل اليوم على ابن عمي ، فأنا به أشد استنasaً وإليه أشد طمأنينة .

فلي أراد أن يغدو سائراً إلى الشام ليس سلاحة ، وأمر إخوته فليسوا أسلحتهم عمرو والحكم وغلمه ومواليه ، ثم أقبلوا من العسكر إلى أبي بكر الصديق فصلوا معه الغداة في مسجد رسول الله ﷺ فلما انصرفوا قام إليه إخوته فجلسوا إليه فحمد الله خالد وأثنى عليه ثم قال: يا أبا بكر إن الله قد أكرمنا وإياك المسلمين طرأ بهذا الدين ، فاحق من أقام السنة وأمات البدعة وعدل في السيرة الوالى على الرعية . كل امرئ من هذا الدين محقوق بالإحسان إلى إخوانه ، ومعدنه الوالى أعم نفعاً، فاتق الله يا أبا بكر فيها ولاك الله من أمره ، وارحم الأرملة واليتيم ، وأعن الضعيف والمظلوم ، ولا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر في الحق عنده منه إذا سخطت عليه ، ولا تغضب ما قدرت عليه فإن الغضب يجر الجور ، ولا تحقد وأنت تستطيع ، فإن حقدك على المسلم يجعله لك عدواً ، فإن اطلع على ذلك منك عاداك ، فإذا عادت الرعية الراعي كان ذلك مما يكون إلى هلاكهم داعياً . وإن للمحسن واشتد على المريب ، ولا تأخذك في الله لومة لائم .

ثم قال: هل يدرك يا أبا بكر أودعك ، فإني لا أدرى هل تلقاني في الدنيا أم لا ، فإن قضى الله لنا الإنقاء فسأل الله لنا عفوه وغفرانه ، وإن كانت هي الفرقة التي ليس بعدها لقاء ، فعرفنا الله وإياك وجه النبي ﷺ في جنات النعيم .

ثم أخذ أبو بكر بيده وبكى المسلمون ، وظنوا أنه يريد الشهادة ، فطال بكاؤهم ! قال: ثم إن أبي بكر قال له: إنتظري حتى أمشي معك . قال: ما أريد أن تفعل . قال: لكنني أنا أريد ذلك ، ومن أراده من المسلمين . وقام الناس معه مشيعين ، فما زال يمشي معه حتى كثُر من يشيع خالداً .

قال: فهارأى الناس مشيعاً من المسلمين معه من الناس من الصالحين ، أكثر ما شيع خالد بن سعيد وإخوته يومئذ !

فليما خرج من المدينة قال له أبو بكر قد أنصفت لك إذ أوصيتك برشيدي ، وقد وعيت وصيتك ، فأنا مرضيك فاسمع وصيتي: إنك أمرؤ قد جعل الله لك شرفاً وسابقة في هذا الدين ، وفضيلة عظيمة في الإسلام ، والناس ناظرون إليك ومستمعون منك ، وقد خرجت في هذا الوجه ، وأننا أرجو أن يكون خروجك بنية صادقة ، فثبت العالم وعلّم الجاهل وعاتب السفيه المترف ، وانصر لعامة المسلمين .. ثم أخذ بيده فودعه ثم أخذ بأيدي إخوته بعد ذلك فودعهم واحداً واحداً وودعهم المسلمين ، ثم دعوا بابا لهم فركبوها ، وكانوا يمشون مع أبي بكر ثم قيدت خيلهم معهم بهيمة حسنة، فلما أدبروا قال أبو بكر: اللهم احفظهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيديهم وعن شمائلهم ، واحفظ أوزارهم وأعظم أجورهم. ومضوا إلى العسكر الأعظم.. قال ابن إسحاق إن خالد بن سعيد خرج وهو بمرج الصفر في يوم مطير ليستمطر فيه فقتله أعلاج من الروم».

أقول: بهذا تعرف المكانة المميزة خالد بن سعيد التي نجعله يعظ الخليفة أبي بكر فيسمع منه ، والتي لا تصل إليها مكانة خالد بن الوليد ، ولا عمرو العاص ، ولا ابن وقاص .. وأمثالهم .

ومن الطبيعي أن خالداً لو التحق بجيش يزيد بن أبي سفيان لكان له موقع القائد ، لأنه أكبر منه سنًا ، وهو صحابي قديم ويزيد من مسلمة الفتح ، وهو القائد والوالي من قبيل رسول الله ﷺ . وهو بعد ذلك ابن أبي أحيحة سعيد بن العاص ، الأعرق في قيادة بني أمية من أبي سفيان وأولاده .

ويظهر من كلام أبي بكر أنه كان يشعر بتأنيب الضمير لأنه أطاع عمر في عزله لكنه يزيد كسب أبي سفيان الذي رفض بيته حتى يعطيه مناصب لأولاده !

وقد وقع الإشتباه في هذه الرواية لأن الصحيح أن خالداً اختار الذهب مع شرحبيل ، وليس مع أبي عبيدة . وبدل عليه توصية أبي بكر لشرحبيل به :

قال ابن سعد في الطبقات: ٩٨/٤: «لما عزل أبو بكر خالد بن سعيد ، أوصى به شرحبيل بن حسنة ، وكان أحد الأمراء فقال: أنظر خالد بن سعيد فاعرف له من الحق عليك ، مثل ما كنت تحب أن يعرفه لك من الحق عليه ، لو خرج والياً عليك ، وقد عرفت مكانه من الإسلام ، وأن رسول الله ﷺ توفي وهو له والي ، وقد كنت وليه ثم رأيت عزله ، وعسى أن يكون ذلك خيراً أنه في دينه . ما أغبط أحداً بالأمراء ! وقد خيرته في أمراء الأجناد فاختارك على غيرك على ابن عممه ، فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأي التقى الناصح ، فليكن أول من تبدأ به أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، ول يكن خالد بن سعيد ثالثاً ، فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً . وإياك واستبداد الرأي عنهم أو تطوي عنهم بعض الخبر .

قال محمد بن عمر: قلت لموسى بن محمد: أرأيت قول أبي بكر: قد اختارك على غيرك؟ قال: أخبرني أبي أن خالد بن سعيد لما عزله أبو بكر كتب إليه أبي الأمراء أحب إليك؟ فقال: ابن عمي أحب إلي في قرابته وهذا أحب إلي في ديني، فإن هذا أخي في ديني على عهد رسول الله ﷺ وناصري على ابن عمي، فاستحب أن يكون مع شرحبيل بن حسنة».

أقول: شرحبيل صحابي عرف باسم أبوه أو مربيته حسنة . واسم أبيه المطاع من قبيلة غوث من كندة ، ولد ونشأ في مكة وخالف مع بنى زهرة ، وأسلم وهو ياجر إلى الحبشة ، وكان صديقاً لخالد بن سعيد يحترمه ويناصره ، ولذلك اختار خالد أن يكون معه ، فأعطاه شرحبيل قيادة الخيل ، وهي عصب القوة المقاتلة في الجيش ، ولا بد أن تكون خطط معركة أجنادين والمعارك التي خاضها شرحبيل من فكر خالد ، ولذا قلنا إن ثقل معركة أجنادين كان على عاتق خالد .

وما يلاحظ أن خالد بن سعيد ، وهاشم المرقال ، وحفيدي عبد المطلب ، كانوا مع شرحبيل ، وأنهم نهضوا بثقل معركة أجنادين التي هي تبوك الثانية ، والثار بلعفر بن أبي طالب ، كما يأتي .

وبعد فتح الشام ، ولـ أبو عبيدة شرحبيل بن حسنة على الأردن .
ففي الإستيعاب: ٧٩٤ / ٢: «وولى أبو عبيدة حين فتح الشامات يزيد بن أبي سفيان على فلسطين ، وشرحبيل بن حسنة على الأردن ، وخالد بن الوليد على دمشق ، وحبيب بن مسلمة على حمص ».

لكن شرحبيل لم يكن يعجب عمر ، فعزله ! ولا سبب إلا علاقته الحسنة مع خالد بن سعيد ، وأبي ذر ، وبلال ، وبقية الصحابة الذين يميلون إلى علي عليهما السلام .

ولم يشفع له أنه أبل بلاء حسناً في معركة أجنادين ومرج الصفر والرموك ،
وغيرها من معارك فلسطين والشام والأردن !

قال الطبرى: ١٦٥/٣: «وعزل شرحبيل ، واستعمل معاوية ، وأمر أبا عبيدة
وخلالدا تحته ! فقال له شرحبيل: أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا،
إنك لكتما أحب ، ولكن أريد رجلاً أقوى من رجل ! قال: نعم ، فاعذرني في
الناس لا تدركني هِجنة ، فقام في الناس فقال: أيها الناس إني والله ما عزلت
شرحبيل عن سخطة ، ولكني أردت رجلاً أقوى من رجل ». .
وتوفي شرحبيل في طاعون عمواس وعمره ٦٧ سنة. (تاريخ دمشق: ٤٦٤ / ٢٢).

١٢. ظلموا خالد بن سعيد لأنّه شيعي ونسبوا بطولة معركة أجنادين إلى غيره !

وتقع أجنادين قرب مدينة الخليل ، وقيل في وادي عَجُور على بُعد ٣٧ كيلو متراً
عن الخليل ، وثلاثين كيلو متراً عن الرملة . فهذه المنطقة بها فيها مؤتة ، كانت
مركز قوات الروم المدافعة عن القدس .

وقد ذكرنا في السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام ، أن هرقل بعد انتصاره على
كسرى حج ماشياً إلى القدس ، وكان ينوي غزو المدينة المنورة وجمع قوات
العرب في الشام ودومة الجندي مقدمةً لقوات الروم ، فأراد النبي صلوات الله عليه أن ينقل
المعركة إلى بلاد الشام ، فأرسل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في السنة الثامنة
للهجرة بجيش من ثلاثة آلاف مقاتل ، فاشتبك مع قوات هرقل في مؤتة .

وكان معركة مؤتة غير متكافئة ، وقد استبسّل جعفر بن أبي طالب ورفاقه قادة
الجيش الإسلامي حتى استشهدوا وانسحب المسلمون ، لكنهم أوصلوا رسالة

بلغة الى هرقل ، وتبعتها في السنة التالية غزوة تبوك بقيادة النبي صلوات الله عليه وسلم فكانت رسالة أبلغ ، فانسحب هرقل من تبوك الى حصن ، وراسله النبي صلوات الله عليه وسلم فأجابه هرقل بجواب لين ، ليتفادى المواجهة في تلك المرحلة .

ولم تقع مواجهة بين المسلمين والروم بعد تبوك إلا في أجنادين ، وقد انتصر فيها المسلمين وانهزم الروم ، وترتب عليها تحرير فلسطين .

وكان بطل أجنادين خالد بن سعيد ، فقد ثار فيها لصديقه الحميم جعفر بن أبي طالب شهيد مؤة ، فقد عاش معه خالد في الحبشة ، وعمل معه في دعوة الروم الى الإسلام ، وحمل رسالة النبي صلوات الله عليه وسلم الى هرقل .

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: «عن سهل بن سعد الأنصاري قال: كانت وقعة أجنادين وقعة عظيمة . كانت بالشام وكانت في سنة ثلاثة عشرة في جمادي الأولى ، فذكر بعض أمرها ، ثم ذكر إغاثة الروم لأهل دمشق حين حصارها ، قال: فتركوا مرج الصُّفَرَ فصمد المسلمون صَمْدَهُم... فلما نظر إليهم خالد عبا لهم كتبئته يوم أجنادين ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسره هاشم بن عتبة ، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن نفيل ، وترك أبا عبيدة في الرجال ». وتقدم أن ابن عساكر صصح سعيد بن زيد بخالد بن سعيد .

قال البلاذري: ١٣٥/١: «ثم كانت وقعة أجنادين وشهدها من الروم زهاء مئة ألف سرّب هرقل أكثرهم، وتجتمع باقوهم من النواحي وهرقل يومئذ مقيم بحمص». .

وفي فتوح الواقدي: ٤٨/١: «ورد علينا عباد بن سعد الخضرمي، وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة... من بصرى يعلم خالداً بمسير الروم اليه من أجنادين في تسعين ألف فارس.. وكان القادة أصحاب رسول الله ﷺ متفرقين في سوريا والأردن وفلسطين ، فكتب لهم أبو عبيدة أن يسيروا بقواتهم إلى أجنادين ، وأمر الناس بالرحيل فرفعت القباب والهوادج على ظهور الجمال ، وساقوا الغنائم والأموال ». وهذا يدل على أن جيش شرحبيل كان أقرب إلى جيش الروم .

«اجتمعت الروم بأجنادين ، وعليهم تذارق أخو هرقل لأبويه ، وقيل كان على الروم القبقلار ». (الكامل: ٤١٧).

وفي فتوح البلاذري: ١٣٥/١: «ثم كانت وقعة أجنادين.. ثم إن الله هزم أعداءه ومزقهم كل مزق وقتل منهم خلق كثير . واستشهد يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وأخوه أبيان بن سعيد وذلك الثبت ، ويقال بل توفى أبيان في سنة تسع وعشرين . وطلّيب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصي ، بارزه علچ فضربه ضربة أبانت يده اليمنى فسقط سيفه مع كفه ، ثم غشى الروم فقتلوه . وأمه أروى بنت عبد المطلب عممة رسول الله ﷺ وكان يكنى أبا عدى . وسلمة بن هشام بن المغيرة ، ويقال إنه قتل بمرج الصُّفَر . وعكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي . وهبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي ، ويقال بل قتل يوم مؤتة . ونعميم بن عبد الله النحام العدوى ، ويقال قتل يوم البرموك . وهشام بن العاص بن وائل السهمي ، ويقال قتل يوم البرموك . وعمرو بن الطفيلي بن عمرو الدوسى ، ويقال قتل يوم

اليرموك . وجندب بن عمرو الدوسي . وسعيد بن الحارث . والحارث بن الحارث . والحجاج بن الحارث بن قيس بن عديي السهمي .. وقتل سعيد بن الحارث بن قيس يوم اليرموك ، وقتل تميم بن الحارث يوم أجنادين ، وقتل عبيد الله بن عبد الأسد أخوه يوم اليرموك . قال: وقتل الحارث بن هشام بن المغيرة يوم أجنادين . قالوا: ولما انتهى خبر هذه الواقعة إلى هرقل ، نَحَبَ (صار خالباً) قلبه ، وسقط في يده وملئه رعباً ، فهرب من حص إلى أنطاكية ».

وفي الوفي: ١٥٣/١٣: «ولم يزل به عمر حتى عزله ، واعتذر إليه (أبي بكر) ثم أوصى به الأمراء ، وأبلى في حروب الشام بلاءً حسناً ، وقتل خالد بمرج الصفر ، وقيل بأجنادين ، وقيل باليرموك ، وقال وهو يقاتل أعلام الروم
هل فارسٌ كرَّة النَّزَالُ يُعِرِّنِي رحْمَا إِذَا نَزَلُوا بِمَرْجِ الصَّفَرِ».

والصحيح أنه لم يقتل في هذه المعارك ولا في اليرموك ، وأنهم قتلوا بعد ذلك . قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٨٦/١٦: «خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قتل بأجنادين .. وذكر سيف بن عمر في الفتوح أن خالد بن سعيد شهد اليرموك ، وأنه لم يقتل بمرج الصفر ، وذكر أبو حسان الزبيدي أن خالد بن سعيد يكنى أبا سعيد، وأنه قتل وهو ابن حسين أو أكثر ، وكان وسيئاً جيلاً». وسيأتي خبر قتله .

وفي شرح النهج: ٥٩/٢: «ثم إنَّه بايع أبي بكر ، وبلغت أبا بكر فلم يحفل بها ، واضطغناها عليه عمر ، فلما وَلَاه أبو بكر الجندي الذي استنفر إلى الشام قال له عمر: أتولى خالداً وقد حبس عليك بيته ، وقال لبني هاشم ما قال ! وقد جاء بورق من اليمن وعبيد وحبشان ، ودروع ورماح ! ما أرى أن توليه وما آمن

خلافه . فانصرف عنه أبو بكر ، وولى أبا عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة » .

١٣ . وتبubo قيادة معركة أجنادين الى خالد بن الوليد لأنهم يحبون أباء الوليد !

بينما كانت القيادة مشتركة بين القادة الأربع ، كل واحد منهم على جيشه . وكانت عمدة الإشتباك مع العدو لجيش شرحبيل بقيادة خالد بن سعيد . قال خليفة في تاريخه / ٧٩ : « قال ابن إسحاق : ثم ساروا جميعاً قبل فلسطين ، فالتقوا بأجنادين بين الرملة وبين بيت جبريل ، والأمراء كلُّ على جنده . ويزعم بعض الناس أن عمرو بن العاص كان عليهم جميعاً . وعلى الروم القنفلاز ، فقتل القنفلاز . وهزم الله المشركين » .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب / ٦٤ : « كانت وقعة أجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر الصديق قبل وفاة أبي بكر بدون شهر . ووقيعة مرج الصفر في صدر خلافة عمر سنة أربع عشرة . وكان الأمير يوم مرج الصفر خالد بن الوليد ، وكان بأجنادين أمراء أربعة : أبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، كلُّ على جنده . وقيل إن عمرو بن العاص كان عليهم يومئذ » .

أقول : الأمر الطبيعي أن يكون كل قائد على جنده ، لأن خالداً جاء من العراق بخمس مئة نفر وقيل ست مئة وقيل ثمان مئة ، وكان جيش شرحبيل سبعة آلاف ، وفيه أهل مكة وقادمي الصحابة ، ومنه أكثر شهداء أجنادين ، وجبوش القادة الثلاثة الآخرين شبيهة به ، ولم يعط أحداً منهم جيشه لابن الوليد ، لكن الرواة يكتبون

لصلحته، لأن قريشاً مسكونة بحبه لأنه ابن زعيمها الوليد بن المغيرة ، فهبي تحبه وتحترم أولاده ، وتغضن النظر عن وصف الله تعالى له بأنه **عُتُلٌ زنيم** !

لاحظ رواية ابن عساكر في تاريخ دمشق: ١١٣ / ٢، ٨١: «وأرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو بالعراق وقد فتح الله عليه القادسية وجلواء ، فكتب له أن انصرف بثلاثة آلاف فارس فأمد إخوانك بالشام والعجل العجل . قال: فنزل خالد على شرحبيل ويزيد وعمرو فاجتمع هؤلاء الأمراء الأربع ...»

فأقبل خالد مغداً جواداً فاشق الأرض بمن معه حتى خرج إلى ضمير ، فوجد المسلمين معسكرين بالجایة . وتسامع الأعراب الذين كانوا في مملكة الروم بخالد ففرعوا له .. فنزل خالد على شرحبيل بن حسنة ويزيد وعمرو ، فاجتمع هؤلاء الأربعاء أمراء ، وسارت الروم من أنطاكية وحلب وقنسرين ومحص وما دون ذلك . وخرج هرقل كراهة لمسيّرهم متوجهاً نحو الروم ، وسار باهان الرومي ابن الرومية إلى الناس بمن كان معه».

فقد بلغ الأمر في الراوي أنه من حبه الأعمى خالد نسي أنه جاء من العراق قبل أن تقع القادسية وجلواء بستين !

ونسي أن جيش خالد كان بضع مئات فقط ، قال البلاذري: ١٣٠ / ١: «لما أتى خالد بن الوليد كتاب أبي بكر وهو بالحيرة ، خلف المثنى بن حارثة الشيباني على ناحية الكوفة وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاثة عشرة في ثمان مئة ، ويقال في ست مئة ، ويقال في خمس مئة». .

ثم نسي رواة السلطة أن عمر بن الخطاب عزل خالد بن الوليد في أول يوم تولى
فيه الخلافة بعد أبي بكر، وكان ذلك بعد معركة أجنادين ، وقبل فتح دمشق !
فتقراهم يتحدثون عن خالد على أنه قائد الجيش وقائد المعارك بعد عزله !
ويظهر أنهم أخذوا من أخبار خالد بن سعيد في معركة أجنادين ومعركة فحْل
ومرج الصَّفَرْ وفتح دمشق ، ونسبوها إلى خالد بن الوليد !
والقاعدة لمعرفة ذلك ، أنهم إذا نسبوا إليه أنه بُرِزَ لأحد أو كان في الصُّفَّ
المُشتبك مع العدو ، فهذه صفات خالد بن سعيد ، أما خالد بن الوليد فهو
وأمرو العاص كما وصفه علي عليهما السلام : «إِنَّمَا كَانَ عِنْدَ الْبَأْسِ فَزَاجِرُ وَآمِرٌ ، مَا لَمْ
تَأْخُذْ السَّيُوفَ مَا خَذَهَا مِنَ الْهَامِ . إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فَأَكْبَرُ مَكِيدَتَهُ أَنْ يُمْرَقُطْ وَيُمْنَعْ
إِسْتَهُ ، قَبْحَهُ اللَّهُ وَتَرَكَهُ ». (الغارات للشقفي : ٥١٣ / ١).

وَتَظَهُرُ لِكَ الْحَقِيقَةُ مِنْ اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ كَانَ فِي أَخْرِ جِيشِ الْمُسْلِمِينَ ، بَعِيدًا عَنِ الْمَعْرِكَةِ ! بَيْنَا كَانَ خَالِدٌ بْنُ سَعِيدٍ قَائِدًا مُقْتَحِمًا .

قال في تاريخ دمشق: «حدثني إسحاق بن بشر قال: فيينا المسلمين قد
طمعوا في فتح المدينة ، إذ قيل خالد هذا جيش قد أقبل مددًا للدمشق من ملك
الروم بأنطاكية ، فنادى خالد في الناس أن انصرفوا عن هذه المدينة إلى المدد
الذي قد جاء من عند صاحب الروم ، وعَبَا خالد الناس فسيروا الأثقال
والنساء ، ثم جعل يزيد بن أبي سفيان أمامهم بينهم وبين العدو ، وصار خالد
وأبو عبيدة من وراء الناس ، ثم رجعوا نحو الجيش وذلك الجيش خسون ألفاً ،
فلما نظر إليهم خالد بن الوليد نزل فعِباً أصحابه تعنة القتال على تعنة أجنادين

ثم زحف إليهم فوق خالد بن سعيد في مقدمة الناس يحرض الناس على القتال ويرغبهم في الشهادة فحملت عليه طائفة من العدو فقاتلهم واستشهد بتلك. ومنهم من قال لم يستشهد خالد بن سعيد في هذا الموضع ، ولكنها قتل بمرج الصفر ، وذلك أنه خرج في يوم مطير يستمطر فتفاوت عليه أعلام من الروم فقتلوه ». .

ومعنى قول الرواية إن خالد بن سعيد كان في مقدمة الناس ، وهو قائد خيل شرحبيل بن حسنة ، يكشف لك أن ثقل المعركة كان عليه .

بينما كان ابن الوليد من وراء الناس ، والناس هنا ثلاثة ألفاً، أو خمسون ألفاً كما قالوا، فكيف يقاتل خالد أو أبو عبيدة جيش الروم من وراء الألف؟ ! ثم انظر إلى الرواية التي تبناها ابن الأعثم وفيها قيادة خالد لمعركة أجنادين ! فقد وصف ترتيبه للمعركة ، ولم يصف قتاله فيها ، ثم كتب عن لسانه رسالة إلى أبي بكر يخبره عن مجرى الحرب ويبارك له النصر .

قال ابن الأعثم: ١١٥/١: «ذكر وقعة أجنادين ، وهي أول وقعة لخالد بن الوليد مع الروم . قال: فأصبح خالد يوم السبت يعي أصحابه ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسره سعيد بن عامر بن جذيم ، وعلى جناح الميمنة يزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة على جناح الميسرة ، وخالد بن سعيد بن العاص على الكمين ، ثم جعل خالد بن الوليد نساء المسلمين من وراء الصفوف وأمرهن فاحتزمن وتشمرن وأخذن في أيديهن الحجارة ، وجعلن يدعون الله ويستنصرن على أعداء المسلمين . قال: وجعل خالد بن الوليد لا يقر

بمكان واحد ، ولكنه يقف على كتبية كتبية من المسلمين ويقول: إنقوا الله عباد الله ، وقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تنكروا على أعقابكم فتقلعوا خاسرين ، ولا تهنو ولا تجربوا عن عدوكم ، ولكن إقداماً لإقدام الأسد الضاربة فإنكم أحرار كرام ، وارفضوا عنكم هذه الدنيا واطلبوا ثواب الآخرة ، وأنتم الأعلون والله معكم . وبعد فإنكم إن هزمتم هؤلاء القوم كانت لكم هذه البلاد داراً للإسلام ما بقيتم أبداً ، مع رضوان الله والجنة .

قال: ودنت الروم من المسلمين بخليها ورجلها في الآلة والسلاح الشاك ، وقد تعبوا ميمنة وميسرة وقلباً وجناحاً ، وبين أيديهم يومئذ بطريق من بطارقة الروم يقال له قلقط ، عليه ديباجة منسوجة وعلى رأسه ناج من ذهب ، وتحته فرس أدهم مغرق السرج والنجام بالذهب .

قال: فقال أبو عبيدة بن الجراح: كبروا أيها المسلمين تكبيراً واحدة ، فإن الله عز وجل مهلكهم ومبدد شملهم ، قال: فكبر المسلمون وألقى الله الرعب في قلوب الكفار . قال: وهمَّ المسلمون بالحملة عليهم ، فقال خالد: لا تعجلوا حتى أحمل أنا، فإذا رأيتوني قد حللت فاحلوا . قال: فوقف المسلمين وجعلت سهام الروم تقع على عسكر المسلمين كالطار ، فصاح رجل من المسلمين بخالد بن الوليد: أيها الأمير ! لماذا قد نصبنا هؤلاء الأعلام هدفاً يرموننا بنسائهم حتى قد جرحوا منا جماعة ! فقال له خالد: وبمحك ! إنما أنظر الوقت الذي كان النبي ﷺ يحارب فيه فإنه وقت مبارك .

قال: فوقف المسلمون لا يزول واحد منهم من موضعه والسهام تعمل في ذلك عملها، فقتل يومئذ بالسهام أبان بن سعيد بن العاص رحمة الله عليه ، وقتل أيضاً هشام بن العاص ، وسلمة بن هشام المخزومي ، ونعميم بن صخر العدوي ، وهبار بن سفيان الأزدي ، وعبد الله بن عمر الدوسي ، فعندها ضج المسلمون إلى خالد وأمروه بالحملة ، فعندها قال خالد: إحملوا ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم كبر وحمل المسلمون معه ، وانكشفت الروم من بين أيديهم وأخذتهم السيف ، فقتل منهم في المعركة ألف وسبعين مائة رجل ، وقتل أصحابهم قلسط ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ، ومر القوم منهزمين على وجوههم حتى تفرقوا في الحصون . واحتوى المسلمون على غنائم الروم فجمعوها ، وقد خالد من أسر منهم وهو يزيدون على ثمان مائة رجل ، فضرب عناقهم صبراً ، وما أبقى على واحد منهم».

وأضاف ابن الأعثم: «ذُكِرَ كتاب خالد بن الوليد إلى أبي بكر رضي الله عنه بخبر وقعة أجنادين: بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله بن عثمان خليفة رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد سيف الله المصوب على أعداء الله المشركين . سلام عليك ! أما بعد فإني أخبرك أيها الصديق ، أنا لقينا المشركين بموضع من أرض الشام يقال له أجنادين ، وقد جمعوا لنا جموعهم ورفعوا صلبائهم ونشروا أنجيلهم ، وتقاسموا بأيائهم أنهم لا يفرون ولا يحررون ولا ينصرفون ، حتى يقتلونا ويبيدونا ويخروجونا من بلادهم ، فلقيناهم ونحن بالله واثقون وبحبه معتصمون وعليه متکلون ، فطاعناهم بالرماح وكافحناهم بالصفاح ،

وأرمناهم بالسهام ، وأنقناهم حر الحمام ، فلم نزل كذلك حتى أعز الله عز وجل نصرة الإسلام وأظهر أمره وأنجز وعده وأفلح جنده وهزم الكافرين وحده ، فقتلنا في كل واد وحجر ، وتحت كل شجر ومدر ، فاحمد الله عز وجل يا خليفة رسول الله على إعزاز دينه وأوليائه ، وإذلال أعدائه ، وحسن صنعه المسلمين ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . قال: فلما قرأ أبو بكر الكتاب الذي خالد بن الوليد ، تهلل لذلك وجهه فرحاً وفرح فرحاً شديداً وسروراً ظاهراً ، ثم رمى بالكتاب إلى عمر بن الخطاب ، فلما قرأ الكتاب قطّب حاجبه عبيس وجهه ، ثم قال: قبح الله صلف خالد وتيهه وعجبه بنفسه ! يكتب إليك: من خالد بن الوليد سيف الله المصوب على أعدائه . إن سيف الله هو الذي وضعه بذلك الموضع .

قال: فسكت أبو بكر هنيهة ثم قال: أبا حفص ! الحمد لله على نصر المسلمين فقررت بذلك عيوننا ، فقال عمر: نعم فالحمد لله على ذلك ، ولكن لا يجب أن يتسمى بسيف الله . قال: ثم كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد كتاباً لطيفاً يشكره على فعله بالمركيين ويبشره بثواب الله عز وجل ، ويبشر من معه من المسلمين ، ويقوى عزمهم ، ويأمرهم بالشكر لله عز وجل وذكره كثيراً ».

أقول: لاحظ أن خالداً جاء من العراق ببعض مئات ، وتدعى الرواية أن الجميع سلموه جيوشهم ، فقادهم ووزع عليهم المسؤوليات ، ورتب المعركة ، وحقق النصر ، وكتب رسالة إلى الخليفة بصفته قائد الجميع .

وأنه وجه المسلمين ووعظهم ، وفيهم كبار الصحابة كأبي ذر وخالد بن سعيد الذي تقدمت مو عزته للخليفة أبي بكر عندما خرج لوداعه في المدينة .

وذكرت الرواية أن ابن الوليد ترك المسلمين تحت السهام حتى يحين الزوال ، فقتل منهم عدد من الصحابة ، ثم أمرهم بالحملة . ولم تذكر أنه أمرهم بالصلوة !

كما حذفت الرواية من المعركة المبارزة ، وقد روت المصادر أن المعركة بدأت بمبارزة الطريق الفارس ، الذي قتله الصحابي ابن عم النبي ﷺ وهو عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنهم .

كما جعلت الرواية المعركة حملة واحدة قتل فيها قائد الروم قلقط ، وألف وسبعين مئة منهم ، فانهزموا ، وأسر المسلمون منهم ثمان مئة فذهبهم خالد ، ولم يستعملهم ورقة تفاوض لمصلحة المسلمين .

ثم أورد ابن الأعثم نص رسالة خالد إلى أبي بكر ، وذكر أنه بدأ فيها باسمه قبل إسم الخليفة ، والرسالة الموجودة بالعكس ، وذكر أن خالداً أعطى لنفسه لقب سيف الله ، وأن عمر رد هذا اللقب ، مما يكشف كذب قوله إن النبي ﷺ لقبه به وإنما رده عمر أو لأجابه أبو بكر بأن النبي ﷺ لقبه به فكيف ترده .

إلى غير ذلك من الملاحظات .

٤ . وجاء عمرو بن العاص، فنسب إلى نفسه قيادة معركة أجنادين وبطولتها !

قال ابن كثير في النهاية: ٦٣/٧: «كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى إيليا ومناجزة صاحبها، فاجتاز في طريقه عندي الرملة بطائفة من الروم،

فكانت وقعة أجنادين، وذلك أنه سار بجيشه وعلى ميمنته ابنه عبد الله بن عمرو وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكي، من بني مالك بن كنانة ، ومعه شرحبيل بن حسنة ، واستخلف على الأردن أبي الأعور السلمي، فلما وصل إلى الرملة وجد عندها جمعاً من الروم عليهم الأرطبون ، وكان أدهى الروم وأبعدها غوراً وأنكأها فعلاً ، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً وبابلياء جنداً عظيماً ، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر . فلما جاءه كتاب عمرو قال: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فانظروا عما تفرج ! وبعث عمرو بن العاص علقة بن حكيم الفراسي ، ومسروق بن بلال العكبي على قتال أهل إيليا ، وأبا أيوب المالكي إلى الرملة ، وعليها التذارق ، فكانوا يبازائهم ليشغلوهم عن عمرو بن العاص وجيشه ، وجعل عمرو كلما قدم عليه إمداد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء .

وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة ، ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه ، فدخل عليه بأنه رسول ، فأبلغه ما يريده وسمع كلامه وتأمل حضرته (علمه) حتى عرف ما أراد ، وقال الأرطبون في نفسه: والله إن هذا لعمرو أو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه ، وما كنت لأطيب القوم بأمر هو أعظم من قتله . قد عا حرسيأ فسارة فأمره بفتحه فقال: إذهب فقم في مكانكذا وكذا ، فإذا مرّ بك فاقتله ، ففطن عمرو بن العاص ، فقال للأرطبون: أيها الأمير إني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي، وإن واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالي لشهاد أموره، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك

ويروا ما رأيت . فقال الأرطبون : نعم ! فاذهب فأنتي بهم ، ودعا رجالاً فسارةً
 فقال : إذهب إلى فلان فرده . وقام عمرو فذهب إلى جيشه ثم تحقق الأرطبون
 أنه عمرو بن العاص ، فقال : خدعوني الرجل ، هذا والله أدهى العرب . وبلغت
 عمر بن الخطاب فقال : الله در عمرو !

ثم ناهضه عمرو فاقتتلوا بأجنادين قتالاً عظيمًا كقتال اليرموك ، حتى كثرت
 القتل بينهم ، ثم اجتمعت بقية الجيوش إلى عمرو بن العاص ، وذلك حين
 أعياهم صاحب إيليا وتحصن منهم بالبلد وكثراً جيشه ، فكتب الأرطبون إلى
 عمرو بأنك صديقي ونظيري ، أنت في قومك مثل في قومي ، والله لا تفتح من
 فلسطين شيئاً بعد أجنادين ، فارجع ولا تُعرَّ فتلقى مثل ما لقي الذين قبلك من
 الهزيمة ، فدعا عمرو رجالاً يتكلم بالروميه بعثه إلى أرطبون وقال إسمع ما
 يقول لك ثم ارجع فأخبرني . وكتب إليه معه : جاءني كتابك وأنت نظيري ومثل
 في قومك ، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي وقد علمت أن صاحب فتح
 هذه البلاد ، واقرأ كتابي هذا بمحضر من أصحابك وزرائك . فلما وصله
 الكتاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب ، فقالوا للأرطبون : من أين علمت أنه
 ليس بصاحب فتح هذه البلاد ؟ فقال : صاحبها رجل إسمه على ثلاثة أحرف !
 فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال ، فكتب عمرو إلى عمر يستمدده ويقول
 له : إني أعالج حرباً كؤداً صدوماً ، وببلاداً اذخرت لك ، فرأيك . فلما وصل
 الكتاب إلى عمر علم أن عمر لم يقل ذلك إلا لأمر علمه ، فعزم عمر على
 الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس » .

أقول: لاحظ أن الراوي يقول إن عمر أمير ابن العاص بفتح القدس ، فكانت أجنادين في طريقه ، كأنها معركة عابرة ، أو نزهة !

وقد نسي الراوي المحترم التاريخ ، فجعل معركة أجنادين بعد معركة اليرموك مع أنها قبلها بستة وأشهر وأهلل وجود جيش أبي عبيدة بن الجراح ، وجيش يزيد بن أبي سفيان ، وجند خالد بن الوليد ، لكنه ذكر شرحبيل بن حسنة حتى لا يفtecض ، لأن الأبطال الذين قاتلوا وقطعوا النصر في أجنادين كانوا في جيش شرحبيل مثل قائد خيله خالد بن سعيد وإخوته ، وحفدي عبد المطلب ، وقائد مسرته هاشم المرقال ، وغيرهم .

ونلاحظ أن أرطيون عمرو يعرف المستقبل ، ويعرف إسم من يفتح القدس ! وقد افترض الراوي وجود قوات رومية في القدس ، مع أن أقرب قواتهم إليها كانت في أجنادين ، ولم يكن في القدس قوة تذكر ، وبعد أجنادين هزم المسلمون الروم في مرج الصفر وفحل ، ثم في اليرموك ، فأعلن هرقل انسحابه من سوريا وفلسطين ، وودعها ، وذهب من أنطاكية إلى القسطنطينية . وبذلك تحررت سوريا وفلسطين ومصر من الروم نهائياً ، وتحررت القدس بلا ضربة سيف ، بل جاس المسلمون خلال ديار اليهود ، عملاء الروم ، كما وصف الله تعالى !

ثم انضم إمامهم ابن حبان إلى الإمام ابن الأعثم والإمام ابن كثير ، في وصف بطولة عمرو العاص ، فقال في كتابه الثقات: ١٨٥ / ٢: «ونزل عمرو بن العاص في قصره بغمر العربات ، ونزل الروم بشبة جلق بأعلى فلسطين في سبعين ألفاً ، عليهم تذارق آخر هرقل لأبيه وأمه ، فكتب عمرو بن العاص إلى أبي بكر يذكر له أمر الروم ويستمدده ، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد يأمره أن يمد أهل الشام فيمن معه

من أهل القوة ، ويستخلف على ضعفة الناس رجالاً منهم، فلما أتاه كتاب أبي بكر ، قال خالد: هذا عمل الأعيسى بن أم شملة ، يعني عمر بن الخطاب ، حسدي أن يكون فتح العراق على يدي ، فسار خالد بأهل القوة من الناس ورد الضعفاء والنساء إلى المدينة ، وأمر عليهم عمير بن سعد الأنباري ، واستخلف على من أسلم بالعراق من ربيعة وغيرهم المثنى بن حارثة الشيباني... واجتمع خالد بن الوليد وشريحيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان... ثم ساروا جمِيعاً إلى فلسطين مددأً لعمرو بن العاص وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين ، وسمع الروم باجتماع المسلمين لعمرو بن العاص فانكشفوا عن جلق إلى أجنادين ، وأجنادين بلد بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين ، وسار المسلمون إلى أجنادين وكان الأمراء أربعة والناس أرباعاً إلا عمرو بن العاص كان يزعم أنه على جميعهم ».

أقول: كيف يثق الباحث بنصوص الفتوح وهو يرى هذه التناقضات في رواية معركة تحرير فلسطين ، بسبب التعصب لإثبات فضيلة خالد بن الوليد ، أو لعمرو العاص ، وهو ما متافقان مواليان للسلطة ، ويرى أحدهما يغنم حق الآخر وبهمل هو ، أو يحمل الراوي لصلحته ، بطولة الأبطال وتضحيات المضحين ، ويتصادر النصر من المسلمين ويكتبه لن لم يضرب بسيف ولا رمح !

وكان مهمه هذه المصادر أن نظلم الأبطال الأبرار ، وتصنع أبطالاً من ابن الوليد الذي نفرد بغارات القتل والنهب على العرب وال فلاجين العُزَّل ، وأجاد فيهم الغدر والتكتيف والتقتل ، وهرب من الفرس والروم !

وتصنع الأسطورة من عمرو العاص ، الذي لا يجيد إلا الحيلة والمكيدة ، وقد شهد فيه الصادق الأمين عليه السلام فقال: «إذا كان عند البأس فزاجر وامر ، ما لم تأخذ السيوف مأخذها من اهام . فإذا كان ذلك فأكبر مكيدته أن يُمْرُّقْت ويُمْنَح إِسْتَه ، قبّه الله وترّخه ». (الغارات للثقفي: ٥١٣ / ١).

وقد كشفنا في ترجم عمرو زيف عدد من ادعاءاته وادعاءات الرواية له . قال الطبرى: ٦١٠ / ٢: «وسار عمرو بن العاص حين سمع بأبي عبيدة بن الجراح ، وشرجيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان ، حتى لقيهم ، فاجتمعوا بأجنادين حتى عسكروا عليهم » .

وفي تاريخ دمشق: ٦٦ / ٢: «وكان جند عمرو الذين خرجو معه من المدينة ثلاثة آلاف ، فيهم ناس كثير من المهاجرين والأنصار ، وخرج أبو بكر الصديق يمشي إلى جنب راحلة عمرو بن العاص وهو يوصيه ويقول: يا عمرو إن تق الله في سر أمرك وعلانيته واستحيه ، فإنه يراك ويرى عملك ، وقد رأيت تقديمك إليك على من هو أقدم سابقة منك ، ومن كان أعظم غنا عن الإسلام وأهله منك ، ففك من عمال الآخرة وأرد بها تعامل وجه الله ، وكن والدًا لن معك ولا تكشفن الناس عن أستارهم واكتف بعلانيتهم ، وكن مجددًا في أمرك وأصدق اللقاء إذا لاقيت ، ولا تخبن وتقدم » .

أقول: لم يكن لعمرو وجنته دور يذكر في أجنادين ، فالذى اشتباك مع الروم هو جيش شرجيل . كما أن وصية أبي بكر له بأن يصدق اللقاء ولا يجبن ، تشير إلى عادة عمرو في اللجوء إلى الحيل ، لا إلى الشجاعة !

ومن حيله اختراعه قصة «أرطبون» وأنه تنكر وذهب اليه ، وعرفوه فنجا بأعجوبة ،
ثم كتب الى عمر بن الخطاب ، فشكراه على ذلك !
وقد بحثنا أسطورة الأرطبون في ترجمة عمرو ، وما يكشف زيفها أن وقعة أجنادين
كانت في خلافة أبي بكر ، وليس في خلافة عمر !

١٥ . واعترفوا بأنه كان القائد في معركة مرج الصفر مع وجود القادة الأربعه !
في تاريخ خليفة/١٢٠: «قال ابن إسحاق: في هذه السنة وقعة مرج الصفر يوم
الخميس لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاثة عشرة ، والأمير خالد
بن سعيد . وحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال: استشهد يوم مرج
الصفر خالد بن سعيد بن العاص». .

وقال الذهبي في تاريخه عن معركة مرج الصفر: « قال خليفة: كانت لاثنتي
عشرة بقيت من جمادى الأولى ، والأمير خالد بن سعيد . قال ابن إسحاق: وعلى
المشركين يومئذ قلقط ، وقتل من المشركين مقتلة عظيمة ، وانهزموا ». .

أقول: كانت مرج الصفر امتداداً لمعركة أجنادين ، وهي موضع بين دمشق والجولان
، وكان عدد الروم فيها شبيهاً بعدهم في أجنادين . .

وإن تنازل القادة الأربعه ابن الجراح وابن أبي سفيان وابن العاص وشرحبيل ، عن
قيادتهم للمعركة وتسليمها إلى خالد بن سعيد ، يدل على أنهم رأوا منه في أجنادين من
صحة الرأي والبطولة ما جعلهم يسلمون له القيادة في المعركة التالية ، التي كانت
بعدها ب نحو عشرين يوماً . .

كما اعترف الرواة لخالد بأنه كان قائداً للخيل في فتح الشام ، وفي معركة فحل .

روى ابن عساكر: «عن سهل بن سعد الأنباري قال: كانت وقعة أجنادين وقعة عظيمة . كانت بالشام وكانت في سنة ثلاثة عشرة في جنادي الأولى ، فذكر بعض أمرها ، ثم ذكر إغاثة الروم لأهل دمشق حين حصارها ، قال: فتركوا مرج الصفر فأتموا المسلمين صددهم ، وخرج إليهم أهل القوة من أهل دمشق ، وصحبهم ناس كثير من أهل حمص فالقوم نحو من خمسة عشر ألفاً فلما نظر إليهم خالد عبا لهم كتبة يوم أجنادين ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل وعلى ميسرته هاشم بن عتبة ، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن نفيل ، وترك أبا عبيدة في الرجال ، وزحف إليهم فذهب خالد فوقف في أول الصفر يريد أن يحرض الناس ، ثم نظر إلى الصفر من أوله إلى آخره ، فحملت لهم خيل على خالد بن سعيد بن زيد وكان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يحرض الناس ويذيع الله عز وجل ثم ينقض عليهم ، فحملت طائفة منهم عليه فنازلهم فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل . كذا في الكتاب: ابن سعيد بن زيد ، وإنما هو خالد بن سعيد بن العاص ».

أقول: صحيح ابن عساكر إسم قائد الخيل في المعركة إلى خالد بن سعيد بن العاص . وقد جعله الراوي ابن سعيد بن زيد بن نفيل ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، وهو صاحب حديث العشرة المبشرة في الجنة ، الذي كتبه علي بن أبي طالب ، وروي أن سعيداً هذا حضر في بعض الفتوحات ، لكن لم يكن من قادة الفتح . وسبب وضع إسمه بدل إسم خالد ، ما يأتي من أمر خالد مع عمر .

وقال الذبي في العبر: ١/١٧: «وكانت وقعة هائلة استشهد فيها جماعة».

١٦ . كان عدد الروم في أجنادين نحو سبعين ألفاً والمسلمين نحو ثلاثين ألفاً ،
قال الطبرى: ٦٠٠ / ٢: « ونزلت الروم بثيَّة جُلَّ بأعلى فلسطين ، في سبعين ألفاً ،
عليهم تذارق أخو هرقل لأبيه وأمه » .

وفي تاريخ دمشق: ٨٤ / ١٦: « وعبأ خالد الناس فسيَّروا الأَنْقَال والنساء ، ثم جعل
يزيد بن أبي سفيان أمامهم بينهم وبين العدو ، وصار خالد وأبو عبيدة من وراء
الناس ثم رجعوا نحو الجيش ، وذلِك الجيش خسون ألفاً » .

وفي معجم البلدان: ١ / ١٠٣: « وقالت العلماء بأخبار الفتوح: شهد يوم أجنادين
مائة ألف من الروم » .

وفي فتوح الشام للواقدي: ١ / ٢٢: « واغتم عمرو بن العاص لفقدهم اغتماماً شديداً
فلما أصبح النهار أمر عمرو الناس بجمع الغنائم ، وأن يخرجوا إخوانهم من بين
الروم وبني الأصفر ، فالقططوه مائة وثلاثين رجلاً ، ثم صلى عليهم عمرو بن
العاص ومن معه من المسلمين ثم أمر بدفنهم . وكان مع عمرو بن العاص من
المسلمين تسعة آلاف رجل . وأرسل عمرو إلى أبي بكر كتاباً.. إنني وصلت إلى
أرض فلسطين ، ولقينا عسكر الروم مع بطريق يقال له روماس في مائة ألف
رجل ، فمن الله علينا بالنصر وقتلنا منهم أحد عشر ألفاً ، وقتل من المسلمين
مائة وثلاثون رجلاً » .

أقول: هذه الرواية ت يريد إثبات قيادة عمرو العاص للمعركة ، وكأنه لا يوجد غيره ،
وزعمت أن جنوده تسعة آلاف وهم ثلاثة آلاف .

وتبالغ كتب المغازي والفتوحات في أعداد المقاتلين والقتل والأسرى ، وتنقليل القتل من المسلمين ، فيحتاج الباحث إلى تخمين ذلك ، من مجموع الروايات .

وقد كان قادة فتح الشام أربعة: شرحبيل بن حسنة ، وأبو عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، ومع كل واحد منهم نحو سبعة آلاف ، وعمرو بن العاص ، ومعه ثلاثة آلاف . أما خالد بن الوليد فقد جاء من العراق بأقل من ألف . ولو فرضنا التحاق عدة ألف بهم ، فيكون المجموع نحو ثلاثين ألفاً .

أما جيش الروم ، فذكر الرواة أنه كان مئة ألف ، وقد يكون حسين أو سبعين ألفاً ، بقرينة أن هرقل استعمل هذا العدد في معاركه مع الفرس .

أما خسائر المسلمين ففي الإستيعاب ٣/١٠٨٣: «استشهد من المسلمين بأجنادين ثلاثة عشر رجلاً ، منهم عكرمة بن أبي جهل ، وهو ابن اثنين وستين سنة ». بينما قالت رواية البلاذري (١٤١/١) في معركة مرج الصفر التي هي شبيهة بأجنادين أو أقل منها: «وجرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف » .

ويصعب قبول أن عدد الشهداء ثلاثة عشر فقط ، وينبغي أن لا يقل عن مئة شهيد ، حتى يتاسب مع الأربعة آلاف جريح .

ويجب أن نأخذ في الإعتبار أن قائد الروم قتل في المعركة ، وقتل القائد والقادة يُسرّع في انهيار الجيش وحدوث الهزيمة .

وما يدل على سرعة هزيمة الروم في أجنادين بسبب قتل القائد الملكي وبقية القادة ، أن الروم لم يقبلوا بهذه الهزيمة السريعة ، فأعادوا تنظيم قواتهم ، وفتحوا معركة مرج الصفر بين دمشق والخولان ، بعد أجنادين بعشرين يوماً .

١٧ . افتتح معركة أجنادين حفيدان لعبد المطلب ، ثاراً لجعفر بن أبي طالب ،

فقد كان الزبير أكبر أبناء عبد المطلب ، وكان وصي أبيه رضي الله عنهم ، وهو صاحب حلف الفضول لنصرة المظلوم وحفظ حرمة الكعبة ، وقد حضره النبي ﷺ قبل بعثته ، مدحه وأقره بعد بعثته ، وتوفي الزبير قبل بعثة النبي ﷺ .
وابنه عبدالله كان مسلماً ، وكان من الذين ثبتو مع النبي ﷺ في حنين .

قال المفید في الإرشاد: ١٤١ / ١: «ومن ثبت معه من بنی هاشم يومئذ وهم ثمانية أمیر المؤمنین تاسعهم: العباس بن عبد المطلب عن يساره، وأبو سفيان بن الحارث مسک والفضل بن العباس بن عبد المطلب عن يساره، وأبو سفيان بن الحارث، بسرجه عند ثغر بغلته، وأمير المؤمنین ع بين يديه بالسيف، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وعتبة ومعتب ابنا أبي هب حوله. وقد ولت الكافة مدبرين». ونحوه تاريخ دمشق: ٤١ / ١٥.

وذكرت مصادر المغازى أن عبد الله كان أول من بز يوم أجنادين فقد جاء بطريق معلم ودعا إلى المبارزة ، وكانوا يعطون للفارس الشجاع درجة بطريق ، وكان معلمأً أي عنده درجة في الفروسية ، فبرز إليه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، فاختلفا ضربات ثم قتله عبد الله بن الزبير ، ولم يتعرّض لسلبه مع أنهما كانوا يحرصون على سلب هذا النوع من الفرسان ، وقد يختلفون على سلبه إذا اشترك في قتله أكثر من فارس ، لأنه يلبس قلنسوة مذهبة ، وحزاماً عريضاً مذهبأً ، يسمى منطقة .

لكن حفيد عبد المطلب رضي الله عنها أعرض عنه ، لأنه رأى بطلاً رومياً آخر جاء يطلب المبارزة فبرز إليه ، فتشاولا بالرمحين ، ثم صارا إلى السيفين ، وكان الرومي مُدرَّعاً ، فحمل عليه عبد الله فضربه على عاتقه ، وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب! فشققت ضربته الدرع ، وأسع السيف في منكب الرومي ، فولى منهزاً ، ثم سقط . وقيل لعبد الله كفاك هذا فلا تقاتل ! فقال: لا أجذني أصبر ، وحل على الروم وقتل عدداً من فرسانهم . ويبحث المسلمون عنه بعد المعركة فوجدوه مثخناً بالجراح ، في وجهه ثلاثة ضربة سيف ، وحوله عشرة من الروم مجندلين ، ووجدوا سيفه بيده لاصقاً ، فعالجوه حتى نزعوه بعد عناء . وذكروا أن أمه مخزومية ، وله عدة أخوات ولاعقب له رضي الله عنه وأرضاه .

(الاستيعاب: ٣، ٩٠٤، والإصابة: ٤/٧٨، وتاريخ دمشق: ٨/١٣٨).

أما الحفيد الثاني لعبد المطلب ، الذي بُرِزَ واستشهد في أجنادين فهو: طُلَيْب بن عمير بن وهب من بنى عبد بن قصي: «أمه أروى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . يكفي أبا عدي . وعبد بن قصي هو أخو عبد الدار بن قصي ، وعبد مناف بن قصي ، وعبد العزى بن قصي بن كلاب . هاجر طلبيب بن عمير إلى أرض الحبشة ثم شهد بدرأ.. وكان من خيار الصحابة . قال الزبير بن بكار: كان طلبيب بن عمير بن وهب من المهاجرين الأولين ، وشهد بدرأ ، قتل بأجنادين شهيداً ، ليس له عقب . وقال مصعب: قتل يوم اليرموك ». (الاستيعاب: ٢/٧٧٢).

وفي تاريخ دمشق: ٢٥/١٤٥: «عن بَرَّةَ بْنِ أَبِي تَحْرَةَ ، قَالَتْ: عَرَضَ أَبُو جَهْلٍ وَعَدَةٌ مَعَهُ مِنْ كُفَّارِ قَرْيَشٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآذَوْهُ ، فَعَمِدَ طُلَيْبٌ بْنُ عَمِيرٍ إِلَيْ أَبِي جَهْلٍ

فضربه ضربة شجه ، فأخذوه فأوثقوه ، فقام دونه أبو هب حتى خلاه ، فقيل لأروى: ألا ترين ابنك طليباً قد صير نفسه غرضاً دون محمد!

فقالت: خير أيامه يوم يذب عن ابن خاله وقد جاء بالحق من عند الله تعالى.

قالوا: ولقد اتبعت محمداً؟ فقلت: نعم ، فخرج بعضهم إلى أبي هب فأخبره فأقبل حتى دخل عليها، فقال: عجباً لك ولا تباعك محمداً ولتركك دين عبد المطلب ! فقلت: قد كان ذلك ، فقم دون ابن أخيك فاعضده وامنه ، فإن يظهر أمره فأنت بالخير أن تدخل معه ، أو تكون على دينك ، وإن تصب كنت قد أذرت في ابن أخيك .

قال أبو هب: ولنا طاقة بالعرب قاطبة ، جاء بدين محدث ! ثم انصرف أبو هب . قال محمد: وسمعت غير محمد بن عمر يذكر أن أروى قالت يومئذ:

إن طليباً نصر ابن خاله آساه في ذي دمه وما له .

وقال البلاذري (١٣٥/١): « واستشهد يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وأخوه أبان بن سعيد ، وذلك الثبت ، ويقال بل توفي أبان في سنة تسع وعشرين . وطليب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصي ، بارزه علچ فضربه ضربة أبانت يده اليمنى ، فسقط سيفه مع كفه ، ثم غشيه الروم فقتلوه ». وذكروا أنه لم يعقب ، رضي الله عنه .

وذكر ابن عساكر (١٤٢/٢٥) أن عمره عندما كان استشهاده خمساً وثلاثين سنة . « وقد انقض جميع ولد عبد بن قصي وكان آخر من مات منهم رجل مات في أيام بنى العباس فورثه بالقعد عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وإسحاق بن محمد بن عبد الله بن قيس بن خرمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ». (جهرة أنساب العرب/١٢٨).

أقول: فلنا إن هذين الصحابيين كانا يطلبان من الروم دم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، لأن النبي ﷺ جعل دم جعفر هدفه في غزوة تبوك !

قال البيعقي في تاريخه: ٦٧ / ٢: « سار رسول الله ﷺ في جمع كثير إلى تبوك من أرض الشام يطلب بدم جعفر بن أبي طالب رض، ووجه إلى رؤساء القبائل والعشائر يستنفرهم ويرغبهم في الجهاد ، وحضر رسول الله ﷺ أهل الغنى على النفقة ، فأنفقوا نفقات كثيرة ، وقووا الصعفاء » .

وفي تاريخ ابن خلدون: ٢ / ٢٢٤: « وَجَدَ النَّبِيُّ (خَرْنَ) عَلَى مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا كَوْجَدَهُ عَلَى جَعْفَرَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ تَلَادَهُ ، ثُمَّ أَمْرَ بِالنَّاسِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ بَعْدِ الْفَتْحِ وَحْنِينَ وَالطَّائِفَ أَنْ يَتَهَيَّأُ الْغَزْوَةُ وَالرُّومُ، فَكَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكُ ». والمعنى أن حزنه عليه السلام على جعفر كان عميقاً ، لأنه من ذخائره القديمة العزيزة .

١٨ . وقاد خالد بن سعيد والمرقال ، معركة أجنادين ومرج الصفر وفي حل

ونهضا بثقل معاركها ، وحققا النصر لل المسلمين ، وكذا في محاصرة دمشق ! قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٦٦ / ١٦: « فَلَمَّا نَظَرُ إِلَيْهِمْ خَالِدًا (في مرج الصفر) عَبَّأُهُمْ كَعْبَةُ يَوْمِ أَجْنَادِينَ ، فَجَعَلَ عَلَى مِيمَنَتِهِ مَعاذَ بْنَ جَبَلَ ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ هَاشِمَ بْنَ عَتَّبَةَ ، وَعَلَى الْخَيلِ سَعِيدَ بْنَ زَيْدَ بْنَ نَفِيلٍ (خالد بن سعيد) وَتَرَكَ أَبَا عَبِيدَةَ فِي الرِّجَالِ وَزَحَفَ إِلَيْهِمْ فَذَهَبَ خَالِدٌ فَوَقَفَ فِي أَوَّلِ الصَّفَّ يُرِيدُ أَنْ يُحرِضَ النَّاسَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الصَّفَّ مِنْ أَوْلِهِ إِلَى آخِرِهِ ، فَحَمَلَتْهُمْ لَهُ خَيْلٌ عَلَى خَالِدِ بْنِ

سعيد بن زيد ، وكان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يحرض الناس ويدعوه الله عز وجل ، ثم ينقض عليهم ، فحملت طائفة منهم عليه فناز لهم فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل . كذا في الكتاب ابن سعيد بن زيد وإنما هو خالد بن سعيد بن العاص» .

وسعيد بن زيد بن نفيل هو ابن عم عمر ، ولم يذكر أحد أنه كان في هذه المعركة !

وقال ابن سعد في الطبقات: ٩٨/٤: «حدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: شهد خالد بن سعيد فتح أجنادين وفتح ومرج الصفر» .

وفي تاريخ دمشق: ٨٤/١٦: «وعبا خالد الناس فسيراً وانقال النساء ثم جعل يزيد بن أبي سفيان أمامهم بينهم وبين العدو وصار خالد وأبو عبيدة من وراء الناس ثم رجعوا نحو الجيش وذلك الجيش خسون ألفاً .

فلما نظر إليهم خالد بن الوليد نزل فربأ أصحابه تعبئة القتال على تعبئة أجنادين ثم زحف إليهم فوقف خالد بن سعيد في مقدمة الناس يحرض الناس على القتال ويرغبهم في الشهادة ، فحملت عليه طائفة من العدو فقتلته واستشهد الله ومنهم من قال لم يستشهد خالد بن سعيد في هذا الموضع ولكنه قتل بمرج الصفر وذلك أنه خرج في يوم مطير يستطر (يجمع ماء المطر) فتفاوت عليه أعلاج من الروم فقتلواه » ! وسيأتي كثرة مكذوباتهم في سبب موته .

وقال البلاذري: ١٤١/١: «ثم اجتمعت الروم جماعاً عظيماً ، وأمدتهم هرقل بمدد . فلقيهم المسلمون بمرج الصفر وهو متوجهون إلى دمشق ، وذلك هلال المحرم سنة أربع عشرة ، فاقتلوه قتالاً شديداً حتى جرت الدماء في الماء وطحنت بها

الطاحونة ، وجرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف . ثم ول الكفرة منهزمين مفلولين لا يلرون على شيء ».

١٩. غضب عمر على خالد بن سعيد فعزله ثم قتله ، وانهالت عليه الإتهامات !

وقد بدأ توتر العلاقة بينه وبين عمر بن الخطاب ، عندما رجع خالد من اليمن وكان والياً للنبي ﷺ عليها ، فتراجعاً بخبر أن ثلاثة مهاجرين هم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة صفقوا على يد أبي بكر في السقيفة ، وأعلنوه خليفة ، وتمهر حولهم الطلقاء وأخذوا يجبرون الناس على بيعته بالسيف !

قال الجوهري في كتابه السقيفة / ٤٨ : « لا يمرون بأحد إلا خطبوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر بيايعه ، شاء ذلك أو أبي ! »

فاستنكر ذلك خالد لأن النبي ﷺ نصب علياً عليه خليفة بعده ، فقام هو لاء باستغلال فرصة انشغاله وال المسلمين بجنازة النبي ﷺ ، وقاموا بهذه الفعلة ! فشاور مع علي عليه السلام هو وأحد عشر من كبار المهاجرين والأنصار ، وقرروا أن يخطبوا في المسجد ، ويلزموا أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بارجاع الحق إلى أهله !

وكان « أول من قام خالد بن سعيد بن العاص بإدلاله ببني أمية فقال: يا أبا بكر إن الله فقد علمت ما تقدم لعلي من رسول الله ﷺ إلا تعلم أن رسول الله ﷺ قال لنا ونحن محشوشه في يوم بني قريظة ، وقد أقبل على رجال منا ذوي قدر فقال: يامعشر المهاجرين والأنصار أوصيكم بوصية فاحفظوها ، وإن مؤد إليكم أمراً فاقبلوه ، إلا إن علياً أميركم من بعدي ، وخلفتي فيكم ، وأوصاني بذلك ربى . وإنكم إن لم تحفظوا وصيتي فيه وتؤازروه وتنصروه ، اختلفتم في أحکامكم ، واضطرب عليكم أمر دينكم ، وولي عليكم الأمر شراركم ! إلا

وإن أهل بيتي هم الوارثون أمري ، القائمون بأمر أمري ، اللهم فمن حفظ فيهم وصيبي فاحشره في زمرة ، واجعل له من مرافقي نصيباً يدرك به فوز الآخرة . اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي ، فاحرمه الجنة التي عرضها السماوات والأرض ! فقال له عمر بن الخطاب: أسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ولا من يُرضى بقوله . فقال خالد: بل أسكت أنت يا ابن الخطاب ، فوالله إنك لتعلم أنك تنطق بغير لسانك ، وتعتصم بغير أركانك ! والله إن قريشاً لتعلم أني أعلاها حسباً ، وأقواها أدباً ، وأجملها ذكرأ ، وأنك لأمها حسباً ، وأقلها عدداً ، وأخلها ذكرأ ، وأقلها من الله عز وجل ومن رسوله غنى . وإنك لجبان عند الحرب ، بخيل في الجدب ، ليثم العنصر ، مالك في قريش مفتر ! قال: فأسكنه خالد فجلس »! (الاحتجاج: ١٠٤/١).

وبعد ثلاثة أيام جاء أهل السقية إلى المسجد وقد هيؤوا قوات الطلقاء وبني أسلم ، فوقف عمر وقال: «والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذى تكلم بالأمس لنأخذن الذي فيه عيناه ! فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: يا ابن صهاك الحشيشية أبأسيافكم تهددونا ، أم بجمعكم تفرعوننا ، والله إن أسيافنا أحد من أسيافكم ، وإننا لأكثر منكم وإن كنا قليلين ، لأن حجة الله فيها . والله لو لا أعلم أن طاعة الله رسوله عليه السلام وطاعة إمامي أولى بي ، لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن أبلى عذرني ! فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: أجلس يا خالد ، فقد عرف الله لك مقامك ، وشكر لك سعيك . فجلس »! (الاحتجاج: ٩٧/١، والخصال: ٤٦١).

وروى الحاكم (٣/٢٥٠) وصححه على شرط مسلم: «قدم بعد وفاة رسول الله عليه السلام وتربيص بيته شهرين يقول: قد أمرني رسول الله عليه السلام ثم لم يعزلي حتى

قضبه الله عز وجل ، وقد لقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عبد مناف فقال: يا بنى عبد مناف ، طبتم نفساً عن أمركم بليه غيركم ! فنقلها عمر إلى أبي بكر ، فأما أبو بكر فلم يحملها عليه وأما عمر فحملها عليه . ثم بعث أبو بكر الجنود إلى الشام فكان أول من استعمل على ربع منها خالد بن سعيد ، فأخذ عمر يقول: أتؤمره وقد صنع ما صنع وقال ما قال ؟ ! فلم يزل أبي بكر حتى عزله ، وأمر يزيد بن أبي سفيان ».

أقول: هذا الصرف من عمر رد فعل طبيعي على هجوم خالد الكاسح عليه ، فعمر لم يواجه كل عمره مثل موقف خالد بن سعيد ! بل إن تأمر أبي بكر خالد على جيش الشام كان غير طبيعي ، بعد إدانته الشديدة لعملهم في السقيفه ! وهذا يظهر الفرق بين شخصية أبي بكر وعمر ، فأبو بكر أوسط صدرًا من عمر لمن خالقه ، ويستطيع إخفاء غبضه أكثر من عمر ! ولذلك اختلفا في بعض الأمور والأشخاص ، منهم المشي بن حارثة الشيباني ، وخالد بن الوليد ، وخالد بن سعيد ، ولم يستطع عمر أن يفرض عليه رأيه في خالد بن الوليد ، بل وبخه أبو بكر .

قال ابن الجوزي في المتنظم: ٤/٨٠: «كان عمر يحرض أبا بكر على عزله ، وأن يقييد منه ، فقال أبو بكر: ما يأول من أخطأ ، فارفع لسانك عن خالد ، ثم ودى مالكاً».

أي كان يحرضه على أن يقتل خالداً قصاصاً بقتله مالك بن نويرة وأخذه زوجته ، فوبخه أبو بكر وأعطى دبة مالك !

لكن عمر بقي مصرأً على عزل خالد فكان أول مرسوم كتبه عندما صار خليفة عزل خالد ، لكنه لم يذكر أن السبب قتله مالك بن نويرة ، بل صرخ أن السبب كلام خالد في نفي أم عمر من بني خزوم ، فقد كتب عمر إلى أبي عبيدة: «إن أكذب خالد نفسه

فيها كان قاله فله عمله ، وإنما فائز عهاته وشاطره ماله . فشاور خالد أخته فقالت: والله ما أراد ابن حتمة إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك من عملك ، فلا تفعلن». (اليعقوبي: ١٣٩/٢).

لكن أبي بكر أطاع عمر في خالد بن سعيد فعزله ، والسبب أن ابن الوليد من الكوادر الخاصة لأبي بكر ، بينما غرضه من تأمير ابن سعيد أن يكسببني أمية ، وهذا يتحققه استبداله بأموي آخر مقبول عندهم ، فأمر بذله يزيد بن أبي سفيان .

٢٠. وتکاد تطمئن بأن خالد بن سعيد مات مقتولاً بمؤامرة وليس بيد الروم !

وذلك لكثرة الروايات وتناقضها في مكان قتيله وسببه ! فقيل إنه قتل في معركة أجنادين ، وقيل في معركة مرج الصفر ، وقيل في معركة فحل ، وقيل في معركة اليرموك . وقيل لم يقتل في المعركة ، بل كان في المعسكر فخرج يستقي الماء فقتله رومي ، وقيل إن الرومي رأى نوراً ساطعاً من جنازته فأسلم !

وهكذا ضيعوا مكان شهادته ، وزمانها ، وسببها ، وهذا جزء من يخالق الخليفة ! وقد يكون عمر دعا على خالد بن سعيد فمات ، كالمثنى بن حارثة الشيباني ، وقد رووا أنه دعا على بلال وجماعته ، وكانوا نحو ثلاثين صحابياً كانوا في الشام فاعتربوا على عمر ، فدعوا عليهم دعوة واحدة ، فهاتوا واحداً بعد الآخر ، فلما تذر عليهم السنة حتى ماتوا جميعاً . (سنن البيهقي: ١٣٨/٩).

قال في تاريخ دمشق: ٦٧/٦٧: «فواقع الروم بمرج الصفر فقيل إنه قتل به ، وقيل لم يقتل به وبقي حتى شهد اليرموك».

وقال الطبرى: ٦٠١/٢: «ثم كانت مرج الصفر ، استشهد فيه خالد بن سعيد بن العاص أباهم أدرنجار في أربعة آلاف وهم غالون ، فاستشهد خالد وعدة من

ال المسلمين . قال أبو جعفر : وقيل إن المقتول في هذه الغزوة كان ابنًا لخالد بن سعيد ، وإن خالداً انحاز حين قتل ابنه » .

وقالوا إنه خرج يستمطر فقتله الروم ! (الطبرى: ٢٠١، وفيض القدير: ٥/ ٢٨٠) .
أي خرج تحت المطر لكي يغتسل ، أو يجمع الماء ويأقي به . وخروجه غير مفهوم لأنّه كان في جيشه ، ومعه غلمانه وخدمه ، ومعه إخوته وأبنه ، فكيف يخرج
وحده ويقتل ، ولا يتحرك منهم أحد ؟ !

وقالوا لما قتل الرومي خالد بن سعيد ، قلب ترسه وأسلم واستأمن ! وقال من
الرجل الذي قتلنا ، فإني رأيت له نوراً ساطعاً في السماء ؟ ! (تاريخ دمشق: ١٦/ ٨٣)
وإذا صبح ذلك فقد يكون هذا الرومي مستأجراً لقتل خالد ، فاحتال بإعلان
إسلامه لينجو من القصاص ، وأخفى من وراءه إسمه !

ثم نقضوا بذلك بقولهم (تاريخ دمشق: ٢١/ ٤٥ و٤٦) إن ابنه سعيداً كان قائداً
كردوس في اليرموك ، وهو الذي خرج مستمطرًا فقتل ، وليس أباً !

ثم تزداد شكاً في قصة قتل خالد بن سعيد ، عندما نجد أنه تزوج أم حكيم بنت
الحارث بن هشام بن المغيرة ، أخ أبي جهل ، وزوجة عكرمة بن أبي جهل ، وبنت عم
خالد بن الوليد . وهي امرأة خزرومية معروفة ، كانت من نساء قريش المعدودات
اللاتي جنن مع أزواجهن المشركين إلى بدر . ولما فتح النبي ﷺ مكة هرب زوجها
عكرمة ، فأخذت له أماناً من النبي ﷺ وذهبت اليمن وجاءت به . ولا بد أن عمرها
عندما تزوجها خالد نحو أربعين سنة .

قال ابن سعد في الطبقات: ٩٨: «شهد خالد بن سعيد فتح أجنادين وفحول ومرج الصُّفَرُ ، وكانت أم الحكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبي جهل ، فقتل عنها بأجنادين ، فأعدت أربعة أشهر وعشراً ، وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها ، وكان خالد بن سعيد يرسل إليها في عدتها يتعرض للخطبة فحطت إلى خالد بن سعيد فتروجها على أربع مائة دينار .

فلما نزل المسلمون مرج الصُّفَرُ أراد خالد أن يعرس بأم حكيم فجعلت تقول: لو أخرت الدخول حتى يفضي الله هذه الجموع ، فقال خالد: إن نفسي تحذثني أني أصاب في جموعهم . قالت: فدونك . فأعرس بها عند القنطرة التي بالصُّفَرُ ، فيها سميت قنطرة أم حكيم ، وأولم عليها في صبح مدخله فدعا أصحابه على طعام، فما فرغوا من الطعام حتى صفت الروم صفوفها صفوفاً خلف صفوف ، وبرز رجل منهم معلم يدعى إلى البراز ، فبرز إليه أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامري فنهاه أبو عبيدة، فبرز حبيب بن مسلمة فقتله حبيب ورجع إلى موضعه وبرز خالد بن سعيد فقاتل فقتل ، وشدت أم حكيم بنت الحارث عليها ثيابها وعدَّت وإن عليها للدرعاً والخلوق في وجهها... وقتلت أم حكيم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالد بن سعيد معرساً بها . وكانت وقعة مرج الصُّفَرُ في المحرم سنة أربع عشرة ، في خلافة عمر بن الخطاب». انتهى.

وهي رواية منهافة ، لأن معركة مرج الصُّفَرُ كانت بعد أجنادين بعشرين يوماً وعدتها بعد مقتل زوجها في أجنادين أربعة أشهر وعشراً ، فلا يصح أن يكون زواجهما في مرج الصُّفَرُ .

وأوهى منها رواية تاريخ دمشق: ٢٢٦/٧٠: «وقتل خالد بن سعيد بن العاص بمرج الصفر شهيداً ، وكانت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، دخل بها بمرج الصفر فخرج وهو عروس ، فقاتل قاتل وخرجت هي بعمود فقتلت سبعة من الروم ، وكانت قبله تحت ابن عمها عكرمة بن أبي جهل ، فقتل عنها يوم فحل ، فلما انقضت عدتها خطبها يزيد بن أبي سفيان وخالد بن سعيد فحطت إلى خالد ثم تزوجها عمر بن الخطاب ». .

فإذا كان قتل عكرمة في معركة فحل ، وهي بعد معركة مرج الصفر ومعركة أجنادين ، فيجب أن تكون العدة بعد ذلك .

على أن السؤال هنا: لماذا تكشف أم الحكم المخزومية علاقتها الزوجية مع زوجها خالد ، الذي أمضت معه سبعة أيام ، وقتل في اليوم الثامن ، كما في رواية . ولماذا مدح الرواة لزوجته وشجاعتها وأ أنها قتلت من الروم الذين قتلوا زوجها سبعة فرسان بعمود ! ومتى تزوجها بعده عدوه الخليفة عمر بن الخطاب ، فولدت له فاطمة بنت عمر . (تاريخ دمشق: ٢٢٥/٧٠). راجع: الكافي: ٥، ٥٧٢، والموطأ: ٥٤٥، والمستدرك: ٣/٤١، وفتح الباري: ٨/٩، والتواين لابن قدامة: ١٢٣ ، والطبقات: ٥٠.

وآخر ما نسجله من روایات السلطة، قوله إن خالد بن سعيد شارك في معركة اليرموك، وجُرح فيها، ثم اختفى فلا يدرى أين مات؟ !

قالت رواية الطبرى: ٢/٥٩٧: «عن أبي عثمان: و خالد كان من أصيب في الثلاثة الآلاف الذين أصيّبوا يوم اليرموك ، عكرمة و عمرو بن عكرمة ، و سلمة بن هشام ، و عمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، وأثبت خالد بن سعيد (جُرح) فلا يدرى أين مات» !

و هنا نصل الى شهادة مهمة : لأحد كبار أئمة الزيدية الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم (٢٤٥-٢٩٨) في كتابه ثبيت الإمامة ، بأن خالد بن سعيد قتل الخليفة لوقفه من السقيفة ، قال : « وأين الإجماع ، وكثير من أصحاب محمد قد أبوا البيعة منهم : خالد بن سعيد ، كان ولاه رسول الله عليه السلام زبيداً حين ارتد عمرو بن معدىكرب ، فأخرج رسول الله عليه السلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لحرهم ، فلما هزمهم وأمكن الله منهم ول عليهم خالد بن سعيد رضي الله عنه وأرضاه وكان على مقدمتهم ، فلم يزل فيهم حتى قبض رسول الله عليه السلام ثم قدم بزكواتهم ، فدفعها إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وأبى أن يسلمها إلى أبي بكر ، فأمر سل أبو بكر إلى علي عليه السلام فقبض منه الزكاة . و دعا أبو بكر خالد بن سعيد رضي الله عنه للبيعة فأبى ، فأمره أن يلحق بأطراف الشام ! ثم زعم أصحاب الحديث والأخبار أنه أمر بقتله فقتل . وزعم بعضهم أنه قُتل في وقعة كانت هنا ذلك ، وال الصحيح أنه لم يكن هي وقعة وغيره من لم يبايع كثير » .

ويؤيد ذلك روایتهم بأنه خرج يستمطر، وأن الرومي الذي قتله قد أسلم !
وقد يفهم من الرواية التالية أنه استقبل عمر، لما زار الشام. ففي الطبقات (٤/٩٩):
«أن خالد بن سعيد بن العاص وهو من المهاجرين قتل رجلاً من المشركين ثم
لبس سلبه ديباجاً أو حريراً، فنظر الناس إليه وهو مع عمر، فقال عمر: ما
تنتظرون ! من شاء فليعمل مثل عمل خالد، ثم يتلبس لباس خالد » !

والتيجة: أن المرجح أن الصحابي خالد بن سعيد ، المجاهد البطل فاتح فلسطين والشريك في فتح الشام ، قد قتل بعد مشاركته في معركة اليرموك ، فيكون شارك في جميع معارك فتح فلسطين وبلاد الشام . رضي الله عنه . والمظنون أن لزوجته أم الحكم المخزومية يداً في سمه ، فهي شبيهة بزوجة المشنى بن حارثة الشيباني ، التي تقدم ذكرها .

٢١. واضطربت السلطة ورواتها فوّقعت في تناقضات فاضحة في موت خالد

وبسبقه أن خالد بن سعيد رضي الله عنه شخصية مهمة ، يوازي في ميزان قريش وبني أمية شخصياتها الكبرى كعبة بن الوليد والده هند ، أبي أنه أكبر من أبي سفيان وأولاده ، لأنه ابن أبي أحبيحة ، الثري الذي كان يلقب بذبي التاج ! وهو في ميزان الحرب قائد معارك المسلمين في فتح الشام ، فالرغم من أن أبا بكر عزله وجعل مكانه يزيد بن أبي سفيان ، لكنك لا تسمع ببطولة لزيد ، بل رأيت أن يزيداً هنا وأبا عبيدة وخالد بن الوليد وابن العاص أعطوا قيادة معركة مرج الصفر إلى خالد بن سعيد ! ويندر في التاريخ ، أن يعطي قادة أربعة جيوش قيادة معركة تشارك فيها جيوشهم ، إلى قائد غير رسمي ! فقد فرض خالد نفسه على أولئك القادة ، ببطولته مع جماعته الفرسان مثل إخوته عمرو وأبأن وابنه سعيد ، وزميله هاشم المرقال ، ثم انضم إليهم في معركة اليرموك مالك الأشتر ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدي ، وجموعة فرسان النخع ، وكلهم ملتفون حول خالد ، كما كانوا في اليمن !

وهوؤلاء هم الذين قطعوا النصر في اليرموك ، وكان في مقدمتهم بدل خالد بن سعيد أو معه ، مالك الأستر ، الذي قتل أحد عشر أو ثلاثة عشر من قادة الروم قبل المعركة ، فاضطراب جيشهم ، وكانت الحملة ومعها هزيمتهم !

قال الكلاعي الأندلسي في الإكتفاء : ٢٧٣ / ٣ : « إن الأستر كان من جنود الرجال وأشدائهم وأهل القوة والنجدة منهم ، وإنه قتل يوم اليرموك قبل أن ينهزموا أحد عشر رجلاً من بطارق THEM ، قتل منهم ثلاثة مبارزة » !

وكان أول الذين قتلهم الأستر قائد الروم المشهور باهان ، ثم برق آخر فقتله ، ثم ثالث ، ثم حل على القادة أصحاب الرایات حملة حيدرية ، فقتل تسعة منهم واضطراب جيشهم مذعوراً ! فحمل عليهم المسلمون وكانت الهزيمة .

وقد نسبوا البطولة والنصر إلى خالد بن الوليد وأبي عبيدة ، مع أنها كانت عن مبارزة باهان وغيره . ونسبوه إلى ضرار بن الأزرور صاحب خالد وقاتل مالك بن نويرة بأمره ، مع أنه قُتل قبل سينين في حرب اليمامة !

فقد لمع نجم خالد إذن في معارك الشام ، ومعه مجموعة الفرسان المميزون ! وبكفي أن يسطع نجم أحد وهو مخالف لل الخليفة ، حتى يتوجه إليه خطر التصفية ! ثم تتوجه إليه أنواع التهم الظالمة ، وهذا ما لاقاه خالد بن سعيد رضي الله عنه .

٢٢. وكذب رواة السلطة على خالد بن سعيد واتهماه بأنه جبان في الحرب !

وقالوا إنه انهزم من الروم وظل يركض مئات الأميال حتى وصل إلى تبياء ، غضب عليه أبو بكر ومنعه من دخول المدينة ! ثم تفضل وسمح له بدخولها !

قال ابن كثير في النهاية: ٣٩/٧: «وأمره الصديق على بعض الفتوحات كثما تقدم . قتل يوم مرج الصفر في قول ، وقيل بل هرب فلم يمكنه الصديق من دخول المدينة تعزيرًا له ، فأقام شهراً في بعض ظواهرها حتى أذن له».

وجعلت رواية في الطبرى (٣٣٣/٢) هزيمة خالد بن سعيد المزعومة في مرج الصفر مع أنه كان قائدها العام وحقق فيها النصر ، فقالت: «اقتحم على الروم طلب الحظوة (أى للغدر) وأعرى ظهره ، وبادر الأمراء بقتال الروم ، واستطرد له باهان فارز هو ومن معه إلى دمشق ، واقتتحم خالد في الجيش ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى ينزل مرج الصفر من بين الواقوصة ودمشق ، فانطوت مسالح باهان عليه ، وأخذوا عليه الطريق ولا يشعر ، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطر في الناس فقتلوه ، وأتى الخبر خالداً فخرج هارباً في جريدة فأفلت من أفلت من أصحابه على ظهور الخيل والإبل ، وقد أجهضوا عن عسكرهم ، ولم تنته بخالد بن سعيد المهزيمة عن ذي المروة (قرب تهاء) وأقام عكرمة في الناس رداء لهم فرد عليهم باهان وجندوه أن يطلبوه».

وفي رواية تاريخ دمشق: ٨٣/٢: «كان أبو بكر قد وجه خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام حيث وجه خالد بن الوليد إلى العراق ، وأوصاه بمثل الذي أوصى به خالداً ، أن خالد بن سعيد سار حتى نزل على الشام ولم يقتحم واستجلب الناس وعزّ فهابته الروم ، وأحجموا عنه ، فلم يصبر على أمر أبي بكر ، ولكن توردها فاستطردت له الروم حتى أوردوه الصفررين ، ثم تعطفوا عليه بعد ما أمن فوافقوه ابنه سعيد بن خالد مستمطرًا فواافقوه فقتلوا ومن معه ، وأتى الخبر

حالداً (أباه) فخرج هارباً حتى أتى البر فنزل منزلاً ، واجتمعت الروم إلى اليرموك فنزلوا به وقالوا والله لنشغل أبي بكر في نفسه عن تورد بلادنا بخاليه ! وكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بالذى كان به ، فكتب أبو بكر إلى عمرو بن العاص وكان في بلاد قضاعة بالسير إلى بلاد اليرموك ففعل ، وبعث أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان ، وأمر كل واحد منها بالغارة وأن لا توغلوا حتى لا يكون وراءكم أحد من عدوكم .

وقدم عليه شر حبيل بن حسنة بفتح من فتوح خالد (ابن الوليد) فسرحه نحو الشام في جند ، وسمى لكل واحد من أمراء الأجناد كورة من كور الشام فتواقوا باليرموك ، فلما رأت الروم توافهم ندموا على الذي ظهر منهم ، ونسوا الذي كانوا يتواعونون أبا بكر به ، واهتموا وهمتهم أنفسهم وأشجوهم وشجعوا بهم ثم نزلوا الواقعية . وقال أبو بكر: والله لأسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ، فكتب إليه بهذا الكتاب الذي فوق هذا الحديث وأمره أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس، وإذا فتح الله على المسلمين الشام فارجع إلى عملك بالعراق ». ورواوه الطبرى: ٦٠٣ / ٢.

وقالت رواية في الطبرى: ١٠٤ / ٢: «اقتتحم على الروم طلب الحظوة وأعرى ظهره وبادر الأمراء بقتال الروم ، فاستطرد له باهان فأرز (مرب) هو ومن معه إلى دمشق واقتتحم خالد في الجيش ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى نزل بالمرج مرج الصفر بين الواقعية ودمشق ، فانطوت مسالح باهان عليه وأخذوا عليه الطرق ولا يشعر ، وزحف له باهان فوجد ابنته سعيد بن خالد يستمطر في

الناس فقتلواهم ، فأتى الخبر خالداً فخرج هارباً في جريدة فأفلت من أفلت من أصحابه على ظهور الخيل والإبل ، وقد أجهضوا عن عسكرهم ولم تنته بخالد بن سعيد الهزيمة عن ذي الروءة ، وأقام عكرمة في الناس رداءً لم يفر عنهم باهان وجنوده أن يطلبوه ».

وقالت رواية أخرى للطبرى: ٥٨٧/٢: «عن المغيرة و محمد عن أبي عثمان قالوا: أمر أبو بكر خالداً بأن ينزل تباه.. وقد أمره أبو بكر أن لا يبرحها وأن يدعو من حوله للإنضمام إليه ، وأن لا يقبل إلا من لم يرتد ولا يقاتل إلا من قاتله حتى يأتيه أمره ، فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة وبلغ الروم عظم ذلك العسكر ، فضرروا على العرب الصاحبة البعث بالشام إليهم ، فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بذلك وبنزول من استنفرت الروم ، ونفر إليهم من بهراء وكلب وسليع وتنوخ ولخم وجذام وغضان من دون زيزاء بثلاث ، فكتب إليه أبو بكر أن أقدم ولا تحجم واستنصر الله ، فسار إليهم خالد فلما دنا منهم تفرقوا وأعروا متنزلم فنزله ودخل عامة من كان تجمع له في الإسلام ، وكتب خالد إلى أبي بكر بذلك فكتب إليه أبو بكر أقدم ولا تقتلون ، حتى لا تؤتي من حلفك فسار فيمن كان خرج معه من تباه وفيمن لحق به من طرف الرمل ، حتى نزلوا فيها بين آبل وزيزاء والقسطل ، فسار إليه بطريق من بطارقة الروم يدعى باهان فهزمه وقتل جنده ، وكتب بذلك إلى أبي بكر واستمدده».

وقالت رواية ثالثة للطبرى: ٥٨٨/٢، عن عروة بن الزير: «أن عمر بن الخطاب لم يزل يكلم أبا بكر في خالد بن الوليد وفي خالد بن سعيد ، فأبى أن يعطيه في

خالد بن الوليد وقال لاأشيم سيفاً سله الله على الكفار. وأطاعه في خالد بن سعيد ، بعد ما فعل فعلته...لما قدم خالد بن سعيد ذا المروءة وأتى أبو بكر الخبر ، كتب إلى خالد أقم مكانك فلعمري إنك مقدم محجام ، نجاء من الغمرات لا تخوضها إلى حق ولا تصر على ! ولما كان بعد وأذن له في دخوله المدينة قال خالد: أعنزني ! قال: أحطل وأنت أمر ، وجانٌ لدى الحرب ! فلما خرج من عنده قال: كان عمر على أعلم بخالد ، ولو أطعهما فيه اختشيته واتقيته».

أقول: الرواية الأخيرة تبرر إصرار عمر على عزل خالد ، وهي تزعم أن أبو بكر اكتشف صحة رأي عمر . وقد حشرت الرواية إسم علي عليهما السلام لهذا الغرض .

وكل هذه الروايات تقول إن خالد بن سعيد كان جباناً، ولم يتقدّم بأمر أبي بكر ولا عمر فسبب هزيمة المسلمين أمام الروم ، وهرّب منهم مئات الأميال ، فأنقذ أبو بكر الموقف بالأبطال الشجعان مثل عكرمة وأبي عبيدة ، وخاصة خالد بن الوليد ، وأقسم أبو بكر أن يبني الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ، فأرسل إليه فحضر من العراق وأنساهم وساوس الشيطان !

والحمد لله أنه لاحافظة لكتذوب ، فقد نسي واضعواها أن أبو بكر توفي بعد معركة أجنادين ببضعة أيام، وأن عمر عزل خالد بن الوليد في أول يوم تولى فيه الخلافة ، وأن ابن الوليد جاء من العراق ببعض مئات فلم يكن له دور في معارك الشام الأساسية الأربع: أجنادين ، ثم مرج الصفر ، ثم فحل ، ثم اليرموك . وأن خالد بن سعيد وإخوته وأصحابه هم الذين انسوا الروم وساوس الشيطان وفرضوا إعجابهم على قادة الجيوش ، فسلموه قيادتها في معركة مرج الصفر، فكتب الله على يد النصر المبين!

ففي تاريخ خليفة/١٢٠: «قال ابن إسحاق: في هذه السنة وقعة مرج الصُّفر يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من جندي الأولى سنة ثلاثة عشرة ، والأمير خالد بن سعيد . وحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال: استشهد يوم مرج الصُّفر خالد بن سعيد بن العاص». .

وقال الذهبي في تاريخه/٨٤/٣: « قال خليفة: كانت لاثنتي عشرة بقيت من جندي الأولى والأمير خالد بن سعيد . قال ابن إسحاق: وعلى المشركين يومئذ قلقط ، وقتل من المشركين مقتلة عظيمة ، وانهزموا».

كما أن روایتهم في اتهام خالد تناقضت فيها بينها في الأسباب والأحداث وتاريخها ، وخلطت بين عهدي أبي بكر وعمر ، وبين القادة والأحداث .

فقد قال بعضها إن أبي بكر منع خالد بن سعيد من دخول المدينة ، لأنه انهزم أما الروم هزيمة قبيحة ، وقال بعضها لأنه قرأ آيات من القرآن بقراءة مغایرة ، ولا علاقة لمنعه بهزيمته ! قال الطبرى: ٦٢٣ / ٢: «عن أبي سعيد قال: لما قام عمر رضي عن خالد بن سعيد والوليد بن عقبة فأذن لهم بدخول المدينة . وكان أبو بكر قد منعهما لقراءتها التي قرأها وردتها إلى الشام وقال: ليبلغني عنكم عناء إبلاؤكم فانضما إلى أبي أمرانا أحبتها ، فللحقا بالناس فأبليا وأغنها ». .

ولم تذكر الرواية أي آيات وكيف قرأها ، لكنها تدل أن منع خالد المزعوم من دخول المدينة ، كان لسبب عقائدي وليس هزيمته المزعومة !

وغرض الرواية تزيد تبرئة عمر من عداوته لخالد بن سعيد ، خوفاً من بنى أمية الذين يحرص على علاقته معهم في مواجهة بنى هاشم !

وقال بعض روایاتهم إن خالداً جاء من اليمن لا بسأ جبة دياج ، فصاح عمر بن ملیه: مزقاً عليه جبته (الطبری: ٥٨٦/٢). لكن متى كان عمر يجرأ قبل خلافة أبي بكر أن يقول ذلك لابن أبي أحیحة ؟

وقد نقضتها رواية أخرى (الطبقات: ٩٩/٤) قالت: «إن خالد بن سعيد بن العاص وهو من المهاجرين ، قتل رجلاً من المشركين ثم لبس سلبه دياجاً أو حريراً ، فنظر الناس إليه وهو مع عمر ، فقال عمر: ما تنتظرون ! من شاء فليعمل مثل عمل خالد ، ثم يتلبس لباس خالد » !

وقالت رواية (الطبری: ٥٨٦/٢) إن خالداً قال لعلي عليه السلام وعثمان أيام السقيفة: «يا أبي الحسن يا بنى عبد مناف أغلبتم عليها؟ فقال علي عليه السلام: أم غالبة ترى أم خلافة؟ قال: لا يغالب على هذا الأمر أولى منكم يا بنى عبد مناف. وقال عمر خالد: فض الله فاك والله لا يزال كاذب يخوض فيها قلت انتم لا يضر إلا نفسه».

وقالت أخرى عن لسان ابنته (الطبقات: ٩٧/٤) «وكان رأى أبي بكر فيه حسناً ، وكان معظمه له ، فلما بعث أبو بكر الجنود على الشام عقد له على المسلمين وجاء باللواء إلى بيته ، فكلم عمر أبا بكر وقال: تولي خالداً وهو القائل ما قال ... فما شعرت إلا بأبي بكر داخل على أبي يعتذر إليه ، ويعزم عليه ألا يذكر عمر بحرف ، فوالله ما زال أبي يترحم على عمر حتى مات».

ومعنى هذا الكلام على لسان ابنة خالد وهي زوجة الزبير، أن عداوته مع أبي بكر وعمر كانت معروفة ، فأرادت ابنته أو من وضع الرواية على لسانها ، أن يغطوا هذه الحقيقة المضرة لهم . وزادوا في تغطية موقف خالد بوضع حديث نبوى على لسانه يمدح أبا بكر وعمر ، فقد زعموا ان خالد قال إن النبي صلوات الله عليه وسلم

خطب فقال: «أيها الناس: إني راض عن أبي بكر فاعرفوا ذلك له . إني راض عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ، والهاجرين الأولين فاعرفوا ذلك لهم .

أيها الناس: إن الله قد غفر لأهل بدر والحدبية .

أيها الناس: إحفظوني في أصحابي وأصحابي وأحبابي ، لا يطلبنكم أحد منهم بمظلمة ، فإنها مظلمة لا توهب في القيامة . أيها الناس: إرفعوا ألسنتكم عن الناس ، وإذا مات المؤمن فلا تقولوا فيه إلا خيراً ثم نزل ».

(الرياض النصرة للمحب الطبرى: ١، ٤٠، و ٥٥، و تاریخ دمشق: ٣٠/٣٢، والشفا: ٢/٥٥)

وقد ضعف الحديث بعض علمائهم كالعقيل (٤٨/٤) ولكنهم لا يهتمون بالضعف .

والنتيجة: أن روایاتهم في ذم خالد بن سعيد ، تدور كلها حول تبرئة أبي بكر وعمر أمام بني أمية ، من ظلم زعيّمهم وابن زعيّمهم خالد بن سعيد ، وإثبات أنها خدمة وأئمّة مع أنه أساء إليهما ، لكنه لم يكن أهلاً للقيادة فعزلاه !

لكن هذا الدفاع يؤكّد التهمة التي تملّك عشرات القراءن ، ولا يدفعها !

٢٣. ولإخوة خالد أبان وعمرو وابنه سعيد قصص تشبه قصصه مع السلطة!

قابل الواقدي في فتوح الشام: ١٣/١: «خرج بهم سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص وكان غلاماً نجيباً ، وذلك أن سعيد بن خالد أتى إلى الصديق فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ إنك أردت أن تعقد لأبي خالد راية ويكون قائداً من قواد جيشه ، فتكلّم فيه المتكلّمون فعزّلته حين رجع منبعثك ، وقد حبس نفسه في سبيل الله عز وجل ، ولم أزل مجيناً دعوتكم في بعثك ، فهل لك أن تقدّمني على هذا الجيش فوالله لا يراني الله وانياً أبداً ، ولا عاجزاً عن الحرب .

قال: وكان سعيد بن خالد نجيباً أنجب من أبيه وأفرس ، فعقد له أبو بكر راية ودفعها إليه ، وأمره على ألفين من العرب . قال: فلما سمع عمر بن الخطاب كلام سعيد بن خالد وأنه خير من أن يكون أميراً كره لك ذلك ، وأقبل على الصديق وقال: يا خليفة رسول الله عقدت هذه الراية لسعيد بن خالد على من هو خير منه ، ولقد سمعته يقول عندما عقدتها على رغم الأعادي . والله لتعلم أنه ما يريد بالقول غيري ، والله ما تكلمت في أبيه !

قال الواقدي: فتقل ذلك على أبي بكر ، وكره أن لا يعقد له ، وكره أيضاً أن يخالف عمر لمحبته له ونصحه ومتزنته عند النبي ﷺ ، ووثب قاتماً ودخل على عائشة وأخبرها بخبر عمر بن الخطاب ، وما كان من كلامه فقالت عائشة: قد علمت أن عمر ينصر الدين ويريد النصر لرب العالمين ، وما في قلب عمر بغض لل المسلمين . قال: فقبل قول عائشة ، ثم دعا بأذن الدوسي ، وقال له: إمض إلى سعيد بن خالد وقل له: رد علينا رايتك . قال: فردها وقال: والله لأقتلن تحت راية أبي بكر حيث كان ، فإني قد حبسني في سبيل الله... .

ثم إن أبي بكر دعا عمرو بن العاص فسلم اليه الراية وقال: قد وليتك على هذا الجيش يعني أهل مكة والطائف وهوazon وبني كلاب ، فانصرف إلى أرض فلسطين وكاتب أبي عبيدة وأنجده إذا أرادك ..

قال أبو الدرداء: كنت مع عمرو بن العاص في جيشه ، فسمعت أبي بكر يقول وهو يوصيه... وابعث عيونك يأتيونك بأخبار أبي عبيدة ، فإن كان ظافراً بعدهوه فكن أنت لقتال من في فلسطين ، وإن كان يريد عسكراً ، فأنفذ اليه جيشاً في أثر

جيش ، وقدم سهل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام وسعید بن خالد..» .

أقول: تقدم أن أبا بكر أرسل ابن العاص إلى فلسطين بثلاثة آلاف ، وأن أبا عبيدة استدعاه إلى أجنادين ، ولم يكن له مشاركة قتالية ، فاختبر قصة الأرطبون وكان سعيد بن خالد في ذلك الوقت مع أبيه وأعمامه عمرو وأبان .
ولاحاجة إلى الإفاضة في مكذوباتهم عن خالد بن سعيد وابنه سعيد وإخوته ، رضي الله عنهم ، فهي من نوع مكذوباتهم عن خالد بن سعيد .

٢٤. تدخل رواة السلطة بأخبار جهاد خالد وابنه سعيد وإخوته أبان وعمرو ،
مع أنهم بموازين السلطة أهم من آل أبي سفيان ، وقد خاضوا كل حروب فتح فلسطين والشام ، وكانوا قادة فيها ، وكان خالد القائد العام لمعركة مرج الصفر وهي من أهم معاركها ، وقد تكون الأهم .

ونذكر فيها بلي بعض أخباربني سعيد بن العاص «أبي أحيمحة»:
كان أبان على خيل المشركون في أيام الحديبية ، وعندما أرسل النبي ﷺ عثمان بن عفان إلى مكة ، أجاره أبان فدخل ، وقال له كما في تاريخ دمشق: ١٣٤/٦:
«أسبل وأقبل لا تخف أحداً بنو سعيد أعزُّ الحرم».

أي أسبل إزارك ولا تشرمه فأنت في جواربني سعيد ، لأن القرشيين كانوا يُسْبِّلُونَ أَزْرَهُم ، ويأمرون من يدخل مكة أن يشرم إزاره إلى نصف ساقه .

وقد أسلم أبان بعد الخديبية وجاء إلى خيبر، قال أبو هريرة إن أباناً قال للنبي ﷺ: إقسم لنا. (قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله لا تقسم لهم. قال أبان: وأنت بهذا يا وبرٌ تحدّر من رأس ضأن)! (صحّح البخاري: ٨٢٥).

وفي معجم الطبراني الأوسط: ٣٠٧/٣: تحدّر من رأس الجبل). وهو مثل لعدم قيمة التكلم!

وفي معجم السيد الحوئي: ٨/٢٨ و ١٤١/١: «خالد بن سعيد بن العاص: من أصحاب رسول الله ﷺ.. من الإثنى عشر الذين أنكروا على أبي بكر ، وكان أول من تكلم يوم الجمعة .. أبان بن سعيد بن العاص.. من أصحاب النبي ﷺ وإخواته: خالد ، وعتبة ، وعمرو .. أبوا عن بيعة أبي بكر، وتابعوا أهل البيت ﷺ، وبعدما بايع أهل البيت ﷺ بايعوا».

وفي الإستيعاب: ١١٧٨/٣: «واستعمل رسول الله ﷺ عمرو بن سعيد على قرى عربية منها تبوك وخمير وفدى . وقتل عمرو بن سعيد مع أخيه أبان بن سعيد بأجنادين سنة ثلاثة عشرة ، هكذا قال الواقدي وأكثر أهل السير. وقال ابن إسحاق: قتل عمرو بن سعيد بن العاص يوم اليرموك ، ولم يتابع ابن إسحاق على ذلك ، والأكثر على أنه قتل بأجنادين.. وكانت أجنادين ومرج الصفر في جمادى الأولى سنة ثلاثة عشرة».

وفي تاريخ دمشق: ١٢٦/٦: «أبان بن سعيد.. له صحبة واستعمله النبي ﷺ على بعض سراياه ، ثم ولاه البحرين ، وقدم الشام مجاهداً فقتل يوم أجنادين ، وقيل يوم اليرموك وقيل مات سنة تسع وعشرين ... لما توفي رسول الله ﷺ بعث أبو بكر أبان بن سعيد بن العاص إلى اليمن فكلمه فিروز في دم داذويه ، فقال: إن

قيساً قتل عمي غدراً على عدائه ، وقد كان دخل في الإسلام وشرك في قتل الكذاب ، فأرسل أبان يعلى بن أمية إلى قيس فقال: إذهب فقل له أجب أبان بن سعيد ، وإن تردد فاضربه بسيفك . فقدم عليه يعلى فقال له: أجب الأمير أبان فقال له قيس: أنت ابن عمي ، فأخبرني لم أرسل إلي؟ فقال له: إن الدليلي كلمه فيك أنك قتلت عمه رجلاً مسلماً على عدائك ! قال قيس: ما كان مسلماً لا أنا ولا هو ، وكنت طالب ذحل قد قتل أبي وقتل عمي عبيدة وقتل أخي الأسود ، فأقبل مع يعلى فقال أبان لقيس: أقتلت رجلاً قد دخل في الإسلام وشرك في قتل الكذاب؟ قال: قدرت أيها الأمير فاسمع مني ، أما الإسلام فلم يسلم لا هو ولا أنا ، وكنت رجلاً طالب ذحل وأما الإسلام فتقبل مني وأبايعك عليه ، وأما يميني فهذه هي لك بكل حدث يجده كل إنسان من مذحج . قال: قد قبلنا منك . فأمر أبان المؤذن أن ينادي بالصلة وصل أبان بالناس صلة خفيفة ، ثم خطب فقال: إن رسول الله ﷺ قد وضع كل دم كان في الجاهلية».

ومن الملفت في أخبار أبان أنه تزوج بنت عتبة بن ربيعة ، أخت هند ، وإسمها: أم أبان ، وقالوا إنها كانت في الشام مع أخيها ، وإن أباناً قتل بعد زواجه منها بليتين ، فكيف يكون قتل في أجنادين؟ «وقتل عنها يوم أجنادين . وقيل إنه لم يكن معها سوى ليتين حتى قتل عنها». (تاريخ دمشق: ١٩٧/٧٠).

وروى أن عمر بن الخطاب خطب أم أبان بعد مقتل زوجها، فكرهته وقالت: «يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابساً ويخرج عابساً». (تاريخ الطبرى: ٢٧٠/٣).

فهرس المجلد الثاني

الفصل الرابع: أصحاب الأدوار المدعاة في الفتوحات

٣	كثرة القادة الحقيقيين والمدعى لهم القيادة.....
٤	هل اخترع رواة السلطة أبطالاً من خيالهم؟
خالد بن الوليد والغدر ونبيل الفروسيّة !	
٦	١. أبوه الوليد بن المغيرة العتل الزيني
٨	٢. نشأ خالد على بغض النبي ﷺ
٩	٣. كان عمر بن الخطاب يبغض خالداً ولا يطيقه
١١.....	٤. وكتب عمر إلى خالد: بلغني أنك تَذَلَّكَ بخمر !
١١.....	٥. وعاش خالد معزولاً ومات في حصن
١١.....	٦. تقرأ الكثير عن فروسيّة خالد ولا تجدها في المارك
١٣.....	٧. أوصاه أبو بكر أن يباشر الحرب فلم يباشرها
١٣.....	٨. لم تثبت له مبارزة في كل تاريخه العسكري
١٤.....	٩. اشتهر غدر خالد ببني جذيمة رغم إعلانهم الإسلام !
١٧.....	١٠. ارتكب خالد جريمة تصلح فليما لأساة العاشق !
١٨.....	١١. جعلوا جبن خالد في مؤنة بطولة !
٢٣.....	١٢. اعترفوا بجبن خالد لستة أشهر في اليمن !
٢٦.....	١٣. اخترعوا خالد أبطالاً قتلهم لا وجود لهم !
٢٨.....	١٤. اخترعوا خالد معارك عديدة لا وجود لها !

١٥. ورووا أن خالداً حارب الفرس والروم في العراق ! ٣١
١٦. تخصص في شن الغارات على العرب لا الفرس ولا الروم ! ٣٢
١٧. الصورة الحقيقة لعمل خالد في العراق ٣٦
١٨. أهتم عمر خالداً بقتل النفس المحترمة والسرقة ٤١
١٩. تعمدت السلطة أن تصور خالداً على أنه بطل ! ٤٢
٢٠. اخترع خالد صلاة فتحير فيها فقهاء السلطة ! ٤٣
٢١. وزعم خالد أنه يحمل شعر النبي ﷺ فيتصر ! ٤٣
٢٢. البطولة في حرب اليمامة لعدي بن حاتم والإسلام خالد ! ٤٤
٢٣. من بطولة خالد غارته على بيت الزهراء بنتي ! ٤٤
٢٤. ومن بطولته حاولته إغتيال أمير المؤمنين علية السلام ٤٧
٢٥. برز من أولاد خالد ابنه عبد الرحمن وابنه المهاجر الشيعي ٤٩

سعد بن أبي وقاص قائد عثرة زوجته بالجنين

١. نسب سعد بن أبي وقاص الزهري ٥٠
٢. كان سعد قصيراً غليظاً أسم أقطس ٥١
٣. توجد أكثر من مشكلة في نسب سعد ! ٥٢
٤. كان سعد يكره علياً عليه السلام مع شهادته بفضله ٥٤
٥. امتنع سعد عن بيعة علي عليه السلام ونصرته ٥٥
٦. أدان سعد سب معاوية لعلي عليه السلام ٥٥
٧. زعموا أن سعداً من المبشرين بالجنة ، ورد حديثهم على علي عليه السلام ٥٨
٨. أسرة سعد بن أبي وقاص أسرة عجيبة ٥٩
٩. اعترف سعد بفراوه يوم أحد ونعم أنه رجع ! ٦١
١٠. سعد أحد: الذين قبل لهم كُفُوا آثِرِكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاة ٦٣

١١. ادعى سعد لنفسه فضيلة أنه مستجاب الدعوة	٦٤
١٢. اقرض سعد من بيت المال وأبى أن يرده !	٦٥
١٣. سرق فاساً من خطاب وأبى أن يرجعها له !	٦٧
١٤. عينه عمر والياً على العراق	٦٨
١٥. شهدوا عليه بأنه جبان وغير عادل	٦٨
١٦. كان رأي عمر سلبياً فيه لكنه متسلك به !	٧٠
١٧. صادر عمر منه نصف ثرواته	٧١
١٨. كانت مشكلة سعد أنه رأى نفسه كيراً	٧٢
١٩. كان سعد جريئاً على معاوية	٧٣
٢٠. زعم سعد أنه أحق بالخلافة	٧٤
٢١. كان معاوية يرى أن عمر كبر سعداً !	٧٥
٢٢. كان سعد ضعيف الشخصية أمام معاوية	٧٧
٢٣. اعترض سعد على بيعة بزيد فقتله معاوية	٧٧
٢٤. جلب سعد لأولاده معلمياً نصرانياً	٧٨
٢٥. ورث سعد طموحة للخلافة إلى أولاده !	٧٨
٢٦- هرب سعد من قيادة القادسية	٧٩

جرير بن عبد الله البجلي مقاول حرب في سبيل الله

١. نسب جرير، بن عبد الله البجلي	٨٧
٢. أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوماً	٨٧
٣. وصفه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وصديقه الأشعث !	٨٩
٤. ذهب إلى العراق مع خالد بعد اليمامة	٨٩
٥. ساعد خالداً قتالبني تغلب	٩٠

٦. زعموا أن جريراً قتل مربزان المدار	٩١
٧. كان جريراً جندياً في جيش خالد بن سعيد	٩٢
٨. قال جريراً عمر على «الجهاد» بقومه	٩٤
٩. شارك جريراً مع بني بجية في معركة البويب	٩٦
١٠. رأى جريراً القائد مهران مقتولاً فقطع رأسه !	٩٨
١١. سكن جريراً وقمه الكوفة	١٠١
١٢. ملكَ جريراً وقمه ربع الأرض المفتوحة وندم	١٠٢
١٣. كان جريراً قائداً في معركة جلولاء	١٠٦
١٤. تقدم جريراً داخل إيران وفتح بعض المدن	١٠٩
١٥. أمره عمار أن يُمدّ أباً موسى الأشعري في تستر	١١٠
١٦. أرسلوه إلى رامهرمز داعياً فسماهم ونبههم	١١٠
١٧. التحق جريراً بجيش المسلمين إلى نهاوند	١١٣
١٨. عينه عمر والياً على همدان	١١٦
١٩. رواواً أن جريراً كان يشرب الخمر	١١٧
٢٠. كان جريراً تلميذ الأشعث في التحرش	١١٨
٢١. عندما بايع المسلمين علياً <small>عليه السلام</small> بايعه جريراً	١١٩
٢٢. بعثه علي <small>عليه السلام</small> إلى معاوية يدعوه إلى بيعته	١٢٠
٢٣. كان جريراً يبغض علياً <small>عليه السلام</small> ، وحرّف حديث الغدير	١٢٤
٢٤. مال جريراً إلى معاوية فعزلته قبيلته !	١٢٦

عمرو بن العاص.. لا نبلٌ ولا شجاعة !

١. اختلف فيه أربعة فاختارت أمّه العاص بن وائل !	١٢٧
٢. أمّه النابغة، أمّه لبني عنزة ذات علم !	١٣٠

٣. كان عمرو من طفولته يبغض النبي ﷺ	١٣٢
٤. وكان حريصاً على مظهر الفروسيّة	١٣٥
٥. اعترف عمرو وخالد بأنهما أسلماً طمعاً	١٣٧
٦. ضخموا دوره وزميله خالد مع النبي ﷺ	١٣٧
٧. وضخموا دوره في فتح فلسطين ومصر	١٣٧
٨. يجعلوا له دور شرحبيل وخالد بن سعيد	١٣٩
٩. واخترع لنفسه بطولات في المكر والدهاء	١٤٥
١٠. وبلغ أوج كذبه في أسطورة الملكة آرمانوسة	١٤٨
١١. نسبوا له قصة اليمامة التي باضت !	١٥٠
١٢. كذب لنفسه وكذبوا له معاذك في فتح مصر	١٥١
١٣. واستطاب عمرو طعم خراج مصر	١٥٣
١٤. وأحرق عمرو مكتبة الإسكندرية	١٥٥
١٥. نقض عمرو عهد الصلح مع أهل مصر	١٥٨
١٦. بطش بالإسكندرية بدون سبب ونبأها وهدم سورها	١٦٧
١٧. حكم عمرو مصر سبع سنين	١٦٨
١٨. جمع عمرو ثروة طائلة من الفتوحات	١٧٠
١٩. لم يشبع عمرو حتى أخذ خراج مصر طعمةً	١٧١
١٩. وأشار على معاوية بإعطاء الروم جزية	١٧٤
٢٠. كان موقف علي عليه السلام من عمرو شديداً	١٧٧
٢١. كان عمرو في الشهانسات ومعاوية في الأربعينات	١٨٢
٢٢. غزا عمرو مصر بجيش معاوية وقتل وإليها	١٨٧
٢٣. نقلوا عنه اعترافه بالحق على نفسه	١٨٨

- | | |
|----------|-------------------------------------|
| ١٨٨..... | ٢٤. أشهر زوجاته بنت أبي معيط الحمار |
| ١٩١..... | ٢٥. أخذ لقب فاتح فلسطين ومصر |

الفصل الخامس: الأبطال الشيعة قادة الفتوحات

فاتح العراق المثنى بن حارثة رضي الله عنه

١. المثنى بن حارثة بن سلمة من ذهل شيبان ١٩٣

٢. كان بنو شيبان حلفاء مع بني عجلن بن لحيم ١٩٣

٣. وخاضت القبيلتان معركة ذي قار مع كسرى ١٩٥

٤. وبدأ المثنى فعاليته بتحرير العراق زمن النبي ﷺ ١٩٥

٥. ثلاثة عوامل ساعدت على فتح العراق ١٩٧

٦. كان المثنى وعشيرته من شيعة علي رضي الله عنه ١٩٨

٧. للمثنى عدة إخوة كلهم قادة شجعان ٢٠٠

٨. أرسل أبو بكر خالد بن الوليد مددًا للمثنى ٢٠١

٩. معركة بابل أول معركة مع الجيش الفارسي ٢٠٦

١٠. خير من أمد بهم عمر المثنى أبو عبد النطفي ٢٠٩

١١. المعركة الثانية مع الجيش الفارسي معركة التهارق ٢١١

١٢. وقاد أبو عبد والمثنى معركة الجسر ٢١٧

١٣. واصل المثنى جهاده بعد معركة الجسر ٢٢٣

١٤. قاد المثنى معركة البويب بجدرانة ٢٢٤

١٥. وأدار المثنى خلافة مع جرير وجراه إلى المشاركة ٢٢٥

١٦. بعد معركة البويب، بسط المثنى غاراته ٢٣٣

١٧. عزل عمر المثنى في أوج انتصاراته ! ٢٣٦

١٨. لكن المثنى لم ينزعز لعمق جذوره	٢٣٩
١٩. جاءت موجة فارسية مقدمةً لمعركة القادسية	٢٣٩
٢٠. المثنى يموت فجأة بعد أن غضب عليه عمر !	٢٤٠
٢١. ملاحظات على روایات موت المثنى	٢٤٢

هاشم المرقال نقىض أبيه وعكس عمه

١. هاشم المرقال بن عتبة بن أبي وقاص رضي الله عنه	٢٤٧
٢. مدح علماء السنة وأئمتهم هاشم المرقال	٢٤٩
٣. ومدحه علماء الشيعة ، فوصفوه بأنه صحابي جليل	٢٥١
٤. فضله أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> على محمد بن أبي بكر	٢٥٢
٥. بقي هاشم في الكوفة بعد أن تركها عمه سعد	٢٥٢
٦. كان هاشم بصيراً بمعاوية والمخالفين	٢٥٥
٧. كان صاحب رأبة علي <small>عليه السلام</small> في صفين	٢٥٥
٨. قاتل هاشم في صفين قاتل الأبطال	٢٥٦
٩. كان من خاصة أصحاب أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	٢٦٠
١٠. وصفوا شجاعته في الفتوحات وصفين	٢٦١
١١. خاض معارك الفتوح والتصحيح لمدة ربع قرن ،	٢٦٤
١٢. سارع بعد البرموك إلى القادسية	٢٦٦
١٣. وحاصر هاشم المدائن مدة طويلة	٢٧٠
١٤. بعد فتح المدائن قاد معركة جلواء	٢٧٢
١٥. وقاد المرقال جيش المسلمين بعد جلواء	٢٧٤
١٦. انشغل سعد بخزائن كسرى، فاستحضره هاشم	٢٧٥
١٧. بقي هاشم القائد العام من القادسية إلى نهاوند	٢٧٨

١٨. قام بالإعداد لمعركة نهاوند مع عمار ٢٧٨
١٩. ذكر الواقدي مشاركته في فتح مصر ٢٨٠
٢٠. كان له إخوة قادة ، وكان أبناؤه أكثر شبهاً به ٢٨٣

سلمان الفارسي المحمدي رضي الله عنه

١. نشأ على المجوسية ، ثم أعجبته المسيحية فهاجر إلى الشام ٢٨٨
٢. كان في أعلى درجات الإثبات بعد المعصومين ٢٩٠
٣. أكثر صحابي رواه كرامات ٢٩١
٤. كان أبيض اللون ، بهيّ الطلعة والشيبة ، قويّ البنية ٢٩٢
٥. كان يعمل في حفر الخندق فأصابوه بالعين ٢٩٣
٦. اشتهر تشيع سليمان رضي الله عنه ٢٩٤
٧. شهد جميع حروب النبي ﷺ بعد أحد ٢٩٦
٨. أتقن العربية ويفيت لكتبه الفارسية ٢٩٧
٩. ترجم للفرس من القرآن ٢٩٩
١٠. أخفى رواة السلطة دوره في الفتوحات ٢٩٩
١١. رواه كرامات في فتح المدائن ، ٣٠٠
١٢. روا نموذجاً من عمله في الفتوحات ٣٠٢
١٣. اختاروه أمين غنائم قصور كسرى ٣٠٤
١٤. وصار الفارسي المشرد حاكماً لعاصمة كسرى ٣٠٥
١٥. اختار سليمان مكان الكوفة متنلاً لل المسلمين ٣٠٧
١٦. قدم سليمان نموذج الحاكم المسلم ٣١١
١٧. وكان يخرج من المدائن إلى الجihad ٣١٢
١٨. شارك سليمان في فتح إرمينيا والقفقاز ٣١٢

١٩. كان يزور الشام فيستقبلونه ك الخليفة ٣١٤
٢٠ آخى النبي ﷺ بيته وبين أبي ذر ٣١٥
٢١. مرأة علاقته بعمر في مراحل ٣١٦
٢٢. ساءت علاقة سليمان بعمر في أواخر حياته ٣٢١
٢٣. تزوج سليمان امرأة من كندة ٣٢٣
٢٤. علم سليمان بوفاته وصل عليه ﷺ ٣٢٤

حجر بن عدي الكندي رضي الله عنه

١. حجر بن عدي الكندي رضي الله عنه ، صحابي جليل ٣٢٧
٢. كان فارساً قائداً في فتح العراق وإيران والشام ٣٢٧
٣. كان شجاعاً نقباً ، وظهرت له كرامات ٣٢٨
٤. كان من كبار أصحاب علي عليهما السلام ٣٢٨
٥. كان مع بعض أصحابه يشتمون أهل الشام ٣٢٩
٦. فضح ناصر الأشعث في قتل أمير المؤمنين علي عليهما السلام ٣٢٩
٧. كان حجر معتمداً الإمام الحسن عليهما السلام ٣٣٠
٨. قتله معاوية بدون أي حجة إلا تشيعه لعلي عليهما السلام ٣٣٠
٩. غضب الإمام الحسين عليهما السلام لقتل حجر ٣٣٠
١٠. ذلت العرب بقتل حجر بن عدي ! ٣٣١
١١. كان يردد: الموت في حب علي عليهما شهادة ! ٣٣٢
١٢. قُتل مع حجر خمسة من أصحابه الأبطال ٣٣٤
١٣. أخبر النبي ﷺ وعلي عليهما شهادة حجر ٣٣٤
١٤. أرسل معاوية مجرماً كبيراً فقتل حمراً ٣٣٥
١٥. أصيب معاوية بالملوسة لقتل حجر ٣٣٥

١٦ أراد معاوية أن يلعن حجرًا عليًّا فلقيه فأبى ٣٣٦
١٧. وأوصى حجر أن يدفنه بثيابه ودمائه ٣٣٦
١٨. كان حجر رئيس قبائل كندة ٣٣٦

حذيفة بن اليمان أمين سر رسول الله ﷺ

١. كان حذيفة أمين النبي ﷺ على سره ٣٣٨
٢. كان عمر بن الخطاب يسأله عن المنافقين ٣٣٩
٣. حذيفة أحد أركان التشيع الأربع ٣٤٠
٤. كان حذيفة يستعمل التقبة مع الخلفاء ٣٤٥
٥. روى تحذير النبي ﷺ من أئمة الضلال وبشارته بأئمة المهد ٣٤٨
٦. كان يخبر المسلمين بغرائب ستحدث ! ٣٤٩
٧. رووا عنه مدحًا لبعض الخلفاء ولم يصح ٣٥١
٨. شارك في حرب أحد وما بعدها ٣٥١
٩. شارك في فتوح الشام ٣٥٨
١٠. سكن الكوفة وشارك في فتح المدائن وجلواء ٣٥٨
١١. ثم توغل جيش المسلمين داخل إيران ٣٥٩
١٢. قاد حذيفة معركة نهاوند ٣٦١
١٣. قاد حذيفة أغلب معارك فتح إيران ٣٦٧
١٤. شارك في فتح أرمينيا وكان والياً عليها ٣٧٤
١٥. كان حذيفة والي المدائن مع سليمان ٣٧٤
١٦. وكان حذيفة بطل توحيد نسخة القرآن ٣٧٦
١٧. يوجد حذيفة بن البيان آخر ٣٧٨

١٨. خَيْرُهُ النَّبِيُّ تَعَالَى بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُهَاجِرًا أَوْ أَنْصَارِيًّا ٣٧٩

الأحنف بن قيس رائد فتح خراسان

١. إِسْمَهُ ٣٨١
٢. وَفَدَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ ٣٨١
٣. يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْحَلْمِ وَالْحَكْمَةِ وَالتَّبْلِيلِ ٣٨٢
٤. عَنْدَمَا وَصَلَتْ عَائِشَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ دَعَتْهُ لِتُصْرِعَهَا ٣٨٣
٥. كَانَ مِنْ شَيْعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٣٨٤
٦. كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَجَابَ دُعَوةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٣٨٤
٧. اقْتَرَحَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مَندُوبَهُ لِلتَّحْكِيمِ ٣٨٥
٨. جَوَابَهُ لِمَعاوِيَةَ فِي مَقْتَلِ عُثْرَانِ ٣٨٦
٩. لَمْ شَامِيٌّ عَلَيْهِ عَنْدَ مَعاوِيَةَ فَأَنْفَخَهُ الْأَحْنَفُ ٣٨٦
١٠. وَصْفُ الْأَحْنَفِ سَفَرَةَ مَعاوِيَةَ وَذِكْرُ عَلَيْهِ ٣٨٧
١١. كَانَ عَلَيْهِ شَجَاعًا قَائِدًا ٣٨٨

خالد بن سعيد بن العاص بطل فتح فلسطين

١. أَخْرَجَ اللَّهُ مُؤْمِنِينَ مِنْ أَبْنَاءِ الْفَرْعَوْنِ أَبِي أُخْيَرَةَ ٣٨٩
٢. أَكْرَمَ اللَّهُ خَالِدًا بِرُؤُبَيْتَيْنِ كَانَتَا سَبِبَ هُدَايَتِهِ ٣٨٩
٣. هَرَبَ مِنْ سِجْنِ أَبِيهِ وَعَادَ هُوَ وَزَوْجُهُ ٣٩١
٤. أَسْلَمَ وَأَخْوَهُ عُمَرَ وَأَتَنَا بِالْمَرْاسِلَةِ أَخَاهَا أَبَانًا ٣٩٣
٥. هَاجَرَ خَالِدًا إِلَى الْجَبَشِ فَكَانَ مَعَ جَعْفَرَ ٣٩٤
٦. شَارَكَ سَعِيدَ بِفَعَالِيَةٍ فِي حَرْبِ النَّبِيِّ تَعَالَى ٣٩٥
٧. عَنْدَمَا تَوَفَّى النَّبِيُّ تَعَالَى جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ ٣٩٦

٨. ونصر عليه أيام السقيفة	٤٠٤
٩. عرض عليه أبو بكر وعلى إخوته أن يرسّلهم ولادة	٤٤٥
١٠. استشار أبو بكر عليه عليهما السلام في غزو الروم فشجعه	٤٠٥
١١. عَيْتَ خَالِدٌ عَلَى أَبِيهِ بَكْرٍ ، فَاعْتَذَرَ مِنْهُ	٤٠٨
١٢. ظلموا خالد بن سعيد لأنه شيعي	٤١٣
١٣. قاد معركة أجنادين فنسبوا قيادتها إلى بن الوليد!	٤١٧
١٤. ونسبوها إلى عمرو العاص!	٤٢٤
١٥. واعترفوا بقيادة خالد لمعركة مرج الصفر	٤٣٠
١٦. كان عدد الروم في أجنادين نحو سبعين ألفاً	٤٣٢
١٧. افتتح معركة أجنادين حفيدان لعبد المطلب	٤٣٤
١٨. وقاد خالد بن سعيد أجنادين ومرج الصفر وفي حل	٤٣٧
١٩. عَيْضَ عمر على خالد بن سعيد فعزله ثم قتله	٤٣٩
٢٠. روایتهم تشير الى أن خالد بن سعيد مات مقتولاً	٤٤٢
٢١. اضطربت السلطة ورواتها وتناقضوا في سبب موته	٤٤٧
٢٢. كذب رواة السلطة على خالد بن سعيد كثيراً	٤٤٨
٢٣. ظلموا معه إخوته أبااناً وعمرواً وأبنته سعيداً	٤٥٥
٢٤. يَخْلُ رواة السلطة بأخباره خالد بن سعيد وأقاربه	٤٥٧

(تم الكتاب والحمد لله رب العالمين)

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

« ولولا أن قريشاً جعلت إسمه ذريعة إلى الرئاسة ،
وسلمًا إلى العز والإمارة ، لما عبدت الله بعد موته يوماً
واحداً ، ولارتئت في حافرتها ، وعاد فارحها جذعاً ،
وبازلها بكرًا .

ثم فتح الله عليها الفتوح ، فأثرت بعد الفاقة ، وتمولت
بعد الجهد والمحصلة ، فحسن في عيونها من الإسلام ما
كان سمعاً ، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان
مضطرباً ، وقالت: لو لا أنه حق لما كان كذا !

ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها ، وحسن تدبير
الأمراء القائمين بها ، فتأكد عند الناس نهاية قوم
وخمول آخرين ، فكنا نحن ممن حمل ذكره ، وحيث ناره ،
وانقطع صوته وصيته ، حتى أكل الدهر علينا وشرب ،
ومضت السنون والأحقاب بما فيها ، ومات كثير ممن
يعرف ، ونشأ كثير ممن لا يعرف » !



نشر باقيات (الطبعة والنشر)

٠٩١٢٣٥٢٥٣٥

ISBN: 978-600-213-009-9



9 786002130099